

روایت

"أشقر"

د. شیماء سمیر فھمی

اسم الكتاب: أشقر

اسم الكاتب: د/ شيماء سمير فهمي

تصميم الغلاف: مي مجدي

تنسيق وتدقيق لغوي: نورهان هاني

رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٢٦٧٨٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٤٨-٨

كافة الحقوق محفوظة للناسر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناسر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقاً لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

رواية "أشقر"



مؤسسة
الكاتب
العربي
The Writer Operation

الفصل الأول

خوف.. ترقب.. ورهبة
أمر غريبة.. وأحداث صعبة
مشاعر حب راقية.. ومحبة..
سردية.. خيالية.. أو واقعية قصتنا
ولكني أعدكم برواية عذبة

(مقدمة) يرويها مجهول

"زيبی بی بی ء"

دفع باب الحديقة فأصدر صريرا جعل أسنانه تصطك لوهلة، فأغلقه بهدوء وهو يخطو بضع خطوات في الحديقة، حاملا ذلك الكيس الورقي، ثم توقف لحظات أمام القصر الخالي متأملا فخامته وهيبته، وكأنه عملاقا جافيا ينتظر من يوقظه، في يوم ما كان ذلك القصر حيا يمتلئ بالسعادة والمحبة.

"ترك... ترك... ترك... ترك..."

تردد صدی خطواته التي ترتقي فوق درجات السلم الرخامية الفاخرة، وهو متجه صوب القصر بخطى بطيئة متأنية، نتجت عن شعوره بالوحدة والإحباط، لا تتوافق مع شبابه ولماقته.

"هو هو هو.. هو هو هو.."

نظر خلفه ليجد كلبه العزيز يعدو تجاهه مسرعا، فأفرغ له محتويات الكيس الورقي أمام باب القصر وهو يربت على رأسه بحنان، لم يستطع يوما أن يطلق على ذلك المنزل فيلا، بل كان يراه دوما أقرب إلى القصر بسبب اتساعه وفخامته وتعدد غرفه وجمال حدائقه..

فتح باب القصر وتركه مفتوحا، ثم ألقى بجسده بإنهاك فوق أقرب أريكة صادفها، ودفع برأسه للوراء وهو يحاول منع عقله من التفكير فيما حدث له يوما، وغير حياته بأكملها.. ترى هل يستطيع أن يستعيد حياته من جديد؟ أم أن قدره هو أن يستكمل حياته وحيدا في ذلك القصر.

الغريب) يرويها أدهم

"لا يمكن بالطبع، يستحيل.."

قلتها بحزم للمهندسة التي تم تعيينها منذ بضعة أيام، وهي تعرض عليّ آخر مرحلة تصميمية توصلت إليها، وتحاول أن تقنعني بالخطوط الحادة التي يمتلئ بها المسقط الأفقي للمبنى، فلملمت أوراقها وهي تتوجه نحو باب المكتب قائلة بتردد:

"سأحاول إجراء بعض التعديلات يا باشمهندس أدهم.. لا تقلق، ستكون لديك التعديلات خلال الساعة على الأكثر."

قلت لها مشجعاً:

"بالتأكيد، في انتظارك."

"صباح الخير يا باشمهندس أدهم."

التفت نحو الباب لأجد يوسف زميلنا بالمكتب قد وصل، فرددت قائلاً:

"صباح الفل يا باشمهندس، كيف حالك يا يوسف؟"

"بخير يا أدهم والحمد لله.."

قالها ثم صمت كالمعتاد، لست أدري ما السر وراء ذلك الفتى، لقد تعرفت عليه بالجامعة، معرفة سطحية ولكنها أكدت لي أصله الطيب، وحسن خلقه، وعلى الرغم من أننا لم نكن أصدقاء مقربين، إلا أنه أحياناً كان يلجأ لي في مقر الأسرة التي كنت عضواً بها أثناء فترة دراستي الجامعية، ليسألني بخصوص مواد الدراسة، حيث كنت أسبقه بعام دراسي، كان كل ذلك جميلاً، حتى اختفى فجأة في عامه الدراسي قبل الأخير – والذي كان عامي الدراسي الأخير – كنت أسأل عنه زملاءه فلم يفدني أحد، بالطبع كان معه رقم هاتفي، لكن رقم هاتفه لم يكن معي للأسف، حاولت الدخول إلى صفحات التواصل الاجتماعي

الزواج: لوم

الخاصة به لأجد إنه قد أغلق حساباته، كنت قلقا عليه، فقد كان شابا مهذباً لم أر منه السوء قط، ولولا اختلاف أعوامنا الدراسية، وانشغالي بتسليم مشروعات العام الجامعي الأخير، لصرنا أصدقاء مقربين.

بعد أن تعينت في تلك الشركة بحوالي عام أو أكثر قليلاً، فوجئت بتعيينه، يومها رأيت في عينيه نظرة الانكسار تلك وكأنه فقد للتو عزيزاً، لقد صار أكثر هدوءاً مما كان عليه بالجامعة، وامتلاأت عينيه بحزن لم أدر له سبباً، لكنني ورفاقي بالمكتب كنا دائماً ما نحاول كسر الحاجز الجليدي الذي قرر أن يبنيه بيننا وبينه، لكنه كان يصمت وينقل بصره بيننا، ثم يعود لتجهمه من جديد.

فأشفقت عليه، وعاملته معاملة الأخ الأصغر، وفي ذلك اليوم قررت أن أستغل فرصة عدم وجود الزملاء بالمكتب، وسألته سؤالي المعتاد له بعد كل عطلة نهاية أسبوع لعله يتحدث أو يفصح عما بنفسه:

"كيف كانت عطلتك يا يوسف؟"

أجاب دون أن يرفع عينيه عن حاسوبه المحمول:

"لا شيء محدد.."

سألته من جديد:

"أقضيته في المنزل، أم ذهبت لأحد أقاربك أو معارفك؟"

أجاب باقتضاب:

"بالمنزل!"

لا أريد أن أجبره على الدخول بتفاصيل حديث لم يرد التطرق إليه، ولكنه كان شاباً مرحاً، ويؤسفني ما آل إليه حاله، فقلت له:

"أنا أيضاً قضيتها بالمنزل، فوالدتي بارك الله في عمرها طبخت لنا محشي الكرنب وبطة محمرة في يوم الجمعة، وتبقى أيضاً ما وفر لنا غداء يوم السبت."

قال باقتضاب:

"بألف هناء وشفاء."

سأسله سؤالاً آخر ثم أصمت، لا تقلقوا:

"وأنت يا يوسف ماذا أكلت؟"

نظر لي متردداً، ثم قال بشيء من الأسى:

"كان لدي بقايا طعام في ثلاجتي، تناولته بعد إعادة تسخينه."

هنا بعد أن تأكدت شكوكي أن هذا الفتى يعيش وحده، قررت أن أصمت، لماذا يعيش وحده؟ لست أدري بالطبع، ولكنني قررت أن أساعد من خلال المعطيات المتاحة لي، فطلبت من والدي أن تحاول بقدر المستطاع أن تبدأ بالتجهيز لطعام نهاية الأسبوع قبلها بيوم، ثم أخبرتها أن لدي ذلك الزميل الذي يعيش وحيداً بدون عائلته، فكانت تجهز له بشكل شبه أسبوعي علبة غداء تكفيه يومي الإجازة، في البداية كان يرفض رفضاً قاطعاً، ولكنه في يوم ما قرر تغيير رأيه، فقد كان يتناول العلب، ويشرق وجهه لحظات وهو يشكرني ويدع لي ولوالدي أصدق الدعوات، ثم يخفت من جديد، الأمر الذي جعلني متيقناً من وجود سر عميق يخفيه يوسف عن الجميع، ترى ما هو هذا السر؟ لا أحد يعلم...

البداية، يرويها يوسف

يوما ما كنت أحيأ سعيدا بين أهلي، لكنني الآن وحيد، يعتقد معارفي وأصدقائي أن خلفي سر هائل، أعتقد أنهم فقط يبالغون في تقدير الأمور، سأروي لكم قصتي وأترك لكم الحكم، هل ما حدث كان خطئي، أم كان أمرا مقدر الحدوث.

اسمي يوسف، كان أهم ما يميزني يوما ما المرح وحس الدعابة، ولكن دوام الحال من المحال، فقد أصبت باكتئاب تقليدي كالذي قد ينجو منه البعض بينما يتعثر البعض الآخر في شبابه، لكنه ذلك الاكتئاب المبتسم الساخر، والذي يجعل الإنسان لا يفصح عما بداخله لمن حوله، وغالبا ما يكون مصحوبا بنبرة ساخرة وكوميديا سوداء، كنت قد علمت من قبل أن من أهم أسبابه التعرض للصدمات النفسية وخاصة للأشخاص الذين يعتقدون أن مشاعرهم الداخلية هي نقطة ضعف يجب إخفاءها عن الجميع، لذلك يكتبون شكاوهم ويطلقون العنان للجانب الكوميدي في شخصياتهم، بالتأكيد لا يمكنني الجزم بصحة هذا الكلام من خطئه فأنا مهندس معماري لست طبييًّا نفسيًّا، كل معلوماتي الطبية والنفسية حصلت عليها من تلك الموضوعات التي أتصفحها من وقت لآخر على محرك البحث جوجل لأتعرف على أسباب التحول في شخصيتي، من إنسان مرح محب للدنيا إلى إنسان كئيب منطوي ينتهز الفرص لإلقاء دعابات سخيفة لا تعبر عن مكنون نفسه.

هذا أنا.. يوسف، أترك الزمن يمر دون أن أشعر بمضيهِ، الزمن.. كيف يمر علينا الزمن؟ لماذا تمر الساعات ببطء واكتئاب شديدين على البعض، بينما تمر

الزمن: يوم

بسرعة وبهجة على البعض الآخر، لماذا قد تستطيع أن تملأ يومك بعشرات الأحداث المفيدة، وقد لا يستطيع الآخر مجرد إنجاز عمل واحد فقط، هل تلك هي نسبية الزمن، بالتأكيد لست أدري، فكما أخبرتكم للتو، أنا مهندس معماري، لست عالما فيزيائيا، السؤال هنا لماذا يشكو الجميع من سرعة مرور الزمن إلا أنا، أراقب مرور الوقت ببطء شديد، أحيا وحدي في هذا العالم منذ زمن بعيد، لست أدري متى هي آخر مرة ضحكت فيها من قلبي ربما قد نتذكر سويا إن أخبرتكم بقصتي من البداية.

الجزء: بومس

بدأت قصتي في العام التاسع والستين من القرن العشرين، في إحدى حارات حي باب الخلق، بالطبع لم أكن قد ولدت بعد حينها.

أترون ذلك الشاب البسيط بزيه المهنديم؟ اسمه عبد الكريم في الثامنة عشرة من عمره، ترونه عائدا من عمله في مصنع السجاد الذي تعين فيه بعد انتهائه من التوجيهية أو كما نطلق عليها الآن الثانوية العامة التي فيما يبدو أنها كانت ذات قيمة كبرى في السابق، يمكن بكل سهولة أن يأتيك التعيين بعد الحصول عليها دون أدنى مجهود، المهم نعود لعبد الكريم من جديد، عام واحد فقط من الكد والجد والاجتهاد في العمل يجعل صاحب المصنع الذي لم يكن لديه أبناء أن يعامل الشاب عبد الكريم كابنه تماما ويترك له قيادة مصنعه نظرا لاجتهاده وتفانيه الشديد في عمله.

ها هو عبد الكريم يصعد درجات منزله المتهالكة بتودة، وحينما يصل إلى الطابق الثاني يطرق على الباب طرقات خفيفة تفتتح له والدته الباب وهي تحمل بيدها إحدى أدوات التقليب بالمطبخ فيطبخ قبلة على جبينها وهو يتشمم رائحة الطبخ التي علفت بها جراء وقوفها بالمطبخ منذ الصباح، ثم يقول ببهجة:

" ما تلك الروائح الشهية يا أم عبده؟"

فتجيب والدته بصوتها الدافئ بحنان وهي تتجه نحو المطبخ:

" تعال لتتذوق بنفسك، فتة ولحم وملوخية."

يتبعها نحو المطبخ وهو يشم أبخرة الطعام من حوله:

" الحمد لله أنني لم أتناول الغداء مع زملائي، يبدو أن حماتي تحبني."

فتجيب والدته بغموض وهي تنظر إليه لتستشف ردة فعله:

" يبدو كذلك وهي امرأة طيبة بالمناسبة."

يرفع إحدى حاجبيه بدهشة وهو يقول:

" من يا أمي؟"

" ألم أخبرك بعد؟ إذن دعني أخبرك بما حدث اليوم... ذهبت في الصباح بعد ذهابك أنت والدك للعمل لزيارة جارتنا أم إسماعيل، ومعى بعض البقالة؛ فهي مريضة منذ ثلاثة أيام شفاها الله، فتحت لي الباب فتاة جميلة لم أرها من قبل،

(الزوجة): بومس

استقبلتني بأدب وعرفتني بنفسها على أنها ابنة أخت أم إسماعيل وقد أرسلتها والدتها لتعتني بخالتها فترة مرضها، ثم أدخلتني غرفة خالتها أم إسماعيل، والتي بعد أن اطمأنت على صحتها، سألتها عن الفتاة وعن أهلها، فأخبرتني أنهم أناس طيبون وأن الفتاة في العام الأخير لها في التوجيهية، وأن والدتها ستصل بعد قليل، وبالفعل انتظرت والدّة الفتاة حتى وصلت وتعرفت عليها لأجدها سيدة مهذبة وابنة أصول، ما رأيك؟ "

أجاب عبد الكريم في دهشة:

"رأيي في ماذا يا أمه؟"

قالت له أمه بطيبة شديدة:

"في الفتاة..."

داعب عبد الكريم أصابع يده بإبهامه وهو يفكر، ثم قال لوالدته:

"ما اسمها؟"

قالت له بلهفة:

"كريمة"

فقال لها وقد شعر فجأة بأنه لم يعد يفكر في الطعام:

"أريد أن أراها أولاً قبل أن أتقدم لها."

"علمت أنها تتسوق في الصباح لخالتها، يمكنك أن تراها في الصباح قبل نزولك لعملك."

"تاك توك توك توك.."

توجهت والدته نحو باب الشقة لكي تفتح لزوجها وهي تقول لابنها بمزيج من الحزم والحنان:

"فكر يا بني وإن أعجبتك سنحدد موعداً ونذهب لطلب يدها."

(الرد): بوس

في اليوم التالي استيقظ عبد الكريم باكرا، وارتدى ملابسه واستقر على مقعده في شرفته منتظرا كريمة، غارقا في أفكاره.

لم يرها حتى الآن، ولكنه يعلم أن اختيار والدته بالتأكد صائب وفي محله، ولكنه لم يفكر في الزواج بعد، على الرغم من أن شباب عائلته جميعا تزوجوا في سن يتراوح بين الخامسة عشرة والعشرون عاما..

وبينما هو غارق في أفكاره تتوجه يديه بشكل لا إرادي تجاه جهاز الراديو المجاور، فيقوم بتشغيل إذاعة البرنامج العام، لكي يستمع إلى برامجه الصباحية المفضلة، فيخرج الصوت الدافئ المصاحب لصوت موجات الراديو المعدني المحبب:

"بالسلامة يا حبيبي بالسلامة، تيجي زي الفرحة تيجي بابتسامة، طريق السلامة... عزيزي المستمع على طريق السلامة...."

ولكنه لم يستطع استكمال سماع ما قالت المذيعة، فشرفة جارتها أم إسماعيل تفتح، وتخرج منها فتاة في غاية الرقة، ثم تتوارى خلف أستار الشرفة لتقوم بجمع الملابس من فوق الأحبال محاولة بشتى الطرق إخفاء نفسها، لحظات ثم تدخل إلى الغرفة وتعلق الشرفة خلفها من جديد.

بالتأكيد لم يظهر وجه الفتاة، يبدو أنها لمحت وجوده في الشرفة المقابلة فحرصت على ألا تظهر نفسها بشكل واضح أو ملفت للنظر.

"بالسلامة.. يا حبيبي.. بالسلامة..."

ظل عبد الكريم منتظرا في شرفته حتى وجد ذات الفتاة تخرج من باب مدخل البيت، وحين رآها هب من مقعده قائما في لهفة، إن كانت تلك هي كريمة فسيطلب يدها الآن، الفتاة غاية في الرقة والتهذيب، ذات ملامح رقيقة، من شدة حيائها لم ترفع عينها عن الأرض طيلة فترة سيرها في حارتهم حتى أنها كادت أن تتعثر ثلاث مرات، يبدو أنه قد صنع قراره.

قبل أن يمر الأسبوع كان عبد الكريم قد تقدم لخطبة كريمة، أجمل ما في الأمر أنها وافقت سريعا على الخطبة كما أن التآلف حدث بينهما منذ اللحظة الأولى،

(الزوجة: يوسف)

ويبدو أنها وافقت أيضا على السكن بغرفته الصغيرة في بيت والديه، دون أن تتشترط أو تتأفف، سيهديها عينيها يوما ما، يعلم هذا يقينا، سيعوضها عن كل هذا.

تم كل شيء سريعا، الخطبة ثم القران والزفاف، في تجمع عائلي بسيط في شقة والدته، ثم عاش عبد الكريم مع كريمة حياة بسيطة سعيدة هائلة تملؤها المحبة والمودة، كانت تهتم به وبوالديه اهتماما أظهر معدنها الطيب، كما ظهر التشابه والتآلف بين طباعهما، فيمكنك بوضوح ملاحظة أن الزوجين قد رزقا بنصيب كبير من اسميهما، فالكرم من شيمتهما، وقد لاحظ جميع من بأسرتهم هذا الأمر، فكانت دعوات أقاربهم ومعارفهم تنصب فوق رعوسهم صبا، وأصبح ذلك الدعاء الذي يدعو به عبد الكريم ليل نهار:

"يا رب ارزقني لأسعدها."

مر عليهما عامين من السعادة والرضا، وذات يوم كانوا جميعا متربعين أرضا على الحصيرة في الشرفة يستمتعون بشاي العصاري، وقد كانت تلك هي عادة شبه يومية لديهم، تردد عبد الكريم قليلا ثم قال:

"هناك موضوعا وددت لو ساعدتموني في اتخاذ قرار بشأنه."

همهم والده ووالدته في ذات الوقت:

"خير يا بني!"

بينما هزت كريمة رأسها بشكل أوحى أنها تعلم بالفعل ما سيقوله زوجها، وتؤيده.

"تعلمون أن صاحب المصنع ترك لي قيادته منذ ما يقرب من العامين."

"نعم يا بني.."

"وتعلمون أيضا أنه منذ حوالي ستة أشهر لم يأت للمصنع تماما وقام بعمل توكيل لي بكافة معاملاته المادية.."

(الرب: بوم)

"بارك الله لك يا بني، هذا لأنك تستحق الخير كله أنت وزوجك، فالله يؤتكم من فضله جزاء لما تفعلون من خير.."

الحمد لله وحده، اللهم أدم نعمتك وفضلك.. الآن والله الحمد دخلي الشهري يغطي معيشتنا جميعا ويفيض بفضل الله، ففكرت أن ننتقل إلى منزل أفضل وأكثر اتساعا، ما رأيكم؟"

بعد أن انتهى من كلماته ساد الصمت بينما تبادل النظرات المؤيدة مع كريمة زوجته، إلا أن والده ووالدته تبادلنا نظرات حزينة صامتة استمرت بضع دقائق لم يرد عبد الكريم أن يقطعها كعادته حين يقترح على والديه أمرا، فإنه ينتظر حتى يستقرا تماما على القرار، وهذا ما حدث بالفعل... قطع والده الصمت فجأة قائلا:

"اسمعي جيدا يا بني، نحن نعلم أن وجودك معنا كان مؤقتا حتى يتحسن وضعك المادي وتستطيع الحصول على سكن آخر تقيم فيه أنت وزوجك، لكي تتمتعنا بالخصوصية والاستقلال، بالتأكيد سنحزن لفراقك، ولكن نعلم أنك لن تتأخر عنا كعادتك."

"لا يا والدي أقصد أن ننتقل جميعا إلى ذلك المنزل.."

هنا قالت والدته:

لن تستطيع الانتقال معك يا بني فنحن نعيش هنا منذ الصغر، حياتنا بأكملها وذكرياتنا كانت في تلك المنطقة، بالإضافة... "

قاطعها عبد الكريم قائلا:

"قبل أي قرار، أريدكم أن تفكروا في الأمر جيدا، إنه منزل مكون من طابقين علويين وطابق سفلي، فيه غرف كثيرة تكفينا وتكفيكم وتكفي أولادنا حين يبرزقنا الله."

قال والده بحيرة:

"ولكن كيف لك بتحمل تكلفة منزل مثل هذا يا بني؟"

(الزوجة): بوس

ابتسم عبد الكريم قائلاً بحماس شديد أظهر لوالديه مدى تعلقه بالفكرة:

"هناك عميلاً أجنبياً كان يتعامل مع مصنعنا بشكل دائم، طيلة الفترة السابقة كان يعيش في فيلته الخاصة على أطراف القاهرة، وفيما يبدو أنه يحاول الآن تصفية ممتلكاته قبل عودته لوطنه، فقرر أن يبيع كل ما يملك هنا بسعر زهيد قبل سفره، تخيل يا والدي عرض علينا الفيلا مؤثثة تأثيث كامل بحديقته الخاصة وسيارة إصدار العام الماضي بـ ١٥٠٠ جنيه، أي بسعر لا يكاد يقترب من ربع سعرها الحالي."

أجاب الوالد قائلاً في تردد:

"يبدو أنك متحمس للأمر بشدة يا بني، حسناً دعنا نذهب يوماً لنرى إمكانية نقل سكننا، ولكن من أين لك بهذا المبلغ الضخم؟"

قال عبد الكريم في خجل:

"ادخرت جزء من المبلغ، وأخبرني صاحب المصنع أنه يمكنه أن يقرضني باقي المبلغ المطلوب، ثم يخصم من راتبي شهرياً جزءاً منه"

فقال والدته:

"يبدو أنك قد رتبت أمورك بالفعل يا ولدي على الانتقال."

هنا تحدثت كريمة للمرة الأولى وهي تطوق كتف حماتها بذراعيها، وتقبل رأسها:

"لا يا أمي، على العكس تماماً، لقد كان يحاول معرفة مدى إمكانية تحقيق الأمر قبل إخباركم به لأنه خشي أن تتعلقا بالفرصة ولا يستطيع الحصول عليها."

ربتت الوالدة على يدي زوجة ابنها التي تحتضنها، وهي تشعر بحنان الابنة التي لم تنجبها قط، بينما قال الأب:

"حسناً يا ولدي، دعنا نرى المكان، وليقدر الله ما فيه الخير."

الزوجة: برسم

وهكذا حصل عبد الكريم وكريمة على تلك الفيلا على أطراف القاهرة والتي أصبحت الآن إحدى المناطق السكنية الراقية الشهيرة، وانتقل الوالدين معهما، ثم استمر شلال الرزق على الجميع ورزق عبد الكريم بثلاثة أبناء، أسعد وسعدية وسعيد، حيث قام باختيار أسمائهم بالاتفاق مع كريمة وذلك كنوع من التحدث بنعمة الله عليهما، ولكي يكون لأبنائه نصيبا من أسمائهم، وعلى الرغم من وجود الأطفال في المنزل إلا أن الزوجين قد تفانيا في إسعاد والد عبد الكريم ووالدته.

ذلك التغيير التام في حياة عبد الكريم وكريمة، ارتقى بهما في الأوساط الاجتماعية، كما ساهم في التغيير التام لحالتهما المادية، للأفضل بالتأكيد، إلا أن نفوسهما كانت لا تزال تسكن تلك الحارة في باب الخلق، ولم تغل يوما على خلق الله، أو تشعر بذرة كبر.

في الواقع كان منزلا رائعا، في تلك المنطقة النائية - في ذلك الوقت - ذو حديقة واسعة يحيط بها سياج من الحجر الذي يزينه من أعلى الحديد المشغول، محدد بجمة كثيفة من الأشجار والنخيل لضمان خصوصية سكان المنزل، الجزء الأيمن من الحديقة به عدد من المقاعد التي تشكل تلك الجلسة الدافئة، تغطيها مظلة خشبية يتخلل سقفها المفرغ مجموعة من النباتات المتسلقة، تجاورها أرجوحة مظلة بتلك الظلة القماشية، وهناك في أقصى اليمين بالقرب من السياج الحجري يوجد منزل صغير لكلب حراسة، على اليسار تجد تلك الغرفة الصغيرة والتي يبدو أنها تخص الحارس أو البستاني، يليها مباشرة مرآب مظلل للسيارات، والذي على الرغم من اتساع مساحته إلا أنه فقط لا يحتوي إلا على تلك السيارة الخضراء، إصدار عام ١٩٧٠.

والمنزل عبارة عن ثلاثة طوابق تم تأثيثها بالكامل بمفروشات فخمة راقية، وقد خصص عبد الكريم لوالديه غرفة بالطابق الأرضي بهدف التيسير عليهما، بينما استقر مع زوجته في الطابق الأول، وخصص لكل ابن من أبنائه غرفة في ذات الطابق، لا أخفيكم سرا، المنزل أبهر الجميع بالفعل، حتى والد عبد الكريم

(الزوجة): بومس

"خرجت لألعب بالكرة في الحديقة يا أمي، لأجدها تمطر عند المدخل، على الرغم من عدم وجود أي أمطار في النافذة."

قالت كريمة بدهشة:

"كيف هذا؟!"

ثم توجهت نحو النافذة لتجد الشمس مشرقة، والجو صحواً، ثم توجهت نحو الباب لتفاجأ بأن ما قاله ابنها كان صحيحاً، فاحتضنت ابنها وهي تقول في فزع:

"بسم الله الرحمن الرحيم، ما هذا؟"

تأكدت من إغلاق باب المدخل جيداً ثم ظلت جالسة على الأريكة المجاورة للباب، وأسعد يختبئ في حضنها، لم تفهم كريمة ما يحدث، هل البيت مسكون؟ تؤمن كريمة بتلك الفكرة بشكل مبالغ فيه، ربما منذ اليوم الذي قرر فيه عبد الكريم شراء المنزل، حينها تساءلت بينها وبين نفسها، ترى ما السبب الذي قد يدفع أحدهم لمغادرة منزل بتلك الفخامة وبيعه بذلك الثمن الزهيد، لذلك كانت شبه متيقنة من فكرة وجود شيء ما يسكن هذا المنزل، وإلا فلماذا تخلص منه صاحبه إذن بذلك السعر الزهيد، بالتأكيد لم يسبق لها وأن أخبرت زوجها بتلك الأفكار، لكن يبدو أنها ستخبره اليوم، ظلت غارقة في أفكارها وهي جالسة على الأريكة في ذات الوضع وأسعد يختبئ في حضنها وهي تبسم وتحوقل، وتقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، لما يقارب الساعتين حتى انفتح الباب فجأة ففزعت وهبت من فوق الأريكة واقفة، وصرخ ابنها صرخة صغيرة، لتجد عبد الكريم عائداً من عمله، روت له ما حدث بالتفصيل، بينما ظل يستمع باهتمام، وعندما انتهت من روايتها شرد ذهنه قليلاً يفكر فيما حدث، ثم قال لها مطمئناً وهو يربت على كتفها ويحتضن أسعد بحنان:

لا تقلقي يا أم أسعد، سأحاول الوصول لمالك الفيلا القديم وأسأله إن كان قد حدث شيء مثل هذا من قبل، وأنت أيضاً إذا لاحظت ما يريب، أخبريني فوراً. ثم تلفت حوله بلا سبب واضح وكأنه يبحث عن شيء ما ثم قال:

"يبدو أننا سنحتاج لترتيب هاتف هاهنا."

الرسالة: بوس

هزت رأسها بالإيجاب، فسألها باهتمام:

" هل أخبرتِ أمي وأبي بما حدث؟ "

قالت له وهي لا تزال ترتجف:

"لا لم أخبرهما، إنهما نائمان الآن وسعيد وسعيدة يلعبان بغرفتهما."

قبل رأسها قائلاً:

"لا تقلقي يا حبيبتي، سأحاول معرفة السبب فيما حدث، وإن تطلب الأمر سنترك المكان وننتقل لمنزل آخر.."

تمر الأيام ويمر ذلك الحدث دون أن يتحدث أحد منهم عما حدث، حتى أن عبد الكريم لم يخبر زوجته إن كان قد علم سببا لما حدث أم لا، حتى هي لم تحاول أن تسأله، فهي تثق فيه تمام الثقة، وطالما أخبرها أنه سيعالج الأمر فإنه سيعالجه بأقصى سرعة.

تمر السنون ويكبر الأبناء، ويتوفى والد عبد الكريم ووالدته وهما في رضا تام عن ابنهما وزوجته، وعلى الرغم من عدم تكرار تلك الظاهرة التي لم يملكوا لها يوما أي تفسير، إلا أن ما حدث كان كثيرا ما يزور خيال عبد الكريم وكريمة وأسعد، ويؤرق منامهم لفترة طويلة، وعلى الأخص أسعد، الذي ظل لفترة ينظر من نافذة الشرفة أولا قبل خروجه من باب المنزل، إلا أن الله قد من علينا بنعمة النسيان، وتلك نعمة لو تعلمون عظيمة.

(الزئو): بوس

بعد مرور ثمانية أعوام على ذلك الحدث، وتحديدًا في عام ١٩٩٢ في الثاني عشر من أكتوبر لابد أنكم جميعًا تتذكرون هذا اليوم، نعم إنه زلزال ٩٢، أنا بالتأكيد لا أتذكر ذلك اليوم لأنه كان قبل ميلادي بحوالي أربعة أعوام^(١)، يومها اهتزت الأرض بقوة جعلت سعيد الذي كان لا يزال بملابسه المدرسية يهبط من غرفته مسرعًا في هلع لأسفل ليجد أسعد أمامه يحاول أن يهدئ من روعه وهو يقول له:

"لا تقلق سنخرج جميعًا من المنزل بهدوء، أين أختك سعيدة، وأين ماما؟"

تخرج الأم مهرولة من المطبخ وهي تقول بقلق:

"ماذا يحدث يا أولاد هل المنزل ينهدم؟"

يحاول أسعد الذي صار شابًا في العشرين من عمره الآن أن يهدئ من روعها قائلاً:

"لا تقلقي يا أمي، لا أعلم ما يحدث لكن لعله خير إن شاء الله."

أسعد الابن الأكبر كما تعلمون، ويبدو أن والده قد رباه على تحمل مسؤولية والدته وإخوته الأصغر، فكان أهلاً للمسئولية..

"سعيدة... سعيدة..."

بدأ ينادي أخته بصوت عالٍ، فأجابه سعيد وهو يشير إلى النافذة قائلاً:

"ها هي يا أسعد تداعب الكلب الذي اشتراه لها والدي في الحديقة."

نظر لها أسعد وقد بدأ يطمئن، ثم قال لهما:

"ابقيا هنا حتى أعود سأخرج لأطمئن عليها."

خرج أسعد من الباب ولشدة دهشته لم يجد أخته أمام المنزل، فعاد سريعًا إلى الفيلا، لينظر من النافذة من جديد، ليجد أخته جالسة، وبجوارها الكلب في ذات

^١ لا يزال الكلام على لسان يوسف بالطبع

(الزوجة): بومس

المكان الذي لم تفارقه، فعاد للحديقة من جديد، فلم يجد أي أثر لأخته أو للكلب، عاد مسرعا للنافذة وسط دهشة والدته وسعيد، فألقى بنفسه فوق الأريكة قائلا:

"ذات الموقف من جديد يتكرر بعد مرور ثماني سنوات، أتذكرينه يا أمي؟"

عادت ذكرى ذلك الموقف لوالدته من جديد ثم توجهت نحو الهاتف الأرضي وهي تقول في قلق:

"سأتصل بوالدك."

ثم وجهت كلامها لسعيد الذي لم يفهم شيئا مما يحدث قائلة:

"لا ترفع نظرك عن أختك حتى أعود."

هز سعيد رأسه بعدم فهم وهو يقول:

"حاضر يا أمي."

ثم توجه لأسعد قائلا:

"ماذا حدث منذ ثماني سنوات."

تردد أسعد لحظات ثم أخبره بما حدث في الماضي وما حدث الآن، فانتسعت عينا سعيد بمزيج من الدهشة والفرع.

بالطبع لاحظتم أن أسعد هو الأخ الأكبر المسئول دائما، شعوره بالمسئولية يمتد ليشمل والديه أيضا، يمكن القول إنه نسخة مصغرة من أبيه في سنه مع اختلاف الأجيال بالتأكيد، الجميل إنه قد تخصص في هندسة الغزل والنسيج بكامل إرادته، دون أي تدخل من والديه، بسبب رغبته في مساعدة والده في عمل المصنع، فهو إنسان محب ومعتاد، والأجمل أنه كان يستمتع ببقاء أقارب والديه، سواء بزيارتهم أو استقبالهم في المنزل، حيث كان يوم لقائهم بالنسبة إليه فرصة جميلة لمعرفة كيف نشأ والديه، كما أنه كان خير إثبات له عن معدنهم الطيب، على عكس سعيد الابن الأصغر المدلل في تلك الأسرة، إنسان لا مبالي، يبالغ الجميع في تدليله، وعلى الرغم من أنه في الثانوية العامة هذا العام إلا أنه نادرا ما يفتح كتابا ليذاكر، يهتم كثيرا لأمر شخص واحد فقط هو

(الزوجة): بومس

سعيد نفسه، وعلى الرغم من ملاحظة والديه لأنانيته المفرطة، إلا أنهما في بعض الأحيان كانا يتغاضيان عن أفعاله الأنانية.

انتهت كريمة من مكالمة زوجها ثم عادت قائلة لولديها بحزم، يحمل شيء من القلق:

"والدكم قادم خلال نصف الساعة إن شاء الله، فلنبق هنا معا سويا حتى يأت أباكم، هل تأكدتم مما إن كانت سعدية تستطيع الوصول إلينا؟"

أجاب أسعد بمنطقية:

"أماه نحن لا نفهم ما يحدث الآن بالضبط، وطالما أن باب الفيلا لم يمكننا من الوصول إليها، فلا أعتقد أنها تستطيع الوصول إلينا من خلال ذات الباب، الأفضل أن نتركها في الحديقة الآن أو نحاول الوصول إليها عبر الشرفة."

وجدت كريمة كلام ابنها منطقي، إلا أنها أثرت الصمت وجذبت مقعدا بجوار النافذة، لتبقي عينيها على ابنتها، حتى وصلت سيارة زوجها فأشارت له من النافذة ألا يدخل من الباب، لكنه لم يفهم مغزى الإشارة ودخل من الباب بالفعل إلا أنه لم يجد زوجته في ذات المكان الذي رآها فيه عند وصوله بجوار النافذة، فخرج مسرعا ليجدها واقفة في النافذة، تنظر له بنظرة تحمل معنى "ألم أخبرك؟"

فاتجه عبد الكريم نحو ابنته التي انتبهت حين رآته فجأة، فربتت على رأس كلبها لتطمئنه بينما هبت من مقعدها في لهفة واتجهت نحو والدها قائلة:

"أبي، كيف حالك؟ جئت باكرا اليوم."

ربت على كتفها ثم طبع على جبينها قبلة وهو يقول:

"هذا صحيح يا صغيرتي، يبدو أن هناك بعض الأحداث المقلقة التي حدثت فاضطرتت للقدوم باكرا."

قالت بقلق:

"ماذا حدث يا أبي؟"

(الزوجة): برست

روى لها ما حدث بالمكالمة مع والدتها على عجلة، وأن تلك المرة لم تكن الأولى، كما أخبرها عن الزلزال الذي ضرب مصر في ذات الوقت... فنظرت له بقلق ممتزج بالتعجب قائلة:

" لماذا لم تخبرني أمي أو إخوتي؟ "

" بالتأكيد لم يريدوا أن يتسببوا لك بالقلق. "

قالت له وقلقها يتزايد:

" كيف سندخل إلى منزلنا إذن؟ وهل معنى هذا أننا سنرحل ونترك ذلك المنزل؟ "

فكر قليلا ثم نظر نحو النافذة التي تقف فيها أمها قائلاً:

" سندخل إن شاء الله، لا تقلقي، لن يستدعي الأمر الرحيل، أخبري ماما أنني سأعود بعد دقائق قليلة.. "

ثم أشار إلى كريمة إشارة بمعنى "ابق مع الأولاد حتى أعود."

فنظرت له نظرة بمعنى " لا تذهب وتتركنا، انتظر... إلى أين أنت ذاهب الآن؟ ".

عشرون دقيقة فقط مرت على ذهاب عبد الكريم، لكنها مرت عليهم كأنها ساعات طويلة، لكنه ما لبث أن عاد من جديد، ثم ترك سيارته واتجه نحو ابنته وأشار لها لكي تتبعه إلى باب الفيلا فتبعته بتردد شديد، ثم ولجت خلفه من الباب، ولدهشتها الشديدة وجدت والدتها وأخويها واقفين في انتظارهما، اندفعت سعيدة لترتمي في حضن والدتها، بينما ربت والدها على رأسها، وهي تجهش بالبكاء، فضمتها والدتها إلى صدرها بحنان وهي تقول:

" لا تقلقي يا حبيبتي، حمدا لله، كل شيء مر على خير.. "

ثم وجهت كلامها لعبد الكريم قائلة:

" هل فهمت ما حدث؟ هل قمت بإصلاح الأمر؟ هل سيتكرر مرة أخرى؟ "

أجابها بغموض لم تفهم مغزاه قائلاً:

"كل شيء انتهى يا حبيبتي لا تقلقي، ولا تشغلي بالك.."

لم ترصداً إجابته على الإطلاق، فهي لا تزال تفتها بالمنزل شبه منعقدة، لكنها تثق به تمام الثقة، لذا لن تشغل بالها بشيء الآن، ما يهم أنهم جميعاً معاً، وكفى بها نعمة.

بعد ذلك الحادث، حاول عبد الكريم أن يفهم السر وراء ما يحدث لكنه لم يستطع، إلا أن عقله رسم صورة عامة لكي يستطيع أن يهضم الأمر، لقد ربط عقله بين ذلك الحادث وبين المسارح التي تكون على شكل دائري بحيث يحمل نصفها ديكورات بعض المشاهد، بينما يحمل الآخر ديكورات المشاهد الأخرى، وحين تبدأ المشاهد المطلوبة، تدور خشبة المسرح بشكل يظهر الديكور المطلوب، أين وجه التشابه؟ حسناً سأخبركم، اعتقد عبد الكريم أن ذلك القصر هو جزء من كيان أكبر منه، كما تصور أن هناك مؤثراً قد يؤثر في بعض الأحيان على القصر فيدور حول محور خفي، بشكل يجعله يستبدل مكانه مع ذلك القصر الآخر الذي يطابقه تماماً ولكن يخلو من أسرته، وذلك كما يحدث بالمسرح، إلا أن من بداخله يستطيع التواصل مع من بالخارج عبر كافة النوافذ ما عدا الباب الرئيس، لذلك لا يستطيع من بالداخل الوصول لمن بالخارج والعكس بالعكس، ربما يكون السبب في ذلك التصور الذي جال بخاطره، لأنه حين دخل إلى منزله، شعر بثقل يجثم فوق أنفاسه، ولوهلة اعتقد أن هذا المكان على الرغم من تطابقه التام مع منزله إلا أن هناك ما ينقصه ليصبح منزله، حينها مرت عليه دقيقة أو أكثر وهو متجمد في مكانه يتأمل المنزل الذي يخلو من أسرته، ثم ما لبث أن عاد لابنته من جديد، وآلاف الأفكار تتصارع في رأسه.

الزمن: يوم

من هنا، قرر عبد الكريم وضع ستار باللون الأحمر فوق النافذة المجاورة للباب بحيث يمكن رؤيتها فور دخول المنزل، لكي يتعرف على المنزل ويفرقه عن المنزل الآخر الخال من أهله، وقد استراح عقل عبد الكريم ضمناً لهذا الحل المؤقت، فطالما أنه لم يستطع تفسير تلك الظاهرة، إذن فالتعايش معها هو الحل، وطلب من جميع أفراد أسرته اتباع تلك القاعدة، لا تدخل المنزل دون أن تنتظر على يمينك، وإن لم تجد الستار الأحمر أخرج على الفور حتى يظهر من جديد.

بالطبع كانت الاحتياطات المتخذة من كل أفراد الأسرة قوية جداً بعد ذلك الحدث، إلا أنه كما أخبرتكم منذ قليل، البشر من شيمتهم النسيان وكان من الطبيعي أن يطوى ذلك الأمر لفترة طويلة من جديد.

يمر الزمن والأسرة الصغيرة لا تزال سعيدة وراضية بنعم الله عليها، العمر يمر والطالب يتخرج، والخريج يعمل ويتزوج وينجب، ثم يربي أبنائه.

وتظل كريمة هي عماد المنزل بطيبتها وحنانها على الجميع، هي الصدر الحنون لكل مهموم أو متعب في تلك العائلة الصغيرة، ويظل عبد الكريم هو الأب والأخ والزوج والجد والسند، رجل لم يتكرر كثيراً، وبتوفيق الله له قبل جده واجتهاده وإخلاصه في عمله، لم يعد يمتلك مصنعا واحداً فقط، بل صار لديه أربعة من مصانع السجاد والغزل والنسيج التي لا بد أنك ترى إحدى منتجاتها في كل منزل.

الأسرة الصغيرة تثمر لتصبح عائلة يسودها الدفء والمودة، أفراد العائلة يجمعهم ذات المنزل الكبير، وكأنه يتسع ويتمدد كلما ازداد عدد أفرادها، تزوجت سعيدة من زميلها في كلية الطب، في عام الامتياز، بينما تزوج سعيد بعد تخرجه بعامين من كلية التجارة الخارجية، أما أسعد فقد تزوج بعد تخرجه مباشرة من فتاة جميلة ومهذبة تصغره بعام أو أكثر قليلاً، تسمى وفاء، وأنجبا يوسف وريم، وفاء هي أجمل امرأة في الكون، وأسعد هو الأفضل على

(خواتر) يرويها مجهول

أنا من ضيَّعتُ عُمره الأوهام ... وقسى وخان ثم إطمأن ونام..
قتل ضميره، خدر عقله، فجفا قلبه ... ثم أغمض عينه بأمان وسلام..
أخبروني أن الشر لا يولد مع الإنسان ... وأن الخير فطرة وإعتصام..
وأن الخير أبيض .. والشر أسود .. أخبروني بالأوهام..
فالشر قد يولد مع الإنسان ... فيسيطر عليه بين قبول منه وإحجام..
وفعل الخير خنوع ورضوخ ... وإنفعال كاذب في العقل والقلب والوجدان..
الخير أبيض والشر أسود وفيما بينهما ... تتزاحم الألوان..

(أصل الحكاية) يرويها يوسف

"هو هو هو... هو هو.. هو هو هو..."

يبدو أن زغلول يحاول أن يوقظني لأذهب لعملي، لا لا، بالتأكيد ليس كلب عمتي سعدية، إن متوسط عمر الكلاب من عشر لثلاثة عشر عاماً، كلب عمتي توفي ربما قبل ولادتي، هذا كلبي أنا زغلول أحضره لي أبي بعد أن انتهيت من الثانوية، فأنا أعشق الكلاب، وكان هذا بعد أن روى لي القصة التي قصصتها عليكم بالأمس والتي لم أكن أعلم عنها شيئاً، ولم أكن أفهم السر في الستار الأحمر المعلق دائماً وأبداً فوق النافذة المجاورة لباب المدخل، دائماً ما كنا نتعلق به أنا وأختي وأبناء عمومتي على سبيل اللعب إلا أن جدي كان دائماً ما يحذرني من الاقتراب منه، حتى جدتي كانت تغسله سريعاً ثم تعلقه ليجف في مكانه بجوار المدخل، وبعد أن فهمت سبب وجوده في ذلك المكان أصابني شيء من الرهبة حينها، لكنني نسيت ما حكى لي والدي شيئاً فشيئاً وكان شيئاً لم يكن.

والآن أقوم من سريري بعد أن أتمطى (٢) في كسل، أتناول قطعة جبن، وأدس (٣) قطعة من الخبز في فمي، وألقي بقطعة الدجاج تلك المتبقية من غداء الأمس إلى فمي في عجلة، ثم أين قميصي وبنطالي، أعتقد أنني ألقيتهم فوق الأريكة عندما وصلت إلى المنزل يوم الخميس، نعم ها هما دان، جيد أن ذاكرتي لا تزال بخير رغم كل ما حدث لي.

وها هي سيارة والدي التي ستقلني لعملي، والدي الذي كان يقتسم معي كل شيء حتى مفتاح السيارة الاحتياطي الذي لم يكن يفارق جيبتي، كان يخبرني إنه ملكي حتى يشتري لي سيارة بعد تخرجي، كل شيء رائع، لماذا أتأفف إذن؟

٢ يتمطى: أي أنه يمد جميع أطرافه أو يديه فقط تكاسلاً، والتمطي هو التمتع، وقد أخذت من تمطي النهار أي امتد وطال.

٣ الفعل دفس لغة عربية فصحي، تخيلوا هذا، بمعنى أخفى.

(الرفق: يوسف)

لأنني منذ ما يقرب من أربع سنوات لم ألحظ اختفاء الستار الأحمر لتتغير حياتي بالكامل.

يمكنني الآن القول وبثقة شديدة، أنا الذي غيرت حياته قطعة من القماش، ها أنا أصل لعملي، بالمناسبة المسافة بين سكني وعملي عشر دقائق بالسيارة، فالمنطقة التي أخبرتكم عنها أنها كانت في السبعينات على أطراف القاهرة صارت جزءا هاما من وسط القاهرة وذلك لمرور الكوبري الدائري بها، وبالتالي أصبحت عاصمة بداخل عاصمة، أي شركة قد تسأل عن موقعها سيرشدك الجميع إلى تلك المنطقة، ولكن بالنسبة لي الآن أراها أسوأ مكان في الكون كله بدون عائلتي.

"السلام عليكم يا عم إبراهيم."

"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كيف حالك يا باشمهندس يوسف؟"

"بخير والحمد لله يا رجل يا طيب، هل المهندس حاتم وصل؟"

"لا يا بني، على وصول إن شاء الله."

عم إبراهيم حارس المبنى، رجل طيب جدا، ما رأيته منه إلا كل خير، وها هي غرفة مكنتي، بالتأكيد ليس مكنتي وحدي ولكن يشاركني في المكتب زملائي مهندسي قسمي العمارة والتصميم الداخلي، نحن خمسة أفراد في المكتب، ثلاثة مهندسون ومهندستان، كلهم وصلوا قبلي كالمعتاد، كل منا لديه مكتب وحاسوب متنقل (لابتوب)، إن كانت لا تزال لديكم فكرة أن المهندس هو كائن يجلس فوق كرسي مرتفع مستدير وأمامه طاولة عملاقة فوقها أدوات الهندسية الضخمة والمسطرة حرف T فبرجاء حذف تلك الصورة من أذهانكم فوراً؛ لأنها تغيرت منذ زمن بعيد، كما أخبرتكم مهندس المكتب الفني الآن عبارة عن كائن حدث له لين عظام في يمينه وتقوس في ظهره، ومجموعة من الانزلاقات الغضروفية.

نتيجة لكثرة جلوسه غير الصحي أمام شاشة الحاسوب، دعوني أعرفكم على مواقعنا أنا وزملائي، أريتكم ذلك المكتب أمام نافذة الجدار المواجه للباب مباشرة، هذا هو موقع مكنتي، وكما لاحظتم هو موقع متميز جدا بجوار النافذة،

الرد: بروس

أولا لأنني أحيانا أسلي نفسي بمشاهدة المارة في الشارع، وأحيانا أخرى أقوم بقراءة الحروف على لوحات السيارات لأكون بها كلمات وجمل في أوقات فراغي، ثانيا وهو الأهم لأنني لا أحب أن يرى أحد حاسوبي أثناء عملي، ليس لأنني لا أعمل لا سمح الله، ولكن حاسوبي يعبر عن خصوصيتي.

أثرون المكتب على يمين مكتبي؟ هذا مكتب أدهم شاهين مهندس معماري أيضا لكنه يكبرني بعام، والمكتب على يسار مكتبي هو مكتب مريم أخت أدهم مهندسة الديكور أو كما تصحح لنا دائما مهندسة التصميم الداخلي، لست أدري لماذا يرادوني شعورا دائما بأنها معجبة بي، ليس غرورا مني، ولكنه فقط شعورا داخليا، لا يمكنني أن أسمح لمشاعرها تلك بالظهور لسببين، الأول أنها فقط زميلة عمل وأخت عزيزة وأنا بالفعل لا أفكر في الارتباط، والثاني أن مكتب أخيها الأكبر هو المكتب المجاور لمكتبي مباشرة.

أما الموقع العجيب لهذين المكتبين وظهرهما المواجه لباب المكتب فهما لعلاء وأمنية، أشفق عليهما بسبب جهازيهما المكشوفين دائما، وكما هو واضح فقد ساهم أدهم في تعيين أخته مريم، كما ساهم علاء في تعيين ابنة عمه وخطيبته أمنية والتي تم عقد قرانه عليها منذ شهر أو أكثر، لا لا، الشركة لا تعمل بالوساطة أو المحسوبة، لكنها مصادفات قسم العمارة فقط.. أنا؟ تتساءلون عمن وصى عليّ لتعيني؟ يبدو أنكم لا تقدرون مواهبي، أو أنكم لم تعرفوني بعد.. أراك يا من تقول هناك تضارب المصالح (٤) conflict of interests لدينا هذا القانون بشركتنا نعم، لكن بخصوص البند المختص بتعيين الأقارب أعتقد أنه تم إلغاؤه بشركتنا منذ أن عين مدير المكتب الفني زوج ابنته دون أن نعلم، واكتشف أدهم وعلاء هذا الأمر مصادفة، لا بالطبع لم

٤، تعتبر العلاقات الشخصية الوثيقة أحد بنود قانون تضارب المصالح- حيث قد يؤدي العمل مع الأقارب وغيرهم ممن تربط الموظف بهم علاقات شخصية وثيقة إلى تضارب في المصالح. لذا لا يجوز للموظف أن يشرف على أفراد العائلة المباشرين أو حتى تلقى تقارير منهم بشكل غير مباشر ما لم تتم مراجعة الوضع والموافقة عليه من قبل إدارة الموارد البشرية.

(الزورق): بومس

يهده أحد ليعين أقاربه، ولكن.... لماذا أبرر لكم، دعونا من هذا الأمر
الخلاصة أنه في شركتنا يمكن لأي موظف تعيين أقاربه.

"صباح الخيرات يا باش مهندسين."

أقولها وأتوجه لمقعدني أمام مكتبي، وأفتح حاسوبي الشخصي لأبدأ العمل.

"صباح النور يا باشمهندس يوسف."

تختلط أصوات جميع من في المكتب ردا على تحيتي الصباحية، ثم يسود
الصمت، إلا من بعض التكتكة الناتجة عن اختلاط صوت الفارة بصوت لوحة
المفاتيح، وصوت ماكينة الطباعة الآتية من مكان ما، لتصنع بشكل أو بآخر
سيمفونية يمكنني سماعها والاستمتاع بها، أعتقد أن ذلك هو الإيقاع الموسيقي
الوحيد الذي يشعرني بتلك الألفة المحببة:

"تك تتك كليك كليك فوفوفو زرزرز... تتك تك كليك كليك فوفوفو
زررز.. تتك تتك كليك كليك فوفوفو..." (١)

أحيانا أندمج مع تلك الأصوات لدرجة أنني أأندن معها على اعتبار أنها إيقاع
موسيقي بالفعل، وذات مرة كتبتها كقصيدة شعرية، وكانت رائعة بالمناسبة،
لذلك لا أحب التدخل الذي سيحدث بعد قليل من زملائي، كعادتهم يسألون
السؤال الأسبوعي، إن لم يكن يومي:

"ماذا فعلت في عطلة نهاية الأسبوع يا يوسف؟"

أرأيتم؟ ألم أخبركم؟ ها هم يسألون كالعادة، وها أنا أجيب إجابتي المعتادة...

"في المنزل..."

° الترجمة: تك تتك: صوت ضربات أصابعنا فوق لوحة المفاتيح، كليك كليك: صوت الضغط
على زر الفارة، فوفوفو: صوت الطباعة كبيرة الحجم وهي تنثر الحبر فوق أوراق
المشروعات ذهابا وإيابا، زرزرز: لست أدري بالضبط ماهية هذا الصوت لكن ربما يكون
أزيز المكيفات المركزية.

(الرب): بومس

يوماً ما زل لساني مع أدهم وانتهى الأمر بأن والدته، بارك الله فيها، صارت ترسل لي غدائي أسبوعياً بشكل دوري، وها أنا أعود لصمتي من جديد، دائماً يسألون ودائماً أتملص من الإجابة، لا يعلمون سوى أنني أعيش وحيداً دون أهلي، ولكن أين ذهب أهلي لا أحد منهم يعلم..

هنا قال علاء بحماس:

"لابد أن تقضي معنا عطلة نهاية الأسبوع القادم يا يوسف، العائلة بأكملها تتجمع في منزلنا يوم الجمعة، فوالدي هو الأخ الأكبر، وأصبح بيته هو بيت العائلة منذ وفاة جدي، لابد أنك تفتقد هذا الجو الحميم."

نعم أفتقده بالطبع، فبيتنا كان دائماً عامراً بزواره، سواء أقارب أو جيران أو حتى أصدقاء ومعارف، تجهم وجهي قليلاً بشكل لم أستطع السيطرة عليه، وجرت الكلمات على لساني في أسى دون أن أعي:

"نعم بالفعل، أفتقده جداً."

يبدو أنه عقلي الباطن يحاول التفوه ببعض أسراري، وقد لاحظت مريم ما لم يلاحظه الجميع، وهي نبرة الألم والفقد في صوتي، أعتقد أن عملنا معاً طيلة العامين السابقين بالإضافة إلى مشاعرهما تجاهي، جعلها أحياناً قد تعلم عني ما لا أستطيع كتمانها، فقالت بإشفاق:

"إنها فكرة رائعة يا يوسف، ما رأيك أن تذهب لعلاء وتقضي العطلة بمنزله، لقد التقينا والديه من قبل، ستشعر بالألفة الشديدة تجاههم."

ثم قالت مداعبة:

"وإن أحسن ضيافتك، هاتفنا أنا وأدهم لنحضر فوراً."

قالت أمنية بود:

"ولم لا تأتون جميعاً في الصباح، ستكون فرصة رائعة لقضاء وقت أسري ممتع."

هنا بدأ الحديث يغريني بالتحدث عن نفسي، لكنني لن أتحدث.. لن أتحدث..

الزوجة: بومس

"اعتاد جدي وجدتي دعوة أقاربهم ومعارفهم بشكل شبه منتظم في منزلنا، لذا فهو أمر معتاد بالنسبة إليّ..."

لماذا تفوهت بهذه الكلمات لست أدري لكني أشعر بأنني أحتاج لقليل من الفضفضة، وقد انتهزت مريم الفرصة وقالت:

"وماذا حدث لتعيش وحدك؟ هل تركت منزل أهلك، أم... "

لم تشأ أن تكمل ولكن كان من الواضح أنها كادت أن تقول حدث لهم مكروها، حقيقة لست أدري بما أجيبها، لأن الأمر عسير على فهمي أنا شخصيا، لذا سأجيب بذات الإجابة التي أجيبها دائما:

"لا أحب التحدث في هذا الأمر يا مريم..."

شاركنا أدهم للمرة الأولى منذ بدء الحديث، يبدو أنه انتهى من المشروع الذي طلبه منه المهندس حاتم بالأمس، فقال لي:

"على الأقل حاول أن تغير صياغة جملتك المعهود (لا أحب التحدث في هذا الأمر) أخبرني يا يوسف، هل تلك الإجابة الجاهزة لديك لأي موضوع شخصي، أم أنك لا تثق فينا لتخبرنا بأسرارك الشخصية؟! "

ما هذا الهجوم، بالتأكيد أثق بهم، فهم ليسوا فقط زملائي في العمل، بل هم أيضا البشر الوحيدون الذين أراهم وأتعامل معهم طوال العامين الماضيين.

" بالطبع أثق فيكم تمام الثقة، فأنتم عائلتي الوحيدة، وكل ما أملك الآن، لكن ما حدث لي لم يصدقه أقرب الأقربين، لذلك سري بأمان أكثر بداخلي، على الأقل أنا أصدقه."

فكانت مريم مازحة:

"لا تقلق، أدهم أخي يصدق كل ما يقال له، لقد صدق جارتنا حين قالت أن قطتها أنجبت قطة بثلاثة عيون، سيصدقك أنا واثقة من هذا. "

ابتسمت للمرة الأولى منذ أن وصلت للمكتب اليوم ثم قلت لهم:

" ستعتقدون أنني مختل نفسيا أو أنني أكذب عليكم، وأختلق الأمور. "

الزوجة: يوسف

قال أدهم مازحا:

"سنعتقد؟ هل تعتقد إننا لم نفكر في هذا بعد؟ هيا انطق يا يوسف قبل أن نحال على المعاش."

بينما أكمل علاء:

"هل تعتقد أننا لا نعرفك أو نفهمك بعد، تكلم يا يوسف هيا قبل أن يأتي المهندس حاتم."

هزرت رأسي بترد، فقالت أمنية:

"هيا يا يوسف، سأسمعك بينما أستكمل عملي لأن آخر موعد لتسليم مشروعي قبيل الظهيرة."

قالت مريم:

"هل تحتاجين مساعدة؟"

أجابتها أمنية بود:

"لا يا حبيبتي أشكرك.."

ثم التفتت لي قائلة:

"هيا، احكِ لنا ما حدث.. من البداية."

وأخيرا سأفصح عما بنفسي وأخبرهم بقصتي، بعد عامين من الصمود أمام إلحاحهم، يبدو أنني لن أصمد أكثر من هذا، سأخبرهم بقصتي وأمري إلى الله، أه تذكرت، لم أستكمل لكم قصة الأمس إذن أعطوني لحظات لأخبرهم بما أخبركم به بالأمس أولا، ثم أستكمل لكم جميعا ما حدث، بعد ذلك..

قرارك بيدك..

أنت سيد قرارك..

أنت سيد اختيارك..

طريق الخير أمامك محفوف بالمخاطر..

وطريق الشر وضاء وساحر..

ولكن في النهاية..

أنت من يتحمل تبعات الاختيار..

بداية الحكاية) يرويها يوسف

منذ أن ولدت وأنا أحيا حياة مرفهة جدا، فأنا الحفيد الأول لعائتي، فلکم أن تتخيلوا مقدار التدليل الذي حصلت عليه من كل فرد من أفراد العائلة، إلا أن هذا التدليل الزائد لم يفسدني بل على العكس، أعطاني شعورا بالاكتفاء والرضا، أو كما يقولون "عيني مليانة" والله الحمد، لم أنظر يوما لرزق رزق به الله غيري، حتى وإن ميزه ذلك الرزق عني، كنت طفلا مطيعا، وطالبا مجدا مجتهدا، وابنا بارا بكل أفراد عائلته، ريم هي أختي الصغرى، أصغر مني بثلاثة أعوام، أي إنني انفردت بالتدليل لثلاثة أعوام كاملة، ثم بدأت مرحلة تدليلي لأختي الصغيرة، أحببتها ليس فقط كأخت صغرى بل أيضا كابنة، وقد تعلمت هذا من حب أبي لإخوته، أبي الذي تعلمت منه الكثير، وأمي أيضا، إحقاقا للحق، لقد تعلمت من جميع أفراد عائلتي فلقد أحببتهم حبا جما، وأحببت كوننا عائلة اجتماعية تحب الاختلاط بالبشر وتقدم الخير للجميع، وذلك أهم ما تعلمته من جدي عبد الكريم وجدتي كريمة، ترى كيف اجتماعا هكذا على طبع الكرم وحب الخير للجميع؟ إنه القدر بالتأكيد.

تمر الأعوام وتمضي بنا السنون ونكبر جميعا، وعند سن الخامسة عشر يخبرني أبي بتلك القصة التي رويتها لكم، ثم يخبرني بضرورة ملاحظة ذلك الستار الأحمر، لفترة طويلة جدا شغلت بالي تلك القصة، ثم ما لبثت أن نسيتها تماما، حتى أتى ذلك اليوم، كنت في العام الرابع الجامعي، أي العام قبل الأخير في الكلية عام ٢٠١٥، كنت عائدا للمنزل من رحلة تابعة للجامعة والتي تم تنظيمها بحيث تكون في إحدى العطلات الرسمية، وحين دلفت إلى الحديقة التفت إلى اليسار، لأجد سيارة أبي بالخارج فعلمت أنه لم يخرج من المنزل اليوم، ثم دخلت إلى الفيلا، وللمرة الأولى لم أجد جدي جالسا في الشرفة المفضلة لديه في غرفة الاستقبال، لابد أن تكون أُمي وعمتي في المطبخ الآن، دلفت إلى المطبخ لأبحث عنهما، فلم أجدهما، ثم بدأت أبحث في الغرف بجنون

الزوجة: بومس

عن باقي أفراد أسرتي، لم أجد أحدا، هنا فجأة تذكرت الستارة الحمراء، فهرولت مسرعا للطابق السفلي لأبحث عنها، والتي لا بد أنكم توقعتم.. نعم بالفعل لم أجدها، فخرجت مسرعا من الفيلا، ثم دخلت من جديد، وشاهدني زغلول وأنا أكرر الدخول والخروج من الفيلا لأبحث عن الستارة ولا أجدها فأدخل من جديد، تكرر الأمر ما يقرب من سبع وثلاثون مرة، حتى ظل زغلول ينبج بقوة، بعدها هرول نحوي وهو يقفز لأعلى ويحاول أن يجذبني من قميصي لكي لا أكرر الأمر من جديد، العجيب أنه ظل يجذبني نحو بيته الخشبي الصغير في الحديقة، وأنا أمسح على رأسه لكي يهدأ، لست أدري ما الذي يفعله، تلك هي المرة الأولى التي يفعل فيها شيئا مثل هذا، يومها ظللت في الحديقة أنظر من النافذة لعل أحدا من أسرتي يبحث عني من خلالها، وذلك كما فهمت من رواية أبي التي رواها لي عما حدث له مع عمتي سعدة.

أسكت هاتفني الجوال وبدأت في الاتصال بهم جميعا، أمي، أبي، عمي وعمتي، حتى أبنائهم حاولت الاتصال بهم جميعا، ولكن جميع هواتفهم لم تكن متاحة.

قضيت ليلتي فوق الأرجوحة حتى غبت عن الوعي قليلا، ثم فتحت عيني مسرعا لأرى أن كان هناك ما تغير، لا شيء.. كل شيء ساكن كما هو، فظللت في موقعي حتى الصباح.

وها هو زغلول يحاول أن يجذبني من جديد إلى منزله الخشبي، لست أدري ماذا يريد مني في هذا الوقت العصيب.

سأصل بخالي وأخبره عما حدث، أتمنى أن يصدقني..

"السلام عليكم، كيف حالك يا خالي، أنا بخير والحمد لله، هل مرت عليك والدتي بالأمس؟ لا؟ حسنا أريد أن ألقاك.. نعم يفضل أن يكون لقاءنا اليوم.. اتفقتنا، سأمر عليك بعد قليل.."

ذهبت لخالي والذي يقطن في ذات منزل جدي والد أمي، وأخبرته بما حدث ورويت له ما أخبرني به والدي، إلا أنه نظر لي مرتابا، وطلب أن يرافقتي بنفسه للفيلا، حين وصلنا كرر ما فعلته بالأمس بالضبط وظل يبحث

(الرد): بومس

في كافة أنحاء الفيلا، وبالطبع لم يجد أحدا، من ثم اتصل بوالدي ووالدتي، فلم يتلق ردا، لقد أخبرته ولم يصدقني.

بعد بحث دام ساعتين تقريبا وقف خالي أمامي صامتا، ثم فجأة أمسك بهاتفه وطلب قسم الشرطة، لماذا يا خالي؟ إن اختفاء أسرتي لم يكن اختفاء بوليسيا، بل أمرا خارقا للطبيعة، هناك شيء ما كان يعلمه جدي، كان يساعده في إصلاح الأمر، ما هو هذا الشيء؟ الله وحده أعلم.

وصلت سيارة الشرطة وهبط منها ذلك الضابط ومعه عدد من العساكر، أعطاهم بضعة أوامر ثم جاء للتحدث معي، رويت له ما حدث بالأمس بالضبط، وأريته مكالماتي التي أجريتها لأحاول التواصل معهم، لم أفهم التعبير على وجهه، لكن بدا لي أنه لم يستسغ الأمر، وخاصة حين أخبرته أنني عثرت على السيارات الثلاث لوالدي وعمي وزوج عمتي بالمرآب، أي أن أحدا لم يخرج من المنزل بالأمس، بدأ الضابط يسألني إن كان لنا أعداء، أو أن هناك من يتربص بنا، فكرت قليلا وأجبت أنه لا، يبدو أنه فكر في أن هناك من اختطفهم، ولكن ما هذا الاختطاف الجماعي يا ترى؟

في تلك اللحظة، أتى أحد العساكر مهرولا وهو يقول:

"هناك آثار حريق في بعض أنحاء الفيلا."

حريق؟ بقدر علمي، لم يحدث من قبل حريق في منزلنا، فوجه لي الضابط ذات السؤال الذي أجبته في ذهني:

"هل حدث حريق من قبل في منزلكم؟"

فأجبته ذات الإجابة التي دارت في عقلي:

"بقدر علمي لم يحدث حريقا في الفيلا منذ ولدت والحمدلله.."

قال لي:

"سأطلب منك عناوين عمل والدك وجميع أفراد أسرتك، أعلم أن الأمس كان عطلة رسمية، ولكن سنر ما يمكن فعله."

(الرفق: يوسف)

أعلم أن الأمر منته، وأن تلك كانت إجراءات روتينية لاختفاء لا يبدو عليه أنه قسريا، فكان لابد لنا من التعايش مع الأمر، أقام معي خالي وزوجته وأبنائه في الفيلا حتى أنهيت دراستي الجامعية، وبعدها أخبرني أن أسرته لا تشعر براحة في الإقامة ها هنا وذلك لابتعاد المنزل عن مقر عمله هو وزوجته، ومدارس الأولاد، يريد أن يرحل؟ لا مانع لدي، فلقد تحولت بمرور الوقت لكائن وطواطي يعيش العزلة ويبتعد عن أي تجمعات.

من وقت لآخر تأتني مكالمة من الشرطة تفيد بأنهم لم يعثروا على أهلي بعد، بالتأكيد لم يعثروا عليهم ولن يعثروا عليهم، لأن جدي هو الشخص الوحيد الذي بيده مفتاح ذلك السر، جدي.. كم أفنقد جدي، كم أفنقدهم جميعا..

بعد أن تخرجت، قدمت سيرتي الذاتية في عدد من المكاتب الهندسية وشركات الاستثمار العقاري والمقاولات، حتى عملت في تلك الشركة الهندسية، وتعرفت على زملاء طبيين، عرفتهم وقت الأزمات رغم أنهم لم يعلموا عن حياتي الشخصية إلا أقل القليل، وبالطبع لم يعلم أي منهم شيئا عن ذلك الحادث الذي غيرني وغير مسار حياتي من الأساس لكن أتعلمون شيئا؟ لقد صرت أكثر نضجا وتحملا للمسؤولية، وعلى الرغم من أنه وضع عصيب إلا أنه علمني الكثير، وعلمني أن القربة ليست قربة الدم، بقدر ما هي قربة الروح..

حين إنتهيت من روايتي، ساد صمت تام، إلا أنني تعجبت لرود أفعالهم جدا، فقد انعقد حاجبي أدهم وعلاء بتأثر شديد، بينما كانت مريم تضع قبضتها تحت ذقنها بتركيز، ودمعة من عينها لم تستطع السيطرة عليها فأفلتتها، كما تركت أمنية حاسوبها والمشروع الذي تعمل عليه تماما وعقدت ذراعيها أمام صدرها وكأنها تتابع حلقة تلفزيونية باهتمام.

إلا أن أدهم قطع الصمت قائلا:

"سنقضي عطلة نهاية هذا الأسبوع في فيلا عائلتك يا يوسف، أنا وعلاء سنكون عندك في الصباح، بالطبع علاء يمكنه الاعتذار عن حضور التجمع الأسري هذا الأسبوع، أليس كذلك يا علاء؟"

(الرد): يوسف

هز علاء رأسه موافقا، وهو يقول:

"بلى بالطبع، لا مشكلة."

بينما عقدت مريم حاجبها بضيق وهي تلتفت لأخيها قائلة:

"وأنا؟ ألن تصحبني معك؟"

أجابها أدهم بشيء من التهكم:

"استأذني ماما أولا، ولا تنسى أن تخبريها أنك تريدين الذهاب لزيارة صديق أخيك في العمل."

نظرت له بغیظ قائلة:

"ليس هذا بالطبع ما أقصده، سأخبرها أن يوسف يريدني أن أساعده في إيجاد حل لمنزل أسرته لأن هناك أجزاء محترقة في المنزل، أليس كذلك يا يوسف."

أجابها مازحا:

"على أساس أن يوسف طبيبا وليس مهندسا، أليس كذلك؟"

ما هذا الذي يحدث، هؤلاء الرفاق يرتبون أمورا خاصة بي دون إشراكي في الحديث، هنا كان يجب أن أتدخل:

"بالطبع تشرفني مرافقتكم في عطلة نهاية الأسبوع، لكنني لم أفهم، لماذا لا نذهب لعلاء، على الأقل عائلته ستتقبل بإعداد الطعام، لا تعتمدوا عليّ في أمر إعداد العزائم والولائم هذا؛ لأن أبسط ما أقوم به هو الاتصال بمطعم البيتزا أو مطعم المشويات، ثم أطلب وجبة تكفيني ليومين على الأقل."

قال علاء ساخرا:

"ألم تفهم مقصد أدهم؟ أدهم يشعر بشيء مريب يحدث، أنفه تشتم رائحة المغامرة، لذلك يريد أن يرى موقع الجريمة بنفسه، أقصد موقع سكنك."

رمقه أدهم بنظرة نارية قائلا وهو يجز على أسنانه:

(الرفق: بوس)

"لم أستم رائحة المغامرة، لكن لدي بعضًا من قوة الملاحظة التي جعلتني أشعر أن حل تلك المشكلة يكمن في الفيلا نفسها أو في مكان ما بالقرب منها.."

الأمر صار مثيرا للاهتمام بالفعل، سألت أدهم قائلا:

"هل تعتقد أن هناك حلا لمشكلتي؟"

أجابني أدهم بثقة:

"أنت أخبرتنا بنفسك أن جدك قام بحل تلك المشكلة مرتين من قبل، الفكرة هنا، أن جدك كان يغيب ما يقرب من ربع الساعة ثم يعود بالحل، وهذا ينبئني أن الحل يتواجد خارج المنزل."

يبدو أن أدهم محقا في هذا، لست أدري لماذا أصابتنني فجأة حالة من الحماس المفاجئ، لدرجة أنني قمت من مقعدي فجأة، وتوجهت نحو مكتب أدهم وصافحته بقوة قائلا:

"سأنتظركم جميعا يا صديقي، لقد أعطيتني أملا في رؤية أسرتي من جديد، لذا سأجهز لكم وليمة من أفضل مطعم في المنطقة وأنتظركم جميعا، ولا تقلقي يا مريم سأحدث مع والدتك أستأذنها بمجيئك بصحبة أخيك."

هنا نظرت لهما أمنية بحزن قائلة:

"وأنا؟"

لماذا حزنتم تلك الفتاة، لقد أخبرتهم أنهم جميعا مدعوون:

"بالطبع أنت مدعوة يا أمنية، سنأتين بصحبة زوجك بالطبع.."

أجابت وهي تمط شفيتها:

"والدي ووالدتي يرون أننا لا نزال في مرحلة الخطبة على الرغم من عقد قراننا، وبالتالي لا يمكننا الذهاب لأي مكان وحدنا، أُمي دائما ما تقول، ألم يكفيك الوقت الذي تقضينه معه في العمل؟"

خرجت مني ضحكة رغما عني فاعتذرت ثم قلت لها:

"لا تقلقي، سأهاتف والدتك أيضا."

الرد: بوس

ظالت أفكر في موعد لقائنا أنا وأصدقائي، لم أتحمس هكذا لدعوة أي شخص منذ فترة طويلة، لذلك قضيت أسبوعا مبهما لأول مرة منذ أربع سنوات، في كل يوم من الأيام التالية، كنت أمر على مطعم الفول والفلافل المجاور للشركة، قبل ذهابي لعملي؛ وأبتاع عددا من الشطائر الساخنة والمخللات الحريفة، لكي نفطر سويا، وبعد الإفطار تتجه مريم إلى ركن المشروبات الصغير بمكتبنا؛ لنقوم بتجهيز الشاي بحليب الذي لا بد منه بعد تلك الوجبة لكي يطفئ نيران الفول والفلافل والبادنجان المخلل.

بعد هذا نبدأ العمل في حماس، ثم تبدأ أمنية ومريم في التحدث عن رفض الشركة استبدال مكاتبنا بمحطة عمل ^(٦) أو ما نطلق عليه workstation وذلك لأن كافة المهندسين في الشركات الهندسية يستخدمون هذا ال workstation بينما ترفض شركتنا ذلك الأمر على الرغم من فوائده الكبرى، وظيفيا وجماليا، وبين كل جملة والأخرى تلتفت لي مريم لترى ردة فعلي، التفاتة لا يلاحظها سواي، ألم أخبركم؟

تتساءلون لماذا إذن لم أبادلها الإعجاب.. ممم سؤال محير حقا، الفتاة رقيقة مهذبة وعلى خلق، لكن يبدو أنني أصبحت إنسانا معقدا، أعتقد أنني لم أعد أرغب في أي شيء، لا أرغب في الاقتراب من علاقة قد أفقدها في أي وقت، كما فقدت أسرتي من قبل، ربما لو كنت قد رأيتها في ظروف أخرى لكنت أعجبت بها، لا أنكر أن مريم تعتبر صورة مجسدة لفتاة أحلامي التي طالما

^٦ محطة العمل أو workstation هي عبارة عن وحدة تتكون من عدد من المكاتب، يتم وضعها في الفراغات المفتوحة بالشركات للموظفين، لتوفير المساحة.

الزوجة: بومس

تمنيتهأ وأنا في سن صغيرة، لكن كما أخبرتكم، المشكلة فيّ أنا، أحيانا قد يسرح خيالي وأتخيل نفسي أأقدم لخطبتها، لكنني أوقف نفسي قبل حتى محاولة التفكير..

هل أراها جميلة؟ نعم أراها فتاة ذات جمال هادئ رقيق محبب، طيبة جدا، مرحة أو كما نقول (دمها خفيف) مهذبة جدا وذات أصل طيب، والأهم أنها تحبني، لست أدري لماذا؟ فهي لم تر الإنسان الكامل الذي كنته بصحبة أسرتي، بل رأت الإنسان المعقد، نصف الإنسان الذي يحيا نصف حياة وحيدا دون أهله وعائلته.. فما الذي أعجبها في يا ترى؟

الآن عليّ أن أتصل بوالدة مريم ووالدة أمنية كما وعدت الفتاتين... وبعدها يمكنني التجهيز لتلك الزيارة، فتلك تقريبا هي المرة الأولى التي أستقبل فيها أحدا في الفيلا بعد اختفاء أسرتي، إلا أن أشد ما تعجبت له هو شعوري بالسعادة وأنا في انتظارهم، حتى أنني أجريت مكالمات عدة بمطعم البيتزا المجاور ومطعم المشويات، ثم بمحل البقالة لطلب بعض المياه الغازية والمقرمشات، حماستي تلك جعلتني أشعر وكأنني طفل صغير يستعد للذهاب في رحلة.

(عودة) يرويها أدهم

صدق يوسف وعده وتحدث مع أمي مكاملة غاية في الأدب والتعذيب، في الواقع هذا الشاب أحترمه بشدة، وعلى الرغم من ملاحظتي إعجاب أختي الشديد به، لكنني لم أشأ أن أتحدث معها في الأمر لكي لا أؤكد على وجود تلك المشاعر، وذلك لأنني لا أريدها أن تعلق قلبها به ثم ينكسر قلبها، فقد لاحظت من خلال نظراته إليها أنه لا يكن لها سوى مشاعر الاحترام والتقدير، لكن لست أدري لماذا أشعر بأنه لا يبادلها مشاعرها لحزن دفين في نفسه، بالإضافة إلى أنه يحترم وجودي ولا يريد أن يتسبب في حدوث مشاكل بيني وبينه، واليوم فقط تأكدت لي صحة نظرتي له حين أخبرنا بقصته، وقصة عائلته، وتعجبت من ثباته أمام أمر مثل هذا، هذا الشاب قوي ورابط الجأش لكنه للأسف لا يعلم ذلك الأمر عن نفسه.

لا أنكر أن طباعه اختلفت كثيرا طيلة الأسبوع التالي لفضفضته معنا، وقد بدأ يظهر لنا ما كان خفيا عنا من طباعه المرحلة المقبلة على الحياة، وكأنه قد عثر على عائلته المفقودة فينا، تتساءلون إن كنت أستطيع حل مشكلته بالفعل أم لا، لا أعلم في الواقع ولكن هناك ثغرات كثيرة تشير إلى أن الجد كان يعلم شيئا ما، بالإضافة إلى زغلول، هناك شيئا ما حوله، أعلم أن الكائنات الحية وخاصة الكلاب يشعرون بالخوارق قبلنا، لكن هذا الكلب أراد إيصال رسالة ما ليوسف لكن يوسف لم يستطع استقبال تلك الرسالة.

ها نحن ذان أنا ومريم نستقل سيارتي في اتجاهنا لفيلا يوسف، ومريم تتشعر بالسعادة الجمة لموافقة والدتي على اصطحابي لها، مريم هي أختي التي تصغرنني بعامين، لكن بشكل أو بآخر أشعر أنها في مسؤوليتي، ها نحن نصل إلى الفيلا لنجد يوسف في استقبالنا، ويخبرنا أن علاء وأمنية لم يصلا بعد.

(الراوي: روم)

دخلنا الحديقة فنبح زغلول بشدة، يبدو أنه لم ير بشرا سوى يوسف منذ فترة طويلة، فهو ينبح نباحا هستيريا ويريد أن ينال منا فيما يبدو، إلا أن يوسف يحاول تهدئته الآن، ويبقيه في منزله الخشبي..

منزله الخشبي!!

ترى لماذا لم يتساءل يوسف عن سبب جذب زغلول المستمر له تجاه منزله الخشبي الصغير؟

استقبلنا يوسف في الفيلا بعد أن هدأ من روع زغلول، ثم أشار لإحدى النوافذ قائلا:

"تلك هي النافذة التي من المفترض أن تجد فوقها الستار الأحمر."

تفحصت النافذة بإهتمام قائلا:

"ألم تخبرني أن وقوفك خارج النافذة قد يجعلك ترى أهلك؟"

فأجابني يوسف قائلا:

"يبدو أن هذا ما حدث مع والدي، لكنني تفحصت كافة نوافذ المنزل فلم أجد أحدا."

فكرت بإهتمام في كلماته، ثم سألته:

"هل تؤمن بالخوارق والماورائيات؟"

أجابني يوسف بدهشة:

"أؤمن أن هناك ظواهر عجيبة بالكون لكنني لم أعمق يوما في هذا الأمر."

قلت له مفسراً:

"هناك أشياء في الكون تفوق قدراتنا وإدراكنا العقلي، سأشرح لك وجهة نظري..."

تك تك تك تك تك تك تك...

"بعد أن تفتح الباب، يبدو أن علاء قد وصل."

(الزوجة: لوز)

تركني يوسف مع مريم التي تعلق نظرها به وهو ذاهب لفتح الباب، فوددت أن أشنت تفكيرها عنه، فسألتها قائلاً:

"ما رأيك بالفيل يا مريوم؟"

"رائعة يا أدهم بارك الله له فيها، وجمعه بأهله على خير."

"يا رب.. ها هما علاء وأمنية.. ما تلك المواعيد يا رجل؟ لم كل هذا التأخير؟"

قلتها وأنا أقوم من مقعدي لأصافح علاء، فأجاب قائلاً:

"أمنية أصرت على المرور بمتجر الشوكولاتة المجاور، لأنه على حد قولها لا يمكننا القدوم وأيدينا خاوية.."

لكرته أمنية بيدها في خجل وهي تقول:

"لا يصح أليس كذلك؟ لقد فكرت في أن أجلب بعض الحلوى لنأكلها بعد الغداء."

فقالت مريم:

"لم أستطع التأثير على أدهم للأسف وصمم أن نذهب بدون أن نحضر بعض الحلوى."

ما الذي تقوله هاتان الفتاتان، قلت لهما بدهشة:

"بين الشباب لا يوجد مثل هذا الكلام، تخيلوا مثلاً أن أزور يوسف أو علاء بشكل يومي، هل سأبتاع لأي منهما حلوى وشوكولاتة في كل زيارة؟ بالطبع لا، ربما أحضر معي بعض المياه الغازية، أو بعضاً من التسالي؛ لكي نجد ما يسلينا، وبالتأكيد لن يكون هذا في كل زيارة."

فقال يوسف مبتسماً:

"دعهما يا أدهم يفعلان ما يحلو لهما، أكثر الله من خيركما يا فتيات.."

(الزوجة):

ابتسمت أمنية وهي تشكره ثم ناولته علبة الشوكولاتة المغلفة تغليفاً أنيقاً، بينما ابتسمت مريم وهي تنتظر له بإعجاب أشد، يبدو أنني أخطأت باصطحابها، فابتسمت أنا أيضاً قائلاً:

"قبل أن يأت علاء وأمنية كنت على وشك أن أخبر يوسف ومريم عن الأفكار التي راودت عقلي حول الظواهر العجيبة التي حدثت وتحدث في الفيلا.."

نقلت بصري بينهم، لأجد الإهتمام باد على وجوههم، فأكملت:

"تخيلوا أن هناك ظاهرة طبيعية قد حدثت في وقت ما، تلك الظاهرة نتج عنها بعض الطاقة التي لا ندري مصدرها، حيث أثرت فقط على منطقة محددة، تلك المنطقة هي باب الفيلا، ذلك الباب صار بمثابة إطار أو بوابة تنقلك لمكان آخر، ليس الفيلا بالطبع، في البداية كان الباب هو الشيء الوحيد الذي يتأثر، أما النوافذ فكانت تبقى على حالها، لذلك كان من السهل التحكم في الظاهرة، وعودة الباب لأصله من جديد، وفي المرة الأخيرة يبدو أن المنزل ككل قد تأثر بتلك الطاقة، وأحيط بذلك الإطار، فلم يستطع يوسف الوصول له."

تساءل يوسف بإهتمام:

"هل تقصد أن منزلي وعائلتي يتواجدون الآن في مكان ما، ويمكن الوصول لهم إذا تلاشى ذلك الإطار؟"

قال السؤال ببراعة شديدة فابتسمت قائلاً:

"بالضبط.."

ثم أكملت متسائلاً:

"هل يمكنك جعل زغول يألفني؟"

تعجب يوسف قائلاً:

"نعم بالتأكيد، ولكن لماذا؟"

أجبت قائلاً:

(الزاد): لوم

"الكلاب تشعر بما لا نشعر به، وتعلم أكثر بكثير مما نعلمه نحن، لذا سأحاول أن أكون صديقه وأعلم منه ما يعلمه."

فقال يوسف:

"إذن دعونا نجلس في الحديقة قليلاً.."

بمجرد أن خرجنا إلى الحديقة عاد زغلول إلى النباح والدوران حول نفسه من جديد، فربت يوسف على رأسه برفق وأمسك بيدي وقربها من رأس زغلول بتؤدة، في البداية رفض زغلول صداقتي لكنه بعد قليل دار حولي وهو يهز ذيله بسعادة، ثم مال على الأرض برأسه، وكأنه ينتظر مداعبتي لرأسه من جديد، بدا لي أنه بدأ يألّف وجودي بالفعل، **فقالت مريم بتعجب:**

"يبدو أنه أحبك يا أدهم."

قال يوسف:

"غريب هذا إن زغلول لا يعتاد على أحد بسهولة، يبدو أنه اطمأن لك."

أنا أيضاً تعجبت من الأمر وخاصة بعد أن بدأ ينبح نباحاً خفيفاً بجواري ويجذبني من قميصي برفق، لن أدع الأمر يمر كما تركه يوسف، أريد أن أعلم ما يعلمه زغلول.

تركت نفسي لقيادة الكلب وسط دهشة أصدقائي، حتى أوصلني إلى منزله الخشبي، ثم ظل ينبح بجواره، لم أفهم مقصده، ولكن كما توقعت يبدو أن هناك شيء ما يريد أن يخبرنا به، أمسكت المنزل بكلتا يدي وأنا أقول لزغلول:

"هنا يا زغلول؟ تريدني أن أرى ما أسفل المنزل؟"

ابتعد للخلف قليلاً في ترقب ورفع أذنيه لأعلى، يبدو أن تلك طريقته في الرد على سؤالي بالإيجاب..

رفعت المنزل بيدي وأزحته جانباً، فقفز لأعلى في حماس، ثم دار من حولي فعلمت أنني على الطريق الصحيح، ثم تساءل يوسف بلهفة وهو قادم نحوي:

"هل وجدت شيئاً؟"

(الراوي: لؤم)

وتبعته مريم ثم علاء وأمنية، والتفوا حولي جميعاً، فhezزت كتفي في حيرة،
قائلاً بدعابة وأنا أشير لزغلول الذي لا يزال يتقافز من حولي:

"ليس بعد.. أنتظر أوامر زغلول.."

في اللحظة التالية تشمم زغلول الأرض في بقعة بعينها ثم بدأ يمشيها بأظفاره،
فقلت ليوسف:

"يبدو أن هذا هو المكان المنشود، هل لديك أداة حرث؟ أو شيئاً يمكن استخدامه
في الحفر."

أجاب وهو يتجه نحو سور الحديقة قائلاً:

"نعم لدي تلك المجرفة الصغيرة."

ناولها لي ثم وقف مترقباً، فشكرته ثم بدأت بالحفر، حفرت مسافة نصف متر
تقريباً ثم وجدت ذلك الصندوق الخشبي القديم، ترى ما هو السر وراء تلك
الفيلا وذلك الصندوق؟!!

(بصيص) يرويها يوسف

مد أدهم يده ليناولني الصندوق فتناولته منه، واقترححت عليهم أن ندخل إلى الفيلا لكي نرى ما بداخل الصندوق، والكلب من حولنا يتقافز ويهز ذيله في سعادة مطلقة، لم أره بهذه السعادة، ربما من قبل الاختفاء..

دلفنا جميعا إلى الفيلا وقمت بإحضار تلك الأداة المعدنية لتساعدني على فتح الصندوق، والتفنا جميعا حول طاولة الطعام بعد وضع الصندوق فوقها، أمسكت الأداة، وطرقت القفل طريقة بسيطة، ثم طريقة أخرى، وهكذا انفتح بكل سهولة.

نظرنا جميعا في ذات الوقت إلى ما بداخل الصندوق الخشبي لنجد ورقة كبيرة مطوية عدة طيات، وبجوارها دفتر مذكرات وقلم، قمنا بفتح الورقة وفردناها فوق الطاولة...

"إنها خريطة..."

قالتها مريم بخيبة أمل فقال علاء:

"لقد توقعت بالفعل أن نعثر على خريطة.."

قمت بفتح الخريطة فوق الطاولة بعد أن أخرجت دفتر المذكرات والقلم من الصندوق ونحيته جانبا، لنجد خريطة مكبرة للمنطقة التي نعيش فيها، ولكن قبل بناء المباني المحيطة بنا، ربما يكون عمر الخريطة خمسون عاما أو أكثر، أعتقد أننا اقتربنا كثيرا من إجابة اللغز..

قالت أمنية بلهفة وهي تشير إلى إحدى المباني بالخارطة:

(الرفق: يوسف)

"هذه هي الفيلا وتلك هي حديقة الفيلا، أعتقد أن علامة (x) تلك هي موضع الصندوق الذي دلنا عليه زغلول. "

هزرت رأسي قائلاً:

"نعم بالفعل، غالبية المباني المحيطة بالفيلا بنيت حديثاً لذلك لا نراها على الخارطة. "

أجابني أدهم قائلاً:

"بالضبط يا يوسف.."

ثم أشارت مريم لإحدى المواضع ذات علامة (x) أيضاً قائلة:

"ولماذا تم تمييز هذا الموقع يا ترى؟"

قال علاء مفكراً:

"ربما يكون الحل في تلك المنطقة."

فقلت لهم مقترحاً:

"ربما إن قمنا بقراءة ذلك الدفتر نفهم أكثر."

هزوا جميعاً رؤوسهم إيجاباً مع همهمات بمعنى فلتقرأ علينا ما بالمذكرات، فبدأت القراءة، وانهالت المفاجآت على أسماع الجميع بأسرع مما توقعنا..

(الرد): بومس

بسم الله الرحمن الرحيم

دفتر مذكرات عبد الكريم السيد عبد الكريم

١٧ أبريل ٢٠٠٣ رسالة إلى من يقرأ مذكراتي، إذا كنت تقرأ تلك الصفحات الآن فأنا إما بين يدي رب كريم أو أن تلك الظاهرة العجيبة عادت للحدوث من جديد، وأنا غير متواجد لأحل الأمر...^٧

٢٩ مارس ١٩٨٤ (كتب بجوارها بالقلم الرصاص وكأنها كلمات أضيفت حديثاً: تلك هي المرة الأولى التي تحدث فيها تلك الظاهرة).

في ذلك اليوم بعد انتقالي وأسرتي إلى الفيلا بحوالي ثلاثة عشر عاماً، عدت لمنزلي لأجد زوجتي كريمة وابني الأكبر في حالة هلع وفزع، فخرجت من المنزل هائماً على وجهي لست أدري ما الذي يحدث أو ما يجب علي أن أفعله، قادتني قدامي إلى المصنع لأبحث عن قائمة العملاء لأعثر على بيانات الرجل الذي باعني الفيلا، أعلم أنه مر وقت طويل على شرائي لها، لكن أريد أن أعرف تاريخ المكان وإن كان قد تكرر حدوث أمر غريب في هذا المكان من قبل أم لا، أخيراً وبعد بحث طويل وسؤال الزملاء والعاملين بالمصنع توصلت إلى رقم هاتفه في لندن، تحدثت إليه مكالمة دولية طويلة، ولا أخفيكم سرا كان التواصل الدولي عسيراً في تلك الفترة، فأخبرني الرجل أن أتواصل مع الشيخ مرزوق من بدو الصحراء الذين يحرسون تلك المنطقة من اللصوص، سألته عن كيفية العثور عليه، فأخبرني أنه دائماً ما يتواجد عند محل البقالة الوحيد في الحي الذي أسكن فيه، ذهبت مسرعاً للشيخ مرزوق لأجده بالفعل جالساً أمام محل البقالة، وحكى له في عجالة ما حدث، فأخبرني عن أمور عجيبة تحدث بسبب جبل وكهف، وأنه لا بد من سد الكهف لأن هذا تأثير سكان الجبل، وأضاف الكثير من بسم الله الرحمن الرحيم وربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم...

^٧ يبدو أن جدي أضاف تلك الكلمات بعد انتهائه من كتابة المذكرات لأنها بتاريخ حديث نوعاً.

(الرد): بوس

لم تقنعني كلماته، فأنا لا أومن بالخرافات، ولكن أومن بأن الجن لن يضرنا بشيء إلا ما كتبه الله علينا، قال تعالى "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله".^٨

لكني فهمت أن ما يحدث هو تأثير شيء ما يوجد بداخل ذلك الجبل المقصود، ربما تكون طاقة قوية أو إشعاع ضار، السؤال هنا لماذا لم تؤثر سوى على منزلنا فقط؟

طلبت من الرجل أن يريني ذلك الجبل، فأخبرني أنه سيرافقني لكن بشرط أن أترك سيارتي هنا، ونتوجه نحوه سيراً على الأقدام، بالطبع أقلقني ذلك الشرط للغريب وتوقعت أنه يريد سرقة السيارة، إلا أنني حينما رافقته فهمت، فالمنطقة صحراوية شاسعة رمالها رمادية قاتمة، وهناك نباتات متفرقة وصخور مبعثرة على امتداد بصري، بالإضافة لتلك الزواحف غريبة الشكل التي تسعى هنا وهناك، المهم أننا استكملنا طريقنا وبعد مسيرة ما يقرب من عشر دقائق وصلنا لمدخل الكهف، إلا أن أشد ما تعجبت له، تلك الأشجار ذات الفروع المقلوبة، والتي تتجه فروعها لأعلى في تناسق بديع، لتصنع قبة من الأوراق، الفروع سمكية جداً ذات أوراق مدببة الأطراف، يقترب طول الشجرة الواحدة من ستة أمتار، لم أر تلك الشجرة من قبل ولكنها من بعيد تشبه مظلة ضخمة مقلوبة، رأيت بجوار الكهف ما يقرب من عشرين شجرة، على الرغم من روعتها وجمالها إلا أنني شعرت بشيء من الرهبة والقلق لدى رؤيتها، ربما لأن الإنسان عدو ما يجهل.

^٨ سورة البقرة الآية ١٠٢

الرسالة: بومس

أشار لي مرزوق نحو الصخور التي كانت تسد مدخل الكهف لكنها الآن لسبب ما تبعثرت هنا وهناك، فأخبرني بخوف أن هذا ما تسبب في خروج الكائنات الشيطانية، وبالتالي سيطرتها على المنزل، بالطبع لم أفهم سبب سيطرة تلك الكائنات على منزلي بالذات من وجهة نظره، لكنني هزرت رأسي في فهم مصطنع وساعدته في إعادتها لمكانها من جديد، لنقوم بسد مدخل الكهف تماماً.

وتنحل المشكلة تماماً...

تحياتي؛

عبد الكريم السيد عبد الكريم

١٢ أكتوبر ١٩٩٢

كنت قد نسيت ما حدث تماما وانشغلت في عملي وبيتي، حتى مرت ثمانى سنوات وفي ذلك اليوم، يوم زلزال ١٩٩٢ تكرر الأمر من جديد، يومها بينما كنت في عملي تلقيت مكالمة من كريمة تخبرني في هلع بتكرار ما حدث من قبل، ذهبت إلى المنزل فوراً، دخلت الحديقة، فلم أجد سوى ابنتي سعدية، أما الفيلا فكانت خاوية على عروشها، فتحت الباب وأغلقتة مرارا وسط نظرات سعدية المندهشة مما أفعل، الغريب في الأمر أنني رأيت كريمة وأسعد وسعيد يطلون من الشرفة من الخارج فقط، دون أن أجدهم في الداخل، هنا قررت الذهاب للكهف من جديد، لأجد الصخور قد تحركت من مكانها مرة أخرى فتوقعت أن هذا قد حدث بفعل الزلزال، حاولت تحريكها بقدر المستطاع وبحثت عن صخور أخرى في الصحراء لأسد الفتحة تماما، هل معنى هذا أن الزلازل هي سبب حدوث تلك الظاهرة؟ بدأ عقلي يضطرب فقررت العودة للمنزل، لأجد أن المشكلة قد تم حلها، لكنني قررت الاختلاء بنفسى في غرفة المكتب بهدف ترتيب أفكارى، وبدأت أدون ما حدث منذ البداية، فالمنزل الذي دخلته ولم أجد فيه أسرتى، على الرغم من تطابقه التام مع منزلى إلا أنه خلف لدي شعورا بالوحشة والرغبة لم أستسغه، شعرت بأننى بداخل مكان بارد لا روح فيه ولا حياة، وخشيت أن أحاصر في ذلك المنزل الآخر يوما ما للأبد، لا أعلم ماذا أواجه لكن يمكننى وضع بعض الاحترازاات لكيلا يتكرر الأمر من جديد، فقررت تمييز منزلى لكي نتعرف عليه بمجرد دخولنا إليه، وبالفعل قمت باستبدال ستارة النافذة الذهبية المجاورة للمدخل بستارة أخرى باللون الأحمر الداكن، وذلك لتلفت انتباه من يدخل المنزل بمجرد دخوله، وكأن وجود الستارة سيخبرنا أن نظمئن ونهدأ بالا، وعدم وجودها يأمرنا بالابتعاد فوراً..

تحياتى؛

عبد الكريم السيد عبد الكريم

٢٠ أكتوبر ١٩٩٢

بعد الحادث الأخير. قررت أن أزور موقع الكهف بشكل دوري للاطمئنان على موضع الصخور في مكانها، وعلى الأغلب لم تكن تتحرك كثيرا، بل كنت أحاول في كل مرة أن أثبتها بشكل أقوى.

١٠ مايو ٢٠٠٠

هناك أمرا كنت أتعجب له كلما زرت الكهف، وهو زيادة عدد تلك الأشجار العجيبة، إلا أنني كنت أسر تساؤلاتي في نفسي، وأصمت، بالتأكيد لم أخبر أفراد أسرتي بأي مما حدث، وذلك لأنني أفضل أن أحمل همومهم ولا أشعرهم بأي هم أو حزن، فطالما أنني حللت الأمر، لماذا أرهق تفكيرهم إذن؟

لا أعتقد أنني لاحظت اختفاء الستار بعد آخر حادث، حيث تلتته سنوات هادئة سعيدة آمنة مطمئنة، لماذا إذن قد نترك منزلنا الذي عشنا فيه أجمل ذكريات حياتنا بسبب ظاهرة عجيبة قد تحدث يوما ما، وقد لا تحدث أبدا.

والآن أوجه رسالتي لمن عثر على الأوراق، إن كنت تواجه مشكلة في العثور على الستار الأحمر، نصيحتي لك أن تعود إلى الجبل لتسد الفجوة من جديد، ستجد الموقع في الخريطة المرفقة.

تحياتي؛

عبد الكريم السيد عبد الكريم

(خارج السياق – ١) يرويها مجهول

أعلم أنكم رأيتم جميعا القصر، وربما أعجبتم بفخامته وأناقته، ولكن هل تساءلتم يوما عن سر تلك الخطوط المتقاطعة المنحوتة بدقة متناهية، والتي تشكل ممرا وهميا يصل إلى باب الفيلا مروراً بسبع درجات سلم من الرخام الفاخر، تنتهي بتلك البلاطة الحجرية ذات النقش الدقيق لحيوان خرافي يشبه فرسا له جناحي طائر ورأس نمر، هل بالفعل تتساءلون؟

لا أصدق، ففي الواقع لم يلاحظ تلك النقوش سواي..

ترتقي قدماي درجات السلم السبع في خيلاء، أطرق باب القصر الخشبي الضخم ذي المصراعين، ممسكا بالمقبض المعدني المستدير والذي يحمل وجه النمر في نهايته، والذي يمكنك طرق الباب من خلاله.

ترى هل يعرف أي من سكان القصر سري الصغير؟

بالطبع لم يعرفوا.. وربما لن يعرفوا..

(العودة) ترويهها مريم

اسمي مريم، في الرابعة والعشرين من عمري، مهندسة التصميم الداخلي، أو كما يحب أقاربي أن يطلقوا عليّ "مهندسة الديكور"، أو كما ينادوني في عملي "مريم ديكور"، بسبب تشابه اسمي مع "مريم مالية"، وهي طريقة غريبة لتمييز الأسماء في الشركات.

أعتقد أنكم قرأتم اسمي في سطور سابقة، وكما علمتم يبدو أنه انتهى بي الحال في الفيلا التي يسكن بها يوسف زميل العمل، وها هو يقرأ المفكرة التي تركها له جده محاولاً إيجاد حلاً لمشكلته، وحين انتهى من قراءة المكتوب في المفكرة، تبادل النظرات الحائرة معنا، فقلت له:

"هل انتهيت هكذا؟ يبدو أن هناك صفحات أخرى.."

أجابني وهو يقلب صفحات المفكرة سريعاً صانعاً تياراً من الهواء:

"أعتقد أن ذلك الجزء فقط به كل ما يخص الوضع الحالي، باقي التواريخ يبدو أنها تروي أحداثاً أخرى، ربما كان جدي يحاول ترتيب أفكاره."

ثم نحى المفكرة جانبا وشبك أصابع يده خلف رأسه وهو يقول:

"من الواضح أن جدي لم يعلم أسباب تلك الظاهرة أو كيف نشأت، لكنه علم فقط كيف يوقفها، لكن لماذا لم يخبرنا بتفاصيل ما حدث يا ترى؟ لماذا ترك الأمر معلقاً هكذا؟ ولماذا لم يقترح علينا ترك المنزل مثلاً والانتقال لمنزل آخر؟"

حاولت إيجاد إجابات منطقية لأسئلة يوسف، لكنني لم أتوصل سوى لشيء واحد فقط، يبدو أن جد يوسف كان من طبعه الكتمان، ومن الواضح أن يوسف ورث هذا الأمر عنه، فمن خلال معرفتي المحدودة بأسرة يوسف بناءً على ما رواه لنا، أو ما قرأه من مذكرات جده، توصلت إلى أن الرجال في تلك الأسرة يعتبرون بشكل أو بآخر أن البوح بمشاعرهم يقلل من قوتهم ورباطة جأشهم، فيلجؤون لكتمان الأمور التي تؤرقهم كنوع من تحمل المسؤولية، ولكن ماذا فعل

(الرد): مريح

يوسف برباطة جأشه واحتفاظه بأسرار له لنفسه؟ هل ردت له أسرته؟ على العكس تماماً، لقد عاش أعواماً من الوحدة التي بالتأكيد أثرت بالسلب على شخصيته وحفرت فوق ملامحه ذلك الحزن الدفين.

إن كنتم تتساءلون فإجابتي هي لا، بالطبع لم تتولد مشاعري نحو يوسف بدافع من مشاعر الشفقة، ولكن هناك خليط غريب من المشاعر التي أكنها تجاهه، فحين رأيته للمرة الأولى كنت ذاهبة لزيارة أخي في الكلية، وقد توجهت صوب المكان الذي اعتاد أن يجلس فيه دائماً مع رفاقه إلا أنني لم أجده، فبدأت أدور حول ذات الموقع مراراً، ولاحظ يوسف الذي كان جالساً فوق أحد المقاعد في فناء الكلية بحثي المبالغ فيه عن أخي وخاصة مع القلق الذي بدا عليّ وأنا أمسك بهاتفني المحمول وأعيد الاتصال مراراً بأدهم، فذهب يوسف واقفاً وهو يقول بباهتمام:

"هل أستطيع أن أساعدك بشيء يا باش مهندسة؟"

نظرت له بحيرة وأنا أقول:

"لا أشكرك يا باشمهندس، أنا فقط أبحث عن أخي."

فقال لي وهو يشير لوجهي وابتسامة خافتة ترسم على وجهه:

"أدهم؟ أخوك هو أدهم شاهين؟"

هزرت رأسي بالإيجاب متعجبة من تعرفه علي، فأنا لم يسبق لي التعرف عليه من قبل، وقبل أن أنفوه بكلمة، قال لي:

"لديكما ذات الملامح.."

ثم أشار إلى مقعده قائلاً:

"يمكنك انتظاره هنا، إن كان يعلم بوجودك، بالتأكيد لن يتأخر."

نظرت له بخيبة أمل وأنا أخبره أن محاضرتي تم إلغاؤها، فأردت مفاجأة أخي بزيارته في كليته، يومها ظل يتحدث معي طيلة ساعتين كاملتين دون أن أشعر بأي ملل من حديثه، بل على العكس شعرت بألفة لم أدر مصدرها، وبدأ عقلي في تحليل شخصية ذلك الشاب الذي ظهر في حياتي فجأة، كلماته وأفعاله

(الرد): مريم

أظهرت صفات رسمها عقلي منذ طفولتي لفارس أحلامي، فقد لمست جانباً من شهامته حين عرض عليّ انتظار أخي على مقعده، ولاحظت حنانه حين تبدت الشمس وغمرتني بأشعتها، فرفع يده بزاوية قائمة ممسكاً بدفتر محاضراته صانعاً ما يشبه المظلة لكي يحجب عني أشعة الشمس، لمحت طموحه، حين تحدثت معي عن أحلامه، لاحظت العديد والعديد من الصفات التي أجاد إخفاؤها جيداً بعد اختفاء أسرته، لكنها لم تخفى عني فقد قرأتها منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها، لقد كان ذلك اللقاء بمثابة خط فاصل في حياتي، وتوقعت أنه سيمثل له ما مثله لي، لكن للأسف ذلك لم يحدث.

تكررت زياراتي لأخي في الفترة التالية، كنت أنتهز فرصة وجود فراغ زمني بين محاضراتي، لكي ألتقي بيوسف مرة أخرى، وقد صادفته بالفعل مرتين أو ثلاث، حين كان أخي يشرح له ما تعسر عليه فهمه من المقررات الدراسية، فلم أستطع التحدث معه، بعد هذا ببضع أسابيع اختفى تماماً، كنت أبحث عنه بعيني في كل مكان، وكانت عيني تذهب لا إرادياً إلى موقع ذلك المقعد الذي شهد لقاءنا الأول، ثم ذات مرة سألت أخي عنه، لكنه أخبرني أنه يصغره بعام دراسي، وأنه لم يعد يراه كثيراً تلك الأيام..

إلا أننا التقينا من جديد حين قام أخي بتسيير عملي في الشركة التي يعمل بها، وحين رأيته من جديد، عادت لي ذكريات لقائنا الأول وكأنه قد حدث بالأمس، لم يتغير يوسف تماماً منذ أن رأيته قبل هذا اللقاء بثلاثة أعوام، إلا أن ما لفت انتباهي هي لمحة الحزن التي تبدت في عينيه، ونبرة السخرية الواضحة في صوته، والتي بدا لي أنه يلجأ لها لكي يخفى جرحاً في نفسه....

"مريم.. شاركينا أفكارك!"

انتشلني سؤاله من الغرق في نهر أفكار العذبة، فنظرت له بخجل وأنا أقول:

"يبدو أنني شردت لوهلة.. أعذر."

نظرت لي أمنية نظرة ذات مغزى، نظرة تحمل معنى: "أنا أعلم فيمن شررت عقلك"، إلا أنها فضلت أن تقول بمكر:

"شاركينا أفكارك يا مريم، ربما نستطيع التوصل لحل المشكلة."

نظرت لها بغیظ متجاهلة كلماتها، ثم نظرت ليوسف قائلة:

(الرد): مريم

"هل توصلتم لشيء؟"

أجابني يوسف بصوته الحنون:

"الحل الوحيد أمامنا، هو الذهاب لمدخل الكهف وإعادة الصخور لموقعها من جديد."

بينما قال أدهم أخي:

"بالطبع هذا الحل سيكون حلاً مؤقتاً، لا بد أن ندخل إلى الكهف ذاته من الداخل ونفهم السبب وراء ما يحدث."

قال علاء:

"بالتأكيد تمزح أليس كذلك؟ نحن نريد فقط عودة عائلة يوسف، لا أن نحل مشاكل الكون.."

عندها سألتني يوسف باهتمام:

"ما رأيك أنت يا مريم؟"

نظر لي بتركيز فارتبكت وشعرت بقشعريرة تسري في جسدي كله، فلمست جبعتي بكفي وكأنني أمسح عرقاً وهمياً، لأداري خجلي، وأنا أقول:

"أرى أن نأخذ برأي الأغلبية، من يريد الحل المؤقت ومن يريد البحث عن حل قاطع؟ أولاً من يريد الحل المؤقت يتفضل برفع يده.."

ظهرت ابتسامة على شفتيه لم أدر معناها، فسألته باهتمام:

"ألم تعجبك الفكرة؟"

أجاب بسرعة:

"على العكس تماماً، لقد أعجبتني، ولكنني حين سمعت جملتك الأخيرة تخيلتك لوهلة عضواً في مجلس الشعب."

ابتسمت فبادلني الابتسامة بدوره – يا لذوقه – قائلاً:

"حسناً، سنقوم بحصر الأصوات الآن، من يريد سد مدخل الكهف؟"

(الرد): مريم

بالطبع أريد أن أعلم ما قد يحدث إن أغلقنا مدخل الكهف، فرفعت يدي في ثبات، ثم تبعني علاء وتلاه يوسف الذي رفع يده مستطردا:

" أنا ومريم وعلاء.. ثلاثة مقابل اثنين؟ "

قالت أمنية:

"أعتقد أن الأفضل أن نتبع الأسلوب الأصعب، ولكن لا بأس من التجربة، طالما أن هذا هو رأي الأغلبية فلنجرب إذن."

قال يوسف:

"سنذهب ثلاثتنا أنا وأدهم وعلاء، أما مريم وأمنية فيمكنكما الجلوس في الحديقة حتى نعود، لا نعلم ما يمكن أن يحدث إن قمنا بسد مدخل الجبل، وأنتم بداخل الفيلا."

هزرت رأسي أنا وأمنية إيجابا، بينما أخرج أدهم هاتفه الجوال ليلتقط صورة للخريطة لكيلا يضطر أن يأخذها معه، بينما قام يوسف بالبحث عن موقع الجبل على تطبيق Google Maps لكي يستطيع الوصول إليه بالسيارة، توجهوا جميعا نحو سيارة يوسف التي هي في الأساس سيارة أبيه، ولم يتحرك يوسف إلا بعد أن اطمأن لخروجي أنا وأمنية من المنزل.

اتجهت نحو الأرجوحة المواجهة للفيلا فتبعنتي أمنية وجلست بجواري، لحظات من الصمت مرت، لم يتخللها إلا صوت الأرجوحة..

"زيببيي... إيببي... زيببيبيبي... إيببي.."

أغمضت عيني في محاولة مني للاستسلام لشعور الاسترخاء والانفصال عن العالم، إلا أن أمنية قاطعت ذلك الشعور فجأة قائلة بإشفاق:

"لا يمكنني تخيل وضع مثل هذا، ولا أتمناه لنفسني على الإطلاق، يحتاج هذا الوضع رباطة جأش غير عادية.."

أجبتها وأنا لا أزال مغمضة عيني قائلة:

"ألم أخبرك بهذا؟ لقد أخبرتك من قبل أنه بالتأكيد يخفي قصة مؤثرة، ولكنك لم تصدقيني.."

(الرد): مريم

أجابتنى بشيء من السخرية قائلة:

"نعم اعذريني من فضلك لست أنا التي تحبه."

اعتذلت ناظرة لها، ثم ابتسمت وأنا أقول لها مداعبة:

"ليس لك شأن بهذا.."

أمنية هي صديقتي من أيام الجامعة، تخصصنا ذات التخصص سوياً، وقضينا خمس سنوات معاً، نأكل ونشرب ونذاكر ونعمل على إنجاز المشروعات ونقضي ثلاثة أرباع يومنا معاً، إن لم يكن يومنا كله، لذا فنحن لا نخفي عن بعضنا البعض أسراراً، نستطيع أن نرى إحدانا ما بداخل الأخرى بوضوح دون التفوه به، حتى بعد تخرجنا، كان أخي وابن عمها زملاء مكتب فطلبنا منهما أن يبحثا لنا عن فرصة عمل، لم نكن نقصد بالفعل طلب فرصة عمل في شركتهما، ولكن هذا ما حدث على الرغم من غرابته، ذكرني ذلك الأمر بصديقة كانت تعمل في إحدى الشركات مع زوجها، فقامت بتغيير بياناتها لكي لا تُعلم أحداً أن هذا زوجها بسبب تعارض المصالح، في حالتنا تلك كيف يمكننا فعل شيء مثل هذا مع تطابق اسمي مع اسم أخي، أو تطابق اسم عائلة أمنية مع اسم عائلة ابن عمها.

"احترسي يا مريم لأن في بعض الأوقات تغلت منك نظرات وكلمات قد توحى ليوسف وأخيك بشيء." "

قالتها أمنية محذرة، ولكني حذرة بالفعل، لذا بالتأكيد لن يلاحظ أحد،

فقلت لها بثقة مطلقة:

"لا تقلقي يا أمنية، إن تفكير يوسف ينحصر في العثور على أهله فقط، لذا لن يلاحظ مشاعري بالطبع، أما أدهم أخي فكما تعلمين لا يفكر سوى في مشاريع الشركة والخوارق الطبيعية والميتافيزيقية، ومباريات كرة القدم، إن أدهم أخ مسالم جداً."

قالت أمنية:

" حفظكما الله لبعض، كنت أتمنى أن يكون أخي مثل أخيك، ولكنه يحاول بكل الطرق أن يعلم ما أحب فعله ويمنعه عني، لا يركز في الحياة مع شيء سواي."

قلت لها مطمئنة:

"حبيبتي الحمد لله أن زوجك هو الذي يحمل طباعا طيبة ومحبة لك.."

ابتسمت بحياء قائلة:

" الحمد لله، لكنه ليس زوجي بعد. "

قلت لها مداعبة من جديد وأنا أضع يدي على قلبي:

"آآه إنه الحب، يا رب اوعدنا.. "

ضحكت بخجل وهي تدفعني من فوق الأرجوحة برفق، أمنية هي أنثى جدا إذا كان يمكنني أن أصفها بوصف مثل هذا، تحمل الصفات التي قد تحملها أي فتاة، فهي طيبة جدا، حساسة جدا، غيرة جدا، محبة، وعطوف جدا جدا، تهتم بمظهرها وأناقتها بشكل كبير، وترى أن الفتاة ليس لها إلا زوجها ومنزلها وأولادها، كما أن أكثر شيء تحب أن تقضي به وقتها بعد جلوسنا سويا هو التسوق، ألم أخبركم؟

تتساءلون عن طباعي أنا؟ لست أدري إن كان يمكنني وصف نفسي أم لا، لكن أعتقد أنه يمكنني أن أخبركم بالصفات التي أرى نفسي عليها، يمكنني القول أنني فتاة هادئة الطباع والملاصق، لست ذات جمال صارخ بالطبع لكن من يراني يحب أن يطيل النظر إليّ، أعتقد أنني فتاة صبورة والدتي دائما ما تخبرني أنني عنيدة، قد تكون محقة في بعض الأوقات لكن في المطلق أعتقد إنني لست عنيدة بهذا الشكل، أرى نفسي دائما فتاة ساذجة تصدق كل ما يقال لها، تبدو عليّ انفعالاتي بشكل يزعجني، لكن أمنية تخبرني دائما أن تصديقي للناس يدل على صدقي وطيبتي، بينما دائما يخبرني أدهم أن معنى ظهور انفعالاتي الداخلية على وجهي يظهر شفافية روحي، بالطبع أعلم أن تلك

(الرد): مريم

مجاملات ومشاعر رقيقة منهم، لكن لا أنكر أنها أحيانا تلقى صدى إيجابي في نفسي.

ممم نعم، تتساءلون عن حياتي العاطفية، ألم أخبركم للتو؟ حسنا دعوني أخبركم من جديد، ليس من السهل أن أعجب بشخص، أو أحبه، لكنني حتى الآن لست أدري ما حدث لي ولمشاعري حين رأيت يوسف، كنت أنوي ادخار مشاعري لذلك الشخص المجهول الذي لم أكن أعلمه بعد، لكن يبدو أن قلبي اقتنع تماما أن هذا الشخص هو يوسف، المهم دعونا من هذا، لأن فيما يبدو أن هناك شيئا مرييا يحدث بالفيلا الآن.

التفتت نحو الفيلا بشكل تلقائي فانتبهت إلى أن الأنوار أضيئت فجأة،

فقلت بجدية تعجبت لها أمنية:

"أمنية، لقد أطفأنا إضاءة غرفة الاستقبال قبل أن نتركها، أليس كذلك؟"

هزت أمنية رأسها بحيرة قائلة:

"على ما أتذكر."

فجأة ظهرت في النافذة تلك الفتاة التي نظرت إلينا بدهشة لحظات، ثم نادى بصوت عال:

"ماما، ماما، هناك غرباء في الحديقة.."

أصابني الهلع فجأة وقفزت من فوق الأرجوحة، وتبعنتني أمنية محاولة تهدئتي، هذا ما توقعناه نعم أعلم هذا، لكن أن تتوقع الشيء أمر وأن تراه بعينيك أمر آخر..

"مهما حدث لا يجب أن ندخل إلى الفيلا.."

قلتها لأمنية فهزت رأسها موافقة وهي تربت على كتفي تحاول تهدئتي، هناك رجلا خارجا من باب الفيلا مسرعا، ثم توجه إلينا قائلاً في توجس:

"من أنتما؟"

(الردى: مريم)

الرجل يبدو وكأنه يوسف بعد عشرون عاما، والده ربما؟ فلنجرب...

"عمي أسعد؟"

قلتها بترقب، فعقد الرجل حاجبيه في شك وهو يقول:

"هل أعرفكما؟"

تأكدت أنه هو فقلت له بسرعة:

"نحن زميلات يوسف ابنك في العمل.."

قال أسعد بلهفة:

"يوسف ابني؟ هل عاد يوسف؟ هل عدنا من جديد؟ وفاء.. وفاء... لحظة أنادي والدته لأطمئنها.."

لا أستطيع أن ألومه على ردة فعله، لقد تركنا فجأة وهرول مندفعاً نحو المنزل يذف خبر عودتهم، من أين؟ لست أدري بالطبع لكنهم عادوا.. لا لن نلحق به بالتأكيد، فالمنزل الآن في خيالي صار محاطاً بهالة من الغموض أضافت إلى نفسي أطنان من الرهبة..

دقيقتان بالضبط ثم بدأت تتوالى أفراد العائلة في الظهور من الباب، فقامت من مقعدي تاركة أمانة جالسة في مكانها وتوجهت نحوهم، تلك وفاء والدته يوسف فيما يبدو، لديها نفس عينيهِ الواسعتين، ريم أخته ثم عبد الكريم الجد يخرج متكئاً على عصاه، لا يبدو الجد عجوزاً في السبعين من عمره، يبدو لي في سن أصغر من سنهِ الحقيقي، ثم الجدة كريمة تنهذى في تؤدة، رأيتها كما تخيلتها بالضبط، جدة صغيرة الحجم تحمل بقايا جمال لم يستطع الزمان محو آثاره، ويبدو أن ريم قد ورثت جمال جدتها وعينيها الزرقاوين، توجهت وفاء والدته يوسف نحوي وهي تمد يدها لتصافحني قائلة:

"أهلاً يا حبيبتي أنا وفاء والدته يوسف، أين هو؟ وكيف حاله؟ طمئنيني يا ابنتي."

"أهلاً بك يا أمي، أنا مريم زميلة يوسف في العمل."

(الرد): مريح

وأشرت لأمنية قائلة:

"وتلك أمنية زميلتنا أيضا."

ثم التفتت لها من جديد قائلة:

"يوسف الآن مع أخي وزوج صديقتي يحاولان حل مشكلة الفيلا، أعتقد أن هذا ما تسبب في عودتكم جميعا."

حين وصلت لتلك النقطة كان الجد عبد الكريم قد وصل إلينا وسمع بعضا من الحديث،

فقلت له بلهفة:

"لقد عثرنا على دفتر مذكراتك يا جدي واستطاع يوسف سد الفجوة."

بدا مبتهجا لكلماتي لوهلة ثم تجهم قائلا:

"إنه خطئي منذ البداية، كان لابد أن أخبرهم بما حدث، كل زلزال كان يحدث كنت أتوقع أنه الأخير وكنت أحاول سد الفجوة أكثر وأكثر، خطئي أنني لم أحاول معرفة السبب الرئيس."

قلت له بإشفاق:

"لا تحمل نفسك فوق طاقتها يا جدي، إن كل ما حدث أمر مقدر، فالحمد لله."

ردد ورائي بطيبة مطلقة:

"الحمد لله يا ابنتي."

فجأة سمعنا صوت سيارة قادمة:

"يوسف.."

قالتها والدته واتجهت نحو السيارة عدوا وتبعها والده، بينما توجهت أنا من جديد نحو أمنية التي ظلت ساكنة في مكانها، حتى اقتربت منها فربتت على يدي، وضغطت كفى بتأثر حين رأت يوسف يحتضن والديه بلهفة.

(خارج السياق - ٢) يرويها مجهول

القوة الحقيقية هي أن تكون قويا دون أن يعلم من حولك بقوتك..

القوة الحقيقية، هي أن تدعهم يسخرون من ضعفك، وقلة حيلتك.. بينما أنت في قرارة نفسك تخفي مواطن قوتك..

أتعلمون من أين نبعث قوتي؟

من ذلك القصر، وأسراره، ذلك القصر الأسطورة، بمظهره الفخم البريء والذي يخفي ما لا يبدي.

ما لكم تتعجبون! نعم.. سر قوتي في ذلك القصر..

ما زلتם تستنكرون.. تعالوا معي لندقق النظر سويا، وسأفنعكم بكل ما لا تقتنعون، ها نحن ندلف عبر مدخل القصر الواسع، أترون الآن البهو الفخم الضخم المتسع؟ وارتفاع سقف الطابق الأرضي والذي يصل إلى ارتفاع طابقين، على يمين المدخل تشاهدون تلك النافذة ذات الزخارف المذهبة، ذات الستار النبتي، والبرقع الذهبي الأنيق، تلك النافذة ستكون دليلكم، أما النوافذ المجاورة فتعلوها ستائر ذهبية تمتزج باللون الزيتي والنبتي في تناسق وفخامة، والآن هيا، فلنخط معا بضع خطوات عبر غرفة الاستقبال، والآن فلنلتفت نحو اليمين، لنلاحظ مساحة الفراغ الشاسعة التي تليق مع التصميم الكلاسيكي للفيللا، والتي تحتوي عددا من الجلسات الأنيقة ذات الطراز الفرنسي الرقيق، تطل على الجزء الأمامي من الحديقة، أمام باب المدخل مباشرة مساحة

الزوجة: هههه

واسعة فارغة إلا من طاولة وسط فوقها إناء من الزرع، تعلوه ثريا من الكريستال تتدلى من الطوابق العلوية، خلف تلك الطاولة فراغ متسع لتناول الطعام يحتوي على طاولة طعام فخمة، تحمل ذات الطراز الكلاسيكي، على يمين طاولة الطعام هناك تلك السلالم المؤدية إلى الطوابق التالية، وعلى يسارها يقع باب المطبخ، وإذا هممنا بطلوع درجات السلم سنرى باب غرفة المكتب الموارد، دعونا نسترق النظر لنرى ما يحدث.. هناك ذلك الرجل الذي تبدو عليه الطيبة والحيرة، يجلس فوق مقعده أمام مكتبه يفكر بتركيز، وقد بدأ الشيب يزحف عبر فؤديه، كما زحف عبر بضع شعيرات من ذقنه، هل ترونه وهو ممسك بقلمه وينظر في مفكرته بشرود؟ أتعلمون فيم يفكر؟ لا تعلمون بالطبع، ولكنني أعلم، ولكن فلندعه يفكر فلديه ما يشغله ولدينا ما يشغلنا..

لقاء: يرويه يوسف

هل الأمر بتلك البساطة؟ هل كان الحل أمامي كل تلك السنوات وأنا لا أعلم؟ لماذا لم نخبرنا يا جدي؟ وأنا سرت على خطاك وكتمت سري في صدري سنوات، كيف عشت وحدي وكان بإمكانني حل المشكلة في لحظة واحدة، لقد افترض عقلي - للأسف الشديد - أن روايتي لن يصدقها أحد طالما أن أقاربي من دمي لم يصدقوها، فقد افترض خالي وأسرة والدتي جنوني، بينما زملائي في العمل الذين لا تحدث معهم كثيرا عن نفسي، صدقوني ودعموني، وفي وقت الشدة وجدتهم جميعا بجواري، لقد تيقنت الآن فقط من أن علاقتك بالبشر لا تقاس بمقدار قربهم الفيزيائي منك وإنما بمقدار قرب روحهم من روحك..

دعوني أقص عليكم ما حدث، وأحاول تجاوز براكين المشاعر المختلطة التي تتفجر بداخلي الآن، والتي لا أستطيع السيطرة عليها.

بعد أن اتفقنا على ذهابنا إلى الكهف، تركنا الفتيات في الحديقة واتجهنا نحو موقع الجبل، ركبنا السيارة ثم بدأت بتشغيل برنامج تحديد المواقع، لكي أحدد موضع الكهف المقصود، ولا أخفيكم سرا، كنت قلقا على الفتاتين وخاصة مريم، أحيانا كنت أعتبر نفسي مسئولا عنها، وخاصة في الأيام التي كان يعمل فيها أدهم بالمواقع..

لست أدري لماذا أتذكر الآن تفاصيل لقائنا الأول، حينها كنت جالسا على إحدى المقاعد في فناء الكلية، في انتظار بدء محاضرتي، وبينما كنت غارقا في أفكار، فجأة رأيتها، فتاة مرتبكة ذات ملامح مألوفة بدا عليها القلق، كانت تتلفت حولها وهي تجري مكالمة ما ثم تتلفت من جديد وتجري من أمامي مسرعة، لحظات ثم تعود من جديد، تنظر إلي لكن لم يبد عليها أنها قد رأنتني من الأساس، تكرر الأمر ما يقرب من خمس مرات، وفي السادسة قمت من مقعدي لأستوقفها وأسألها إن كنت أستطيع مساعدتها، وحين أجابتنى أنها تبحث عن أخيها، لاحظت أن ملامحها تشبه ملامح زميلا لي في الكلية، أدهم وهو

(الزوجة): بومس

أول شاب استقبلني أمام باب الكلية في اليوم الأول لي، عرفني على نظام الكلية وكيف ستكون دراستي، يبدو أنه كان تابعاً لأسرة الكشافة أو ما يشبهها، لست أدري فأنا لم أهتم يوماً بتلك الأنشطة الجامعية، إلا أنه خلال الأسبوع الأول لي في الجامعة كان دليلي، بالفعل اتضح لي أنها أخت أدهم، تحدثت معها يومها طيلة ساعتين متواصلتين، وقتها شعرت بالألفة والراحة لحديثي معها، ولاحظت تصرفاتها وردود أفعالها مما ساعدني على قراءة شخصيتها، فقد بدت لي فتاة هادئة، إلا أن عيونها كانت تمتلئ بالحيوية والنشاط، وعلى الرغم من ذلك حاولت الحفاظ على هدوئها الظاهري أمامي، كيف علمت ذلك؟ لقد قرأت العديد من الكتب النفسية لذلك أحياناً أطبق بعضاً مما قرأت في قراءة الشخصيات، لاحظت أيضاً أن الفتاة لم ترفع عينها لوجهي أثناء حديثي معي طيلة الساعتين، فقد كانت تنظر إلى نقطة محددة بجوار وجهي بحيث تراني في مجال رؤيتها دون تركيز في تفاصيل الملامح، لا أنكر أنني أعجبت بذلك الأمر، فمن جهة شعرت بمدى براءة تلك الفتاة، ومن جهة أخرى ذكرتني بريم أختي، ففي بداية حديثنا أشفقت عليها من الشمس القوية، فأشرت لها جهة اليمين لكي تستظل بظل الشجرة، فاتبعت إشارتي وتوجهت نحو اليمين، ثم مرت بضع دقائق كانت كافية لتدور الشمس وتغمرها من جديد، فهبت من مقعدي وأشرت لها لكي تجلس مكاني، فجلست وهي تتمم بوضع عبارات شكر، فأمسكت بدفترتي بشكل يحمي وجهها من أشعة الشمس، ثم تحدثت معها على مدار الساعتين دون أن أشعر بمرور الوقت، فقد تميز حديثها باللباقة والتهذيب، إلا أن اختفاء أسرتي بعد ذلك قلل من أوقات ذهابي إلى الكلية، لكنني لم أنس يوم التقينا، وحين التقيت مريم من جديد في الشركة، لاحظت أنها أيضاً لم تنس ذلك اليوم، وقد تبدت في عينيها نظرات إعجاب واضحة حاولت إخفاءها خلف إطار من الحياء، رد فعلي كان عجبياً، فقد تجاهلت تلك النظرات، وذلك كما أخبرتك من قبل، لأنني من جهة أكن لأدهم مشاعر الاحترام والأخوة، ولا أعلم رد فعله إن لاحظ الأمر، ومن جهة أخرى، لا يمكنني التجاوب مع تلك المشاعر، فأنا أشفق عليها من الحياة مع شخص مثلي، نصف رجل بنصف قلب ونصف عقل..

الزئبق: برست

نظرت في ساعتني لأجد أنني استغرقت في خواطري ما يقرب من عشر دقائق،
قال أدهم بحيرة:

"هناك أسوار حجرية حول الموقع المطلوب، لم يتحدث جدك في مذكراته عن
أي أسوار."

ففتح علاء الموقع على هاتفه وهو يقول بدهشة مطلقة:

"لقد تم إغلاق تلك المنطقة كمحمية طبيعية."

هنا كنت قد لاحظت تلك اليافطة المعلقة فوق بوابة حديدية والذي كتب فوقها
"محمية الغابة المتحجرة" **فقلت لهم:**

"يبدو أننا سنتحرك من هنا بدون السيارة إذن."

هزوا رؤوسهم بالموافقة، فأوقفنا السيارة على إحدى جانبي الطريق، ثم
ترجلنا منها وحاولنا البحث عن فرد الأمن المختص بالمحمية، لكي نتمكن من
الدخول، فلم نجد أحدا فواصلنا السير في الصحراء رمادية الرمال، متوجهين
نحو موقع الكهف، هناك نباتات متفرقة هنا وهناك، وسحالي تجري بسرعة
خوفا من الغرباء الثلاثة الذين يقتربون من منازلهم، إلا أن أشد ما تعجبت له
هو تلك الطيور التي تشبه البوم لكن أحجامها كبيرة تصل إلى المتر، شعرت
بقليل من الفزع إلا أنني استكملت طريقي مع رفيقي فيبدو أن ما رأوه أثر
عليهما بالصمت أيضا، وحين رأينا الأشجار ذات الجذوع المقلوبة لأعلى علمنا
إننا وصلنا للموقع المنشود، **فقال علاء:**

"ها هو الكهف، والأشجار التي أخبرنا عنها جدك.."

قلت لهم:

"نعم هي فيما يبدو، لقد شبهها جدي بالمظلات المقلوبة، لكني أعتقد أنها أقرب
لشكل فطر عيش الغراب."

فأخرج أدهم هاتفه المحمول ليلقط الصور لتلك الأشجار وهو يقول برهبة:

الزوجة: برست

"أعلم أننا لا نزال في الظهيرة، إلا أنني أشعر كأن الدنيا أظلمت فجأة، وكأن هناك شعورا بالقتامة يجثم فوق روحي.."

أيدنا كلامه أنا وعلاء ببضع هزات رأس مختلطة بهمهمات خفيفة، ثم توجهنا نحو فتحة الكهف التي بدت أمامنا واسعة تماما خالية من أي صخور تسد المدخل، يبدو أن هذا هو السبب في اختفاء أسرتي تلك الفترة الطويلة دون عودة.

تفحص أدهم المكان حول الجبل باهتمام، بينما بدأت أنا وعلاء نبحث عن صخور ذات حجم مناسب يمكن حملها بسهولة وفي ذات الوقت يمكنها أن تسد المدخل..

قال أدهم بدهشة:

لا يوجد أدنى أثر للصخور التي كانت تسد المدخل، هل من الممكن أن تكون قد تفتتت؟ "

أجبتّه وأنا أشير إلى أحد الصخور البعيدة عن المدخل:

"أو تدرجت بعيدا، انظروا يا شباب، أعلم أن محاولتنا لسد المدخل الآن هي حل مؤقت، فمهما فعلنا ستتحدّر الصخور من جديد، لكن نريد أن نعلم أولا أن جهودنا لن تذهب هباء.."

قال علاء مؤيدا:

" إذن ننقل بعض الأحجار لسد مدخل الكهف، ونذهب للمنزل لنرى ما يحدث."

أجبتّه قائلًا:

" بالضبط."

تعاوننا جميعا لوضع الأحجار، يبدو أن جدي كان يتمتع بصحة جيدة في الماضي ليرفعها وحده، أو أن كلام جدتي صحيح، كانت دائما تقول لي: "صحة الأجيال في انحدار، أنتم جيل من ورق، والدتي كانت تشرب كوبا من السمّن البلدي يوميا على الريق..." حين كنت أسمعها تقول تلك الجملة، كانت معدتي

الزوجة: بوس

تقبض بشكل لا إرادي، ويبدأ الحمض في الصعود إلى المريء، من الوصف فقط، فماذا إن جربت ذلك المشروب اللذيذ؟

انتهينا من وضع آخر صخرة ثم ركبنا السيارة وانطلقنا نحو المنزل من جديد، لا أستطيع أن أنكر أن قنامة المكان أثرت على روحي، فأصبحت أشعر بضيق غير مبرر.

إلا أن هذا الضيق انمحي أثره تماما حين دخلت حديقة الفيلا، ورأيت أمي وأبي ينطلقان نحو السيارة، وها هما أيضا جدي وجدتي، فالتفت لأصدقائي قائلاً:

"لقد نجحتما يا شباب، لولاكما ما رأيتهم من جديد."

ربت أدهم على كتفي قائلاً:

"حمداً لله، هيا اذهب لتعانقهم جميعاً."

أوقفت السيارة ثم ترجلت منها مهرولاً نحو والدي في سعادة وأنا أمسك بأيديهما لأقبلها وأبكي، حتى أمي ظلت تبكي وأبي يدلك فروة رأسي كما كان يفعل منذ أن كنت صغيراً، لا يصدق أنه يراني، وها هما جدي وجدتي، أنطلق نحوهما في شوق وأحتضنهما سوياً وأقبل رأسيهما، لا تبتعدا عني مرة أخرى.

ربت جدي على كتفي بقوة قائلاً:

"كنت أعلم أنك ستنقذنا يا يوسف."

قلت له بحرج:

"لم أكن لأفعلها وحدي، لولا هؤلاء."

وأشرت إلى أصدقائي، فقدموا جميعاً لأعرفهم على أهلي، وأنا أتساءل في حيرة، هل سيكون من التعقل أن نسكن في تلك الفيلا من جديد؟ الأمر الآخر الذي كان يشغل بالي الآن، ترى ماذا حدث لعائلتي عند اختفائهم، نظرت لساعتي لأجد أنها قد تخطت الثانية ظهراً، فقلت لوالدتي:

"هل لدينا غداء لهؤلاء القوم، لقد أتعبتهم معي جداً، والطعام الذي طلبته في الصباح بالتأكيد فقدناه في المنزل الآخر..."

(الزوجة): بومس

أمسكتني أمي من وجنتي بكلتا يديها بحنان وكأنها تحاول أن تشبع عينيها من ملامحي قائلة:

"بالطبع يوجد غداء يا ولدي الحبيب، ورفاقك أسعدونا بوجودهم."

قال أدهم هامساً في أذني:

"كنت أود الرحيل يا يوسف، ولكن من جهة أشعر بجوع شديد، ومن جهة أخرى لدي فضول عجيب لمعرفة ما حدث لأسرتك عند اختفائهم.."

ابتسمت وأنا أهمس له:

"وأنا أيضاً."

ثم قلت لوالدتي:

"أين ريم وعمتي وعمي؟ وأين باقي العائلة؟"

"الجميع بداخل الفيلا، ولكن يبدو أن ابنة عمك ذهبت لتخبر الجميع لأنها أول من أخبرنا بوجود زميلاتك في الحديقة."

دعوتهم جميعاً إلى داخل الفيلا، ثم التفت جهة اليمين لأجد الستار الأحمر، فتبادلت مع أصدقائي نظرات ذات معنى، عندها بدأت باقي العائلة في الظهور، عمتي وزوجها، وعمي وزوجته وأبنائهم، وأختي الغالية ريم، رأيتهما فأشرقت ثم انطلقت نحوي في لهفة ثم احتضنتها وأنا أقول:

"افتقدتك جداً.."

دفتت رأسها في صدري وهي تقول بفرحة امتزجت بدموعها التي تنهمر:

"افتقدتك أكثر.."

(خارج السياق – ٣) يرويها مجهول:

كم أحب أن يخشى الناس بطشي، حتى وإن كان أقرب الأقربين، كم أحب أن أرى في عيونهم نظرات الرعب والهلع بسبب تأثير أفعالي، هل علمتم من أنا؟ أنا الشر المطلق الذي لن تجدونه حتى في الروايات، أنا الشر المطلق ولم أندم يوماً على ما فعلت، يعتقد البعض أن الإنسان طيب بالفطرة، ولا يسلك طريق الشر إلا بوجود مؤثر في حياته قد يدفعك أحياناً للتعاطف معه، ولكن ماذا إن كان كل ما يتعرض له ذلك الشخص هو الخير المفرط والمبالغ فيه من كل من حوله، ولكن المحصلة تظل بداخله شراً مطلقاً، عندها يمكننا الجزم بأن لكل قاعدة شواذ، إن اعتبرناها بالفعل قاعدة.

لم يخطر ببال عبد الكريم أن حياته قد تعود يوما لسابق عهدها، وأن أسرته سيجتمع شملها وتصبح أسرة صغيرة سعيدة من جديد، لكن يبدو أن الله سبحانه قد استجاب دعواته في الأعوام الحزينة السابقة.

خفق قلبه بقوة حين هزلت مليكة حفيدته الصغرى ابنة سعيد، وهي تنادي والدتها بأعلى صوت لتخبرها بوجود غرباء في المنزل، خفق قلبه لأنه لم يتخيل أن هناك زوار قد يقصدون منزلهم، فالجيران يطلقون عليه "منزل غرباء الأطوار" فلم يعد أحد يقترب منه، لماذا؟ سأخبركم بالسبب، ولكن دعوني أولا أصف لكم ما يحدث الآن بعد لم شمل الأسرة من جديد، سعدية ابنة عبد الكريم تقف مع وفاء زوجة أخيها أسعد في المطبخ لكي يعدا تلك الوليمة الأسرية، بقدر حبهما لتلك الأسرة يعدان الطعام، وبقدر شوقهما لاستضافة الأحباب في منزلهما يجهزان المكان.

لم أحدثكم من قبل عن وفاء، بالتأكيد لن أقول إنها أفضل أم في العالم فربما يكون يوسف غير محايد في رأيه عنها فهي والدته، ولن أقول إنها أمهر زوجة في العالم، فذلك رأي أسعد وربما أخبرنا بذلك لأنها زوجته، لكن سأخبركم أنها منذ دخلت تلك الأسرة لم تجد إلا الحب والتقدير، أحبها الجميع بلا استثناء حتى سعيد بشخصيته النافرة، وزوجته التي لا تحب أن تخالط أفراد تلك الأسرة، أحبابها، كانت وفاء كالنسمة الرقيقة التي تمر لتداعب وجهك، فتشعر ببهجة خفية دون أن تدري لها سببا، أحبتها سعدية وصارت صديقتها، أما كريمة فاعتبرت نفسها والدتها الثانية وعاملتها بكل حب ومودة، لا أخفيكم سرا، ولكنني شخصا أعتقد أن وفاء تستحق ذلك، فهي محبة عطوف وجهها دائم

^٩ من مروان هذا، سأراجع السطور السابقة لأتحقق من الاسم، ماذا؟ لا يوجد مروان؟ حسنا، فليحكي مروان إذن ويخبرنا بما يريدنا أن نعرفه..

(الرد): مرد

الابتسام حتى في أحلك المواقف، تحب الجميع بلا استثناء، والعطاء لديها بلا حساب، لا ألوم يوسف أو أسعد حين يتحدثان عنها فهي بالتأكيد تستحق مديحهما.

بدأت الروائح الشهية تنبعث من جهة المطبخ، والذي تخرج منه الآن سعادة بابتسامتها العذبة وهي تحمل صينية الديك الرومي، تتبعها وفاء وهي تحمل صينية فوقها الأطباق الجانبية، هما يستكملان شكل الوليمة الرائعة، بتلك اللمسات الشهية، ويلتف الجميع حول الطاولة، ليستمتعوا بتلك الوليمة الأسرية، لا أبالغ إن قلت أن المتعة الكبرى لديهم لم تكن بسبب الطعام بقدر ما كانت بسبب ذلك التجمع الدافئ، والجو الأسرى الحميم.

ألقى عبد الكريم قطعة من اللحم إلى فمه وبدأ يلوكها ببطء وهو يتأمل أسرته الملتفة حول طاولة الطعام، لاحظ فرحة أبنائه وأزواجهم بعودتهم، ثم التفت إلى يوسف حفيده، ليلاحظ سعادته المطلقة برؤية أهله من جديد، وبينما هو غارق في أفكاره، انتشله يوسف من الاسترسال قائلا:
"افتقدتك كثيرا يا جدي."

نظر له عبد الكريم بإشتياق حقيقي وهو يقول:

"لقد افتقدتك أكثر بكثير يا حفيدي الغالي."

ابتسم يوسف بسعادة، ثم حانت منه التفاتة لا إرادية نحو مريم وكأنه يتابع ردة فعلها، كانت التفاتته غير ملحوظة للجميع، إلا أن نظرة كتلك فضحت أمره لدى جده، الذي يحفظ حركاته ولفاتاته عن ظهر قلب، نقل عبد الكريم نظره بين يوسف ومريم ليلاحظ نظرات إعجاب واضحة من مريم تقابلها نظرات إعجاب خفية من يوسف تتستر بإطار من اللامبالاة، لكن الجميل في الأمر أن تلك النظرات لم تخف على جده، فيوسف بالنسبة لجده كتاب مفتوح يستطيع قراءته بسهولة، ومن جهة أخرى فإن عبد الكريم يعلم داء تلك الأسرة المتوارث عبر الأجيال، داء الكتمان، أحيانا يندم على كتمانته لأسراره حتى عن أقرب الأقربين، إلا أنه يعزي نفسه بأنه إنسان ناجح في إظهار مشاعره إلا أنه كتوم

الرد: مرد

فقط في كل ما قد يهدد أمن أسرته، فيكتفي بحل تلك الأمور بنفسه، بهدف حماية من يهيمه أمرهم، ودرء الهم والحزن عنهم، فحين حدثت أحداث المنزل، لم يشأ أن يشغل بال زوجته أو أبنائه، لذلك كتم الأمر عنهم، لكنه تساءل لماذا يكتُم يوسف مشاعره عن تلك الفتاة وهو يعلم يقينا أنها بالتأكيد تبادلته مشاعره، لا يوجد لديه تفسير سوى أن يوسف قد تعلم الأمر المتوارث في العائلة وطبقه بشكل خاطئ، يبدو أن الحديث قد أخذنا، فعلاء يتحدث لعبد الكريم الآن قائلا

بود:

"ماذا حدث لكم في تلك الفترة يا جدي؟"

شرد عبد الكريم بخياله لوهلة تذكر فيها مقدار الظلام الذي عاشوا به في تلك الفترة،

ثم أجابه قائلا:

"سأروي لكم ما حدث منذ ذلك اليوم، يوم الاختفاء.."

الزمان: يوم ١٣ أبريل عام ٢٠١٥ والذي كان يوافق عطلة رسمية بمناسبة شم النسيم، المكان: الفيلا، كانوا جميعا في المنزل عدا يوسف الذي كان في رحلة تابعة لجامعته لكنه تأخر حتى المساء، حاولوا الاتصال به إلا أن هاتفه كان معطلا، فاعتقدت والدته أنه ربما قد فقد شحن هاتفه ولم يستطع إعادة شحنه، فحاولوا الوصول لأصدقائه في الجامعة لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إليهم، فاتصلت وفاء والدته بوالدة رفيقه في الرحلة في المساء، إلا أن السيدة لم تتعرف عليها من الأساس، لم ينم أحد ليلته من القلق، وبالتالي لم يذهب أي منهم لعمله أو لمدرسته في صباح اليوم التالي، بينما قرر أسعد أن يذهب إلى الكلية ليكتشف ما حدث ليوسف، لكن العجيب هنا أنه لم يجد سوى سيارة واحدة فقط في المرآب، لم تكن سيارته أو سيارة أحد من إخوته بل كانت أول سيارة اشتراها عبد الكريم من ذلك الرجل الأجنبي الذي باعه الفيلا، إلا أنها كانت في أسوأ حال ممكن، هناك شيء ما يحدث، سيتغاضى عن تلك التفاصيل، وينحيها جانبا لحين عودته من الكلية، والآن تروونه بقسم شؤون الطلاب ليسألهم عن

(الرد: مرد)

ولده، الأمر اللي تعجب له بالفعل، هو أنه لم تكن هناك رحلة جامعية بالأساس من الأساس، وحين سأل عن يوسف لم يجد اسمه مقيدا بالجامعة.

بالتأكيد عاد إلى المنزل مصدوما ليخبر الجميع بما حدث، فاقترحت وفاء إبلاغ الشرطة، لكن ما يحدث لا دخل له بالشرطة على الإطلاق.. هناك شيء مريب يحدث، هذا الشيء يعلمه يقينا اثنين فقط، عبد الكريم وأسعد، إلا أن كل منهما يعتقد فقط أنه وحده يرى ما يريب.

انخرطت وفاء في نوبة من البكاء، قلقا على ابنها، بينما حاول أسعد وسعدية تهدئتها، أما كريمة فقد اتخذت مقعدا بجوار النافذة في بهو الاستقبال وهي تحاول السيطرة على أعصابها لأنها مقتنعة تماما أن الجد والجدة هما سند المنزل، لا بد أن يحتفظا برباطة جأشهما أمام الأبناء والأحفاد، تلك هي الشعرة التي قد تمنعهم من الانهيار، تشعر بأن هناك أمرا مريباً، لا تدري ما هو تحديداً، ما تعلمه أن عبد الكريم فيما مضى كان باستطاعته السيطرة على الأمر إلا أنه فيما يبدو لم يعد يستطيع السيطرة عليه الآن.

ظل عبد الكريم يراقب ما يحدث مفكراً للحظات، ثم التفت فجأة نحو النافذة المجاورة للباب ليتعلق بصره بالستارة الحمراء، وكأنه يستمد من وجودها الراحة والاطمئنان، ثم هم بالجلوس على أقرب مقعد وهو غارق في أفكاره، إلا أن أسعد قاطع أفكاره قائلاً:

"أبي، أريد أن أطلعك على شيء ما.."

فقال له عبد الكريم وهو يستكمل طريقه للجلوس على المقعد ويشير لأسعد لكي يجلس على المقعد المجاور:

"تفضل يا أسعد، ماذا تريد يا بني."

ربت أسعد على كتف وفاء وهو يطمئنهما ببضع كلمات، ثم قال لوالده بقلق:

"لا يا أبي، بعد إنك هل يمكننا إجراء الحديث في غرفتي القديمة؟"

طلبه هذا أصاب والده بشيء من القلق، فأسعد لم يطلب منه دخول غرفته القديمة سوى مرتين، الأولى عند وفاة جده والثانية عند وفاة جدته، تتسألون عن غرفته القديمة، حسنا سأخبركم، حين أقدم أسعد على الزواج، قرر أن يترك

(الزوجة: مرد)

لوحاته وأعماله الفنية، في غرفته القديمة بالطابق الأول، وأن ينتقل مع زوجته إلى غرفة بالطابق الثاني، أو الطابق الثالث إذا كنتم تعدون الطابق الأرضي طابقاً.

هز والده رأسه إيجاباً بقلق مماثل، ورافقه لغرفته القديمة، الغريب أن أسعد يذكره بنفسه، بهدوء طباعه وقدرته في السيطرة على مشاعره، حتى أنه قد يشعر بالحزن الشديد بينما لا يبدو على ملامحه إلا تعبيراً بارداً جامداً، وذلك كما حدث عند وفاة جدته والتي كان متعلقاً بها أشد التعلق، إلا أن التعبير الذي بدا على وجهه لمن حوله وقتها كان البرود واللامبالاة، إلا أن والدته حين توجهت لغرفته ليلاً لتطمئن عليه، سمعت نحيبه في الظلام وحده، فأشفقت عليه من هذا الوضع غير المريح نفسياً، فهي ترى أن المشاعر لابد أن تتبدى لكي يستطيع من حولك التخفيف عنك.

كانت تلك الأفكار تدور في رأس الوالد بينما كان يفتح أسعد باب الغرفة ويضيء مفتاح الإضاءة، ثم ينحني ليبحث عن شيء ما أسفل السرير (سريره وهو صغير)، لحظات ثم أخرج ذلك الصندوق الكرتوني، يبدو أنه كان يخص إحدى الأجهزة الكهربائية التي قاموا بشرائها في الماضي، ثم تربع أرضاً أمام الصندوق وهو يفتحه بحرص، فتربع والده بجواره لكي يرى ما يحدث، فأخرج أسعد برفق مجموعة من الأوراق القديمة والحديثة، ونماذج صغيرة كرتونية (ماكينات) لبعض المناطق في الفيلا وحول الفيلا، وقال لوالده وهو يمسك بإحدى الرسومات:

"أنظر يا والدي إلى ذلك الرسم، هل تعرف هذا المكان؟"

أمسك عبد الكريم بالرسم مدققاً، الرسم دقيق إلى حد كبير، بالتأكيد يعلم هذا المكان، إنه حديقة الفيلا، تحديداً المنطقة التي بها الأرجوحة، فهز رأسه قائلاً:

"بالتأكيد يا بني، تلك حديقة منزلنا.."

فناولته أسعد رسم آخر لذات المكان وسأله ذات السؤال، فأجابه والده ذات الإجابة، إلا أن أسعد طلب منه أن يدقق قليلاً في أي فروق بين الرسمين، فقال له والده وهو يشعر بشيء من الشك الممتزج بالقلق:

الرد: مرد

"بيت زغول الخشبي يظهر بوضوح في ذلك الرسم إلا أنه لا يظهر في الرسم الآخر.. ومظلة الأرجوحة هنا تبدو قديمة ومتهتكة الأقمشة بينما في ذلك الرسم تبدو سليمة تماما.. ما هذه اللوحات يا أسعد؟"

استمر في غموضه وهو يخرج المزيد من الرسوم، ثم أخرج عددا من الصور الضوئية لبعض مناطق من الحديقة والفيلا، يبدو أن الصور الضوئية توضح ما لم يستطع الرسم أن يوضحه، بالفعل الحديقتين مختلفتين تمام الاختلاف، حينها استوعب عبد الكريم الفكرة التي أراد أسعد توصيلها، فقال مصدوما:

"هناك حديقتين ومنزلين، للوهلة الأولى تشعر بتطابقهما التام، إلا أنه مع بعض التركيز والتدقيق تكتشف اختلافاتهما الطفيفة."

في تلك اللحظة بدأ أسعد يقص على والده ما لم يعلمه أحدا من قبل:

"منذ أن حدث حادث الحديقة وأنا لم أعد ذلك الطفل الصغير الذي يلهو ويلعب، فجأة تغيرت حياتي وازداد شعوري بعدم الأمان، كنت أراقب الحديقة بشكل يومي من نافذة غرفتي، ومن شرفة الاستقبال، وبمرور الوقت تعلمت الرسم، وبدأت أحول تلك الاختلافات التي لاحظت وجودها إلى خطوط، كنت أرسم لوحة أسبوعيا، وقمت بتحويل غرفتي لمعرض صغير فيه كل ما يرييني بخصوص منزلنا لاحظت أن هناك مكانين، حديقتين ومنزلين، لم أعرض لوحاتي على أحد ولم أخبر مخاوفي لأحد، بماذا أخبركم؟ أنا الطفل ذو العشر سنوات، الذي لاحظ ما يريب في منزلنا، ويراوده شك بأنه صار منزلا آخر؟ من كان سيصدقني منكم؟"

حتى بعد أحداث عديدة تكررت بعد ذلك لم أستطع أن أخبركم، فقد شعرت أن الألوان قد فات.. من بين تلك الاختلافات أنني كنت قد لاحظت أن حديقتنا غناء زهورها يانعة، بالأوان الربيع، كما لدينا منزل زغول الخشبي في الحديقة، وتلك الكرة التي ألقاها أحد أطفال أقاربنا الذي زارنا ذات مرة، وكان يحاول أن يثبت لنا أنه سيلقي الكرة إلى الجهة الأخرى من سور الحديقة، إلا أن كرتة خذلته وظلت معلقة فوق السور ولم تنجح محاولاته في الحصول عليها من جديد، لدينا أيضا تلك المظلة الجديدة ذات الألوان الزاهية والتي تظلل الأرجوحة، أما المكان الآخر فذو حديقة مهمة، لم يعتني بها أحد منذ سنوات،

(الرد): مرد

أقمشة المظلة التي تظلل الأرجوحة باهتة ومتهتكة، الأرجوحة ذاتها يعلوها الصدا، وبالتأكيد لم تكن هناك أية كرة فوق السور.

في البداية لم تكن الاختلافات بذلك الوضوح بالنسبة إلي، إلا أنني لاحظت الاختلاف حينما كنت أشعر بانقباض مفاجئ في قلبي، الغريب أن المكان الآخر لم يكن يتبدى أمامي وأنا بداخله، بل لابد أن أكون في المكان الآخر لكي أشعر به وأراه، كأن أقف في منزلنا آمنا مطمئنا فألاحظ اختلافا في الحديقة والعكس صحيح، لم أجدني يوما في ذلك المكان الذي أشعر فيه بتلك الانقباضة، بل على الأغلب أكون بأمان في موقعي، وأرى الاختلافات.

كان هذا حتى أتى العام ١٩٩٢ حينها كنت قد بدأت أنسى الأمر برمته وانشغلت بدراستي الجامعية، فجأة اهتزت الأرض من تحت أقدامنا، وتكرر الأمر من جديد، ولكن في تلك المرة، كنت مع أمي وأخي في المنزل، وكانت سعيدة في الحديقة لا نستطيع الوصول إليها، وبعد انتهاء الموقف العصيب، توجهت نحو غرفتي صامتا كالعادة أخرجت أوراقا وألواني، وبدأت أرسم كافة التفاصيل التي انحفرت في رأسي حين خرجت إلى الحديقة الأخرى ولم أعثر على أختي.

كل تلك الأحداث تقبلتها، على الرغم من غموضها، إلا أنني لم أقبل فكرة الأشباح التي بدأت في الظهور فيما بعد، كان الأمر في البداية بسيطا، كان أقف أمام حوض غسيل اليد فألمح ظلا يتحرك خارج الحمام، أو أحضر شيئا من الثلاجة فأرى ظلا بجوار الموقد، حينها كان الفزع يصيبني لوهلة ثم ألتفت من جديد فلا أجد أحدا، شيئا فشيئا تطور الأمر فصرت أرى أشباحا لأناس يشبهوننا تماما لكنهم يقومون بأنشطة يومية أخرى، يظهرون ويختفون، أرى خيال أمي تدخل الشرفة وفي ذات الوقت أنظر إلى المطبخ فأجدها، أرى نفسي ممسكا بكتابي وأدور به في الفراغ، أمامي، أرى سعيدة مع صديقتها في غرفة الاستقبال، على الرغم من أنها في ذات الوقت نائمة في غرفتها... وغيرها من المواقف العجيبة.

هنا قررت شراء كاميرا تصوير ضوئي وحاولت تسجيل اللحظات بشكل أكثر واقعية، وبدأت ألاحظ الفروق بشكل أقوى، وقد سهل علي الأمر طباعة

(الردى: مرد)

الصور وعمل البومات لكل منطقة بالمنزل، حاولت التقاط صور لتلك الأشباح التي كانت تظهر أمامي لكني لم أستطع.

بعد زواجي توقفت تلك الأشباح عن الظهور، أو فلتقل صار ذهني منشغلا بالأسرة والزوجة والأطفال، فلم أعد ذلك الطفل أو الشاب ذو الذهن الصافي، إلا أن بعضا من تلك الخيالات عاودتني من جديد حينما كان يوسف في المرحلة الثانوية فرويت له ما يبقيني أمام ولدي الأب العاقل، فكيف أخبره أنني أرى أناس آخرون يشبهوننا يحيون معنا في ذات المنزل؟"

اتسعت عينا والده في دهشة وهو يستمع لتلك التفاصيل الغريبة التي حدثت دون علمه، عندها قرر أن يفرغ مكنون صدره لابنه فقال له:

" كل ذلك الحمل الثقيل يا أسعد كنت تحتفظ به بداخلك؟ للأسف يا بني، لقد عشت حياتي وأنا مقتنع تماما أن رجل البيت لابد أن يتحمل المسؤولية وحده، وأن يحل كافة المشاكل دون أن يشارك أسرته بهدف تخفيف العبء عنهم، ولكي لا يشغل بالهم بالمشاكل، ربما بدأ الأمر حين كنت شابا صغيرا، أساعد والدي ووالدتي، وأسعى دائما لحل مشاكلهم، ثم تنهال علي الدعوات بعد ذلك، ربما أسأت فهم الأمر، وقررت أن أعتمد على نفسي في كافة المشاكل التي تمر علينا، وأكون كالإسفنجة التي تمتص كل مصادر القلق لكي أبعد عن أحبابي كل لحظة هم أو حزن، بني الغالي، سأروي لك ما كان يحدث حين كنت أدخل إلى المنزل ولا أجد الستار الأحمر."

نحن بالفعل نعلم ما يعلمه عبد الكريم من خلال المذكرة التي عثر عليها الشباب، لذا لا داعي لإعادة السرد، يكفينا الآن أن نعلم أن أسعد صار يعلم ما حدث، وبدأ عقله في ربط الأحداث، ثم قرر أن يذهب مع والده للكهف، لأن ما حدث بالتأكيد له علاقة مباشرة به، المهم هنا، بم سيخبران باقي أفراد الأسرة، سيخفيان الأمر عنهم للمرة الأخيرة، وحين يعودان سيسويان الأمر.

(الرد): مرد

توجه الأب وابنه نحو الجبل سويا وسط نظرات الدهشة من جميع أفراد الأسرة، يبدو أن الجميع يومها أصابهم الشك في قدرات عبد الكريم العقلية، لكنه أراد أن يطمئن أولا قبل أن يخبرهم بما حدث، استقلا سيارة أجرة، وذهبا إلى الموقع المطلوب، وأخبرا السائق أن ينتظرهما بعيدا، ثم توجها نحو الموقع مترجلين، وهنا كانت الصدمة، فتحة الكهف تم سدها تماما بجدار من الطوب المبنى بشكل رديء جدا، كيف هذا ومتى حدث؟ لا أحد يدري بالطبع...

صدمة عبد الكريم كانت قوية بعد أن وجد جدار الكهف مغلقا بهذا الشكل، هناك أمر غريب يحدث وسيعلم ما هو يقينا، لذلك قبل عودتهما للمنزل قرر عبد الكريم المرور على موقع منزل زغلول، ليبحت عن صندوقه الخشبي، بالتأكيد كما توقعتم، فمزل الكلب لم يكن موجودا، لكن الجديد ها هنا أن الصندوق أيضا لم يكن هناك، عندها تأكد أسعد من نظريته، هذا المنزل هو منزلهم، لكن كل ما حوله لا يمت لعالمهم بصلة.

هنا أخبر أسعد والده بضرورة إخبار العائلة بما حدث، فقام عبد الكريم بجمع زوجته وأبنائه في غرفة الاستقبال، وأخبرهم بكل ما يعلم، إلا أن سعيد كانت ردة فعله قاسية للغاية، حيث هب من مقعده واقفا وهو يشير لوالده قائلا: "لقد جننتم جميعا لا محالة، ماذا تقول يا أبي؟ هذا ليس منزلنا إذن، نعم لقد علمت طالما أنه أسعد من قال هذا إذن فكل ما يقول صحيح بالتأكيد."

أصابت كلمات سعيد والده بمزيد من الهم والحزن وتظاهر بعدم سماعه، وهو يقول:

" ماذا تقترحون للخطوة التالية؟"

فقال أسعد بحزم:

" أولا وقبل أي شيء، سعيد يجب أن يعتذر لك يا والدي، نحن الآن في سفينة غارقة، لن يتحمل ركاب السفينة مشاحنات لا قيمة لها."

شعر سعيد بشيء من الحرج، لأن تلك هي المرة الأولى التي يتحدث له فيها أسعد بهذا الشكل أمام الجميع، وعلى وجه الأخص زوجته، فنظر له لحظات

(الردى: مرد)

وهو صامت، ثم قام من مقعده وتوجه نحو والده وهو يمسك رأسه ليقلعها،
بشيء من الندم، قائلا:

" أنا أسف يا والدي، أنا أسف يا أسعد.. "

ابتسم عبد الكريم ابتسامة باهتة وهو يهز رأسه هزة خفيفة قد تكون بمعنى
تقبلت اعتذارك، أو لا يهمني اعتذارك، فقد اعتدت ذلك الأسلوب الجاف منك،
وبدأ ينقل بصره بين أسعد وسعدية وسعيد، وهو يفكر كيف أن أسعد هذا هو
سنده في الحياة، حنانه واضح وجلي، في الواقع أسعد يشبهه كثيرا، بينما لا
تشبهه سعدية تماما أو تشبهه كريمة، فحنانها صامت من نوع خاص، أما سعيد
فلا أحد يدر كيف نشأ هكذا، دائما ثائر وحائق على ما يحدث، الابن المتمرد
المدلل اللا مبالي، يهتم كثيرا لأمر شخص واحد فقط هو نفسه، كان يعتبر نفسه
كائن اجتماعي انتقائي يحب الناس جدا لكنه يرفض الاختلاط بأقاربه ومعارفه،
يرى أنهم من مستوى مادي واجتماعي وثقافي يختلف عن مستواهم، لذا كان
يؤمن بضرورة مخالطة من هم في مستواهم المادي والاجتماعي، حاول الوالد
الطيب مرارا أن يوضح له فكرة أن يكون الإنسان أصيل، لا ينسى أحبابه إن
ارتفع مستواه المعيشي، كما حاولت والدته أن تشرح له كيف أنه لولا هؤلاء
الأقارب والمعارف والجيران ما كان لينتهي بهم الحال في وضع مثل هذا، وأنه
لا بد من الاعتراف بفضل الله علينا في ما وصلنا له، وقد كان سعيد يستمع لهما
بالفعل لكن في النهاية كان يفعل ما يحلو له، حتى الوائم التي كان يقيمها والده
في المنزل لم يكن يرغب في المشاركة فيها بأي شكل، فكانت والدته تحجز له
بعضا من الطعام وترسله سرا إلى غرفته، الأمر الذي كان يحزن والده حزنا
شديدا، لذا كان يتساءل دائما، كيف اختلفت طباعهم بهذا الشكل؟ على الرغم من
أنه رباهم جميعا بذات الطريقة، إلا أن كريمة كانت دائما تقول له (مالك مربى؟
من عند ربي) وهو إما مثل قديم أو مقولة قديمة تشير إلى أن الأب والأم ما
عليهما إلا الاجتهاد في التربية، والتربية الصالحة في النهاية تكون رزقا من
عند الله، تنهد عبد الكريم ونظر لكريمة التي لم يبد عليها أنها تابعت الموقف،
حيث كانت تنظر لهم بعين زجاجية، لا ترى ما أمامها، وكأنها لا تستطيع

(الرد): مرد

التفكير سوى في تلك الأفكار السوداء التي غزت عقلها، ثم فجأة سألت عبد الكريم وكأنها تناشده أن يطمئنها كعادته قائلة:

"أنا لا أفهم شيئاً يا حاج، ماذا يحدث لنا؟"

قال لها مطمئناً:

"سنجد حلاً يا كريمة لا تقلقي."

فقالت وفاء:

"ما فهمته أن كل ما حولنا تغير ما عدا فقط الفيلا ومن بداخلها، حتى والدة صديق يوسف أجابنتي حين اتصلت بها هاتفياً، لكنها لم تتعرف علي."

قالت كريمة بعد تفكير عميق:

"هل تقصدين أن أقاربنا وأصدقائنا قد لا يعرفونا أيضاً؟"

هزت وفاء رأسها بالإيجاب وهي تقول:

"بالضبط، أعتقد أنهم نسوا وجودنا لسبب ما؟"

طرفات رقيقة على باب غرفة المكتب، تبعثها "أدخل" من الجد عبد الكريم، لتدلف الجميلة ريم، ابنة أسعد وطفلة جدها المدللة، ريم في العام الأول من دراستها الجامعية، بكلية الألسن، وعلى الرغم من أنها لم تتم عامها التاسع عشر بعد، إلا أن لديها راحة عقل امرأة في الثلاثينات، لذلك فهي صديقة مقربة للغاية من جدها عبد الكريم.

أشار لها جدها لتجلس على المقعد المجاور له، وهي تقول بأدب جم:

"أعذروني على تطفلي، هل يمكنني مشاركتكم الحديث؟"

فقال عبد الكريم مرحباً، وقد أشرق وجهه حين تحدثت، كيف لا يشرق وجهه وهي الحفيدة الأولى بعد حفيدين من الذكور:

"بالتأكيد يا ريماً تفضلي يا حبيبتي."

(الرد): مرد

يحب أن يناديها بهذا الاسم الذي يمثل المقطع الثاني من اسم كريمة زوجته، ريم هي الحفيدة الوحيدة التي كلما رآها تذكر كريمة في شبابها، العقل الراجح، وحصافة التفكير، الحنان والرقّة، حتى الملامح ولون العينين، لذلك يرى أنها قطعة من جدتها، لذلك يشعر بأنها قطعة من قلبه، لذلك يراها قطعة من الجنة.

استقلت ريم المقعد المجاور لجدها، وهي تقول:

"أعتذر مرة أخرى إن كنت قد اقتحمت اجتماعكم، لكني كنت جالسة بالخارج وسمعت بعضاً من مناقشاتكم قدراً، دون عمد مني، فوددت أن نتشارك طرح المشكلة والحلول."

نظر لها جدها بإعجاب أنساه ما قاله سعيد منذ قليل، وقالت والدتها بأمل:

"هل لديك تفسير لما يحدث يا ابنتي؟"

هل تعجبتم من سؤال وفاء لابنتها، لا تتعجبوا، فالفتاة بالفعل يلجأ لها الجميع، الكبير قبل الصغير في حل مشاكلهم الحياتية، حتى أنها للتو كانت تجالس أبناء عمها سعيد مليكة وفريد قبل أن تدخل الغرفة، ولم تتركهم إلا بعد أن اطمأنت عليهما وهما يلعبان سوياً، المهم دعونا من الاستطراد، قالت ريم رداً على تساؤل والدتها:

"هناك عدداً من الأفكار التي تدور في رأسي، ولكني أريد أولاً قياس أبعاد الموقف، بمعنى أن إدارة الجامعة لم تعد تعرف يوسف، والسيدة والدّة صديقه لم تعد تعرف أمي، السؤال هنا، هل هناك آخرون قد لا يتعرفوا علينا؟ وما الذي اختفى بالإضافة إلى منزل الكلب وصندوق جدي؟ باختصار، هل هناك مفقودات أخرى؟"

قال أسعد لابنته:

"الاختلافات في حديقة المنزل طفيفة، أما بالنسبة للأقارب والأصدقاء فلا بد أن نتواصل معهم لنعلم ما يحدث، ماهي أفكارك يا ابنتي؟"

فكانت ريم بشيء من الحرج:

"سأخبركم، ولكن دون سخرية من فضلكم."

ثم تتحنّت وواصلت حديثها قائلة:

" لقد حصرت الأمر في عدة نقاط، هناك شيء ما بخصوص ذلك الكهف، نعم جميعنا نعلم ذلك ومتأكدون منه تماما، ولكن ما هو ذلك التأثير الذي قد يؤثر على نطاق واسع بهذا الشكل؟ قد يكون التأثير هو مادة كيميائية نتجت عن شيء ما بداخل الكهف، تلك المادة هي التي أثرت على عقول الجميع، لست أدري بأي طريقة، ولكن يبدو أن من تأثيراتها إخفاء ذكرى وجودنا من عقول الجميع، لكن الثغرة في تلك الفكرة هي أنها لم تفسر لي لماذا لم تتأثر عقولنا ولا نزال نتذكر كل تفصيلة، كما أن تلك النظرية لم تفسر لي كيفية اختفاء يوسف من العالم بهذا الشكل، الفكرة الثانية التي فكرت فيها هي السحر، نعم فكرت في أن هناك شيئا سحريا بداخل الكهف، له ذات التأثير إلا أنه أيضا قد يكون سببا في اختفاء يوسف، فلربما ناداه ذلك السحر واستجاب يوسف لنداء ما واختفى، لكن لماذا لا يتذكر عنه أحد أي شيء؟ لست أدري..."

قاطعها سعيد قائلا في حق:

" ما هذا الكلام الفارغ الذي تقوله ابنتك يا أسعد؟"

فتحت زوجته فمها للمرة الأولى منذ جلست قائلة:

" انتظر يا سعيد لنسمع ما تقول، هل في رأيك أن نظل بهذا الوضع الذي لا نفهم أبعاده أم لديك حل آخر؟ "

سدد أسعد نظراته النارية لسعيد، ثم هز رأسه لريم مستحفا إياها على الاستكمال، فأكملت ريم وهي تبتلع ريقها في شيء من التوتر:

"الفكرة الثالثة التي خطرت على عقلي.. "

صمتت قليلا ثم بللت شفثيها بلسانها وهي تقول بتردد:

"لا أفهم كيف يمكن حدوث شيء مثل هذا، إلا أنه من المحتمل وجود مجال مغناطيسي ما أثر على الفيلا، وأقصد هنا ما بداخل الجدران دون ما خارجها، ففصلها عن العالم الخارجي لحظات تأثير مؤثر آخر على ما بخارج جدرانها، ذلك التأثير شمل يوسف أيضا لأنه لم يكن بداخل الفيلا في ذلك الوقت. "

(الرد): مرد

لحظات من الصمت تلت تلك الكلمات، قطعتها سعدية قائلة:

"تقصدين أن من بخارج الفيلا نسي وجودنا؟"

قالت ريم:

"بالتأكيد ليس بهذا الشكل، لأنني أجهل كنه التأثير، لذلك لن نعم تحديدًا ما حدث إلا بعد التواصل مع أهلنا وأصدقائنا، إلا أنني أقترح أن يكون التواصل حذر، بمعنى أن نحاول استنباط معلومات حول الوضع في الخارج أكثر من إعطاء معلومات."

نظر لها جدها بفخر وإعجاب وهو يقول:

"إذن تلك ستكون خطوتنا التالية، من يريد البدء؟"

فقالت سعدية:

"سأتصل بصديقتي عبير أريد أن أعلم إن كانت تتذكرني أم لا."

همهموا جميعًا همهمات موافقة، ثم أمسكت بهاتفها وأجرت اتصالًا:

"أهلا عبير، أنا سعدية، نعم هذا رقمي، عدت من السفر... آآ نعم عدت اليوم.. آآ بالأمس أقصد، نعم بالتأكيد سنلتقي، عدت إلى الفيلا.. لماذا تقولين هذا؟ أشباح؟ نعم قررنا أن نجرب الحياة هنا من جديد لحل المشاكل تنتهي.. نعم الجميع معي أسعد وسعيد وأبنائهم، نعم إخوتي... نعم سعيد أخي.. ليس لدي أخ اسمه سعيد؟ أتعلمين يا عبير؟ لا بد أن نلتقي قريبًا لأستفسر منك عن بعض الأشياء، ما رأيك أن نلتقي اليوم؟ حسن فلنجعلها غدا إذن، تأتين لي الفيلا؟ لا؟ لماذا؟ لا تخافي.. حسنا كما تحبين..."

ثم أغلقت الخط وهي ترفع حاجبها في دهشة مطلقة، ثم غمغت:

"هناك تطورات غريبة بالفعل."

فسألتها والدتها كريمة:

"ماذا حدث يا سعدية؟"

(الرد): مرد

أجابت سعاديه وهي لا تزال في حالة صدمه:

" ما فهمته من مكالمه عبير أننا سافرنا منذ سنوات إلى إحدى دول الخليج، بعقد عمل لأخي أسعد الذي تزوج، ثم سافر، ثم أرسل لنا جميعا لمرافقته، أنا وزوجي وأمي وأبي فقط، ومما فهمت فليس لدينا أخ اسمه سعيد كما أخبرتني عبير للتو، الأغرب من هذا أن منزلنا تظهر به الأشباح منذ ما يقرب من عشرين سنة، لذلك قررنا جميعا السفر مع أسعد هربا من تلك الأشباح."

فقال سعيد بهلع:

" ما الذي تقولونه؟"

فقالت سعاديه مستكملة حديثها، دون اكتراث لسؤال سعيد:

" وكان هناك في الخارج حياة تختلف تمام الاختلاف عن حياتنا التي عشناها."

فقالت ريم:

" وكأننا بداخل لعبة "ماذا لو" والتي أدخلتنا بداخل واقع مزيف يختلف تماما عن واقعنا."

قالت سعاديه:

"كيف يمكن أن نعيش واقع آخر يختلف عن واقعنا في الأحداث لكن يتشابه في الأشخاص."

أجابت ريم عمتها قائلة:

" هناك نظريات علمية عديدة يا عمتي حول وجود نسخ أخرى من البشر قد يتطابقون معهم تماما وقد لا يتطابقون، فربما كان ما حدث تطبيقا لإحدى تلك النظريات."

قالت وفاء بقلق:

" تقصدين كالفيرين مثلا؟"

أجابتها ريم مطمئنة:

(الرد): مرد

" ليس بالضرورة يا أمي، قد يكون عالم آخر يسكانه الذين يشبهوننا، ربما حدث تلاقي بين العالمين بشكل لا نستطيع استيعابه."

قال أسعد بشرود، وكأنه يفكر وحده في اتجاه آخر:

" بافتراض أن نظريتك صحيحة يا ريم، بالنسبة لهؤلاء الذين يشبهوننا في العالم الآخر الذي انتقلنا له، لماذا رأوا جميعا تلك الأشباح؟ في عالمنا، بينما اعتدت أن أراها وحدي."

أجابت سعدية بشيء من المزاح لتهدئة الجو:

"نعم، لقد أخبرتني عبير أننا جميعا رأينا الأشباح وتركنا المنزل بالتبعية، يبدو أن شبيهك هذا ثرثار على عكس طباعك."

إلا أن ريم كانت تفكر في إجابة منطقية فقالت له:

"حسب ما فهمت حتى الآن من روايتك يا والدي ورواية جدي وعبير صديقة عمتي، فأنت اعتدت أن ترى أشباحا في منزلنا، وأشباحنا في ذلك الواقع البديل الذي انتقلنا إليه بفضل ذلك المؤثر الذي نجعله، رأوا أشباحا أخرى، فماذا إن كانت الأشباح التي اعتدت أنت أن تراها لم تكن أشباحا، بل كانوا أشباحنا في ذلك المنزل الآخر المتواجد في الواقع البديل، وماذا إن كنا نحن الأشباح التي رأها أشباحنا سكان المنزل شبيه منزلنا، فقرروا السفر والابتعاد، لهذا لم تعد ترى تلك الأشباح مؤخرا."

فقالت هالة زوجة سعيد بقلق:

" لقد شاهدت فيلما يشبه تلك الفكرة تماما، اسم الفيلم Others فكرة الفيلم كانت ترسل المشاهد نحو اتجاه واحد، أن يتعاطف مع البطلة وأبنائها والخوف من أن يصيبهم مكروه بسبب الأشباح التي تظهر لهم في المنزل، إلا أن التفاف النهاية المفاجئ، فاجأ المشاهد أن الأم وطفليها هم الأشباح حيث قتلت الأم أبنائها ثم انتحرت، وأن الأشباح الذين يرهبونهم منذ بداية الفيلم هم البشر سكان المنزل، وينتهي الفيلم والأم تصرخ في هيستريا وتقول أنهم أحياء وليسوا أموات."

(الرد): مرد

ساد الصمت بعد كلمات هالة، إلا أن ريم قطعت من جديد قائمة وابتسامه
ترسم على شفيتها:

" أشكر يا عمتي هالة على تقريب الفكرة، لقد رأيت الفيلم من قبل بالفعل، وقد
عاودتني ذات القشعريرة التي أصابتني حين رأيت المشهد الأخير، ربما ما
حدث في الفيلم بإمكانه أن يقرب لنا فكرة ما يحدث لنا بالفعل، إلا أننا نعلم أننا
لسنا أشباح وبالتأكيد تلك الأسرة التي تشبهنا ليسوا بأشباح، الآن يتبقى لنا أن
نعلم لماذا حدث ذلك الانقسام وصار هناك نسختين من منزلنا ونسختين من كل
منا، ولماذا لا يوجد بدلاء لأسرة عمي سعيد؟ "

هنا تساءلت وفاء بقلق:

" ويوسف أيضاً، ليس له بديل هنا فيما يبدو، ترى أين اختفى ولماذا لا يتذكره
أحد سوانا؟ "

قالت ريم بعدم تأكد:

" بافتراض أن ما نقوله صحيح منذ البداية، فأشباح أسرتنا في تلك الحياة التي
انتقلنا لها مسافرون الآن، مما يفسر اختفاء الأشباح منذ فترة طويلة، وقد تبادلنا
المنازل أثناء سفرهم، وربما كان ذلك سببا لعدم تسجيل يوسف بالجامعة، وذلك
لظروف سفره مع أسرته، أي أن منزلنا انتقل بمن فيه إلى تلك الحياة التي تشبه
حياتنا بشكل ظاهري، لست أدري كيف لكني لا أعلم كيفية عمل ذلك المؤثر
الذي غير حياتنا ونقل منزلنا بهذا الشكل. "

ساد صمت تام لما يقرب من عشر دقائق، قطعه عبد الكريم، وهو يخرج هاتفه
من جيبه قائلاً:

" سأتصل بجلال مدير الإنتاج في المصنع. "

قام عبد الكريم بإجراء الاتصال ثم وضع الهاتف على أذنه في انتظار الرد،
ويبدو أن صوت جلال ذلك يمكن سماعه من منزله مباشرة دون هاتف، مما
سهل على الجميع متابعة محتوى المكالمات:

"جلال كيف حالك، أنا عبد الكريم.."

(الرد): مرد

" عبد الكريم، أهلا وسهلا، كيف حالك يا صديقي؟ متى عدت؟ "

" بخير حال والحمد لله، عدت اليوم. "

"حمدا لله على سلامتك.."

"سلمك الله من كل شر، كيف حالك وحال الجميع؟ منذ أن سافرت ولم نسمع عنكم شيئا. "

"جميعنا بخير حال والحمد لله لكن الرجل الذي يحل محلك في إدارة المصنع يصعب التعامل معه، متى ستعود لنا من جديد ومتى يعود أسعد؟ هل ستسافرون من جديد؟ "

" ما زلنا نتشاور في الأمر يا جلال إن كنا سنستقر هنا أم سنعود من جديد..."

" وفقكم الله للخير كله، وكيف حال مجيدة؟"

"تقصد كريمة؟ "

" لا بل أقصد مجيدة زوجتك، كيف حالها؟"

" كلنا بخير يا جلال والحمد لله، أشكرك كثيرا، مع السلامة..."

" مع السلامة..."

أغلق عبد الكريم الخط، وهو يشعر بالأرض تميد به، صمت لحظات ثم قال:

" الأخبار الجيدة أن جلال يعرفني بالفعل، أما الأخبار السيئة فكريمة ليست زوجتي في ذلك الواقع الذي انتقل له منزلنا، بل مجيدة أختها. "

هزوا جميعا رؤوسهم هزة قد تعني نعم لقد سمعنا، أو قد تعني ما هذا الذي يحدث لنا، بينما تجهم وجه كريمة وارتفع حاجباها في أسى، وهي تقول:

"هل توفيت أنا أيضا في عقول الناس من حولنا؟ أم أنه لم يكن لي وجود فيها من الأساس؟"

ربت عبد الكريم على كتفها مواسيا، وهو يقول:

(الرد): مرد

"لن نستطيع أن نجزم بشيء الآن، ترى هل تغير العالم من حولنا وثبتنا نحن على حالنا؟ إن كان هذا صحيح فنحن الوحيدون ها هنا الذين بقيت ذكرياتهم كما هي."

قالت ريم بشيء من الإحباط:

"أعتقد أن كل ما حدث يؤيد نظريتي الأولى في وجود مؤثر ما بداخل الكهف، ألقى بتأثيره على الجميع، وغير أحوالهم وذكرياتهم، ما عدا نحن.."

قالت وفاء بقلق:

"هل سنرى يوسف مرة أخرى؟"

لم يجبها أحد فانهمرت في البكاء، فربتت سعدية على كتفها وهي تحاول تهدئتها، وشرع كل منهم في الإمساك بهاتفه، متصلا بأهله وأقاربه وأصدقائه ومعارفه، بهدف الاطمئنان، ومحاولة فهم ما يحدث، حتى بدأت تتكون لديهم قصة حياة جديدة تختلف عن قصتهم في بعض الأحيان وتتشابه في أحيان أخرى، لتصبح لدى كل منهم قصتين، قصة تروي واقعهم الذي يعلموه، وقصة أخرى تروي واقع جديد وجدوا أنفسهم فيه فجأة.

نحن نعلم القصة الأولى التي تعبر عن واقعهم الذي عاشوه، ولكن دعونا الآن نحاول معرفة اختلاف واقعهم عن الواقع الآخر الذي وردهم على ألسنة من حولهم.

يبدو أن عبد الكريم في تلك القصة التي وردت على ألسنة من حولهم، لأسباب غير مفهومة، تزوج من مجيدة بدلا من كريمة أختها، إلا أنهم لم يستطيعوا تفسير الأمر، ربما رأى مجيدة أولا فأعجبته، ربما، لا ندري، المهم أن القصتين تشابهتا في البدايات مع اختلافات طفيفة، حتى جاء ذلك اليوم، زلزال ٩٢، هذا العام كان بداية سلسلة من الأحداث الغريبة المتوالية، وبالفعل كما توقعتم، بدأت الأشباح في الظهور، إلا أن تلك المرة لم يرها أسعد وحده بل

(الزوجة: مرد)

رأها الجميع، وقررت مجيدة زوجة عبد الكريم ترك هذا المنزل – وكما ذكرنا من قبل فهم جميعا يعلمون أن مجيدة هي أخت كريمة، ويبدو مما يرويه الجميع عنها أنها امرأة متسلطة شديدة البأس – المهم أن مجيدة بعد تلك الأحداث قررت ترك المنزل وحاول عبد الكريم إثنائها عن الأمر، وقد استطاع بالفعل إثنائها عن قرارها لبضع سنوات أحالت خلالها حياته وحياة الأبناء إلى جحيم، بعدها تزوج ابنهما أسعد ثم قرر أن ينقل حياته لبلد أخرى وبالفعل كما سبق وعلمتم أنه قد تعاقد على عقد عمل بإحدى دول الخليج، وطلب والده أن يصحبه معه هو ووالدته، وبالفعل هذا ما حدث، في ذلك الوقت كان قد أنجب يوسف، لذلك يوسف غير مقيد في الجامعة، لأنه يدرس بالخارج، بعدها بفترة قصيرة استطاع أسعد أن يجد عملا لزوج سعدية أخته، بعدها عادوا إلى مصر فترة قصيرة، ثم سافروا من جديد، ولكن في تلك المرة أطلقت الإشاعات بهجرتهم جميعا إلى كندا، وعاشت الأسرة خارج مصر لسنوات طويلة، لم يسمع عنهم أحد أية أخبار، سعيد؟ لم يسمعو عنه أي شيء، ولم يستطيعوا تفسير سبب عدم تعرف أحد من معارفهم عليه، وكأن فجأة انمحت كل ذكرى عنه في عقول الجميع.

تلك الاختلافات التي علموها عن حاضرمهم، قلبت أحوالهم تماما، ففي البداية اعتقدوا أن قصة حياتهم اختلفت في عقول من هم خارج القصر، ولكن المكالمات التي تلقتها الأسرة في ذلك اليوم كانت الأغرب على الإطلاق، يومها رن الهاتف الأرضي، رفعت سعدية سماعة الهاتف، لتجد صوت كريمة والدتها تحدثها، وقد كانت المكالمات عجيبة، لماذا؟ لأن في ذات الوقت كانت كريمة تجلس بالفعل على المقعد المجاور لها.

بالطبع ارتبكت سعدية وهي تقول:

"أهلا يا أمي، آأ أقصد خالتي كريمة، كيف حالك؟"

أجابتها كريمة بطيبتها المعهودة:

(الرد): مرد

"بخير يا حبيبتي والحمد لله، كيف حالكم وحال ماما.. هل يمكنني أن أتحدث إليها؟"

قالت سعدية ارتباك أكثر وهي لا تفهم ما يحدث:

"للأسف ليست موجودة الآن، هل تريدني أن تتركها لها رسالة؟"

أجابت كريمة:

"أردت أن أطمئن عليكم، وخاصة إنني علمت بعودتكم، ومع ذلك لم تتصل بي مجيدة، فأردت أن أعلم هل نحن على وفاق أم لا تزال غاضبة مني؟"

تأثرت سعدية، وقد فهمت أن هناك قطيعة ما بين الأختين، وذلك بالتأكيد نتيجة لتسلط الكبرى، ثم فجأة استدركت قائلة:

"خالتي، أنتم أخوات يا حبيبتي، بالطبع أُمي لم تقصد.."

قاطعتها قائلة:

"لا عليك يا حبيبتي، أنت تعلمين أنني أحبها، وأني دائماً أسامحها على كل ما تفعله معي، لا عليك.."

قالت سعدية بتردد:

"خالتي، أعلم أن الموضوع قديم، ولكن، لماذا لم يتزوجك أبي، وتزوج مجيدة؟"

ضحكت بشيء من المرارة قائلة:

"حبيبتي هذا الموضوع قد انتهى منذ قديم الأزل؟ ما الذي أعاد فتحه من جديد؟"

قالت سعدية:

"لم يخلق، فأنا أريد أن أعلم.. كريمة تستحق أن تكون والدتي.."

قالت كريمة باستنكار ممتزج بالحزم:

(الرد): مرد

" لا يوجد أي داع لهذا الكلام الآن يا سعدية، حين تقدم والدك لخطبتي، اعتقدت أمي إنه يتحدث عن أختي، ولم أحزن، على العكس، في الواقع مجيدة هي من اكتشفت الأمر واستمرت في إتمام الزواج على الرغم من ذلك، وهذا الأمر قد انتهى منذ سنوات بعيدة."

قالت سعدية بأسى:

"أنا آسفة يا خالتي، أريدك فقط أن تعلمي كم نحبك جميعا."

أجابت كريمة بحنان:

" أعلم يا عزيزتي، ويعلم الله كم أحبك أنت وإخوتك.. "

بعد تلك المكالمة، تأكدوا من وجود كريمة أخرى خارج القصر حية ترزق، ومرت الأيام والشهور، ولم يعد أمامهم سوى تصديق نظرية ريم لما حدث، والتعايش مع ذلك الواقع المزيف، والبقاء داخل منزلهم دون اختلاط مع العالم الخارجي، وعلى الرغم من عدم طرحهم الأمر للمناقشة فيما بينهم مرة أخرى، كان كل منهم يحاول أن يبحث بشتى الطرق عن حل يعيدهم من جديد لواقعهم الحقيقي.

حياتهم اختلفت تماما، وكذلك شخصياتهم، فقد عاد عبد الكريم للعمل بمصنعه من جديد، إلا أنه لم يعد ذلك الشخص الاجتماعي الودود خشية أن ينزلق لسانه بأية معلومات غير صحيحة، ثم قام بتعيين أسعد في المصنع من جديد، وجعله مدير الإنتاج، بينما أخبر الجميع أن سعيد ابنه هو ابن صديقه المتوفي لكنه تولى أمره ورباه بعد وفاة والده، وذلك تفسير لم يقتنع به الجميع وخاصة من الأهل والأقارب، فإن كان سعيد هو ابن صديقه فلماذا أسماه سعيد عبد الكريم إذن، بالنسبة لكريمة فكان الأمر مربك للغاية، فقد كان عليها أن تقلد شخصية أختها مجيدة، وتستغل التشابه بينها وبين أختها لتتقمص الدور بدقة، كما حاولت بقر المستطاع تغيير شكلها لكي لا تبدو أشبه بكريمة، بالطبع أفاد الأولاد أن تكون لهم شهادات دراسية، ليقدّموا في المدارس والجامعات، إلا أنهم لم يستطيعوا تفسير، كيف أن شهاداتهم الدراسية مصرية وقد نشأوا خارج مصر، لكن طالما

(الرد: مرد)

أن الشهادات سليمة، والأبناء تلقوا اختبارات تؤهلهم للقبول بتلك المدارس والجامعات، وطالما أن مصروفاتهم جاهزة، لا بأس إذن.

ولم ينسوا تفقد وسائل التواصل الاجتماعي، للبحث عن تلك الأسرة التي تشبههم في الحقيقة، لكنهم لم يكونوا نشطين منذ فترة طويلة، لذلك لا يوجد أي قلق من تلك النقطة، وبالطبع لم ينس أحد منهم يوسف، حيث كانوا يترقبون عودته في كل لحظة، سنوات ثقال مرت على الجميع، اضطروا فيها للتظاهر أمام الجميع بأنهم شخصيات تختلف تماما عن شخصياتهم، فعاشوا حياة تختلف تماما عن حياتهم، حياة غريبة تشوبها الكآبة والانطواء، على عكس طبيعتهم، بدأوا بالابتعاد عن التواصل مع الجيران، وعن دعوة الأقارب لكي لا يفسدوا الأمر بزلة لسان، شيئا فشيئا بدأ الجيران يتحدثون ويتساءلون عما أصاب تلك الأسرة، وتصوروا أن تلك الأشباح التي ملأت حياتهم قبل سفرهم هي السبب في اختلال عقولهم بعد عودتهم، لذلك صاروا يطلقون عليهم غرباء الأطوار، وصار منزلهم منزل غرباء الأطوار، في الواقع كانت فترة عصيبة من حياتهم، لكنها وكما يمر كل مر في الحياة، مرت..

وها هم يعودون لواقعهم من جديد بعد أن صارت نفوسهم هشة قابلة للكسر، بالطبع لن يتحملوا صدمة أخرى.... وهنا كان عبد الكريم قد انتهى من روايته، كما انتهى الجميع من طعام الغداء أيضا، وها هما وفاء وسعدية يتعاركان مع الفتاتين مريم وأمنية في مودة، عراك ما بعد الغداء الذي تشهده النساء والفتيات حين يكن ضيوفا عند الأقارب أو المعارف، ماذا؟ لا تعرفونه، إنه عراك توصيل الأطباق الفارغة إلى المطبخ بعد الانتهاء من طعام الغداء والذي يليه عراك (من سيغسل الأطباق) والذي يشتمل على كلمات مثل: والله لن يغسلها سواي، والله ستجلسين في مكانك معززة وساقوم أنا بغسلها، كثير من الأيمان التي تتطاير هنا وهناك، يبدو أن هناك عددا لا بأس به من الأيام التي ستصام تعويضا لتلك الأيمان، وفي النهاية تريح وفاء وتجعل ضيفتها تخرجان من المطبخ، تقليد مصري عجيب لكنه حميم، على الأغلب لا أشعر بجمال الاستضافة بدون ذلك التقليد.

الراوي: مرد

أجمل ما في الأمر أن المنزل اليوم كان يضج بالحياة لأول مرة منذ فترة طويلة، بعد أن روى عبد الكريم روايته، كان لدى كل منهم أفكار حول ما حدث، إلا أنهم جميعاً قرروا نفض تلك الأفكار، لكي يستمتعوا بجمال اللحظة، لحظة لم الشمل، فلنتركهم الآن يتحدثون في شتى موضوعات الحياة، وها هم الضيوف يقررون الرحيل على أمل اللقاء، لكن لماذا تشعر مريم بالقلق هكذا، وتراودها تلك الفكرة الغريبة، ماذا لو اختفت الأسرة مرة أخرى وذابت من جديد في ذلك الواقع الزائف؟

(لم الشمل) يرويها يوسف

كان الأسبوع التالي لعودة أهلي أسبوعاً رائعاً، في ذلك الأسبوع أخذت إجازة من عملي، فقد أردت أن أشبع روحي من وجودهم، إن التجمعات العائلية نعمة كبيرة تستحق الحمد ليل نهار، طيلة الأسبوع كان هناك نوعاً من التدليل المتبادل بيني وبينهم، أدلهم ويدللوني، جدتي تقررصني من وجنتي وتقبل رأسي كلما رأتني، والدتي تحتضنني وتقبل رأسي كلما جلست بجوارها، عمتي التي تمسك وجنتي بكلتا يديها وتخبرني كم افتقدتني، حتى والدي صار يتحدث معي أنا وجدي بالساعات دون كلل أو ملل، صرنا نقضي جل وقتنا بصحبة بعضنا البعض، وأختي وأبناء عمومتي لم يكفوا عن إخباري بكل ما فعلوا في ذلك الوقت من مغامرات، حتى عمي سعيد، اختلف تماماً هو وزوجته، صار عمي هينا لينا حيث ظل يتحدث معنا على طاولة الطعام، وزوجته سألتني عن أحوالي، وكيف عشت وحدي من دونهم، أعتقد أنها صارت أكثر رقة واهتماماً.

كان أصدقائي بالعمل يطمنون عليّ أنا وعائلتي بشكل يومي، من خلال مكالمات يومية مطولة، أكثر الله خيرهم، إلا أن بعد مرور خمس أيام بالضبط بدأت أشعر بأمور عجيبة، غير محسوسة لكنني لاحظتها، لماذا حين أجلس مع والدي وجدي في غرفة المكتب أشعر لوهلة وكأن السماء ذات الشمس المشرقة تتحول إلى غيوم مكفهرة، ثم تشرق من جديد؟ فجأة، ولماذا أرى والدي في الحديقة بينما أراه جالسا بجواري؟ لم أشأ بالطبع أن أدخل القلق لنفوسهم وهم يشعرون بتلك السعادة، لكن يبدو أن القلق قد بدا على محياي، فبدأت والدتي تتسأل:

"ماذا هنالك يا بني؟"

"لا شيء يا أمي الحبيبة، يبدو أنني أخشى من فقدانكم من جديد.."

قالت والدتي وهي تسحبني لأستكين بحضنها وهي تلف خصل شعري القصير حول أصابعها:

(الرفق: يوسف)

"لا تخش شيئا يا ولدي، كل شيء انتهى بفضل الله."

شعرت بالإطمئنان لحظات لكني خشيت لوهلة أن أصبح مثل أبي وجدي، وأكتم أمرا قد يؤدي لحادث جلل، فقلت لها:

" لكنني أرى ما جعلني أعتقد أن الوضع المريب لم ينته بعد."

رفعت رأسي لترى وجهي بوضوح وهي تقول:

"هل أنت متأكد يا بني؟"

" رأيت تغيرات تحدث في الحقيقة ما يقرب من ثلاث مرات."

فقالت أُمي الحبيبة، وقد بدأ قلقي ينتقل لنفسها:

"يجب أن تخبر والدك وجدك يا حبيبي."

ثم قبلت رأسي وتركتني غارقا في أفكاري، لا يجب أن يخرج أحدا من المنزل ويترك الآخر حتى نعلم ما نحن بصده، بالفعل أخبرت والدي وجدي، ولما كان الأسبوع قد أوشك على الانتهاء، قررت التواصل مع أصدقائي من خلال اجتماع إلكتروني يجمع بيننا، لأخبرهم بمخاوفي، فاتفقنا على اللقاء في اليوم التالي.

وها هو الصباح الباكر ليوم السبت، وفي ذات اللحظة التي يصل فيها أدهم بسيارته ومعه مريم، يصل علاء ومعه أمنية، كالمعتاد الفتيات ذوات اللمسات اللائقة، تخرج مريم من السيارة فتتطلق في تهذيب نحوي لتلقي علي التحية، ثم تتوجه نحو والدتي وتناولها تلك العلبة الأنيقة من ذلك المتجر الشهير – أي متجر هذا الذي يفتح أبوابه في الصباح الباكر ليوم الإجازة؟ ربما اشترتها بالأمس تحسبا لعدم موافقة أدهم على المرور للشراء كالمعتاد – يبدو أن العلبة بداخلها كيك أو حلوى أنيقة مثلها، أقصد حلوى أنيقة مثل الكيك بالطبع ليست مثل مريم.

وها هي أمنية تترجل من السيارة لتتجه نحو أُمي مباشرة دون المرور علي لتناولها تلك الباقة الرقيقة من الزهور، بينما يترجل كل من أدهم وعلاء ويتجها نحوي ليضربني علاء برفق في كتفي وهو يقول:

"افتقدناك كثيرا يا يوسف."

فقال أدهم مازحاً:

" على الإطلاق، لم نفتقدك تماماً."

ثم صافحني بقوة وهو يقول:

"لا تغب مرة أخرى فالمكتب بدونك مظلم."

صحبت رفاقي وتوجهنا نحو الجزء الخلفي من الحديقة وتبعنا أفراد أسرتي وأسرة عمتي وجدي وجدتي، بينما ظل عمي في الفيلا مع أسرته، ما أجمل الجلسات الأسرية في يوم مشمس مثل هذا، شروق الشمس في بداية اليوم الصحو يمح من قلبي أي شعور بالهم أو الخوف، وخاصة أنني أشعر بأن أشعة الشمس تتغلغل داخل روحي فتغمرها بالضياء، فتتساءل نفسي ما الخطر الذي قد يحدث في يوم مشرق مثل هذا؟

اتخذ كل منا مقعداً، واستمتعنا بالسلام النفسي الذي تولد بداخلنا من دفء أشعة الشمس الممتزج بالدفء الذي خلفه تأثير المشروب الساخن، وكل منا يمسك بكوبه الخزفي، ليستمد منه مزيداً من الدفء، تحدثنا في شتى موضوعات الحياة، تمنيت فجأة أن أوقف الزمن لأستمتع بتلك اللحظة بقدر المستطاع، أثناء حديثنا الممتع أخرجت هاتفي الذكي، وفتحت تطبيق الكاميرا والتقطت عدة صور لنا جميعاً، تلك الذكريات هي كل ما يتبقى لنا في النهاية.

كنت أتمنى ألا نتطرق لموضوع الكهف الآن فأنا أريد أن أستمتع بذلك الجو الأسرى الذي طالما افتقدته، إلا أن جدي قرر أن يضع حداً لدرستنا قائلاً بصوته الهادئ ذو البحة المحببة التي نسمعها بوضوح في أصوات أجدادنا، وهو يقول:

"صحيح يا أدهم يا بني، هل أخبرك يوسف بما رأى؟"

فقال أدهم مجيباً في تهذيب:

"نعم يا جدي أخبرنا، لذلك قررنا قضاء العطلة هنا اليوم، ونقدم يد المساعدة إن احتجتمونا."

الزوجة: يوسف

فقالت جدتي في طيبة شديدة:

"أكثر الله خيرك يا ولدي، وبارك فيكم جميعا يا أحبائي."

جدتي تلك هي رمز للطيبة والحنان، بعيونها الزرقاء التي تميل للرمادي وملامحها الحنون التي نحتها وشكلها الزمن، كل تجعيدة في وجهها تعبر عن حدث مر بها أو بأبنائها أو بأحفادها، كم تحب أن تدلني وهي تقول لي، صغيري يا أول فرحتي، حينها يقول أبي بمكر مصطنع، وأنا يا أمي ألم أكن أول فرحتك، فنقول له بحنان جم، بالطبع يا أسعد لكن أعز من الولد، ولد الولد، لا تلموني يا سادة فأنا أعشق جدتي، وأعشق تراب الأرض الذي تسير فوقه.

أمسكت هاتفني من جديد وأنا أقول لها:

"ابتسمي يا جدتي."

فتبتسم أجمل ابتسامة قد تراها عينيك ثم كليك، وتظهر أجمل صورة لأروع جدة، وها هي والدتي تتسائل بلهفة:

"ماذا ستفعلون يا أحبائي؟"

فأجابها والذي بشيء من القلق:

"سيقوم يوسف وأدهم وعلاء بزيارة الكهف من جديد كمحاولة للوصول إلى سبب ما يحدث."

فقال جدي بشيء من الإحباط الممتزج بالندم:

"لقد فكرت مرارا أن أفعل ذلك، لكنني لم أمتلك الجرأة، وفقكم الله يا أبنائي.."

قالت عمتي:

"ولكن ماذا إن نزعتم الصخور، وانتقل المنزل من جديد؟"

فقال زوجها مطمئنا:

"لا تقلقي يا عزيزتي، سنبقى في الحديقة لحين عودتهم.."

بينما قالت مريم:

"هل يمكنكم أن تصحبوني معكم تلك المرة؟"

هزرت رأسي بالإيجاب موافقا على اصطحابها، فقال أدهم هامسا في أذني:

"أعتقد أنه من الأفضل أن نترك الفتيات هنا."

هزرت رأسي نفيا وقلت مقترحا:

"ما رأيكم أن يظل علاء هنا مع أمنية والأسرة، وتصحبنا مريم إلى الكهف."

هنا تحمست مريم وصفقت بشكل طفولي تلقائي، لم أدر لماذا أحببته، على الرغم من عدم ملاءمته للموقف، بينما بدا لي أن أدهم يخشى أن يصيب أخته مكروه، لذا أراد أن تكون رحلتنا الاستكشافية للشباب فقط، إلا أنه في النهاية وافق على مضض، ويبدو أن هذا الرأي كان مناسبا لعلاء، فقد وافق على الفور، لا ألومه بالمناسبة، فنحن لا نعلم ما نواجهه في الواقع.

اطمأننا على تواجد الجميع في الحديقة، وتوجهنا نحو سيارة أدهم لتبدأ الرحلة...

(داخل الكهف) ترويهها مريم

بدا لي الكهف وكأنه عملاق جاف في الصحراء، يرقد مستمتعا بأشعة الشمس في تكاسل، في انتظار ما يكسر ملله، حول الكهف مجموعة متفرقة من الشجيرات، التي لست أدري كيف نمت واستقرت في مكانها هذا بلا رعاية، إلا أنني لاحظت تلك الشجرة مميزة الشكل التي ذكرها الجد في مذكراته، والتي تكررت في المنطقة كلها، وحاولت تذكر أين رأيته من قبل، **فقلت لهم:**

"لقد رأيت تلك الشجرة في مكان ما من قبل؟"

هز يوسف كتفيه بطريقة قد تدل على أنه لم يرها من قبل أو أنه لم يهتم حين رآها،

بينما قال أدهم:

"أعتقد أنني رأيته خلفية لهاتفك من قبل يا مريم."

ساعدتني كلمات أدهم على التذكر، **فقلت لهما:**

"نعم تذكرت، كنت أقوم بتحميل عدد من خلفيات الشاشة لمناظر طبيعية لهاتفي الجوال، فعثرت على عدد من الصور لتلك الشجرة، وحين بحثت عن أصلها، فوجئت أنها شجرة أسطورية لا تنمو سوى في اليمن، ويطلق عليها البعض شجرة دم التنين أو دم الأخوين، لأنه يقال والله أعلم أنها نمت حين ارتوت الأرض بدماء هابيل، حين قتله قابيل في تلك البقعة في اليمن."

نظر لي كل من يوسف وأدهم بدهشة مطلقة، **ثم قال يوسف:**

"أمر غريب، تبدو لي أقرب لأسطورة."

فقال أدهم:

"أحيانا قد تكون للأساطير علاقة بأمور حدثت بالواقع."

ستحدث مناقشة ها هنا بين الواقع والخيال حتما، لا وقت لهذا بالطبع، فابتسمت **قائلة:**

(الرد): مريح

" بالطبع تلك المناقشة ستثمر عن آراء بناءة، ولكن دعونا ندخل الكهف الآن أولاً، ثم نناقش هتلك الأمور في وقت لاحق."

قمنا بإزالة الصخور سريعاً، ثم بدأنا نتفحص الكهف، فجأة شعرت بكيان يراقبني، تلفتت حولي فلم أجد شيئاً، فعدت لتفحص الكهف من جديد، إلا أن في تلك المرة شعرت بأن ذلك الكيان، صار يناديني بصوت لم يتردد في أذني بل شعرت بالكلمات تستقر مباشرة في قلبي وعقلي، شعرت بصوت قوي يناديني ويحثني على التقدم، وكأن ذلك النداء كان يجذبني جذبا إلى داخل الكهف، وصرت كأني أعلم يقيناً بأن هناك ما ينتظرني أنا تحديداً، ويناديني لكي أتعلم بالكهف أكثر وأكثر، ذلك الشعور أصابني بشيء من الخوف، لكنني بالطبع لن أخبرهم بمخاوفي، فلربما أسمع كلمات من قبيل لقد قلنا منذ البداية لا نريد فتيات في تلك المهمة الاستكشافية، أو غيرها من الجمل العنصرية الذكورية التي كثيراً ما أسمعها من سائقي السيارات من حولي حين يقرضني أدهم سيارته لبضع ساعات.

سأحاول التغاضي عن هذا الشعور المريب إذن، وأركز في تلك الرموز والعلامات فوق جدران الكهف – نعم، هناك رموز وعلامات فوق جدران الكهف، لقد ظننت هذا واضحاً – وقع صوت ضربات قدمي تختلط مع ضربات قلبي في مزيج لا يلاحظه سواي، أتأمل النقوش على جدران الكهف، وأنا أحاول السيطرة على سرعة أنفاسي، فتحت هاتفي الجوال وأضأت الكشف لأقربه من تلك النقوش فوق الجدار، فانتبه أدهم حين اقتربت من الجدار وسألني قائلاً:

"ماذا هنالك يا مريم؟"

أجبت بهشود:

"لست أدري، تبدو لي كمجموعة من الحروف والعلامات التي ربما رسمت بهدف توصيل رسالة أو تسجيل معلومة."

(الرد): مرج

فقال يوسف وهو يخرج هاتفه ويضيء كشافه أيضا وهو يحاول التركيز في ماهية الخطوط والعلامات:

"أو أن هناك من قام بخط تلك الخطوط ليتعرف على طريق العودة."

حاولنا الاقتراب أكثر وأكثر من الجدار لنتبين الأمر، فتبدت لنا مجموعة أسهم متجهة نحو داخل الكهف تحيط بها دوائر وكتابات عثمانية غير منقوطة بخط كوفي منمق، وكتابات أخرى بالإنجليزية، تم كتابتها بالطبشور على الجدار، فسألتها بدهشة:

"هل نحاول أن نقرأ المكتوب؟"

قال يوسف:

"لا، الوقت سيضيع، الأفضل أن نتبع تلك الأسهم بينما نصور الجدارين بتقنية الفيديو أثناء سيرنا، وحين نعود للمنزل يمكننا مشاهدة الفيديوها وتحليل تلك الكتابات، سأقوم بتصوير جهة اليمين بينما أنت يا أدهم ستصور جهة اليسار، وأستأذك يا مريم أن تضيئي لنا الطريق بكشاف هاتفك.."

هزئت رأسي إيجابا، ثم توجهنا سويا لأعماق الكهف، بدأنا نتعمق بداخل الكهف، بدا لي أن أرض الكهف تنحدر لأسفل انحدارا تدريجيا غير ملحوظ، واصلنا السير لعشر دقائق، عندها بدأ الهواء يقل واختفى ضوء الشمس تماما، ترى هل تبدو مساحة الجبل من الخارج بقدر ذلك العمق الذي مشيناه يا ترى؟ في وسط تساؤلاتي، فجأة سمعت صوت قوي لررفة طائر من فوق، ففزعت ونظرت لأعلى، فلم أجد أي شيء، ثم من جديد شعرت بمن يناديني ويأمرني أن أستمع في السير، ثم فجأة أظلم العالم من حولي تماما، حاولت أن أنادي أدهم أو يوسف فلم أجدهم من حولي، فحاولت أن أصرخ، لكن الصراخ انكتم في حلقي، ولم أستطع التفوه بكلمة، ثم أضيء الكهف وكأنما أشرقت ألف شمس،

^{١٠} الخط الكوفي: هو أقدم الخطوط، نسبة إلى مدينة الكوفة، وقد كتبت به أول نسخ القرآن، وأثبت الخط الكوفي أن الخط العربي هو أفضل خطوط العالم زخرفة.

(الردى: مريم)

ولمحت بجواري ظلال لطائر ضخم تبدت على أرض الكهف، فنظرت لأعلى فلم أر سوى الضوء الساطع، فتابعته المسير لأجد أن ممر الكهف يتفرع إلى خمس ممرات أضيق، وفجأة وبدون مقدمات تجسد الممر الأوسط في هيئة وجه بشري يصرخ دون صوت، وكأنه يناديني بقوة لأكمل طريقي بداخله، هل هذا كابوس، أم ماذا؟ أغمضت عيني ثم هزرت رأسي بقوة لعلني أتخلص من تلك الأوهام، فابتلعتني ذلك الوجه، لأجد نفسي واقفة أمام أشعة ضوئية ملونة متداخلة، تصدر من باطن الأرض وتندفع لأعلى لتبدو وكأنها ستارا يفصلنا عن نهاية الممر، هنا أجهشت بالبكاء في انهيار، فاختفت فجأة تلك الأوهام من حولي، وظهر يوسف وأدهم بجواري من جديد، فارتميت بحضن أدهم وأنا لا أزال أجهش بالبكاء، ففزعا لانهياري المفاجئ، وشرعا يتساءلان إن كنت بخير، يبدو أنها ألأعيب الظلام يا سادة، هل أخبرهما، أم أحتفظ بتخيلائي لنفسي، أخبرتهما بما رأيت، لكي أدرا عن عقلي أي تفكير سلبي، فتجهما لحظات، ثم قال أدهم بحنان ممتزج بالقلق:

"هل تريدين أن أوصلك للفيلا وأعود من جديد لنتابع أنا ويوسف الطريق لنهاية الكهف؟"

هزرت رأسي بالرفض، فقال يوسف في محاولة منه أن يطمئنني:

"لا تقلقي يا مريم، أنت في حمايتنا الآن، وإن شعرنا بالخطر سنعود للمنزل فوراً، بالمناسبة، أنا أيضا قد أتخيل في الظلام أشياء غير موجودة بالفعل."

ثم بدا على صوته الأسى وهو يقول:

"الوضع صعب أعلم هذا، وأشكركما يا رفاق جزيل الشكر على مرافقتي لهذا المكان، والذي لولاكما ما كنت غامرت بدخوله، ولم أكن قد التقيت أهلي من جديد."

بدأ لي أنه مثقل بالأفكار ويشعر بالذنب الشديد لاصطحابنا، الأهم أنني شعرت من كلماته أنه يخشى أن يتسبب لنا بمكروه، لكنه ممتن تماما لخوضنا التجربة معه، هنا قررت أن أعود بأفكاري للخلف بضع خطوات، وأرى الأمر

(الردى: مريح)

من الخارج، ليس لدي تفسير حالي لما رأيت بالطبع، ولكني متأكدة تماما من أنه لم يكن وهما على الإطلاق، إلا أن الوقت لم يبد لي مناسبا لكي أخبرهما بما يتقل كاهليهما أكثر وأكثر، فقررت أن أوثر الصمت، فربت أدهم على كتفي ليستحثني على السير، بينما غمغمت أنا ببضع كلمات ردا على يوسف، ربما دلت على أنني أقول له لا شكر على واجب، أو لا تقل هذا، دعنا نكمل المسير، لست أدري بالضبط لأن كلماتي خرجت مبعثرة غير مرتبة، بسبب ارتباك أفكاري، استكملنا طريقنا مسيرة خمس دقائق أخرى، ثم توقفنا من جديد لنرى ما صدمنا، تفرع الطريق فجأة لخمس تفرعات، تماما كما رأيت منذ دقائق، الاختلاف الوحيد أن الممر الذي في المنتصف لم يتحول إلى ما يشبه الوجه البشري لينادييني، ولكن على الرغم من ذلك سمعت نداءه الخفي، فقلت بهلع وأنا أكاد أبكي:

"ألم أخبركما؟ إنه يناديني."

وقتها لم تحملني قدماي، فجثوت على ركبتي وأنا أشعر باضطراب شديد، فجلس أدهم أمامي، ونظر إليّ - بالتأكيد لم أر نظراته بسبب الظلام، ولكني شعرت بها - وهو يمسك بكتفي.

ثم قال:

"أرى أن ما يحدث ليس نذيرا بالخطر، وإنما يدل على أننا قد أصبنا حين صحبتناك معنا، فالآن نحن نعلم يقينا أن الممر الأوسط هو المنشود وربما بالفعل نجد في ذلك الممر تلك الإضاءات الملونة التي سبق ورأيتها."

شعرت بيوسف يفحص الممرات وهو لا يزال ممسكا بهاتفه ليضيء الجدران، ثم قال:

"معك حق يا أدهم كلامك سليم، جميع الممرات بها أسهم على الجدار الأيمن، وعلامة (x) على الجدار الأيسر، بينما الجدار الأوسط يختلف تماما، هناك أسهم على الجدار الأيمن بينما الجدار الأيسر به مجموعة من الكتابات

(الرؤيا: مريم)

والرموز، مما يعني أن من ترك العلامات أراد أن يميزه، ذلك بالتبعية يؤكد الرؤيا التي رأتها مريم.

ثم عقب مازحاً:

" يبدو أنك العضو الوحيد في هذا الفريق الذي لديه شعور استباقي، أما نحن أنا وأدهم فأبعد ما نكون عن هذا الشعور، هيا يا مريم، فلنستكمل طريقنا."

قام أدهم ومد لي يده لأستطيع النهوض، وانطلقنا في طريقنا من جديد، غريب هذا لماذا أشعر فجأة وكأن الكهف يضاء شيئاً فشيئاً، وكأن هناك ضوء ينتظرنا في نهاية الطريق، حتى أن طريقنا صار واضحاً من دون كشافات، والكتابات على الجدران تصير أوضح كلما تعمقنا إلى داخل الممر، بعد دقائق قليلة علمنا السبب، وذلك حين توقفنا فجأة عند ذلك المشهد المهيّب، لنرى مجموعة من الشقوق في أرضية الكهف، تخرج منها أشعة قوية ذات إضاءات ملونة مختلطة وكأن هناك شمساً قوية تشرق من أسفل الكهف، تضيء بجميع الألوان، إلا أن اللونين الأخضر والأزرق كانا هما الغالبين.

أحسست برجفة تسري بعمودي الفقري، فأصابنتي بالقشعريرة، تلك الشمس هي التي رأيته منذ قليل، وهي أيضاً التي تناديني الآن لكي أقتحمها، قال يوسف وهو بالتأكيد يعلم الإجابة مسبقاً:

"هل تلك هي الإضاءة التي رأيته منذ قليل."

هزرت رأسي إيجاباً، فقال أدهم فجأة ليوسف دون أن يبدو عليه أنه سمع ما قال:

" يبدو أن تلك الطاقة النابعة من باطن الأرض هي المتحكم الرئيس في الأحداث العجيبة التي تحدث في منزلكم يا يوسف."

أغلقت كشاف هاتفي لأول مرة منذ بداية تلك المهمة، وفتحت تطبيق الكاميرا لأصور فيديو لشكل الشمس الملونة، أتمنى أن أنجح في تصويرها، ولا أجد في موضع تلك الشمس بقعا بيضاء محروقة كما نرى حينما نصور الشمس، لا تزال تلك الشمس الملونة تناديني، تريدني أن أقتحمها اقتحاماً، وبينما أنا

(الرد): مريم

منشغلة في التصوير، أحاول مقاومة أفكارى بالتقدم للأمام أكثر، أشار يوسف إلى موضع ما على الأرض قائلا:

"انظرا ها هنا، يوجد صندوق خشبي ضخم."

توجهنا جميعا نحو الصندوق لتبين ما بداخله، لنجده مغلق بالقفل، فقال يوسف:

"يمكننا أن نسحبه معنا للخارج لأن الوقت قد تأخر وشحن هواتفنا المحمولة يحتضر، لن نستطيع تبين طريق العودة."

فأضاف أدهم:

"معك حق، هيا لنأخذ الصندوق ونخرج."

"ماذا تفعلين يا مريم؟ هيا لتضيئي لنا الطريق."

أضأت لهما الطريق ونحن نبتعد عن الشمس، حتى وصلنا لمدخل الكهف، وغمرنا ضوء الشمس بأشعته الحنون، فأعدنا الصخور لموقعها في مدخل الكهف من جديد، ثم عدنا إلى المنزل بصحبة الصندوق في حقيبة السيارة.

(مفاجأة) يرويه يوسف

حين عدنا للمنزل، كانوا جميعا في انتظارنا بالحديقة يشعرون بالقلق، إلا أنهم أشرقوا حين وصلنا، واستقبلونا بالترحاب، وأخبرنا جدي أن الطعام الذي قاموا بطلبه من المطعم المجاور جاهز بانتظارنا في الفناء الخلفي للحديقة، فالتفتنا جميعا حول مائدة الطعام، لتناول الغداء الذي كان رائعا وشهيا بالفعل، حاولنا طيلة فترة الغداء ألا نتحدث عن أي شيء يخص الكهف تماما، حتى أنني شعرت بسعادة لم أشعر بها منذ سنوات، كانت مريم تسترق النظرات لتتظر إلي طيلة فترة الغداء، لكنني تظاهرت بأني لم ألاحظ هذا، إلا أنه في إحدى المرات تلاقت عينانا، فلم أخفض بصري، فارتبكت وتظاهرت بتقطيع قطعة من اللحم في طبقها، ثم توجه نظري نحو أُمي بدون قصد، لأجد أنها تختلس النظرات بيني وبين مريم وعلى وجهها ابتسامة أظن بأنني علمت مغزاها، لا تطمحي كثيرا يا أُمي، لا أفكر في تلك الأمور الآن، أم أنني أفكر؟ لست أدري، كل ما أعلمه أنني منذ عثرت على أسرتي من جديد وأنا أشعر بشعورين مختلفين، الأول هو الامتتان الشديد لأدهم ومريم وذلك لكونهما السبب في شعوري بالأمان للمرة الأولى منذ أمد بعيد، حين ساعدوني في عودة أسرتي، والثاني هو أن بداخلي صوت يسألني، ألا ترى أن مريم هي الفتاة المناسبة لك؟ فهي فتاة جميلة مهذبة وعلى خلق، لماذا لا تفكر إذن في الاستقرار وتكوين أسرة؟ ولأول مرة منذ زمن بعيد، يستجيب قلبي لذلك الصوت...

(الرد): بومس

بعد الغداء قرر علاء وأمنية الرحيل لأنهما كانا على موعد مع عائلتهما، بينما كان والدي وجدي وأدهم ومريم يتحدثون في شتى الموضوعات في غرفة المكتب، حتى أنتهي من إفراغ الصور والفيديوهات التي كانت على هاتفي وهاتف أدهم على إحدى وحدات التخزين المصغرة flash memory، بعدها قمت بتوصيلها بالشاشة المعلقة في غرفة المكتب، ثم التفتنا جميعا حول الصندوق الذي قمنا بوضعه فوق المكتب.

قمنا أولا بتشغيل شاشة التلفاز لمشاهدة ما صورناه بالفعل، ها هو الكهف يظهر أمامنا، تحتوي فيديوهات الجهة اليمنى على مجموعة من الأسهم التي تشير إلى داخل الكهف، أسفل تلك الأسهم مجموعة من الكلمات المكتوبة باللغة العربية داخل أشكال هندسية بشكل غير مفهوم، بينما تحتوي فيديوهات الجهة اليسرى على مجموعة من الرموز عبارة عن رسوم لم أفهم معناها مزيج من الدوائر، والمربعات، والمستطيلات، والمثلثات.

شاهدنا الفيديوهات لنهايتها وحين وصلنا للجزء الذي قامت مريم بتصويره، لاحظنا وجود أشكالا عجيبة تشبه إلى حد كبير الأشكال الهندسية التي رأيناها مرسومة على جدران الكهف، وتتطاير مع الأضواء القادمة من باطن الأرض، وكأن الأرض تقذف مجموعة من الكتل التي تتطاير أمامنا، الغريب أننا لم نر تلك الأشكال المتطايرة بأعيننا حينما كنا هناك، وكان عدسة الكاميرا استطاعت أن تلتقطها بينما لم تستطع أعيننا، إلا أن أغرب ما في الأمر هو صوت رفرفة الطائر الذي بدأ تقريبا من منتصف الفيديو وحتى نهايته، قلت لهم بدهشة:

"هل تسمعون صوت رفرفة ذلك الطائر؟"

قالت مريم بلهفة:

"نعم، ذات الصوت الذي سمعته هناك، لماذا لم تسمعانه وقتها إذن؟"

هزرت رأسي يمينا ويسارا ببطء وأنا أقول:

"لست أدري.."

(الرد): بومس

خيم علينا الصمت لحظات مرت ثقال، بينما شعرت بقلق والدي وجدي، فقررت أن أشتت تفكير الجميع لشيء آخر، فتحدثت بحماس قائلاً:

" ترى ماذا قد نجد في هذا الصندوق؟"

نجحت في تشتيت أفكارهم، فأصابهم الفضول وحاولت فتح قفل الصندوق بيدي لكنني لم أستطع، فأحضرت مطرقة ودققت القفل حتى انفتح..

بدأت أنقب بداخل الصندوق، لكي أرى ما بداخله، هناك دفتر يشبه مجلد صغير قديم يقع بقاع الصندوق، بالإضافة إلى بعض الصخور بأشكال وأحجام مختلفة ومجموعة من الورق المقوى.. فتحت الدفتر، وقلبت أولى صفحاته العتيقة، إلا أن ما قرأت أذهلني، فقرأت ما كتب به بصوت عال:

"أبي العزيز الغالي.. أمي العزيزة الغالية..

جدي أسعد وجدي الأكبر عبد الكريم.. خالي أدهم..

أعلم بالطبع أنكم ستجلسون تلك الجلسة التي ستجمعكم معا في يوم ما، ذلك اليوم هو ماض بالنسبة إلي، لست أدري هل أخبركم بما حدث لي على أنه ماض وتم، أم أحدثكم عن مستقبلكم الذي ستلاقونه...

الموضوع عسير على الفهم، ربما لم يكن عسيرا على فهمنا، أنا وخالي أدهم وزوجته لأنني تعلمت منهما الكثير عن خوارق الطبيعة والأحداث غير المألوفة.

نسيت أن أعرّفكم على نفسي... مروان يوسف أسعد عبد الكريم، أشتهر بين أصدقائي ومعارفي بمروان عبد الكريم، أبي يوسف وأمي مريم.. الآن أستطيع تخيل الذهول في عيونكم جميعا، ولكن هذا ما حدث، أو سيحدث..."

هنا توقفت عن القراءة وأنا أقطب حاجبي وأتبادل مع جميع من بالغرفة نظرات صامتة.. كيف حدث هذا أو كيف سيحدث، وكيف يمكن أن تصلنا رسالة من المستقبل بهذا الشكل؟ أم أن هناك خدعة ما لا نعلم عنها شيئا.. أنقذني جدي من أفكاري وقال لي:

" أكمل يا بني."

^{١١} هذا هو مروان إنن.

أكملت القراءة قائلاً:

" ألمح في عيونكم تساؤلاً عن كيفية وقوع ذلك الصندوق بأيديكم وأنا لم أولد بعد، أليس كذلك؟ سأخبركم بكل ما حدث من البداية، لم يكن الكهف هو السبب الرئيس في حدوث كافة الظواهر الغريبة التي مررنا بها، بل حدثت بسبب رغبة أحدهم في الخلود وتغيير ماضيه ومستقبله بشكل شخصي فحدث ذلك الاختلال على المدى البعيد، وذلك على الرغم من علمه بخطورة تغيير ماضيه، لأهدافه الشخصية، دعوني أخبركم إذن بما حدث منذ البداية.

كما أخبرتكم للتو، على الرغم من أن اليوم هو حاضرکم، إلا أنه بالنسبة لي هو ماضٍ مر وانتهى، لكنكم رويتم لي ما حدث لكم - أو سيحدث - مراراً، لذلك سأخبركم بما أخبرتموني به بكل دقة.

في ذلك اليوم الذي قرر فيه والدي يوسف بصحبة والدتي مريم وخالي أدهم زيارة الكهف، قاموا بتصوير الرموز والنقوش، كما قاموا بتصوير جميع الكلمات المكتوبة حتى وإن كانت غير مفهومة، كان لديهم أمل في العثور على طرف خيط يستطيع أن يشرح لهم ما تعسر عليهم فهمه، وبالطبع أعزائي لم تعثروا على ذلك الصندوق في ماضي الخاص، بل فقط عثرت على النقوش والكلمات والأهم الشموس الأرضية الملونة كما أطلقت عليها أمي مريم.. "

قاطعتني مريم قائلة بتوتر:

" لا أستسيغ هذا الأمر، لماذا لا يكون هذا مقلباً؟"

أجبتها مُهدئاً - فلربما كانت تلك هي زوجتي المستقبلية بالفعل:

" وأنا أيضاً لا أتقبله تماماً، ولكن دعينا نفهم الأمر أولاً يا مريم ثم نرى أن كان حقيقة أم أن أحدهم يدبر لنا مقلباً.. "

هدأت بالفعل بعد كلماتي، يبدو أنني سأكون من الرجال الذين يسايرون أمورهم مع زوجاتهم، ولطالما استهنت بهذا الأمر، ولكن من الواضح أنني أطبقه الآن بكل احترافية، يبدو أنها موهبة لدي لم أكن أعلم بوجودها من قبل.

(إلى الخلف أم إلى الأمام..) يرويها مروان

في ذلك اليوم عاد الأصدقاء الثلاثة، يوسف ومريم وأدهم، من الكهف منهكين، وبعد تناول الغداء كان هناك ذلك الاجتماع الذي جمعهم بأسعد ووالده عبد الكريم في غرفة المكتب، حيث قاموا جميعا بمشاهدة الفيديوها مرارا، في محاولة منهم لفك الشفرات والرموز إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، وها هو الحوار الذي حدث أو كاد أن يحدث الآن بينكم، سأكتفي بالأسماء فقط مع حفظ ألقاب الجميع...

هرش عبد الكريم الجزء الخالي من الشعر في مقدمة رأسه قائلا:

"بشكل ما أثرت تلك الأشعة الضوئية على منزلنا، والله وحده أعلم إن كانت قد أثرت على منازل أخرى أم لا، فما رأيكم أن نقوم بغلق مدخل الكهف تماما، بالخرسانة المسلحة مثلا؛ لكي ينقطع تأثير تلك الأشعة الضوئية تماما؟"

أجابه أدهم مفكرا:

"لست أدري يا جدي، إن كان سد مدخل الكهف بالخرسانة سيمنع عنا التأثير بشكل دائم أم لا، فذلك المؤثر بداخل الكهف أقوى منا جميعا، وطالما لم تستطع بضعة صخور إيقافه الآن، فقد لا تستطيع الخرسانة المسلحة أن توقف عمله إن اشتد تأثيره من جديد."

صمت عبد الكريم برهة وهو يهز رأسه بعدم اقتناع، ثم توجه نحو ابنه أسعد قائلا:

"ما رأيك يا أسعد؟"

مط أسعد شفته السفلى قائلا في حيرة:

"لست أدري يا والدي، ما زلت أشعر برهبة من الأمر بأكمله، ربما يكون الحل في سد المدخل تماما وربما لا، لن نعلم حتى نجرب."

"تَك تَك تَك."

(الرؤى: مرد)

انتشلتهم من أفكارهم صوت طرقات رقيقة على الباب، تبعها دخول ريم وهي تحمل صينية فوقها أكواب العصير الطازج الأنيقة، قدمتها للجميع، وهمت بالخروج من الغرفة من جديد، إلا أن جدها عبد الكريم استوقفها قائلاً:

" اجلسي بجواري يا ريم، نحن نتناقش في أمر سد مدخل الكهف بجدران خرسانية، ما رأيك؟"

جلست ريم بجوار جدها، بينما تنحنت قائلة بشيء من عدم الثقة:

"لست أدري يا جدي، أعتقد أن الحلول الوسطى لن تجدي، نريد حلاً قاطعاً."

اعتدل عبد الكريم في جلسته ووجه نظراته تجاه مريم، التي ترددت للحظات،

فاستحثها عبد الكريم قائلاً:

" تفضلي يا مريم."

فقالت بذات التردد، وهي تتذكر ما حدث لها في الكهف، وتخشى وقوعه من

جديد:

" أعتقد أنني أنفق مع رأيك يا جدي في سد المدخل تماماً، فالأمر يبدو أقوى منا جميعاً."

نظر لها يوسف بشيء من الإحباط، ثم حك ذقنه بسبابته مفكراً لحظات، ثم قال:

"نعود لرأي الأغلبية من جديد، من يريد سد المدخل فليرفع يده."

رفع عبد الكريم يده بثقة، ثم تبعه أسعد ومريم بتردد، بينما تبادلت ريم مع

يوسف وأدهم النظرات الحائرة، فقال يوسف بعد لحظات من الصمت:

"إن كان هذا هو قراركم، سنذهب غداً لنحضر بعض العمال لسد مدخل الكهف."

وهذا ما حدث بالفعل، تم غلق مدخل الكهف تماماً، فهدأت الأحداث الخارقة تماماً، وعاشت عائلة عبد الكريم في تلك الفترة حياة مستقرة بهيجة للغاية، مما أعطى فرصة لتغييرات اجتماعية جوهرية تحدث تباعاً، حيث بدأ يوسف يشعر بانجذاب لمريم بشكل لوحظ من الجميع، إلا أنه ظل رافضاً لفكرة

الرد: مرون

الارتباط بسبب تلك العقد النفسية التي تكونت لديه في تلك الفترة التي قضاهما وحيداً، وأهمها خوفه من الفقد، والوحدة، حتى بدأت والدته – التي لاحظت بالفعل الانجذاب المتبادل بين ابنها وبين زميلته في العمل – في دعوة أهل مريم في عطلات نهاية الأسبوع، وكأنها ترد الجميل لمريم وأدهم، وكانت تلك بداية لتبادل الزيارات بين الأسرتين، ومع تكرار الزيارات المتبادلة، بدأ يوسف يفكر جدياً في مريم كزوجة، لماذا غير رأيه؟ في الواقع، يوسف لم يغير رأيه، لأنه – وكما علمت منه فيما بعد^{١٢} – منذ أن رآها للمرة الأولى، رأى فيها فتاة أحلامه، أعجبه شخصيتها وأخلاقها، وطموحها، وطباعها الهادئة، رأى فيها نصفه الآخر، إلا أنه كان دائماً ما يخدع قلبه وعقله، حين يقنعهما برفضه لفكرة الاقتران بفتاة ليغرقها بأحزانه، كان دائماً ما يخشى أن يكون الطرف السلبي في العلاقة، ودوماً كان يحلم بعلاقة إيجابية تربطه بشريكة حياته، فكان عقله اللا واعي يحاول تنفير من حوله منه، من خلال تلك الشخصية الساخرة التي كانت تتقمصه مع زملاء العمل، فمن جهة كان يرفض تدخل أحد في حياته؛ لأنه سبق وخذله خاله حين تخلى عنه، ومن جهة أخرى كان يفضل أن يرسم تلك الشخصية المرحمة التي لا تبالى، ذلك المرح المصطنع الممتزج بالسخرية المريرة، بالطبع لم تخدع هؤلاء الرفاق الذين يبدو أنهم أحبه بالفعل، وقرأوا شخصيته، وأرادوا أن تأتهم فرصة المساعدة، ذلك الرفض الداخلي ليوسف للارتباط دفعه لإنكار تلك المشاعر التي كان يكنها لمريم، فأحبها وأخفى حبه عنها، وقرأ حبها في عينيها ولم يصرح لها، ولكن بعد فترة، بدأت حياته تنتظم من جديد بعودة أهله، فقرر أن يستقر، وعلى الرغم من عدم حدوث أي أحداث غريبة منذ يوم غلق مدخل الكهف، إلا أن أدهم لم يهدأ بالاً، فقد كانت لديه مهمة واضحة رفض تركها، فظل يشاهد الفيديوها التي تم تصويرها في الكهف بشكل يومي، وكان ينكب على الأوراق بالساعات ليرسم رسوماً ونقوشاً تشبه التي رآها في الكهف، لكي يستطيع الوصول إلى تفسير يرضى عقله.

^{١٢} لا أزال مروان الذي يروي ها هنا

الزواج: مرد

وبعد بناء الجدار بحوالي عامين، تحديداً في عام ٢٠٢١ تزوج يوسف ومريم وقد كان يوماً حافلاً في حديقة فيلا عبد الكريم، أضاءوا الأنوار وعلقوا البالونات، وكان العروسين في غاية الجمال والأناقة، يلتف من حولهم الأهل والأقارب والأصدقاء والصديقات، وبالطبع كانت أمنية هي وصيفة العروس، فظلت بجوارها طيلة العرس، في حين ظل علاء وأدهم بجوار يوسف، إلا أن أمنية – والتي كانت حاملاً في تلك الفترة في شهورها الأخيرة – اعتذرت لمريم لحظات لرغبتها في دخول دورة المياه بداخل الفيلا، إلا أنها تأخرت فبدأ علاء بالقلق، وظل ينقل بصره بين باب الفيلا ونوافذها، مرت ساعة ولم تخرج أمنية، فاعتذر لأدهم وتوجه نحو الفيلا سريعاً ليفتح باب الفيلا ويفاجأ بعدم وجود الستارة الحمراء، أصيب بالهلع وخرج سريعاً ينادي أدهم بصوت خفيض لكي لا يقلق الجميع:

"أدهم، أمنية اختفت، الحدث تكرر والفيلا لم تعد هي ذات الفيلا."

قال أدهم مطمئناً وهو يناوله كوباً من العصير:

"كيف حدث هذا، أهدأ أولاً، وتناول هذا الكوب، كيف علمت أن هذا ما حدث؟"

قال علاء وهو يرفض كوب العصير بهزة رأس بسيطة:

"ذهبت إلى دورة المياه منذ ما يقرب من الساعة، ومنذ ذلك الحين لم تعد، دخلت الفيلا مسرعاً ولم أجد الستارة الحمراء."

ربت أدهم على كتفه قائلاً:

"تعال معي."

توجهوا نحو باب الفيلا، وفي ذات اللحظة انفتح الباب وخرجت أمنية وهي تجesh بالبكاء، وحين وجدت علاء ارتمت في حضنه وهي تقول بهلع هيسيتيري:

(الرد): مرد

"لم أستطع.. اهئ.. هئ.. هئ.. أن أخرج من الفيلا، لم أستطع الوصول لكم.. هئ هئ.. كلما فتحت الباب.. سنيف سنيف^{١٣} لا أجد العرس.. سنيف.."

ربت علاء على كتفها متأثرا، ثم قال وهو يناولها منديلا:
"اهدأي يا حبيبتي لقد خرجت بحمد الله."

قالت بانفعال:

"وماذا لو لم أستطع الخروج؟"

هنا تدخل أدهم قائلا:

"لا تقلقي يا أمنية، حمدا لله أنك بخير الآن."

هنا أتى يوسف مهرولا وهو يقول في جزع:

"ماذا هنالك يا شباب لماذا تركتموني.. ماذا بك يا أمنية؟"

نظر له أدهم نظرة ذات مغزى، فقال يوسف:

"المنزل من جديد، حتى في ليلة زفافي؟"

حاول أدهم طمأنته قائلا:

"فلتذهب لعروسك الآن، وسنحل كل الأمور فيما بعد.."

نظر إليه يوسف بقلق، فطمأنه أدهم قائلا:

"أعدك أن أحل الأمر.."

بدا للجميع أن ما حدث يوم الزفاف كان حادثا عارضا، لن يتكرر، إن كنت موجودا وقتها لكنت أخبرت الجميع، بأنه ليس حادثا عارضا، بل ظاهرة ستتكرر، السؤال الذي طالما سألته لنفسه، هل كان من الصواب استقرار عبد

^{١٣} حينما يمتلئ الأنف بالسوائل أثناء البكاء قد يكون صوت النفس أقرب لهذا

الرد: مرد

الكريم وأسرته في ذلك المنزل على الرغم من الأحداث التي مرت بهم، أم أن بقاءهم بالمنزل ومرورهم بتلك التجربة هو أمر مقدر لسبب ما لا يعلمه إلا الله؟

أنفهم تماما شعور عبد الكريم الذي رأى في ذلك المنزل ذكريات حياته وحياة جميع من أحبهم، والديه وزوجته وأبنائه وأحفاده، كلما فكر في مغادرة ذلك المنزل كان شريط حياته يمر أمام عينيه، كافة ذكرياته بحلوها ومرها، فكان يتردد ألف مرة قبل أن يخطر بباله ذلك التفكير، حتى عندما كان يسأل نفسه هل قرار البقاء في ذلك المنزل صحيحا؟ كان سرعان من ينفض تلك الأفكار من رأسه وهو يحدث نفسه قائلا:

"لا أرى أي داع للانتقال، فالأمر لم يتكرر كثيرا، كما يمكن السيطرة عليه، فلماذا الرحيل إذن؟"

الغريب أن جميع من شهدوا تكرار الأمر يوم زفاف يوسف تكتموا عليه، وفيما يبدو أنهم قد نسوا ما حدث لأنه لم يدم أكثر من ساعة، لكن أدهم لم ينس.

دعوني أختصر عليكم أحداثا كثيرة حدثت فيما بعد، لأن هدفي من إرسال تلك الرسالة لم يكن يهدف إخباركم بمستقبلكم بقدر ما أردت تسليط الضوء على سليات قرارات معينة أردت منكم تفاديها لإنقاذ الأمر، بعد زفاف يوسف ومريم، أنجبت أمنية فتاة جميلة، لن أخبركم باسمها لكي تتفرد أمنية باختيار الاسم دون تدخل كما أرادت، ثم بعد بضعة أشهر أنجبت مريم، نعم بالضبط كما توقعتم، أنجبت مروان الابن الأكبر والوحيد غالبا - بالضبط هو أنا - بينما تزوج أدهم من توأم عقله إن كان يمكنني إطلاق مصطلح مثل هذا، فقد تصادف بشكل مبالغ فيه أن تطابق عقليهما وأسلوب تفكيرهما تماما، حتى أنها كانت سببا رئيسا في حل لغز الكهف.

وبعد ما حدث لأمنية قرر أدهم أن يخصص موعدا أسبوعيا لحل لغز الكهف، وقد وقع اختياره على مساء الجمعة من كل أسبوع، لدراسة تلك الظاهرة ومحاولة معرفة تأثيرها على المنزل، فكان يشاهد الفيديوهات ويكتب ملاحظات مطولة، وحين تزوج، شاركته زوجته العزيزة تلك الهواية العجيبة،

(الرد): مرد

كان قرارهما أن يصلا لحل، سواء أ طال الوقت أم قصر، حتى شب عودي وصرت العقل الثالث في ذلك الفريق، فكنت أحضر اجتماعاتهما الأسبوعية بعد انتهائي من واجباتي المدرسية بالطبع، وقد أدمن ثلاثتنا قراءة كل ما له صلة بالعلوم الما ورائية، والتي لم يتأكد العلماء من صحتها بعد، والتي تندرج تحت بند الخيال، سواء خيال علمي، أو خيال شعبي، أو حتى خيال أسطوري.

في بعض الأوقات كان يوسف ومريم يشاركان في تلك الاجتماعات، ومن حين لآخر كان عبد الكريم يسأل "هل من جديد؟" وكنا نوافيه بكل جديد.

كانت لدينا تساؤلات عديدة، أحيانا كنا نعثر لها على إجابات افتراضية، وفي أوقات أخرى كنا نكتفي فقط بكتابة السؤال، لعلنا نجد له إجابة في وقت لاحق.. أتذكر تلك المرة بوضوح لأنها وضعتنا على طرف الخيط لحل اللغز، أعتقد أنني حينها كنت في العاشرة من عمري، وكان أدهم يتعامل معي وكأنني صديقه الذي من نفس عمره، الأمر الذي كان يسعدني أشد السعادة، يومها كنت جالسا مع أدهم وزوجته بينما تخط يدي خطوطا سريرية، والفن السريالي كما تعلمون هو فن لا شعوري يرتبط بحركة اليد دون تفكير من العقل، لذلك أحيانا يقوم النقاد بتحليل نفسية الفنان أو ما بداخل عقله الباطن من خلال رسوماته السريالية، المهم أنني كنت أتحدث مع أدهم حول أمر ما بينما كانت يمناي تتحدث مع الورقة بدون تفكير، فتوقف أدهم لحظات وهو يركز فيما أرسمه

متسائلاً:

"مروان، ما الذي ترسمه يا صديقي؟"

تأملت الخطوط التي رسمتها لحظات، لوهلة تخيلتها ذات الخطوط التي رأيتهما على جدران الكهف في الفيديو، إلا أنها مرسومة بشكل طولي وليس عرضي، لذلك حين رآها أدهم تعجب وكأنني أضأت في عقله مصباح الفهم، فقلت له

متسائلاً:

"ماذا هنالك يا خالي؟"

(الرد): مروان

قال لي بحماس شديد:

" هل تعلم ما الذي فعلته للتو يا مروان دون أن تشعر؟ لقد حولت الأسهم المرسومة على جدران الكهف إلى رسم هيكلية.."

حاولت التركيز في كلمات خالي أدهم لأستشف منها ما تعنيه، لكنني لم أستطع، فنظرت له نظرة مسائلة، فقالت زوجته وكأن فكرته انتقلت لعقلها فجأة كعادتهما دائما حين تأتيهما فكرة ما في ذات الوقت:

" فهمت مقصودك يا أدهم، تلك الأسهم لم تعبر قط عن اتجاه السير بداخل الكهف، وإنما عبرت عن أفكار زائر الكهف. "

أشار لها أدهم – مع الاحتفاظ بالألقاب – بإصبعه السبابة وهو يقول بإعجاب:
"بالضبط يا عزيزتي، كيف غاب ذلك الأمر عن تفكيرنا طيلة السنوات السابقة؟"

فقالت وهي تشير لي:

" غاب عنا بالطبع لكي يكتشفه صديقنا العبقري مروان. "

خفضت رأسي لأسفل مبتسما في خجل بينما رفعت كتفي حتى وصلت لمستوى أذني، كعادتي حينما كنت أشعر بالخجل حين يطري علي أحدهم، فقالت لي وهي تمسك بوجنتي:

" حبيبي الصغير يخجل من الإطراء. "

قال أدهم وكأنه أراد أن يشعرني أنني كبير مرة أخرى:

" يبدو أن عقلك الباطن يفكر بقدر ما يفكر عقلك الواعي، أشكرك يا صديقي. "

ثم استطرد قائلا:

"إن طبقنا رسم مروان في تقسيم الأسهم إلى شكل هيكلية، سنتمكن من اعتبار ذلك الرسم كنوع من ترتيب الأفكار، حيث قام الشخص الذي قام بالرسم والكتابة بتفريع الأسهم الكبيرة إلى عدة أسهم صغيرة."

(الرد): مردو

تأملنا جميعا الرسوم الجدارية، والتي قمنا بطباعتها على بضعة أوراق لكي تكون عملية دراستها أبسط، لكن دعوني أولا أذكركم بالشكل الذي بالفعل حفظته عن ظهر قلب والذي رأيتموه بالفعل فوق جدران الكهف، السهم الأول كان سهمًا بعرض مترين تقريبًا تم تقسيمه إلى عدة أقسام أو شرط طولية، وكأنك تنتظر إلى ساعة أفقية، هناك أرقام عند كل شرطة طولية، لا تبدو واضحة للرأي، تحتاج لمزيد من التركيز للتعرف عليها، الرقم الأول كما حاول أن يقرأه، كان ١٨٤٠، أو ربما ١٨٤٥ لا يدري، الأرقام التالية لم تكن تغطي كافة الشرط، فيبدو أن من كتبها قصد ألا يملأ كافة الخطوط الرأسية بالأرقام، فترك أربعة خطوط ثم يكتب ٤٤ ثم يترك ثلاثة ويكتب ٤٧ وهكذا، حتى وصل لنقطة فوق ذلك الخط ليتفرع الخط إلى ثلاثة تفرعات أو أسهم، السهم الأول كتب فوقه كتابات عربية بدون نقاط، وفي نهايته x والثاني نفس الشيء، أما الثالث، فتبعت الكتابات غير المنقوطة علامة صح كبرى بالطبشور.

بعد صمت دام ما يقرب من خمس دقائق، قال أدهم:

"لماذا تبدو تلك الأسهم وكأنها...."

"خط زمني ذو بدائل متعددة..."

قالتها زوجة خالي مستكملة جملته، فلمعت عينيه وهو يشعر بالفخر بعقل زوجته ثم قال معقبا:

"بالضبط، خط زمني رئيس، وخطوط زمنية بديلة."

غمغمت بصوت خافت قائلاً:

"يبدو أننا الآن نتحدث عن آلة زمن."

ثم أردفت قائلاً وأنا أتذكر أفلام الخيال العلمي التي صرت أتابعها بشغف مؤخراً:

(الرد): مرد

"أي أن هناك مسافرا زمنيا يجرب عدة أحداث حتى يصل إلى الحدث الأنسب له."

فهز أدهم رأسه بالإيجاب بينما قالت زوجته شارحة ما استوعبته للتو:
وذلك ما يفسر وجود علامة صح واحدة في نهاية سهم واحد فقط في كل باقة أسهم."

قلت لهما محاولا مجازاة الأمر:

"ربما عاش ذلك الشخص أحداث معينة لم ترضه فحاول تغييرها مثلا مرات عديدة؟"

فقال أدهم وعلى وجهه أشد علامات الدهشة:

"وربما لم ينجح في تغيير ماضيه من المرة الأولى، بل كرر سفره مرات عديدة، لذلك رأينا عدة تفريعات من السهم الأساسي الذي يحمل ذلك الرقم والذي فيما يبدو يشير لعام ١٨٤٥."

فقلت مستكماً أفكارى:

"وحينما كان يحدث ما يخالف رغباته كان يعود من جديد ليغير زمنه."

فقالت زوجة أدهم:

"وفي النهاية حين يصل بأحداث حياته إلى نتيجة ترضيه كان يضع علامة صح في نهاية السهم."

فقال أدهم:

"بالضبط، ولكن لماذا سجل تلك الأحداث يا ترى؟"

فكرنا قليلا ثم أجابت زوجته:

"ربما تكون لديه مشاكل في الذاكرة، أو أن انتقاله عبر الزمن، أثر على ذاكرته، مما جعله ينسى الأحداث التي أراد تغييرها، فخشي ألا يتذكر ما قد

(الرد): مرد

يحدث إن قام برد فعل معين، أو أنه أراد أن يرتب أفكاره بشكل يمكنه من اتخاذ القرار الصحيح عند انتقاله."

فقلت أنا بعد قليل من التفكير:

" أو أنه أراد أن يرسل رسالة إلى من يدخل الكهف من بعده."

قال خالي:

" توقعات منطقية بالفعل، لكن السؤال الحقيقي هو كيف كان ينتقل عبر الزمن؟"

أجبت مسرعا وأنا أتخيل سيناريوهات متعددة بداخل عقلي:

" عبر الشموس الأرضية المضينة بالتأكيد. "

فقال خالي وهو يهرش رأسه بسبابته مفكرا:

" وكيف لنا أن نتأكد من صحة تلك النظرية؟ وهل نخبر بها أحدا؟ أم ننتظر؟ "

لحظات من الصمت مرت، قطعها خالي قائلا:

" أرى أن نتناسى تلك الفرضية حتى نستطيع تفسير ما كتب على الجدران، ما رأيكم؟"

صدرت مني ومن زوجة خالي عدة همهمات تدل على اتفاقنا مع رأي خالي، فابتسم وعقد ذراعيه أمام صدره قائلا:

" من الآن فصاعدا سنترك دراسة جدار الكهف الأيمن ونركز قليلا في الجدار الأيسر الذي لم نعطه حقه منذ البداية، سنحاول أن نفهم تلك الكتابات لعلها توصلنا للحل. "

مرت أربعة أعوام ونحن نحاول فهم ما سجله ذلك المسافر الزمني على جدران الكهف، وعلاقة السفر الزمني بالأحداث الغريبة التي كانت تحدث لنا، وتوصلنا إلى أن ذلك المسافر لم يكن وحده، بل كان معه رفقة سفر لا نعلم عددهم لكن يبدو من الكتابات أن عددهم قليل، اثنين أو ثلاثة على أقصى تقدير، الكتابة بالطبشور بعضها واضح وبعضها انمحي بفعل الزمن، بالإضافة إلى

الزمن: مرور

استخدام الكاتب للكتابة العثمانية غير المنقوطة، مما صعب الأمر علينا، حتى أننا كنا نقرأ كلمة ونخمن كلمات عديدة، إلى أن وصلتنا القصة كاملة أو بعضها منها.

سافر ذلك المسافر الزمني مرات عديدة منذ عام ١٨٥٠ حتى توقف تماما عن السفر الزمني عام ١٨٧٥ بينما شاركه رفاقه رحلاته خمس أو ست أعوام ثم توقفوا تماما عن مشاركة أخبارهم، الرموز المرسومة فوق الجدران تحمل ذات أشكال الرموز المنحوتة على الأحجار التي كانت بالصندوق، توصلنا أيضا لدلالة الدوائر على الجدار الأيسر، حيث احتوت كل دائرة على لقب مسافر منهم، وذلك ما جعلنا نخمن أنهم كانوا رققة سفر، ولكن ماذا حدث لهؤلاء يا ترى؟ وما علاقة ذلك السفر الزمني بانتقال منزلنا إلى حديقة أخرى تشبه حديقتنا، لم نعلم حينها بالطبع، إلا أننا حافظنا على لقائنا الأسبوعي والذي صار بعد فترة من الزمن لقاء روتينيا، وقد اتسع ذلك اللقاء شيئا فشيئا ليصير أسبوعية دافئة تجمع أفراد العائلة جميعا في منزل عبد الكريم.

بعد مرور خمسة أعوام تكرر الأمر من جديد، حينها كنت في السادسة عشر من عمري، خرجت ريم - عمتي - وأبنائها جنة وعبد الرحمن لتبتاع لهما ملابس العيد، فقد كان عيد الأضحى على الأبواب، فخرجت في الصباح لتذهب لمركز التسوق المجاور للفيللا (المول) وطلبت منا أن ننتظرها على الغداء لأنها لن تتغيب أكثر من ساعتين، إلا أننا انتظرناها طويلا حتى اقترب المساء لكنها لم تعد، وقتها تذكر يوسف - والدي - ما حدث له في الماضي حين عاد من رحلته الجامعية إلى المنزل الذي يشبه منزله ولكن بدون الستار، لذلك خرج إلى الحديقة قبيل المغرب، وحين نظرت من النافذة وجدته واقفا أمام منزل الكلب الخشبي وهو يهرش رأسه بحيرة، لأن معنى وجود بيت الكلب الخشبي في موقعه، أن المنزل لم ينتقل كما حدث سابقا، فماذا حدث يا ترى؟

توجهت نحوه، وفي رأسي ألف فكرة، إلا أن تفكيري لم يطل؛ لأنني فوجئت، وأنا أتوجه نحو والدي، بجنة ابنة ريم - عمتي - ذات التسع سنوات، تتعلق في معطفي في سعادة لرؤيتي، وتنادي والدتها وهي تقول:

"ماما، ماما لقد وصلوا."

نظرنا - أنا وأبي - تجاه نداء جنة، لنفاجأ بعمتي قادمة مع ابنها من الفناء الخلفي، هل كانت هنا طيلة الوقت يا ترى؟ لم نعلم وقتها، لكن الجميل في الأمر أن اليوم كان يوم الجمعة وهو موعد أمسينتنا الأسبوعية التي صارت من مقدسات أسرتنا، إلا أنها في تلك المرة كشفت لنا عن الأمر الذي قد يكون هو السبب وراء ما حدث ويحدث..

سأل أسعد ريم عن سبب تأخرها، فقالت له ببساطة مطلقة:

"لقد تكرر الأمر من جديد."

نظرنا لها جميعا بذهول، فأكملت:

"لا تقلقوا، حمدا لله مر الأمر بسلام، لقد حاولت دراسة الأمر من كافة جوانبه حتى توصلت لعدد من المعطيات."

ابتلعت ريقها في حماس مستكملة:

"بعد عودتي دخلت مع الأولاد إلى المنزل، وكعادتي منذ علمت بأمر ذلك الستار الأحمر، توجهت عيني جهة اليمين بشكل تلقائي لتبحث عنه، فلم أجده، لذلك طلبت من الأولاد الخروج فورا من المنزل وأغلقت الباب ثم فتحته من جديد مرات ومرات، ظلت على هذا الحال ما يقرب من نصف الساعة والستار لا يزال غائبا عن النافذة، فطلبت من الأطفال اللعب في الفناء الخلفي للحديقة، وبدأت أدور حول المنزل لأستكشف أي حركة غريبة، لأكتشف عدم وجود أي أحد بالمنزل تماما، ولاحظت أن الأثاث بالمنزل يعلوه التراب، إلا أنني لاحظت - عبر نافذة المطبخ - أن المطبخ هو المكان الوحيد الذي كان يضج بالحياة، فرأيت أُمي وعمتي تساعدان بعضهما البعض في إعداد الطعام، ثم دخل والدي ليطمئن على نضج الطعام ثم خرج إلى غرفة الاستقبال، فجريت نحو نافذة الاستقبال لأجد أن والدي قد اختفى، توجهت من جديد نحو نافذة المطبخ، والدتي تنظر نحو النافذة فأشرت لها مرات عديدة وناديتها لكنها لم يبد

(الرد): مرد

عليها أنه لاحظتني من الأساس، حاولت طرق النافذة، إلا أنها لم تسمع طرقي، هنا، أخبرت جنة وعبد الرحمن أن يلزما مكانهما في فناء الحديقة، حتى أعود، وقررت الذهاب للكهف، فاستقلت سيارة زوجي، وتوجهت نحو موقع الكهف في ترقب، بالطبع تعلمون أنه منذ بضع سنوات قامت الحكومة بإغلاق ذلك الموقع بالصحراء ليصبح محمية طبيعية، وكنت كلما مررت عليه لاحظت باب المحمية الذي يقف عليه حارس يحميه، بينما المنطقة حول الكهف ظلت ولا تزال قطعة من الصحراء بنباتاتها العشوائية وسحاليها الضخمة، إلا أنني في تلك المرة حين وصلت لموقع الكهف، وجدت المكان صار مزدحماً، فرأيت ما يشبه مطعماً بدوياً في قلب الصحراء، وعدداً لا بأس به من وحدات الإضاءة التي تنتظر المساء لتدب فيها الحيوية والنشاط، لقد اختلف المكان تماماً فيما يبدو، إلا أن خارج المحمية وجدت عدداً لا بأس به من البشر يبدو عليهم القلق، بالتأكيد تعجبت لما رأيته، لأن على حد علمي لا يعلم بركات ذلك الكهف سوى أسرتنا، فحاولت التحدث مع أحدهم:

"لو سمحت يا أستاذ، ماذا هنالك؟"

أجابني بشيء من الدهشة:

حدث زلزال منذ قليل، وعلى الرغم من أن قوته لم تكن شديدة، إلا أننا – أهل المنطقة – في ذات اللحظة التي حدث فيها الزلزال، سمعنا صوت فرقعة قادمة من داخل جدران الكهف، وحين أتينا لكي نرى ما الأمر، فوجئنا بالجدار الخرساني يهتز، يبدو أن تلك الأشياء عادت من جديد.. "

هنا كانت الدهشة من نصيبي فقلت له متسائلة:

"ما هي تلك الأشياء؟"

قال لي:

"أست من سكان المنطقة؟"

فأجبتة سريعاً:

(الرد): مرد

"بلى، ولكني أسكن في الجهة المقابلة، أخبرني عن تلك الأشياء، إذا سمحت."
"منذ أن سكنت في تلك المنطقة، ونحن نسمع أصوات همهمات متواصلة قادمة من الكهف، وأحيانا تحدث فرقعة شديدة كلما حدث زلزالا وحين سألت الحيران، أخبروني أن فيما مضى كان أهل المنطقة يسدون مدخل الكهف بالصخور فكان كل زلزال يشتت الصخور أو يبعتها عن مكانها، بالتالي كان هذا السبب الرئيس لرحيل سكان تلك المنطقة وترك منازلهم.."

فأكملت كلماته قائلة:

بسبب تلك الأشياء بداخل الكهف بالطبع."
هز رأسه موافقا، فلاحظت للمرة الأولى تلك العلاقة، وتذكرت ما حدث يوم زلزال ٩٢ التي حكى لي عنها والدي، **فقلت له متسائلة من جديد:**
هل رأى أحد منكم تلك الأشياء التي تصدر تلك الهمهمة بداخل الكهف، هل تعرفون كنهها؟"

أجابني بهلع:

"لا طبعيا يا أستاذة، بسم الله الرحمن الرحيم، ربنا يكفيننا شرهم."
بدا لي أن الرجل يعتقد في وجود كائنات شيطانية تسكن هذا الكهف، نفس ما قاله الخفير لجدي عبد الكريم في بداية سكنه ها هنا.

شكرت الرجل وعدت من جديد لطفلي، وحين وجدتهما جالسين في مكانهما كما تركتهما حمدت الله على نعمة أن يرزقك الله بأطفال مطيعة، المهم أنني قررت الانتظار معهما في الحديقة أمام نافذة المطبخ حتى يرانا أحد، وانتظرنا حتى غروب الشمس لأجد جنة ابنتي تعدو نحو باب الفيلا في حماس وهي تخبرني بعودتكم."

انتهت عمتي ريم من قصتها التي كانت ترويها ببساطة وتلقائية كعادتها، بينما كنت أنظر لها بإعجاب كعادتي، فعمتي ريم هي قدوتي في الحياة، وخالي أدهم هو مثلي الأعلى، ربي يبارك فيهما..

قال يوسف والدي بقلق:

(الرد: مرد)

" الأمر زاد عن حده، لن أخطر بحيواتنا وأن يتعرض أحدنا للخطر من جديد، لابد أن ننتقل جميعاً؟ "

فقال أسعد بحزم، وهو يتبادل النظر مع عبد الكريم:

"من يريد الانتقال فلينتقل، هذا المنزل هو حياتنا وكل ما لنا..."

فأيده الجد الأكبر بهزة رأس واهنة، بينما ابتسم أدهم قائلاً في محاولة منه لتطيف حدة الجو:

" لماذا نياس الآن؟ نحن أقرب ما نكون لحل اللغز، لقد توصلنا الآن لعدة نقاط هامة، دعونا نسردها هكذا:

هناك بوابة زمنية نعرف مكانها لكننا لا نعلم كيفية استخدامها، أو مدى تأثيرها، تلك البوابة نتجت عن مؤثر ما لم نعلمه بعد، ذلك المؤثر استمر تأثيره حتى بعد غلق الكهف، بل وظل تأثيره نشطاً، يؤثر على تلك الفيلا تحديداً، ويزداد عند حدوث زلزال، وذلك لتحرك الجدار الصخري أو الخرسانى عن مدخل الكهف مما يجعل ذلك المؤثر يؤثر على الفيلا من جديد لينقلها لمكان لا يعلمه إلا الله.. "

فجأة قالت مريم بعد صمت طويل:

" أريد أن أدخل الكهف من جديد."

فقال يوسف بدهشة:

" لماذا يا مريم؟"

فقالت مفسرة رغبته:

" أتذكرون منذ سنوات حين أتتني تلك الرؤى أثناء دخولنا الكهف؟ كان الأمر يتكرر على مدار السنوات السابقة بشكل لم أستطع استيعابه، أحيانا كان يأتيني في صورة أحلام يقظة، وفي أحيان أخرى أثناء نومي، كنت أتغاضى عن الأمر لأنى اعتقدت إنها مجرد ومضات تأتني من ذكرى مررت بها، لكن الآن أعتقد أنها رؤى ذات مغزى، الكهف لايزال يناديني."

فقال يوسف وقد عادت له ذكريات مضت:

" كيف هذا؟ ماذا ترين يا مريم؟"

أخذت شهيقا عميقا ثم قالت:

" أحلام اليقظة لم تكن تتعدى لحظات، لكني كنت ألمح فيها الممرات الخمس للكهف، وفي كل مرة كنت أختار دخول ممر جديد يختلف عن الممر الأوسط الذي دخلناه، أما أثناء نومي، ففي الغالب كنت أرى مناطق متفرقة من الكهف، لست أدري إن كنا رأيناها من قبل أم لا، فمذ أيام رأيت أنني أقوم برفع حجر من جدران الكهف لأجد ورقة كبيرة تشبه المخطوطات القديمة، وحين فتحت المخطوطة، استيقظت ولم أفهم ما حدث.. "

هنا قال أدهم بحزم:

" إذاً لابد من أن ندخل الكهف من جديد."

ليس من الضروري أن أخبركم بالحوار الذي دار بيننا بعد ذلك القرار، والنقاشات بين نعم ولا، لأننا كما ترون واقفون الآن أمام مدخل الكهف، بعد أن أزال العامل طبقة الخرسانة المسلحة، وتلقى أجرته وانطلق لجلب رزقه اليومي، لا لا.. لم يحدث أي تكسير في الواقع، فالعلم قد تطور قليلا، أحيانا أتردد قبل أن أخبركم بما حدث؛ لأن مريم – والدتي – عندما كانت تتحدث عن السفر الزمني كانت تخبرني أن معرفة الشيء قبل أوانه قد تفقدك متعته عند حدوثه في وقته، كأن يخبرك أحدهم بأن أسرتك تنوي أن تحتفل بيوم ميلادك يوم كذا وسجلبون لك كذا كهديّة، بالطبع حين يأت يوم ميلادك لن تشعر بحلاوة المفاجأة كما صورها لك خيالك، بل ربما تشعر بفرحة باهتة، يزينا الاحتفال بك، لكن ينقصها شيء ما، لذا فلنقل أننا استخدمنا تقنية تشبه تقنيّتك التي يمكن من خلالها تفتيت أي مبنى مهما كانت خامه بنائه في بضع ثوان، وهي ليست مبهره بالشكل الذي قد تتوقعون، فقد ظهرت في زمنكم هذا في بعض البلدان المتقدمة، لكنها لم تنتشر بشكل كاف، لذلك فهي تقنية عادية جدا،

(الرد): مروان

بالمناسبة والذي يعرفها، وكانت لديه فيديوهات عديدة لمباني تنهار في لحظة باستخدام تلك التقنية، أعذروني على الاستطراد فقد غلبني الحماس.

دعوني أصف لكم الوضع الآن، إذا كنت تنتظر لمدخل الكهف الآن من أعلى بمنظور عين الطائر^{١٤} ستري خمس أشخاص يسقط خيالهم باستطالة جهة الغرب، فالشمس قد أشرقت للتو، أسمع أفكاركم المتسائلة تقول ولماذا ذهبتم في الصباح الباكر؟ سؤالكم غريب بالطبع، فمنذ ولدت وحتى لحظتنا تلك والجد الأكبر عبد الكريم يخبرنا بأن البركة في البكور.

الواقفون هم - بغير ترتيب - مريم ويوسف وأدهم وريم وبالطبع مروان - العبد لله - ولا أخفيكم سرا، كنا جميعا نشعر بالرهبة، وخاصة أنا، لم أكن أتحيل أن أشعر بتلك الرهبة بعد دراستي للكهف طيلة السنوات السابقة.

بالتأكيد جميعا الآن صارت لدينا خبرة بما نحن مقبلين عليه، لذلك كما ترون كل منا يحمل حقيبة على ظهره، يضع فيها المعدات التي قد نحتاجها، مع كل منا مسدسين للإضاءة، لا بالطبع ليس مسدس طلاقات رصاص، بل هو مسدس يشبه مسدسا لعبة انتشر في الماضي، كانت تمسك به أمي مريم في إحدى صور طفولتها، وهي في الخامسة من عمرها وكان يصدر ضوءا عجيبا كما أخبرتني، كان لونه ذهبي، تخرج إضاءة حمراء من جزء شفاف في المنتصف.. هل تذكرتموه؟ المهم أن مسدس الإضاءة ذلك يشبهه لكن بحجم أصغر.. وظيفته؟ ظننت أنني أخبرتكم، حين تطلقون زناد المسدس فوق سطح ما فإنه يخرج منه سائل فسفوري، بمجرد التصاق السائل بالسطح يتحول إلى خامة مضيئة تشبه مصابيح الليد، تظل تلك الخامة مضيئة ليوم أو أكثر على حسب نوع المسدس بالطبع، لذلك دخلنا جميعا الكهف، وكما اتفقنا رتبنا أنفسنا بحيث نقوم بتبديل المهام كل خمس دقائق، على أن يقوم اثنين منا بإضاءة الجدار الأيمن والأيسر ثم يحدث التبادل.

^{١٤} هو لقطة عامة للمكان من أعلى، لا أريد أن أصدمكم وأخبركم أن ميول عائلتي الهندسية أثرت على تفكيري وصرت أحدث مثلهم.

الرد: مرد

ظللنا على هذا الحال مسيرة عشر دقائق، وقد بدا لنا الكهف مضيقاً وكأنه ردهة منزلنا، حتى رأيت ذلك الأرنب الأبيض ذو النظارة السمكية، والذي يشير لي ببسراه لكي أتبع خطواته، ماذا؟ نظارة وأرنب؟ هل قلة الهواء أثرت على عقلي؟ ركز يا مروان، يبدو لي قطاً، أم أنه نمراً، حجمه صغير ليكون نمراً، وأضخم من أن يكون قطاً، لماذا إذن رأيته أرنباً، يشبه أرنب أليس في بلاد العجائب؟ إن كان قطاً فماذا عن تلك النظارة التي يرتديها؟ بعد التدقيق، اكتشفت أنها إطار سميك من الكحل يحيط بعيني القط الكبير، أو النمر الصغير، والذي على الرغم من بياضه الساطع، شعرت بقوة نظراته المتوارية خلف عيونه الكحيلة، نظرت لوالدتي وعمتي اللتين كانتا تتبادلان أطراف الحديث بشأن الكهف أثناء سيرهما، بينما كان والدي وخالي يتوليان مهمة إضاءة الجدران، لم يبد على نظرات أي منهم إنهم رأوا ما رأيته، حينما رأيت والدتي الممر الأوسط وكأنه وجه يناديها، كنت أتخيل إنها ربما تكون هلاوس بصرية، لكن الآن وإضاءة الكهف بتلك القوة، كيف أرى هلاوس بذلك الوضوح؟

لا يزال القط يشير لي أن أتبعه وقد بدأ ينفذ صبره، حاولت زيادة سرعتي بشكل طفيف لكيلا يلاحظني أي منهم، إلا أنني كلما اقتربت منه كلما جد في سيره، حتى ابتعدت عن الجميع بمسافة محسوسة، ولاحظت أُمي فصرخت:

"مروان، ماذا تفعل؟ ألم نتفق أن نسير معاً ولا نفرق عن بعضنا البعض؟"

فأبطأت من جديد وأنا أنظر تجاه القط الذي كان قد اختفى بالفعل، وأنا أقول:

"آسف يا أُمي.. اعتقدت أنني قد رأيته شيئاً.."

بالمناسبة، أعلم تماماً أن أُمي ستظل تراني صغيرها ذا العاميين، حتى وإن صار عمري ثمانين عاماً، هل أخبرها بما رأيته؟ أم أنها ستفكر كيف أنها أحضرت ابنها الصغير في مكان لم يكن من الأفضل إحضاره فيه؟ لن أخبرها الآن إذًا.

ها نحن نستكمل سيرنا حتى وصلنا لمفترق الطرق، ماذا الآن؟ لماذا لدي شعور ملح بدخول الممر الأوسط يا ترى؟

(الرد: مروان)

"هنا سنفترق، سيختار كل منا ممر يدخله، أما أنا فسأختار دخول الممر الأوسط."

قالتها بلهفة، وكان والدتي قد شعرت بما أفكر فيه فقالت:

"لماذا يا مروان؟ هل تشعر بشيء؟ هل أنتك أحلام يقظة؟"

كنت متيقنا من أن أمي ستعلم ما حدث، نظرت من حولي بقليل من الارتباك، فالتفت لي والدي بعد أن انتهى من إضافة آخر شريط ضوئي فوق الجدران، وكأنه ينتظر مني الإجابة، فهزرت رأسي هزة بلا معنى وأنا أمط شفتي لأعلى، وكأنني ارتكبت ذنبا وأعترف به دون أن أتفوه بكلمة، فقال أدهم:

"هيا يا صديقي، أخبرنا بما رأيت، يبدو أنك ورثت من والدتك الفراسة، هل رأيت مدخل الممر وكأنه رجلا يفتح فمه ليناديك؟"

فابتسمت ببراءة وقد شعرت بسعادة مطلقة حين وصف خالي ما أشعر به بالفراسة، إلا أنني قلت بشيء من الكبرياء:

"لا يا خالي، رأيت شيئا لا يتناسب مع سني تماما، أنا ناضج الآن، كيف يلاعبي هذا الكهف بهذا الشكل ويجعلني أرى ذلك القط الأبيض الضخم كثيف الفراء كالأرنب الذي نراه بأفلام الأطفال ثلاثية الأبعاد، هل يراني طفلا؟ أنا في السادسة عشر من عمري الآن أي أنني بعد عامين سأكون بالجامعة."

كتموا جميعا ضحكاتهم، لست أدري حتى لحظتنا تلك لماذا يضحكون، فقال والدي ولا تزال ابتسامته تملأ وجهه:

"وبم أخبرك ذلك القط؟"

قلت له:

"لم يخبرني بشيء، لكنه فقط أشار لي كي أتبعه، وحين حاولت أن أتبعه أخبرتني أمي ألا أبتعد عنكم."

فقالت أمي:

"لماذا لم تخبرنا يا مروان؟ ربما يكون هذا دليلا لسيرنا."

قلت لها بدهشة:

"القط؟"

قالت لي:

"بالطبع يا حبيبي، دعك من كل هذا الآن، المهم أننا سنفترق جميعا الآن، كل منا يذهب لاستكشاف أحد الممرات."

اختارت والدتي الممر الأول على اليمين بينما اختارت لي الممر المجاور، وعمتي أرادت الممر الأوسط لأنها كانت متحمسة بشدة لرؤية تلك الشمس الملونة، وآخر ممرين سار فيهما والدي وخالي.

وكما توقعتم بالضبط، لم نعثر على شيء، ما عدا والدتي، التي بالطبع اختارت الممر الأول لأن هذا ما رآته بالرؤيا، حسنا سأخطئ فكرة أنها لم تدعني أدخل الممر الأوسط على الرغم من علمها بأنه يناديني.

ما حدث إنها بينما كانت تقوم بتنشيط الإضاءة على الجدار الأيمن للكهف، دخلت إحدى الأحجار للداخل مسافة صغيرة، فتحسست جميع جوانب الحجر لتجد ذلك التجويف الذي يسمح لها بجذب الحجر للخارج، لحسن الحظ لم يكن ثقيلًا فجذبتة لتجد خلفه مخطوطة ورقية ملفوفة، تم ربطها بحبل عتيق، أمسكت بالمخطوطة ووضعتها في حقيبة ظهرها، ثم استكملت طريقها بحثًا عن أي دليل آخر، لكنها لم تجد فعادت إلينا من جديد..

بعد أن التقينا من جديد، افترضنا الأرض في مفترق الطرق بين الممرات، أول ما قامت به والدتي هو أن أخرجت المخطوطة التي عثرت عليها من حقيبتها، وهي تروي ما حدث، تناول والدي المخطوطة من والدتي، فشممت رائحة عجيبة لدى مرورها من أمامي، شممت رائحة الزمن إن كان للزمن رائحة، مزيج بين رائحة بخور العود والمسك، والتراب المبتل بقليل من الماء، ما تلك الرائحة؟

فتح والدي المخطوطة وبدأ يقرأ:

"أنتَ الغريبُ وأنا الفريد، الكلاب تعوي والطيور تصدح..

إن رأيت رسالتي فأنقذني ومكانك أنت لا تبرح

متوحد من نوعي أنا، لكن عن اسمي لن أفصح

هو من عليه اللوم صديقي، أما أنا فحان دوري كي أصلح،

لست صنديدا، ولكن.. بسالتي تلك قد تفلح

إن أردت إنقاذي فلتنسب انسياب الماء الزلال من المذبح

ستنقذني وتنقذ نفسك وأهلك ومالك وستنفلح

ولا تكن محبا لنفسك، فتكون كمن قتل أخاه ثم اختال وتبجح

فاللعة أمانت القلوب التي أحبت نفسها فعاقبتها، فضاق المكان الرحر

واختلطت الأزمان وتبادلت، عقابا له ولمن حوله، فلن يفلح

أخترق النيران وأبطل اللعة إن كنت ترى نفسك مصلح

إن قررت العبور وإخلاص النية لله فاستعن بالله ولا تمزح

واجه النيران ذات الألوان وتناسى أنها من عمل الشيطان ولا تتدح

استخر ربك واخترقها وفكر في الزمان الذي تسافر له فتتج

فرادى أو جماعات عبر الأزمان تسافرون، لكن الأصغر هو الأصلح

سافر كبيرا يكون هذا هو القرار الأفدح.."

انفجرت في الضحك بعد أن انتهى والدي من القراءة فنظر لي في عدم فهم،

فقلت له وأنا أمسح دمة فرت من عيني من كثرة الضحك:

" آسف يا والدي، لم أستطع منع نفسي من استبدال نهايات الجمل بكلمات

أخرى، ولا تكن مثل شرفنطح وبجح فتتمرجح."

ثم عدت من جديد لضحكي الهستيري، فضحكوا جميعا لضحكي، وكأنني

ضغطت فوق زر الضحك في عقولهم بضحكي المبالغ فيه، لست أدري كيف

يولد الضحك الهستيري نتيجة لحدوث أشياء قد لا تستدعي الضحك على

(الرد): مرد

الإطلاق، وكيف تحدث عدوى الضحك لمن حولك، وحين تهدأ تبدأ تتساءل هل كان الأمر يستدعي كل هذا الضحك، أم أنها تكون طاقة حبيسة نفسك تنتهز أي فرصة للخروج، عقلي يميل أكثر لهذا التفسير، **فحين انتهيت من الضحك قمت بمسح عيني وأنا أعتذر من جديد:**

"آسف، لم أقصد أن أشتت أفكاركم."

قالت والدتي وهي لا تزال ترسم على وجهها بقايا ابتسامة:

"لا عليك يا مروان، لقد أزلت قليلا من التوتر الذي أصابنا بعد سماع تلك الكلمات العجيبة."

المهم أننا حاولنا من جديد التركيز في الكلمات، **فقال والدي:**

"ما رأيكم؟"

تبادلنا جميعا النظرات بعدم فهم، فكاتب تلك الرسالة لم يقصد أن يكتب قصيدة شعرية، فالجمل أبعد ما تكون عن الصياغة الشعرية، هي بضع جمل مقفية غير موزونة، يبدو أن الكاتب أراد إيصال رسالة ما إلى شخص ما دون معرفة شخص آخر، فأخفاها بين جدران الكهف، وكتبها بطريقة مقفية لكي تبدو عليها الغموض، لكن الطريقة بدت لي ساذجة إلى حد ما، ربما لهذا السبب سعى عقلي لاستبدال الكلمات بكلمات أخرى مضحكة.

تفحص كل منا المخطوطة ليحاول فهم ما فيها، حين أمسكتها تشتمتها من جديد، تلك الرائحة تجذبني لمعرفة ما ورائها، الورقة التي كتبت عليها الكلمات تبدو أقرب لنوع من القماش الورقي، إن كان هناك شيء مثل هذا، الورقة ناعمة اللمس، وقد كتبت عليها الكلمات التي قرأها والدي للتو بخط الثلث المزخرف، طريقة الكتابة تلك أعطتني شعورا بالرهبة على الرغم من عدم فهم الكلمات، لست أدري معنى الكلمات بالضبط إلا أن هناك شعورا يخبرني أنها تخبرنا بطريقة السفر الزمني.

قال خالي ذات ما جال بتفكيري في حيرة:

"تلك الكلمات تخبرنا عن كيفية السفر عبر الزمن، ولست أدري لماذا أخفاها ذلك الرجل الذي لا يريد ذكر اسمه في ذلك المكان الذي يصعب الوصول إليه؟"

"

(الرد): مرد

قالت عمتي بحيرة مشابهة:

"ربما اعتقد أن من سيدخل الكهف سيبدأ باستكشاف الممر الأيمن."

بينما تساءلت والدي:

"لماذا إذن رسم علامات خطأ على جدران ذلك الممر؟"

فأجابها والدي بمنطقية:

"ربما يكون مرسل الرسالة هذا شخص آخر يختلف عن خطط فوق الجدران، فالرسالة تخبرنا بوجود ذلك الشخص النرجسي الذي لم يفصح عن اسمه، والآخر الذي يفسد الأمور دائماً."

هنا تحدثت للمرة الأولى:

"ربما كاتب الرسالة ليس نرجسي، ولكنه يفصح عن اسمه بين السطور بشكل غير مباشر لكي لا يعلم بأمره ذلك الرجل الذي يفسد الأمور، بينما أعطانا دليلاً للتعرف عليه، عندما قال أنا الفريد ومتوحد أنا، لماذا لا يكون اسمه فريد؟"

وجه الجميع نظراتهم لي بتفكير، ثم ربت والدي على كتفي قائلاً:

"أمر منطقي يا مروان، أحسنت يا بني، لكن كيف أراد إخفاء اسمه بتلك الساذجة، أن يكون اسمه فريد ثم يقول أنا الفريد، ماذا إن وجد رسالته ذلك الرجل الآخر وقرأ تلك الجملة، بالتأكيد سيعلم بأمره بكل سهولة."

فأجبت محاولاً تأكيد فكري:

"نحن لا نعلم طريقة تفكير الأشخاص في ذلك الزمن من جهة، ومن جهة أخرى ربما أراد الرجل أن يضيف شيء من الغموض على رسالته بتلك الطريقة."

غمغم خالي قائلاً:

"نعم ربما، أسلوب عجيب لطلب النجدة بالمناسبة، أعتقد أنه كان من الأفضل أن يقول، أنا فلان لدي مشكلة كذا، وهناك فلان أذاني وفعل كذا، أنقذوني عن

(الردى: مرد)

طريق كذا وكذا... لكن طريقته تلك جعلت عقلي يتصور كل السيناريوهات الممكنة وغير الممكنة."

هزنا رؤوسنا بالإيجاب، وساد الصمت لحظات، قطعته عمتي متسائلة:

"مريم هل ذلك الممر هو الذي حلمت به؟"

هزت والدتي رأسها إيجابا وهي تمط شفرتها السفلى قائلة:

"نعم، هو."

ثم سألتني عمتي:

"وأنت يا مروان، هل شعرت بأي شيء؟"

أجبتها قائلا بتردد:

"نعم يا عمتي، الممر الأوسط، شعرت به يريد ابتلاعي."

قال والدي مبتسما:

"يبدو أنك ورثت الشعور الاستباقي عن والدتك يا مروان."

فابتسمت بمزيج من الخجل والفخر، فأنا أعشق أن يقول لي أحدهم أنني قد ورثت شيئا من أمي أو أبي، ثم التفت لأمي قائلا:

"ويبدو أن موهبتك تلك في ازدهار يا عزيزتي."

ابتسمت والدتي بمزيج من الامتنان والخجل، بينما قال خالي أدهم:

"الغريب أن الرجل في البداية طلب النجدة، ثم قال ستتقذ نفسك وأهلك ومالك، كيف علم أن الأذى سيصيب أشخاص آخرين، وهؤلاء الأشخاص سيبحثون عن الحل في هذا الممر تحديدا، ولماذا قال عنها أنها لعنة؟ أعتقد أن تلك الأسئلة ستظل معقدة حتى يسافر أحدنا."

فألت عمتي ريم:

"لا تمزح يا أدهم فأنا الأصغر ها هنا."

قلت لها مذكرا:

" بل في الواقع أنا الأصغر يا عمتي. "

فقلت بحنان مطلق:

" أعلم يا صديقي، لكن بالتأكيد لن ندعك تواجه المجهول وحدك. "

فقال خالي من جديد:

" الرجل لم يحدد سنا معينا، فلقد تجاوزت الأربعين عاما بعامين أو ثلاث فقط، لا أزال شابا على حسب اعتقادي. "

لست أدري إن كان خالي يمزح أم لا، فبالنسبة لي أنا أرى أن كل من تجاوز الثلاثين عاما كبيرا، فما بالكم بمن تخطى الأربعين، فأجبتة بفكرتي تلك قائلا:
" أعتقد أن كل من فوق الثلاثين كبيرا يا خالي. "

فنظرت لي والدتي وهي تحاول كتم ضحكة قد تفلت منها قائلة:

" فعلا، كما تدين تدان، ففي الماضي، في أيام طفولتنا، كنا نرى أقاربنا كبارا، على الرغم من أعمارهم التي لم تكن تتخطى الثلاثين، لكن يا عزيزي دعني أشرح لك، الشباب مقره في القلب، فقد يكون رجلا في الخمسين من عمره ولا تزال روحه في العشرين، لذلك قد تشعر إنه لا يزال شابا. "

غريبة نظرية أُمي، معنى هذا أن جدي أسعد شاب في الستينات من عمره، لأنه يحب المزاح معي ومع صغار العائلة وتبدو روحه شابة؟ لن أستوعب هذا الكلام بالطبع.. **قلت لهم بحيرة:**

" لا أفهم كيف يحدث ذلك، ولكن دعونا من هذا الأمر، إذا أردنا السفر عبر الزمن، كيف نسافر؟ "

قال والدي:

"الرجل لم يكن محددا للأسف، لكن يبدو مما فهمت أن السفر يتم عبر اختراق الشمس الملونة، عندما قال اخترق النيران وأبطل اللعنة. "

(الرد): مرد

فقال عمتي بحيرة:

"لا أفهم فكرة اللعنة ومن قتل أخاه، هل يقصد قابيل وهابيل مثلاً؟"

فقال خالي:

"بالطبع لا، يبدو أن هذا السيناريو قد تكرر، وحدث أمر مشابه، ويبدو أن تأثير الشمس المضيئة تلك يزيد من تأثير الشيطان على النفوس مثلاً."

قال أبي وكأنه قد تذكر شيئاً فجأة:

"قابيل وهابيل، يذكرني الأمر بالمرّة الأولى التي دخلنا فيها لذلك الكهف، أنذكرين يا مريم ما قلتي عن تلك الأشجار في الخارج؟"

قالت أمي، وهي تحاول أن تتذكر:

"نعم يا يوسف، شجرة دم الأخين، أو دم التنين، والذي يقال إنها نمت في اليمن حينما قتل قابيل أخاه."

ثم قال خالي:

"ما مقصدكما؟ هل تكررت قصة قابيل وهابيل، فتحققت الأسطورة ونمت تلك الأشجار؟"

هز والدي رأسه بالإيجاب قائلاً:

"أعتقد هذا.."

بينما تناولت والدتي المخطوطة من جديد، وتأملت لها لحظات ثم قرأت بضع الأجزاء بشيء من التركيز قائلة:

"اخترق النيران – وأبطل اللعنة – واجه النيران – اخترقها – فكر في الزمن – ستنتج.. تلك هي طريقة السفر يا شباب، مواجهة النيران أولاً ثم اختراقها، والتفكير في الوجهة الزمنية المطلوبة، ثم إبطال اللعنة."

نظر لها والدي بإعجاب قائلاً:

(الرد: مرد)

"إن أكملنا كلمات الرسالة يا عزيزتي، فيكون ما ذكرتيه صحيح، حيث يجب على المسافرين أن يخلص النية لله، وأن يبتعد عن الأنانية، ممتاز يا مريم."

قالت عمتي بشرود، وكأن فكرة عابرة راودت عقلها فجأة:

"أتخيل إن سافر أحدنا للقاء نفسه في الماضي، هل سيكون سعيدا بمعرفة مستقبله؟"

قال والدي:

"ما علاقة ذلك بما يحدث يا ريم؟"

قالت:

"لا شيء محدد، فقط فكرت إن ذهب أحدنا للماضي ليخبرنا أن نتخلص من ذلك المنزل، أو يخبر جدي بالألا يشتريه مثلاً."

نظر لها خالي بابتسامة حنون تبدت فيها مشاعر لم أستطع فهمها، **قائلا:**

"حتى الآن، أحمد الله على كل ما حدث لي في حياتي سواء أكان خيرا أو شرا، فربما كان الأمر الذي نحسبه شرا هو الخير كله، لن تعلمي الآن يا ريم، لكن ربما نعلم يوما ما، وربما لن نعلم أبدا، ولكن ما أعلمه الآن أنني أحب كل ما حدث لي بحلوله ومره، وإن أتاحت لي الفرصة لتحذير نفسي في الماضي من أمر ما، لن أفعل، لست أدري إن كان سيقدر لنا اللقاء أم لا إن لم تشتتر أسرتكم ذلك المنزل."

هزوا جميعا رؤوسهم بتأثر، بينما لم أقتنع أنا بما قال، لماذا لا أحذر نفسي مما قد يحدث، وفي نفس الوقت أكون راضيا بما سيحدث أيا كان، لا يوجد تعارض **ها هنا، فقالت والدتي:**

"أتعلم يا أدهم؟ أحيانا أتمنى أن يخبرني شخص بشكل غير مباشر أن أفعل كذا أو لا أفعل كذا، أن يشير لي بدليل فقط دون أن أعلم ما سيحدث يقينا، كأن يقول لي أدهم افعلي هذا الأمر، ولا تفعلي ذاك، لأنني أحب أن أعيش كل لحظة دون التفكير في العواقب، لذا تكفيني فقط معرفة إن كانت قراراتي صائبة أم خاطئة."

(الرد): مرد

نظرت لأبي الذي ظل صامتا يستمع إليهم، وقلت له:

"وأنت يا أبي؟"

نظر لي مليا وكأنما يستدعي كلمات تأبى الوصول لشفتيه، ثم قال:

"لن تصدق يا مروان، لكنني أحيانا أفكر، ماذا لو غيرت الأحداث المريرة في حياتي ومنعت وقوعها، هل كانت حياتي لتكون أفضل، لا أخفيكم سرا، أحيانا أتمنى بالفعل أن تأتني تلك الفرصة لكي أستطيع التنقل عبر الزمن، وأمنع كل هم وحزن أصابني، وفي أحيان أخرى أشعر أن كل لحظة سعادة في حياتي هي نتاج لحظات من الاجتهاد والعمل والسعادة والحزن والكفاح والتعب والكد وغيرها، فماذا إن تحولت الحياة إلى مجرد أحداث سعيدة، هل وقتها سنشعر بطعم السعادة؟ أعتقد أن اعتيادنا السعادة المطلقة دون هم أو حزن قد لا يجعلنا نستمتع بالحياة، ربما لهذا هي دنيا.."

فجأة وجدتي لا إرادياً أقول له:

"أحبك يا والدي."

ثم التفت للجميع قائلاً:

"أحبكم جميعاً."

والدتي الطيبة ذات المشاعر المرفهة علمتني ألا أكتف مشاعري عن أحد، لأن الحياة قصيرة، قد لا تمهلنا البوح بتلك المشاعر لأحبائنا، لذا فأنا أول رجل قرر كسر قاعدة الكتمان في عائلتنا الصغيرة، نعم بالطبع رجل، في السادسة عشر من عمري، والدي وخالي دائما ما يخبراني بذلك منذ صغري، لذلك نشأت وأنا أشعر بذلك وأفتخر به، وذلك على الرغم من تدليل جدي وجدتي الزائدين، إلا أنني أستمتع بكل شعور على حدة.

"نحبك أكثر يا مروان."

اختلطت أصواتهم وهم يجيبون كلماتي، فابتسمت بفخر، ثم تذكرت شيئا، فقلت لهم بسرعة:

(الردى: مرد)

"من أي زمن تعتقدون أن تلك الرسالة وصلت؟"

قالت عمتي:

"تبدو لي قادمة من القرن الثامن عشر أو التاسع عشر."

فقال خالي مؤكدا كلماتها:

"هذا حقيقي يا ريم، فالتاريخ الذي كتب على جدران الكهف كانت تبدأ ب ١٨٤٠، ففيما يبدو لي أن تلك كانت البداية."

ثم قالت والدتي وهي تنظر في ساعتها:

"الوقت مر سريعاً يا شباب، هيا لكي لا نتأخر على من ينتظرون بالحديقة."

فبدأنا بجمع حاجياتنا دون اتفاق، بينما قال والدتي:

"إذاً نستكمل حديثنا في المنزل."

ظلوا يتحدثون طيلة توجهنا نحو مدخل الكهف، وأنا لا يشغلني سوى تأمل جداري الكهف عن قرب، وتأمل الكلمات والرموز المكتوبة هنا وهناك، تلك هي المرة الأولى التي يتسنى لي فيها اكتشاف تلك الكتابات عن قرب، ففي كل مرة، كنا نطلع على الفيديوهات قليلة الجودة التي قامت أسرتي بتصويرها في الماضي، هنا كنا وصلنا لمدخل الكهف، وقال خالي:

"أعتقد أننا سنضع بعض الصخور على مدخل الكهف بشكل مؤقت حتى نقرر إن كنا نسده من جديد أم لا."

فقلت له وأنا أتذكر دراستي المدرسية لمادة العلوم المعاصرة:

"هناك خامات حديثة أكثر عزلاً من الخرسانة يا خالي قد نستخدمها في سد المدخل."

فقال خالي بشروء:

"لكننا لم نقرر بعد إن كان من الأفضل أن نعبر البوابة أم لا."

فقالت والدتي:

(الرد): مرد

" طالما أنه لم يحدث مكروه والله الحمد، فلا أعتقد أن عبور البوابة أمر ملح، دعونا نضع الصخور الآن حتى نرسل في طلب عمال لعلق الفتحة من جديد."

تعجبت من كلمات أمي، لأنها تشعر بالبوابة تناديهما، وعلى الرغم من ذلك تطالب بعلق الكهف من الأساس، تلفتنا حولنا نبحت عن الصخور، الأمر الذي وجدناه جد عسير، لأن المنطقة لم تعد صحراوية بالشكل الذي أخبرني به والدي من قبل، فقد امتد العمران لما قبل المحمية مباشرة، وتمت إزالة حواجز المحمية في مواضع كثيرة، إلا أننا نشئتنا قليلا للبحث عن صخور ثم عدنا للمدخل من جديد وكل منا يحمل صخرة أو اثنتين، نصف ساعة كانت كافية لجمع الصخور المناسبة لسد المدخل، والوقت لا يزال عند الظهيرة والشمس في منتصف السماء، فدلفنا لسيارة خالي، وتوجهنا نحو المنزل من جديد.

حين عدنا للمنزل تناولنا الغداء الشهي الذي أعدته جدتي وفاء وجدتي سعدية كالمعتاد، استمتعنا بالغداء وبحديثنا الدافئ الذي دار حول الكهف، والانتقال الزمني، ما تعجبت له هو عدم رغبتهم جميعا في تغيير أي حدث بحياتهم، فجدي ترى أن أي تغيير، قد ينزع منا جمال ودفء تلك اللحظات الأسرية الحميمة، لن يكون تغييرا للأفضل، بينما يرى خالي أنه طالما نحن معا، نحارب ذلك العدو الخفي، فليحدث ما يحدث، ما الفائدة إن قضينا على مشاكلنا ثم ذهب كل منا في طريقه، وفقدنا ذلك الدفء الأسري.

بعد تناول الغداء بدأت طقوسنا الرائعة، التي تلاشت من المنازل في عصرنا الحالي، وحل محلها انشغال كل فرد من أفراد الأسرة بهاتفه أو استعراض ما يحدث على برامج التواصل الاجتماعي، دون أدنى اهتمام بالتواصل الاجتماعي الحقيقي مع الأسرة والأهل، سمعت والدتي صديقي تشكو لوالدتي من ابنها، صديقي، وتقول أنه يسارع في الرد على أصدقائه إذا سمع صوت تنبيه إحدى تطبيقات التواصل على هاتفه، فتتساب أصابعه فوق الهاتف وكأن أصابعه كائن منفصل عنه يتصرف وفقا لأهوائه الخاصة، ومهما تحدثت إليه في هذا الوقت لا يستطيع سماعها، أو سماع ما تخبره به، حتى أنها قد

(الرد): مرد

تضطر أحيانا لمراسلته عبر ذات التطبيق ليتمكن من سماعها وتلبية نداءها، في الواقع على الرغم من أنه صديقي إلا أنني دائما ما أخبره بفداحة ذلك الخطأ، وأنه في يوم ما سيندم على إفناء وقته الثمين فيما لا يعود عليه بالنفع، حتى أنني كنت أحاول بقدر المستطاع، حين يأت لزيارتنا، أن أريه كيف أتعامل مع أهلي وكيف أتواصل معهم.

دعونا من الاستطراد، المهم أن ما حدث بعد ذلك بدا كأنه حلما، كنا نجلس جميعا في غرفة الاستقبال نتناول مشروب ما بعد الغداء، ونستكمل حديثنا في مودة.

"تك تك تك"

نسمع طرقات الباب، ثم تدلف العمة أمنية وزوجها علاء وأبنائهما، وبعد الكثير من السلام والسؤال عن الأحوال أعود لمقعدتي، ممسكا بجهازتي اللوحي، وأنا أحاول أن أستعرض لعائلتي بعض الحقائق الفيزيائية التي قمت بتجميعها حول السفر الزمني، ومن وقت لآخر، كنت أنظر نحو نافذة الحديقة لألمح جنة ابنة عمتي ريم وهي تتأرجح في الحديقة مع حفيذة جدتي سعدية، وهما تشيران لي من وقت لآخر فأشير لهما مبتسما.

"ويبيبي.. هاهاها.. ويبيبي.."

تستمع الفتاتان باللعب فوق الأرجوحة، فتضحكان في حماس، وتشيران لي ولعمتي ريم في بهجة، فتتهض عمتي من مقعدها وهي تشير إليهما قائلة:

"سأطمئن على الفتيات، وأعرض عليهما بعض الحلوى."

لكني أخبرها أن تبقى مكانها، وأنني سأذهب بدلا منها، فأخرج للصغيرتين، وأسألهما إن كانتا تريدان شيئا من الحلوى المقدمة بالمنزل، فتقفز الفتاتان من فوق الأرجوحة برشاقة وتنطلقان نحو دونه اتفاق، ثم تجذبا يدي ببراعة نحو الأرجوحة، ثم تجلساني فوقها وتنطلقا نحو الداخل وهما تضحكان في سعادة، وتعالى أصواتهما "أريد شوكولاتة"، فأبتسم وأنحي جهازتي اللوحي فوق مقعد الأرجوحة وأستمع بالهواء وهو يداعب وجهي وأنا أتأرجح، الآن أرى الفتاتين تتسابقان بالفعل لتصلا إلى الحلوى، فأنتظر قدومهما لتواصل

الرد: مرد

اللعبة معي، تتوقف الفتاتان قبل المدخل قليلا، ثم تقفزان في مرج، ثم تدخلان القصر.

أصابني دوار مفاجئ للحظة بينما أراقبهما، ثم نظرت نحو نافذة المنزل، لأجد أسرتي تختفي وتعود، ثم تختفي وتعود، وبعد لحظات تختفي تماما، أصابني الرعب فجأة مما رأيته، لقد رأيت بالضبط ما يحدث قبل الاختفاء، إن ما بداخل المنزل يتلاشى حرفيا، كل حرف رواه لي والدي حول فترة مكوثه بالمنزل سنوات وحده توثبت إلى ذهني فجأة، على الرغم من أنه لم يصبني سوء من قبل بسبب هذا المنزل إلا أنني كنت دائما ما أتخيل ما حدث لوالدي يحدث لي، ودائما ما كنت أسأل نفسي عم كنت سأفعل حينها.

أقوم من فوق الأرجوحة بحذر، وأتجه نحو باب المنزل، وأفتحته على مصراعيه، فتتسارع دقات قلبي وأنا أنظر نحو موضع الستار الأحمر ولا أجده، وأجد مكانه ستارا ذهبيا لا يمت لستارنا بصلة، وبالطبع كما توقعتم لم أجد في غرفة الاستقبال أحدا، أما ما سوى ذلك لم يتغير شيء، كل شيء في موضعه وكأن ذلك المنزل نسخة مفبركة من منزلنا.

تركت الباب مفتوحا، وتوجهت نحو غرفتي في الطابق الثاني، لأجد أنها بالطبع لم تكن غرفتي، الغرفة لا تحوي سوى قطع أثاث قديمة يكسوها الغبار، ولوحة معلقة على الجدار لا تظهر معالمها جيدا، وبضعة مقتنيات ملقاة على الأرض بإهمال، تركت الغرفة وأنا لا أرى ما أمامي، وتوجهت نحو غرفة والدي ووالدتي، لأجدها لم تختلف كثيرا عن غرفتهما، مع الفارق الوحيد، الغبار الذي يكسو الأثاث، من جديد قررت أن أذهب لغرفة المكتب بالدور الأرضي لأجد أنها لم تختلف كثيرا، لماذا إذن لم أعثر على غرفتي؟ إذن هذا ليس منزلنا، ظاهريا فقط هو منزلنا، لكن تم استبداله بذلك المنزل المقبض.

أسرعت نحو الحديقة من جديد، ودون تفكير وجدتني أشير لسيارة أجرة وأنطلق نحو الكهف لأعيد الصخور لمكانها من جديد، فقد توقعت أن أجده الصخور قد تحركت من مكانها بشكل يسمح بتأثير الأضواء الملونة، وحين وصلت وجدت كافة الصخور في موقعها تماما، يبدو أن اللحظة التي توقعت حدوثها قد حانت، تأثير الأشعة صار يتخطى أي حاجز مادي.

(الزلازل): مدخل

عُدت إلى المنزل بخفي حنين، وأنا أشعر بالمرارة والضياع، وقصة والدي تبدو جلية أمامي، لكن لا، لن أسمح لهذا بالحدث، فكرت أنني أحتاج أولاً أن أختلي بنفسي لأهدأ، ثم أفكر في سبب ما حدث، ابتسمت بمزيج من السخرية والمرارة، فلماذا أختلي بنفسي وقد صرت بالفعل وحدي تماماً الآن، بالتأكيد لن أذهب لجدي وجدتي من جهة أُمي، فإن ذهبت بماذا أخبرهما؟ أنني أضعت عائلتي؟ وماذا سيفعلون؟ لا شيء.

أخذت مفكرة جدي من غرفة المكتب – ترى هل تخصص جدي بالفعل – ثم خرجت إلى الحديقة من جديد، أمسكت بجهازَي اللوحي، الذي كنت قد تركته فوق الأرجوحة والحمد لله، ثم توجهت نحو أحد المقاعد لأرتب أفكاري، بالطبع لن أدخل إلى المنزل الآن، فربما يحدث تبادل للمنزلين من جديد، فأنا الآن مقتنع تماماً بفكرة وجود منزلين، وقد انتقل منزل أهلي للتو إلى مكان آخر لا يعلمه إلا الله، وحل محله ذلك المنزل الذي لا توجد به غرفتي، اتخذت مقعداً في الحديقة ثم قمت بفتح الكتب الفيزيائية التي لدي على جهازَي اللوحي، فكل ما أردته الآن هو فهم ما أنا مقبل عليه، ثم أمسكت بالمفكرة، وبدأت أرتب أفكاري، العام ١٨٤٠ أو ١٨٤٥ يعبر عن شيء ما، وذلك لأنه أول عام كتبه المسافر الزمني فوق جدران الكهف، ربما يكون هذا هو تاريخ أول سفر زمني له، أو تاريخ فتح البوابة الزمنية، فجأة تذكرت الزلازل، ومدى ارتباط كل حادث بزلزال، ففيما يبدو أن الدوار الذي شعرت به منذ قليل تسبب فيه زلزالاً، إن قمت بتطبيق تلك النظرية، يكون السبب في ذلك الاضطراب الذي يحدث هو زلزال حدث في أوائل القرن التاسع عشر؟ بالتأكيد لن أتيقن من الأمر إلا لو سافرت بالفعل، إلا أنني يمكنني البحث عن أول زلزال أصاب مصر في ذلك القرن، فتحت محرك البحث وكتبت (زلزال حدث في مصر)

لاحظت أمراً غريباً، فجميع تواريخ الزلازل تتوافق إلى حد كبير مع تواريخ الأحداث التي رواها لي والدي وجدي، فهناك زلزالنا الشهير عام ١٩٩٢ والذي شهد الحدث الذي يرويهِ لنا دائماً جدي أسعد، وهناك ذلك الزلزال عام ١٩٨٤، هل كان يعلم جدي بأمر ذلك الزلزال؟ فيما يبدو أن هذا الزلزال هو ما شهد حادث لعب الكرة في الحديقة لجدي أسعد، هناك زلزال

الزلازل: مدخل

آخر حدث عام ١٩٩٦ والذي شهد تشققا في أراضي محافظة البحر الأحمر، كما امتد تأثيره إلى إثيوبيا والسودان وفلسطين، إلا أنه لم يشهد أي حوادث انتقالية بمنزلنا، أم أنه شهد لكن لم يلاحظ أحد الأمر، المفاجأة بالنسبة لي كانت في عام ٢٠١٥ والذي شهد زلزالا قويا بقوة ٥,٢ ريختر، فذلك العام بالضبط هو الذي افترق فيه والدي عن أسرته لمدة اقتربت من أربع سنوات، تتساءلون عن عام زواج أمي وأبي، نعم بالفعل، لقد حدثت سلسلة متتابعة من الزلازل، في شهر أكتوبر من العام ٢٠٢١، وقد شعر به الجميع، إلا أن أسرتي لم يشعروا به لانشغالهم بالحفل، وهناك أيضا سلسلة متتابعة من الزلازل حدثت في العام ٢٠٢٣، أما العام ٢٠٣٠ فشهد زلازل غير محسوسة، وأخيرا قد وجدت ضالتي في العام ١٨٤٧ حيث ضرب زلزالا جنوب غرب القاهرة، وكان من أشد الزلازل في القرن التاسع عشر، كما خلف وراءه المئات من القتلى والجرحى والمشردين، ويعتبر هذا الزلزال الأول من نوعه في تاريخ مصر الحديث، فهل يدق ذلك الكلام في رأسي أي ناقوس؟ بالتأكيد يفعل، فذلك على حسب اعتقادي هو العام المنشود، لست أدري إن كانت تلك الأفكار قد جالت بخاطري فقط بسبب الرواية التي رواها الرجل الذي يسكن بقرب الكهف لعمتي؟ أم أن ذلك نتج عن شعوري بالوحدة والذي أخشى أن يتفاقم معي مثلما حدث مع والدي من قبل؟ لذلك بدأ عقلي بشكل لا إرادي يبحث عن الحل...

تبادل منزلنا مع ذلك المنزل المجهول قد يحدث نتيجة لحدوث زلزال يعمل على تحريك الصخور فيصبح تأثير البوابة واضحا وجليا، ولكن إذا كان هذا الأمر صحيحا، فلماذا تأثر المنزل الآن دون أن تتحرك الصخور من مكانها؟ عقلي سينفجر من تفكير، إلا أنني لوهلة وأنا غارق في خضم أفكاري بدأت تتردد في رأسي كلمات صاحب المخطوطة التي التصقت بذهني على الرغم من ركاكتها، وبدأت أفكر في الأمر، هل أصلح لعبور البوابة الزمنية؟ كلما راجعت شرطا من شروط المخطوطة وجدتها تنطبق عليّ بالفعل، فأنا أريد إنقاذ ذلك الرجل وإنقاذ نفسي وأسرتي، بالتالي سأحقق شرط عدم الأنانية وحب الذات، وأنا كمروان أرى نفسي مصلحا، ومن جهة أخرى فسني صغير، لذا فقد حققت شرطا آخر، لكن كيف يمكنني السفر إلى العام ١٨٤٧ وكيف يمكن غلق البوابة الزمنية هناك في هذا الزمن، ثم أعود لأسرتي من جديد بعد إغلاقها؟

الزمن: مردد

الأمر عسير على فهمي، ليس لأنني في السادسة عشر من عمري، على العكس فقد درست كافة نظريات السفر الزمني التي وردت على لسان العلماء من قبل، بل لأن التفكير في كل ما يخص السفر الزمني يدير العقل ويشنته.

دخلت إلى المنزل من جديد وقد بدأت الشمس تتجه نحو المغيب، وبدأت أبحث عن أي شيء قد يفيد في سفري الطويل الذي لا أعلم عنه شيئاً، لحسن الحظ أنني اعتدت أن أترك حقيبتي في الحديقة عندما أعود للمنزل، لذلك فإن أهم أدواتي معي الآن، أخذت معي (صندوق عدة ربما أحتاج إليه) وحملت حقيبتي فوق ظهري وانطلقت نحو الكهف سيرا.

لم يكن هناك حراس على مدخل المحمية لحسن الحظ كما في المرة السابقة، فدخلت وسرت دقائق في الصحراء، كانت خطواتي بطيئة تلك المرة، على عكس المرة السابقة، ربما لأن الليل قد بدأ ينشر أستاره، بينما تلملم الشمس أشعتها في وهن، مما جعلني أشعر بشيء من الانقباض، أو ربما لأنني نويت الرحيل بلا أمل في العودة، لست أدري، كانت خطواتي متثاقلة حتى وصلت لمدخل الكهف، فبدأت أحرك الصخور من مكانها، وحين دخلت الكهف كان لا يزال مضيئاً كما تركناه، فدخلت ثم حاولت بقدر المستطاع أن أعيد الصخور إلى مكانها من جديد، أعلم إنها لن تصنع فارقاً، لكني أفعل كل ما يجب عليّ فعله، بعدها توجهت نحو الممر الأوسط بخطى بطيئة لكن واثقة، وها أنا ذا أقف أمام الشمس المضيئة استعداداً للسفر عبر الزمن، ترددت لحظات وأنا أفكر في مدى ضآلتي أمام الغاز الكون، سبحان من قال: "وفوق كل ذي علم عليم" صدق الله العظيم، ثم توجهت صوب الأضواء الرأسية الملونة التي تسد نهاية الكهف، مرت عليّ لحظات من التردد قطعتها بسير أول خطوة في اختراق البوابة الضوئية، حاولت تركيز عقلي على فكرة واحدة فقط، وهي وصولي إلى عام ١٨٤٧ قبل حدوث الزلزال، إلا أن عقلي امتلأ بأفكار

^{١٥} تذكرني يا أمي أن هذا الأمر سيفيدنا فيما بعد، لأنك دائماً كنت تقولين لي "لا تترك حقيبتك في الحديقة يا مروان لكي لا تمتلئ بالنمل والحشرات." لولا أن تركتها الآن لكنت قد فقدت محتوياتها إلى الأبد.

الرد: مرد

مختلطة لا تمت لذلك العام بصلة، انشغلت في البداية بالهواء الذي بدأ يلفح وجهي بقوة، ثم بتلك الإضاءات التي تتلألأ من حولي، وقد لفت انتباهي تألقها من حولي بإبداع شعرت معه أنني أشاهد واحدا من أكثر المناظر إمتاعا، هل تشعر بالسعادة حين تتأمل واجهة محل يعرض معروضات كريستالية؟ هكذا كان شعوري..

فجأة بدأت لقطات تتخلل تلك الإضاءات، لقطات من حياتي فيما يبدو، أرى مشاهد من حياتي لي مع أسرتي، ومع أصدقائي، في مدرستي، وأنا وحدي، هناك لقطات أعتقد إنها حدثت بالفعل، ولقطات أخرى لست أدري إن كانت قد حدثت ولا أذكرها أم أنها لم تحدث من الأساس.

الآن يجب أن أصرف تفكيري عن تلك المشتتات وأفكر فقط في وجهتي، ولكن كيف يمكن أن أفكر في وجهتي الزمنية ورأسي منشغل بكل ما أراه من حولي، ترى هل أنا أول مسافر زمني في التاريخ، لا هناك الرجل صاحب الكتابات والرموز على جدار الكهف، وهناك صديقه الذي يسافر معه، إذن أنا ثالث مسافر زمني، هل يمكن احتساب بطل رواية آلة الزمن لهربرت جورج ويلز، أم لا تحتسب لأنها رواية خيالية، بالمناسبة متى كتب ويلز تلك الرواية يا ترى، هل كتبها في العام الذي لا بد أن أسافر إليه أم قبلها أم بعدها؟ لست أدري، ركز يا مروان في وجهتك الآن.. هل أريد السفر إلى العام ١٨٤٧، أم أنه ١٨٤٥؟ أعتقد أن ويلز قد كتب روايته في منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر أي أنه بدأ في كتابة قصته قبل هذا بقليل، يمكننا القول إن ويلز بدأ يفكر في كتابة تلك الرواية في العام، ١٨٨٥ نعم أعتقد هذا... لماذا تخفت الأضواء القادمة من الأرض تدريجيا، يبدو أنني وصلت لوجهتي، وصلت إلى ذات المكان في الكهف من جديد، والآن أنا وحدي.. ترى هل نجحت في الوصول للعام المنشود؟

(خارج السياق - ٤) يرويها مجهول

الملك يقف مترقبا، والملكة تبدو على نظراتها الثقة، لكن قلبها يختلج بين ضلوعها في قلق وترقب، والكاهن يبدو واثقا مما يفعل، وحين انتهى من دق الأحجار اندفعت الأشعة الأرضية بقوة، فرفع الملك يده نحو السماء، وضرب الأرض بقدمه قائلا:

"انفتحي يا بوابة الحياة، انفتحي وأشرقى، واملئي حياتي بالسعادة والهناء."

ثم انحنى الكاهن لمولاه، وقال بخنوع:

"أمرك يا مولاي."

قال الملك بقوة:

"منذ اليوم، أنت كاهني، ووزيري، والقائم بجميع أعماله."

الفصل الثاني

أغرد وحيدا لا يسمع همسي سوى رب العباد

أرتحل وحدي . مليا نداء الأجداد

صفي النوايا . . تقي القلب والفؤاد

فالنستكشف الزمان يرويها مروان

خرجت من الكهف لأجد صحراء شاسعة، مترامية الأطراف، كنت أعلم هذا بالطبع، لذلك أخذت معي كل ما يمكنني من تحديد وجهتي لأتمكن من الوصول لأقرب حي سكني بسلام..

الفضول يجعلني أريد رؤية ما كان عليه منزلنا منذ قرنين من الزمان، الأمر بسيط فمسيرة خمس عشرة دقيقة توصلني إلى موقع الفيلا، سرت قليلا في الصحراء، أعتقد أن الوقت هو قبيل الشروق بقليل، فالسماوات تتحول من الأزرق الداكن إلى الأزرق الفاتح المختلط بأشعة الشمس البرتقالية الضعيفة.

ها هو المنزل، ولكن مهلا، كيف هذا؟ أنا أعلم أن لمنزلنا جذورا تاريخية، لكني لم أكن أعتقد أن أجده كما هو، ما تلك الفخامة! القصر يبدو شامخا في قلب الصحراء.. هل أغامر بطرق الباب والدخول؟ هل يمكنني زيارة أحد في مثل هذا الوقت يا ترى؟

سأجرب، فليس لدي ما أخسره، توجهت نحو باب الحديقة، دفعته فانفتح بسهولة، لم أجد حراسا، فعزمت أن أطرق باب القصر ذاته، لوهلة شعرت بذات الرهبة التي أشعر بها عندما أقف أمام قصر البارون في فخامته وضخامته، طرقت طرقتين خفيفتين وانتظرت دقائق، ثم طرقت طريقة أخرى وانتظرت من جديد، هممت بالطرق للمرة الثالثة، إلا أنني سمعت أصوات همهمة ترتفع، فاقتربت بأذني قليلا من الباب، فسمعت من يتحدث بصوت خفيض، ثم انفتح الباب فجأة فارتبكت وابتعدت سريعا لأجد رجلا في منتصف الأربعينات من عمره، ذو شارب كث مفتول لأعلى، يرتدي معطفا أنيقا، وشاحا يربطه في أناقاة فوق رقبته، بالطبع لم أستوعب فكرة أن يكون المرء بكامل زينته وقت الفجر إلا إن كان ذاهبا لحفل صباحي، نظر لي الرجل بحدة وهو يزم شفثيه لأعلى بكبر وغرور، وهو يقول بهدوء مبالغ فيه:

"من أنت يا فتى؟!"

(الرد): مرد

لست أدري لماذا ذكرني هذوئه بأحمد مظهر أو رشدي أباطة في واحد من تلك الأفلام القديمة، أردت أن ألقى عليه السلام أولاً.. ولكن.. ماذا كانت التحية في ذلك الزمن يا ترى، على قدر علمي من أفلام بدايات القرن العشرين، فقد كانت مصر لغويا واقعة إلى حد كبير تحت تأثير الحملة الفرنسية التي قامت في العام ١٧٩٨، لذلك كانوا يلقون التحية بالفرنسية، **"بونجور يا إكسيلانس"**، وإن كنا الآن في القرن التاسع عشر فربما كان التأثير يشمل ذلك الزمن أيضاً، وأحيانا كنت أسمع إسماعيل ياسين يقول **"سعيدة يا أفندي"** وسراج منير يقول **"نهارك سعيد"** يجب أن أتحدث سريعاً، فنظرة الكبر التي بدت على وجه الرجل بدأت تتحول إلى الملل والغضب، دعوني أجرب، **خرجت من فمي بضع كلمات مبعثرة، ومرتبكة:**

"السلام عليكم، نهارك سعيد بونجور يا إكسلانس."

ما هذا الذي أقوله؟ كرر الرجل سؤاله بمزيد من الريبة قائلاً:

"من أنت يا فتى؟"

هنا تأكدت من أنني كنت مخطئاً في اختيار الكلمات، حسناً فلنجرب من جديد..

"معذرة يا أفندي، في أي عام نحن؟"

نظر لي الرجل شذراً قائلاً:

"أفندي؟ هل تمزح معي؟"

قلت له معتذراً:

"أعتذر أقصد يا عمي، أريد فقط معرفة في أي عام نحن، هل نحن في العام

١٨٤٧؟ هل حدث زلزالاً قويا في مصر أم ليس بعد؟"

(الرد): مروان

تأملني الرجل بحيرة لبرهة، ثم هرش رأسه لحظات، ثم قال لي في شك:
" تفضل بالدخول.. "

تجولت بعيني في المكان، أتأمل فخامته وأناقته، التحف تملأ المكان وكأن قنبلة أثرية فجرت متحفا في ذلك القصر، هناك سيدة جالسة بجوار المدفئة على مقعد خشبي تحيك شيئا ما بالخيط والإبرة، تتفحصني بنظراتها المرتابة.

أشار الرجل إلى إحدى المقاعد لأجلس، وهو يقول لي ببطء وتأنٍ شديدين، جعلني أتمنى أن أكون أمام شاشة الحاسوب، أضغط على الإعدادات في طرف الشاشة ثم أضاعف من سرعة كلام الرجل، فأنا من القرن الحادي والعشرين، لا أستطيع تحمل هدوء وبرود أعصاب سكان هذا الزمن:

"تفضل... بالجلوس... أولا.... يا بني،،،،، لم تخبرني.... من أنت؟"

قلت له بسرعة وكأني أحاول تعويض البطء الشديد في كلماته:

"اسمي مروان أتيت من مكان بعيد لأصلح خطأ ما، إما أنه حدث أو سيحدث خلال هذا العام."

ثم استطردت قائلاً:

"لست عرافاً بالمناسبة، ولكني علمت هذا الأمر الذي سيحدث من.... "

قاطعني الرجل قائلاً بهدوئه المستقر، والذي ذكرني بحيوان الكسلان من فيلم الأنيميشن "زوتوبيا":

"السفر الزمني، هل أنت مسافر عبر الزمن يا مروان؟ "

نظرت للرجل نظرة طويلة صامتة، يبدو أنه ظهر على وجهي الدهشة بشكل ما، ربما بسبب فاهي الذي انفجر فجأة؟ كيف علم هذا الرجل من القرن التاسع عشر أنني مسافر زمني، إلا إن كان هو نفسه مسافراً زمنياً..

" دهشتك تلك تنبئني أنني على صواب، نحن الآن في العام ١٨٨٦. "

(الردى: مرد)

قالها الرجل بثقة شديدة جعلتني أتساءل في جزع:

"أي أن الزلزال قد حدث بالفعل، والفجوة الزمنية انفتحت بالفعل؟"

أجابني الرجل بذات الهدوء:

"الفجوة انفتحت نعم، لكن ما علاقة الزلزال بفتحها؟"

توقفت الأفكار في رأسي فجأة، ما سبب فتح تلك الفجوة إذن إن لم تكن

الزلازل؟ قال الرجل وقد شعر بحيرتي:

"هل تلقيت رسالة زمنية في المستقبل تستجد بك من الماضي؟"

هزرت رأسي بالإيجاب، فقال لي:

"يبدو لي أنك لم تتبع تعليمات الرسالة بشكل صحيح إذن، أي عام كنت تقصد

السفر إليه يا بني؟"

أجبت به بآلية:

"١٨٤٧"

توقعت من أسئلته أنه الرجل الغريب الذي أرسل تلك الرسالة، فقلت له:

"هل أنت من أرسل تلك الرسالة؟"

هز رأسه هزة لم أفهم معناها، ربما تكون نعم أنا من أرسلها، وربما تكون

بمعنى سأريك جزاء ما فعلت، لست مطمئنا لا أدري لماذا.. حانت مني التفاتة

نحو السيدة الجالسة بجوار النافذة، والتي لا زالت تحيك شيئا لم أدر كنهه –

ترى من يحيك شيئا في الصباح الباكر هكذا – لأجد أنها تنتظر لنا بحدة غير

مبررة، فارتجف قلبي من نظراتها، بينما قال الرجل بعد برهة:

(الرد): مرد

"أنا رشدي مظهر الشرفاوي، بالفعل أنا من أرسل لك الرسالة من الماضي، لكي تساعدني في سد ذلك الشق."

لقد أصبت إذن حين ذكرني بمزيج بين أحمد مظهر ورشدي أباظة، يبدو أن تخميننا بأن اسم المرسل فريد كان تخميناً خاطئاً، **فقلت له:**

"أهلاً بك يا سيد رشدي، المشكلة أن رسالتك كانت مبهمة إلى حد كبير، فقد عانيت حتى فهمت أغلب ما ورد بها، إلا أنني يمكنني السفر من جديد للماضي، لأقابل نسختك الشابة التي أرسلت لي الرسالة."

أجابني الرجل وقد بدأ يشعر بضجر لم أفهم سببه:

"اسمع يا بني، لا يمكنك تكرار السفر الزمني في أوقات متقاربة، لأن هذا قد يؤثر على عقلك بشكل سلبي، الشيء الآخر الذي علمته ولكن بعد أن فات الألوان أن السفر لا يتم إلا للماضي فقط، كما أنك إذا وددت عيش ذلك الخط الزمني من جديد لابد أن يكون لك وجود في الماضي، أي أنني يمكنني السفر بوعبي فقط طالما أنني أسافر إلى زمان أتواجد فيه بالفعل، أما في حالة عدم تواجدك في ذلك الزمان ينتقل جسدك بالكامل في الزمن، ولن تستطيع العودة إلى زمانك، إن أردت أن تسافر من جديد للقاء نسختي الشابة، يجب أن يكون لك وجود مادي في ذلك الماضي، وأنا أعتقد أنك على الأرجح لم تتجاوز العشرين من عمرك."

هنا بدأت أشعر بضيق في صدري من تلك المعلومات التي لم أكن أعلم عنها شيئاً، هل معنى هذا أنني حبيس هذا الزمن؟ لا أستطيع العودة لأهلي من جديد؟

سألته بإحباط قائلاً:

"ولماذا أرسلت تلك الرسالة المبهمة دون أن تذكر تلك الأمور؟"

(الردى: مرد)

تظاهر الرجل إنه لم يسمع سؤالي، ثم قال:

"من أي زمن أنت يا مروان؟"

نظرت له بتردد شديد، وأنا أقول له ببطء:

"أتيت من عام ٢٠٣٩ .."

هب من مقعده فجأة، وللمرة الأولى أرى أن ذهولي قد انتقل للرجل الذي قال لي:

"بفارق قرنين من الزمان؟"

هزرت رأسي أن نعم، فقال لي بشيء من الإشفاق:

"أي أنك حبيس هذا الزمان.."

هزرت رأسي من جديد، فغمغم بغضب بكلمات لم أفهمها، وبالطبع لم أستوعب ما قال، وهممت بسؤاله عما يعنيه، لكنني ترددت واكتفيت بسؤاله:

"أخبرني يا سيد رشدي، ما قصة هذا الكهف بالضبط؟"

قال لي الرجل بحزن ظهر في صوته ولامحه:

"إنه يشبه لعنة من نوع ما، سأروي لك الحكاية... منذ البداية.."

ما هذا الأداء التمثيلي الذي يؤديه هذا الرجل؟ هزرت رأسي متصنعاً الإهتمام وأنا أستعد لسماع القصة، لقد مللت أسلوب ذلك الرجل، كيف سأتحمل البقاء هنا في هذا الزمن، لم أعتد هذا البطء والهدوء على الإطلاق..

(دعونا نفهم.. يرويها رشدي)

الزمان: عام ١٨٦٠، المكان: حي الحسين، هل ترى الشباب الثلاثة الجالسون على تلك المقاعد في ذلك المقهى في حي الحسين؟

جيد جدا.. سأعرفك عليهم، ذلك الشاب أطولهم قامة ذو الشارب السميك المفتول لأعلى ذلك أنا رشدي مظهر في الثانية والعشرين من عمري، وهناك ذلك الشاب الذي يلوح بيديه في حماس وهو يشرح لصديقيه فكرة مسيطرة على رأسه، هذا سلطان صديقي وجاري، في الثامنة والعشرين من عمره، أما الثالث هذا والذي يبدو شاردا قليلا وهو يداعب زر طربوشه بغير اكتراث، بالضبط هذا هو فريد،^{١٦} أجارنا أيضا في الخامسة والعشرين من عمره، نعم أنا أصغرهم سنا، ولكن ألا ترى معي أنني أكبرهم عقلا؟ فلنقترب قليلا لنسترق السمع، ها هو سلطان يقول بحماس مبالغ فيه:

"صدقوني، الأمر كما أخبرتكم بالضبط، إنها خارطة الكنز، لا أستطيع إحضارها إلى المقهى، ولكن ثقوا أنها ستفتح لنا أبواب العز."

نظر له فريد بشك، بينما فتلت شاربي لأعلى وأنا أقول:

"إذن نلتقي في منزلك غدا عند الظهيرة.."

^{١٦} فريد؟ هل هذا فريد الذي أرسل الرسالة؟ ومن رشدي إذن؟ ليس أمامي سوى أن أنتظر رشدي هذا حتى ينتهي من روايته، يبدو أنني دخلت عرين الأسد بقدمي.

(الرؤى: رؤى)

في اليوم التالي، ذهبنا أنا وفريد لمنزل سلطان وها نحن نطرق الباب برفق، منزل سلطان كان منزلا واسعا له صحن هواؤه منعش صيفا، فطلبت منه الجلوس في ذلك الصحن، فتلفت حوله بريبة وهو يقول:

" بل سنجلس في غرفتي"

وها نحن الآن في غرفة سلطان، والتي على الرغم من اتساعها، إلا أنها لا تحوي الكثير من الأثاث، هناك ذلك السرير ذو الناموسية، والخزانة التي تعلوها مجموعة من السلال المصنوعة من الخوص، وتلك الطاولة بجوار المشربية والتي يحيط بها أربعة مقاعد، فاتخذت منهم مقعدا، بينما اتخذ فريد مقعدا آخر، ثم قام سلطان بنقل أحد المقاعد أسفل دولا به ليستغله في الوصول إلى السلة الوسطى، بالفعل أحضر السلة، فقامت من مقعدي وتناولتها منه مسرعا، حتى يستطيع النزول بأمان من فوق المقعد.

فتح سلطان غطاء السلة وأخرج منها ذلك الصندوق ووضع فوق الطاولة، لتسقط فوقه أشعة الشمس المنقطعة القادمة من المشربية، مما منح الأمر رهبة لم أدر لها سببا.

بدا لي الصندوق عتيقا، وكأنه قادم من زمان آخر، وقد كتب عليه من الخارج مزيجا من الكتابة العثمانية ومجموعة من الرموز بلغة أخرى غير مفهومة، حينما فتح سلطان الصندوق شعرت برجفة خفيفة، فتعجبت مما أصابني، وذلك لأنني لست ممن يصدقون تلك الأمور الخيالية بسهولة، أخرج سلطان تلك الخارطة المطوية عدة طيات بعناية شديدة، وقام بفردها ببطء شديد جعلني أشعر بتلك الرجفة من جديد، هناك شيئا عجيبا يحدث أكاد أن أقسم، لكن فلننتظر حتى ينتهي سلطان من فتح الخريطة.

الخارطة تبدو عتيقة جدا، كما أن حجمها كبير، يقترب عرضها من المتر، لذلك قام سلطان بتثبيتها أرضا وجلس كل منا على أحد أطرافها، ثم بدأ يشير إليها قائلا:

(الردى: رشى)

"تلك هي خريطة الكنز، خريطة كاملة تضم مصر ودول الشام وبلاد الحجاز^{١٧} كما ترون، هناك كنز مخفي في تلك المنطقة، أترون تلك الدائرة الحمراء على أطراف القاهرة؟ هي التي تعبر عن موقع الكنز.."

تأملتُ الخريطة باهتمام، هناك بالفعل تلك المنطقة التي تم تحديدها بالحبر الأحمر الثقيل، وحول تلك الدائرة الحمراء هناك ثلاث مربعات غير منتظمة تم رسمها بالحبر الأخضر، كل مربع من تلك المربعات رسم عليه سهم إلى داخل المربع وسهم آخر إلى خارجه، على يمين الخريطة هناك عدة مفاتيح لرموز موجودة بالخريطة بالفعل، كتب بجوار كل رمز تفسيراً بحروف عربية لكنها مبعثرة بشكل يمنع من تكوين كلمات مفيدة، يبدو أنها شفرة من نوع خاص، أسفل الخريطة هناك كلمات كتبت بخط عثماني قديم،

فأشار سلطان للكتابة العثمانية قائلاً:

"هل يفهم أحدكم تلك الكتابة؟"

هز فريد رأسه نفياً، بينما ترددت لحظات قبل أن أقول لسلطان:

"نعم أنا أفهم معناها، أستطيع قراءتها."

أجاب ونبرة الإنتصار واضحة في صوته:

"كنت متأكد من هذا، والدك يحب تعليمك تلك الأشياء."

بالفعل هذا ما حدث، منذ نعومة أظفاري ووالدي يسقيني من علمه، الذي تعلمه في الماضي، أولاً يزال يتعلمه، حتى أصبح ملماً به، تفحصت الكلمات لحظات ثم قرأت بصوت مرتفع:

"كنزك سلاح ذو حدين، ستحي حياتين، وتموت مرتين، وتقسم زمانك إلى قسمين، ستختار أحدهما أو كليهما، لكن احذر مرة ومرة، فلتحذر مرتين، ستجدد الشباب، واحذر أن تفقد الأحباب، وبعد أن يفتح الشق، ينقسم الزمان

^{١٧} السعودية في الماضي كانت تسمى بلاد الحجاز..

(الرد): رشي

قسمين، ويخرج الكنز الأثري، فيقتل صورتك، ويضاعف شبابك ضعفين... ولكن فلتحذر من نفسك وشروها، قد تؤذي أجيالا وأجيال، وتحيا بذنب كل من آذيت في الزمنين، ولن تسافر حينها إلا للوراء لتصلح ما أفسدته بتلك اليديين.."

بعد أن انتهيت قال فريد متعجبا:

"إن الأمر غامض ومخيف."

وعقب سلطان على كلمات فريد بحماسة قائلا:

"على العكس، إنه غامض ومثير.."

مد فريد يده إلى الصندوق وهو يمسك أحجاراً تركها سلطان في قاع الصندوق، ثم قلبها بيده وهو يقول:

"وما تلك الأحجار؟"

ساعده سلطان في إخراجها من الصندوق ورصها فوق الطاولة وهو يقول:

"تلك الأحجار هي التي ستساعدنا في إيجاد الكنز، أنظروا ها هنا.."

قالها وهو يشير أسفل الخريطة، ليرينا مجموعة من الرموز التي تمكنا من العثور على الكنز، مجموعة من الأشكال الهندسية ما يقرب من سبعة أشكال المطلوب إحضار أحجار تحمل نفس تلك الأشكال ونحتها من صخور الجبل ذاته، بعد هذا يقوم فاتح الفجوة برسم تلك الأشكال بمقياس معين مكتوب على الخريطة، ثم الدق بكل صخرة فوق الشكل المفرغ الخاص بها على الأرض سبع مرات، بعد تلك الخطوات مرسوم شكل صندوق يشبه صناديق الكنز في القصص المصورة.. فقلت متسانلا:

"هل معنى هذا أننا سننحت صخورا تشبه تلك الصخور؟"

نظر لي سلطان مليا، وكأنه يلعن ذكائي، ثم قال:

"بالطبع لا يا رشدي، هذا الصندوق به كل ما نحتاجه، يبدو أن أحدهم كان يبحث عن الكنز، وفعل كل ما يلزم للعثور عليه، لكن يبدو أنه لم يتم المهمة، فأخفى ذلك الصندوق بكل ما فيه.."

(الرد): رشدي

قال فريد متشككا:

" ألم يقرع ذلك في رأسك أي أجراس؟ ذهب مجهزا بكل ما يلزم للعثور على الكنز، وحين فشل، ترك الصندوق بما فيه في ذلك المكان الذي وجدته فيه، أين عثرت عليه بالمناسبة؟"

ارتبك سلطان قليلا ثم ابتلع ريقه قائلا:

"منذ قرابة اليومين، دخلت الإسطبل لكي أطعم الأحصنة، لكنني وجدت قطعة تنبش في قطعة أرض بعينها في الإسطبل، وقد ظهر جزء صغير من جسم الصندوق، هششتها بيدي، ثم استكملت حفر الأرض لأجد هذا الصندوق."

لم تبد لي روايته منطقية، وقد زاد ارتبাকে من ريبة الأمر، لا أريد أن أطيل عليك يا مروان، المهم أن سلطان في النهاية استطاع أن يقنعنا بالذهاب معه إلى موضع الكنز على الخريطة..

في اليوم التالي أخذنا عربة الأحصنة التي يمتلكها والد سلطان، ثم وضعنا فيها كل ما أمكننا تصوره، الصندوق بصخوره وخرائطه بالطبع، عدة حفر للوصول للكنز إذا لزم الأمر، أحبال للتسلق إن وجد، وغيرها من الأدوات التي اعتقدنا أننا قد نحتاج إليها..

قبل الذهاب طويت الخريطة عدة طيات بحيث تبقت لدي فقط المنطقة التي ننوي الذهاب إليها، وفي أثناء ذهابنا إلى تلك البقعة تأملت الخريطة لأجد تلك المربعات الخضراء التي تحيط بالبقعة الحمراء المنشودة، فسألت سلطان قائلا:

"ما تلك المربعات الخضراء يا سلطان؟"

أجابني وهو يتأمل الخريطة بدوره:

"لست أدري يا رشدي، لابد أن لها دورا في العثور على الكنز."

(الرد: رشدي)

ساد الصمت باقي الرحلة، وأنا أحاول التركيز لأعثر على كافة المناطق التي تم تمييزها في الخريطة، حتى مررنا بتلك البقعة التي من المفترض أن بها موقع أحد تلك المربعات الخضراء، فأشرت إلى القصر المبني في تلك البقعة قائلا: " أنظروا إلى هذا القصر، هذا الموقع هو ذاته موقع المربع الأخضر الأول. "

تأملًا معي القصر بلهفة، وغمغم فريد قائلا:

"من ذا الذي قد يبني قصرا في مثل هذا المكان البعيد عن العمران؟"

هزرت رأسي موافقا على كلماته بهزة بسيطة لم يلاحظها سواي، بينما ظلت أبصارنا معلقة بالقصر، والعربة تتباعد عن القصر ليصغر في أعيننا حتى تلاشى تماما.

تساءل فريد قائلا:

"هل معنى هذا أن المربعات الخضراء أيضا تابعة للكنز؟"

أجيبته مفكرا:

"أو ربما تكون تلك المربعات الخضراء هي مواقع السكان الذين عثروا على الكنز بالفعل.."

فقال سلطان بدهشة:

"طالما أن هناك من عثر على الكنز؟ لماذا أخفى ذلك الصندوق في مكان بعيد؟ كان الأولى أن يحفظه في منزله الخاص مثلا. "

فكرت من جديد:

"ربما أخذ ما كفاه وترك الباقي ليستمع به غيره.. "

نظر لي فريد في سخرية وهو يقول:

"هل تعتقد أن من وجد كنزا سيتركه للجميع هكذا؟ بالطبع سينفرد به لنفسه.. "

قال سلطان بضيق وقد شعر أن جملة فريد أثارتة:

(الرد): رشدي

" ماذا تقصد يا فريد، حين وجدت الخارطة لم أنفرد بها لنفسي ولكني شاركتها معكم، مع أصدقائي.. "

بدا لي أن الشيطان يحاول أن يوقع العداوة والبغضاء فيما بيننا، وبالطبع كما أخبرتك يا مروان، فأنا صوت العقل في هذه المجموعة، **فقلت ملطفا الجو:**
"بالطبع نحن رفاقك يا سلطان، إن فريد أحيانا قد يتفوه بكل ما يفكر به، دون تمرير الكلام على عقله."

التفت لي فريد في استنكار فنكرته بكوعي لكي يصمت الآن، وأشارت إلى ذلك الجبل الذي بدأ يظهر من بعيد وأنا أقول:
"يبدو أن هذا الجبل هو وجهتنا..."

التفت سلطان وفريد نحو موضع الجبل، ولكننا شعرنا جميعا برجفة حين رأيناه يقترب، وبدأت الأحصنة التي تجر العربّة تتوتر حتى أنني شعرت بأنها لا تريد التوجه لذلك الموقع، فقال فريد مشيرا إلى منطقة بجوار الجبل مباشرة:
"يبدو أن لدينا صحبة ها هنا يا رفيقي، أنظرا إلى تلك الخيمة المجاورة للجبل."

بالفعل هناك خيمة لكنها تبدو خالية إلا من جمل يرقد بجوارها مستندا على قدميه الأماميتين، ويتلفت حوله في كسل، وحين رأنا أطلق رغاء خفيفا ثم عاد ليتلفت حوله من جديد، فحاولنا وضع عربّة الأحصنة بعيدا عن مجال بصره، وأخرجنا الصندوق من العربّة وتوجهنا نحو مدخل الكهف.

مدخل الكهف تسده شبكة تشبه شبكة صيد السمك، يبدو أن من وضعها أراد أن يتمكن من الدخول لكن في ذات الوقت يعطي إيحاء بمنع الدخول إلى ذلك الكهف، لست أدري لماذا شعرت أن هناك من سبقنا للكنز ثم أخفى ذلك الصندوق..

أخرجت سكيننا جلبته معي وقطعت أطراف الشبكة، وتوجهنا إلى داخل الكهف، بالطبع الطريق كان مظلما فاقترح فريد أن نشعل المشعل الذي أحضرناه معنا، فتوقفنا لحظات حتى أشعلنا المشعل ثم شققنا طريقنا عبر الكهف، وعند منتصف

(الرد: رشدي)

الطريق وقع اختيارنا على الطريق الأوسط بعد تفكير عميق، واستكملنا المسيرة حتى وصلنا إلى نهاية النفق الأوسط، لنجد جدارا يسد الجهة الأخرى من الكهف كتبت فوقه كتابات عثمانية مزخرفة بشكل أنيق،

فقرأتها بصوت عال:

"يا زائر الكهف إن الشق منفتح، طابق القوالب، اطرق الأرض بالأحجار سبعا، ثم اختر طريقك، اصنع زمانك بيدك، ستعود سنين للوراء، ولن تتقدم إلا في سياق حياتك، حين تخترق ما أنت مخترقه وتنوي السفر عبر الأزمان، فقط فكر في ذكرى أو حدثا عشت، ستعود أعوام للوراء بعقلك ليس بجسدك، ثم تعيش أحداثا لن يغيرها سواك، وإن عدت لذكرى أقدم منك ستعود بجسدك ليس بعقلك، ولتنس زمانك فلن تعود، ولتعش أبدا في ذلك الزمان."

وماذا إن عدت ولم تغير ما قدر؟ أو ماذا إن غيرت ما قدر، ولم ترض بقدرك، ثلاث بوابات خضراء فلتدخل وتخرج منها حيثما شئت لتختر زمانك وتعيش بمكانك، ولكن احترس من خطوة إن خطوتها، فلا عودة بعدها."

هنا تجهمت ولم أفهم شيئا على الإطلاق، هل كل ذلك الكنز هو عبارة عن سفر عبر الأزمان؟ نظرت لرفيقي قائلا:

"هل فهمتما شيئا؟"

قال فريد في دهشة:

"أخشى ألا أكون قد فهمت الكلمات بشكل صحيح؟ هل معنى هذا أن باستطاعتي العودة إلى أي عام منذ ولدت وحتى لحظتنا الحالية، وأستطيع تغيير كل ما أريد تغييره؟"

ثم قال سلطان مستكملا:

"لقد أجابت الكلمات عن سؤالك بخصوص البقاع الخضراء على الخريطة."

(الرد): رشي

رددت بصوت خافت:

"إن لم أستطع عمل التغيير الذي أريده، يمكنني الانتقال إلى الأحداث الأصلية من حياتي من جديد عن طريق تلك المواقع."

قال فريد بإحباط:

" لا أفهم شيئاً.. أهذا هو الكنز؟"

هزرت رأسي قائلاً:

" يبدو هذا يا فريد، أريد منكما قراراً يا رفيقي، هل نستكمل الطريق؟ ونفتح ذلك الباب الزمني؟ أم نعود لمنزلنا؟ "

قال سلطان مصححاً:

" لا يجب أن تسأل السؤال بهذا الشكل يا رشدي، بل يجب أن تكون صيغة السؤال هي هل يريد أحد منا تغيير شيء في ماضيه؟ "

اتكأت بكتفي على جدار الكهف، أفكر مع رفاقي في الخطوة التالية، إن الإغراء عظيم بالفعل، فكل منا بالتأكيد لديه حدث ما يندم على وجوده في حياته ويتمنى تغييره، بعد لحظات طويلة من التفكير قلت لهما:

" هيا نفعلها، لن نخسر شيئاً، بل قد نكسب أشياء."

لحظات من الصمت مرت، تبتعتها موافقة كل من فريد وسلطان، فقمنا جميعاً لنبدأ ما جئنا لأجله، ها هي الأحجار، والمطلوب الآن أن نطرق الأرض بتلك الأحجار بعد أن نرسم تلك الأشكال على أرض الكهف، وهذا ما فعلنا بالفعل، هناك سهماً على الجدار الأيسر وسهماً آخر على الجدار الأيمن، يبدو أنهما يمثلان نقطتي البداية، ها نحن أولاء نمسك بالطبشور الجيري ونرسم أشكالاً فوق الأرض، مربع، دائرة، مثلث، شكل نجمي، شكل هلال، شكل ثماني وشكل سداسي، ثم قمنا بطرق الأرض باستخدام كل شكل في موضعه، سبع مرات لكل شكل، ثم انتظرنا لحظات كانت كفيلاً بإصابتنا بنوبة قلبية، إلا أن

(الرؤى: رؤى)

الأرض لم تلبث أن اهتزت بشكل بسيط أولاً، ثم اهتزت بقوة بعد ذلك ثم بدأ يظهر ذلك الشق في الأرض، فوق أماكن الأشكال التي رسمناها تماماً، يسد علينا الطريق الواصل إلى نهاية الكهف، ابتعدنا بسرعة عن ذلك الشق وحاولنا الاحتماء في أحد صخور الكهف، لنرى كتلة من الأشعة الملونة تتدفق من ذلك الشق المكون في أرضية الكهف، ظل ذلك الفيض من الأشعة الملونة يتألق بألوانه المتعددة، إلا أن اللونين الأخضر والأزرق كانا هما الغالبين، تبادلنا نظرات التعجب لمدة دقائق، وفجأة رأينا ذلك الشاب ذو الجلباب رمادي اللون، والشامة البنية على جبينه، يعدو مسرعاً من الممر الذي كنا فيه للتو، ثم قال موجهاً كلامه لنا في توبيخ (ونحن لا نعرفه بالمناسبة، لماذا يوبخنا إذا؟):

"بسم الله الرحمن الرحيم، ماذا فعلتم، ماذا فعلتم؟ هل استدعيتم الشياطين من جديد؟"

تبادلنا النظرات الصامتة مرة أخرى، فعرض الرجل على شفته السفلى بضيق فظهر طابع الحسن على ذقنه، ثم أكمل بلهجته البدوية، وكأنه لم يهتم إن كنا سنجيب أم لا:

"كيف وصلتم إلى هنا وكيف دخلتم؟ ولماذا فتحتم الشق من جديد؟"

هنا كان يجب أن نتحدث، خرجت من خلف الصخرة التي احتميت بها من الأضواء، وأنا أمد يدي تجاهه قائلاً:

"رشدني مظهر، تشرفت بمعرفتك وأنت...؟"

لم يبد أنه سمع ما قلت من الأساس، إلا أنه ظل ينقل بصره بيننا وبين حزمة الأشعة الخارجة من الشق في مزيج من الدهشة والغضب، فقال سلطان هامساً:

"يبدو أنه في حالة صدمة."

هزرت رأسي مؤيداً كلامه، ثم قلت للرجل من جديد:

(الرد): رشي

"هل أنت حارس تلك المنطقة؟"

أجاب أخيراً:

"أنا عرفان خفير تلك المنطقة وحارس الجبل، وظيفتي هنا أن أمنع فتح الشق من جديد.."

"هل تعني أنه كان مفتوحاً من قبل وتم سده؟"

"نعم كان مفتوحاً، ووالدي كان أحد هؤلاء الذين قاموا بسده."

هنا قال له فريد متسائلاً:

"أليس هذا هو الكنز؟ لماذا سدّدتموه إذا؟"

قال الرجل بسخرية:

"نعم هذا هو الكنز، الكنز الشيطاني، وأنتم عثرتم عليه من جديد..."

عندها قلت للرجل:

"نحن لا نفهم شيئاً من سخريتك تلك، هل يمكنك أن تشرح لنا؟"

فأجاب باستفاضة قائلاً:

"ما أعلمه عن هذا الكنز هو ما أخبرني به والدي، ثلاث رجال قاموا بفتح هذا الكنز منذ زمن بعيد، وعاشوا في قصور البوابات الزمنية، كان كل منهم إذا أراد تغيير حدث ما بحياته اخترق ذلك الشق الزمني وهو يفكر في وجهته الزمنية، لا يوم أبعد ولا يوم أقرب، لكي يغير أحداث حياته، وبالتالي صنعوا العديد والعديد من مسارات حياتهم من خلال هذا الشق، وظلوا يتنقلون بين تلك المسارات، ويسافرون عبر الزمان فيصنعون مسارا جديدا للأحداث حتى جن أحدهم من كثرة العودة للماضي، لأنهم قد اكتشفوا أن تلك العودة المتكررة تؤثر على خلايا المخ، وخاصة إذا كان المسافر سنه كبير، فالشباب لا يتأثرون بنفس

(الزمن): رشي

الدرجة، والآخر ذهب لزمان أبعد من زمان ولادته ففقد في الماضي السحيق وأرسل لأصدقائه رسالة من قرون مضت، مع أحفاد أحفاده، أنه لن يعود لأنه لم يتمكن من السفر إلى المستقبل، أما الصديق الأخير فأخبر والدي الذي كان يعمل خفيرا لديه، أنه كلما عاد في الزمن وقام بتغيير شيء سيء من حياته حدث له شيئا آخر بديل، وكأن ذلك عقاب الله على معاندته للقدر، لذا كان عليه أن يختار المسار الزمني الذي يحيا فيه، وقد وقع اختياره على مسار زمني آخر، وطلب من والدي الذهاب معه لذلك المسار الآخر. "

كنا نستمع لكلمات الرجل في دهشة، ولكنني قاطعته قائلا:

" ما هذا المسار وكيف يذهب إليه؟"

أجاب الرجل وقد بدأ يهدأ وكأنه قد نسي سبب انفعاله:

" حول بقعة الكنز هناك ثلاثة بقاع خضراء أساسية، كل بقعة تحتوي على نقطة تحكم هي عبارة عن بلاطة حجرية متحركة يتم ضغطها عدد مرات تطابق رقم الخط الزمني الذي ترغب في الذهاب إليه، وذلك بعد أن تعود بالزمن للخلف تصنع واقعا بديلا، يختلف عن واقعك الذي تعيش فيه اختلافا طفيفا أو تمام الاختلاف، قد تسافر مرة أو مرتين أو ثلاثة لتجد أن التغيير الذي حدث لم يتم بالشكل الذي أردته، عندها يمكنك التنقل إلى المسار الزمني الأول أو الثاني أو الثالث لتختار الأفضل."

قلت بشرود:

" أي أن تلك البوابات هي نقطة تلاقي المسارات الزمنية المختلفة.."

قال سلطان بانبهار:

" رائع. "

(الرجل): رشي

فقال لنا الرجل محذرا:

" لا يغرنكم ما قلت، فقد اغتر من قبلكم، وفي النهاية تكتشفون أن قدركم الحالي هو أفضل ما يمكن أن يحدث لكم."

قلت له وأنا أخرج بضع عملات من جيبِي:

" تفضل يا عرفان أفندي، خذ هذه واطرنا قليلا."

نظر الرجل ليدي الممدودة وهو يقول بحزم مبالغ فيه:

"أنهزأ مني؟ بالتأكيد لن أتحرك من هنا، ولن أترككم حتى أراكم خارج الكهف الآن."

لست أدري لما اعتبر كلمة أفندي تلك استهزاء به، ربما قصدت بقولها بالفعل قليل من الاستهزاء، لكنني أردت أيضا أن أعطيه بعض الاحترام، **فقال فريد محاولاً تلطيف الجو:**

"إن صديقي لم يقصد مضايقتك يا سيد عرفان، إنه فقط يمزح معك."

هزرت رأسي مبتسما لأؤكد على كلمات فريد، إلا أن الرجل وقف عاقدا ذراعيه في تحد، معطيا ظهره للأشعة الأرضية الملونة، **وهو يقول:**

"على جثتي أن يستخدم أحدكم ذلك الشق من جديد."

اقتربت منه وأنا أحاول أن أربت على كتفه طلبا السماح، ودون أن أقصد دفعته إلى داخل الشق دفعا، ففزعت وهلعت وأنا أسمع صرخاته وهو يخترق الشق الزمني، **فقال سلطان بخوف:**

"هل قتلته؟"

(الرؤى: رؤى)

أجبتَه قانلاً:

"بالطبع لا، ربما يعود في الزمن بضع سنوات، لكن بالتأكيد لم يمت."

فقال فريد بشيء من القلق:

"لكن لم تكن لديه فرصة للتفكير في وجهته الزمنية، هل ضل طريقه في مجرى الزمان؟"

فقال سلطان:

"يبدو أن هذا الكنز شيطاني بالفعل."

قلت لهما مطمئناً:

"لا تقلقوا، لم يحدث شيء بالتأكيد والرجل يعلم وجهته، دعونا من هذا الأمر لنذهب الآن لنستكشف أماكن الثلاثة قصور ثم نعود للكهف من جديد."

هز فريد رأسه بعدم إقتناع، وهو يقول:

"حسناً، هيا لنذهب."

وصلنا أخيراً إلى مدخل الكهف، إلا أن أشد ما أفرغنا هو وجود تلك الشجرة غريبة الشكل ذات الفروع المتجهة لأعلى، أكاد أن أجزم أنها لم تكن هنا حين دخلنا الكهف، تبادلنا النظرات المرتبكة قليلاً، ونحن ننظر للشجرة بشك، ثم بدأنا رحلة البحث عن القصور الثلاثة.

(فريد العمري) يرويها مروان

كنت أسمع كلمات الرجل وأنا أستعيد كلمات المخطوطة بدقة، هناك من يسمى فريد بالفعل في القصة، ولكنه ليس هذا الرجل، أي إنه لم يرسل تلك الرسالة، الغريب أن تلك السيدة التي تحيك شيئا ما كانت تنتظر لي من وقت لآخر نظرات لم أفهمها، وكانت تشير لي إشارات غريبة أثارت ريبتي.

وصل الرجل في روايته إلى الجزء الخاص بالشجرة الغريبة، لم أتعجب عند رؤية تلك الشجرة ولم أدرك أن وراءها سرا، الغريب أن الذي قتل نفسا الآن هو رشدي ذلك الشخص الجالس أمامي، بدأت أتململ في مقعدي بقلق، وأنا أسأله:

"وماذا حدث لفريد وسلطان؟"

أطال النظر لي في شك ثم أخذ نفسا عميقا، وزفره ببطء وهو يقول:
"لقد ماتا للأسف بسبب جشعهما ورغبتهما المستمرة في السفر عبر الزمن حتى بعد أن علما بمخاطره."

نظرت إليه مليا، وحمدت الله في سري أنني لم أخبره بمحتوى الرسالة، فما أخبرني به بعيد كل البعد عما أخبرتنا به الرسالة، هل هناك أدنى احتمال أن يكون هذا الرجل هو قاتل رفاقه، وهل هناك احتمال أن يكون فريد ذلك الذي راسلنا قد مات بالفعل؟ بالتأكيد لن أسأله، لكني لا بد أن أفر من هنا فورا، هببت من مجلسي فجأة ومددت يدي إليه وأنا أقول له:

"أشكرك كثيرا يا سيد رشدي، لقد أفدنتني إفادة عظيمة."

نظر ليدي الممدودة بدهشة وهو يقول:

"لم أستكمل لك ما حدث بعد."

قلت له مصطنع الإمتنان:

"على العكس لقد فهمت ما حدث بالضبط."

(الرد): مرد

وتوجهت نحو الباب، فوقف أمامي قائلاً بحزم:

"ليس قبل أن تتناول معنا طعام الإفطار."

لم أشأ أن أثر ربيته، فجلست مرة أخرى، وألقى نظرة على زوجته، ليجدها لا تزال منهمكة في الحياكة، فقال لها:

"هل يمكنك تجهيز الإفطار لنا يا ودا؟"

هزت رأسها ثم نحت ما بيدها جانبا وتوجهت نحو المطبخ مسرعة، دقائق وخرجت من جديد لتهمس لزوجها بأذنه فيرافقها إلى المطبخ ثم يخرجان وهما يحملان بعض الأطباق الخزفية المزركشة، ثم تتعثر قدمها في السجادة الفخمة بجوار طاولة الطعام فيسبقها زوجها للمطبخ بخطوات، حيث تتمكن هي بإلقاء وريقة بجواري، ثم تسرع من جديد نحو المطبخ، الورقة كتبت بخط بالكاد يقرأ بسبب كتابته على عجلة:

"ارحل فوراً، اهرب من هذا المنزل، لجأت للرجل الخطأ، فريد حي، عنوانه هو"

طويت الورقة فوراً وضعتها بجيبتي وانتظرت خروجهما من المطبخ ببعض الأطباق تمهيدا لعودتهما إلى المطبخ من جديد، وحين عاد الرجل إلى المطبخ، عدوت نحو باب المنزل، وبحذر فتحته وأغلقتها دون صوت وانطلقت أعدو بالصراخ.

الرد: مرد

بعد أن ابتعدت بالقدر الكافي، وقفت لألتقط أنفاسي، وبدأت أفكر في كيفية تحديد موقعي، لحسن الحظ أنني انتقلت بجسدي انتقالا كاملا، ولم أنقل فقط بوعيي كما أخبرني رشدي هذا، لذلك فحقيبة ظهري لا تزال معي والحمد لله، ففتحتها وأخرجت منها هاتفي ثم قمت بتشغيل تطبيق الخرائط، الغريب في الأمر أن موقعي تحدد ها هنا وكأنني في زمني، بنفس العمارات وتقسيم الشوارع، وذلك مفهوم بالفعل، فلا توجد أقمار صناعية بعد، لذلك فالتطبيق يعتقد أنني لا أزال في زمني، تأملت الشاشة باهتمام، لأجد أن موقعي هذا بجوار مطعم بيتزا أعشقه في زمني، لكن يحل محله في ذلك الزمن تلك الصحراء القاحلة، حاولت أن أبحث عن العنوان المطلوب بشكل تقريبي لكي يسهل علي المهمة، تقريبا سأسير لمدة تقترب من الست ساعات، ستكون رحلتي طويلة بالفعل، الجميل في الأمر أنني أحضرت معي زجاجة مياه وشطيرة لحم بالخضروات وضعتها لي أُمي بحقيبتني صباح يوم اخفائهم، لأنني أحب تناول الطعام بالحديقة، الآن ظهرت قيمتها، أتمنى فقط أن أصل للموقع المطلوب قبل أن أشعر بالجوع أو العطش.

بدأت السير في طريقي مهتديا بتطبيق الخرائط، إلا أن بعد مسيرة ثلاث ساعات بدأت أصل للعمران، ليس عمرانا بالمعنى المعروف، إلا أنني بدأت أرى أناسا يسيرون وعربات بأحصنة، وبضع منازل، تشبه البيوت القديمة التي نراها في وسط القاهرة الأثرية، إلا أنها ولدهشتي الشديدة كانت تبدو جديدة، هل يمكنني تصويرها والاحتفاظ بها؟ لا أريد لفت الأنظار بالطبع، تكفيني ملابسني التي تختلف عن ملابسهم تمام الاختلاف، وحقيبة ظهري ذات المظهر الحديث، لذا فلأستكمل طريقي.

الطقس يبدو رائعا على الرغم من أنها الظهيرة والشمس تقترب من منتصف السماء، إلا أنني كنت قد قرأت قبلا، أن العرب في الماضي كانوا يتبعون أساليب ببنية في بناء المنازل، لذلك كانت الشوارع العامة واسعة إلى حد ما، والتي كانت تؤدي إلى أزقة أضيق فأضيق، ذلك التغيير في الاتساع كان يؤثر في اختلاف الضغط الجوي مما يؤدي إلى حركة الهواء من المناطق ذات

(الرد): مرد

الضغط الجوي المرتفع إلى المناطق ذات الضغط الجوي المنخفض، مما يزيد من سرعة الرياح بازدياد مقدار الضغط بين المنطقتين، وبالتالي الحصول على مناخ لطيف صيفا بدون الحاجة لوسائل التهوية الصناعية التي يعج بها زماني.

واصلت سيرتي متأملا البيوت من حولي، والسائرين بالطريق، ثم مررت على ما يشبه المقهى، وتوجهت نحو رجلين توسمت فيهما الخير والطيبة، ثم ألقيت عليهما السلام وأخرجت الورقة من جيبتي وطويت السطر الأخير لكي يبدو أمامهما العنوان فقط، وسألتهما:

"أتعرفان كيف أصل لهذا العنوان؟"

تبادلا النظر، ثم نظرا لملابسي وحقيبتني في شيء من الدهشة، ثم أجابني أحدهما قائلاً:

"تبدو غريباً يا بني، أعلم كيفية الوصول بالفعل لكن لا يمكنك الذهاب سيرا.."

قلت له بوهن وأنا أستاذنه بالجلوس على المقعد المجاور له:

"نعم يا عمي، سفري كان طويلاً، وليس معي ما يكفي لأستقل عربة."

نظر لي الرجل الآخر بشك، ففهمت مقصده، واستطردت:

"أنا لست متسولاً، بل فقط أريد وصفاً لهذا العنوان، فحياتي تتوقف على وصولي هناك."

طمأنه الرجل الأول بهزة رأس ثم وجه لي الكلام قائلاً:

"انتظرني هنا يا بني لحظات."

ثم ارتشف رشفة من الكوب الذي كان أمامه، وهب واقفاً وهو ينادي:

"زكريا، يا زكريا، هل معك زبائن؟ لا؟ حسناً، أرجوك أن توصل ابن عمي هذا للعنوان الذي معه، حسابه معي، سأحاسبك حينما تعود."

نظرتُ للرجل بإمتنان قائلاً:

"أشكرك كثير الشكر يا عمي، يسر لك ربي الخير من أمرك."

(الرد: مرد)

ابتسم لي الرجل قائلا وهو يشير لموضع ما خلفي:

"لا شكر على واجب يا بني، ها هي العربية التي ستوصلك."

التفتت لأجد زكريا هذا يتوجه نحونا بعربة صغيرة يجرها حصان أسود لامع، تشبه الحنطور، وأشار إلى بكفه إشارة بمعنى هيا اركب، أو لا نريد تعطيل.

ركبت خلفه في المقعد الوثير الخلفي، وبدأت العربية تتهادى في مشيتها، بينما يجرها الحصان بقوة ورفق في ذات الوقت، وبدأت أشعر بقليل من الاسترخاء للمرة الأولى منذ بدأت رحلتي، فأرجعت ظهري للخلف وتأملت الحياة من حولي، الشوارع بدت لي كأنها لوحة فنية رائعة، رأيت حياة البشر تسير ببطء دونما ملل، الناس تسير في الشوارع تعلو وجوههم ابتسامة، وبين حين وآخر تسمع أحدهم يلقي السلام على الآخر ويسأله عن أسرته بتأني وتؤدة، نظرت لأعلى لأتأمل البيوت ذات الارتفاعات الصغيرة، وتلك الفتاة التي تفتح النافذة المربعة الصغيرة بمنصف المشربية لكي تنادي على أخيها الأصغر ليبتاع لها شيئا ما، نظرت حولي من جديد، لأجد أغرب ما رأيت منذ أن وصلت لهذا الزمن، عربة تشبه عربة ترام بها ٤ مقاعد منهم مقعدين متقابلين في المنتصف، تمتلئ العربية بالبشر، ويجرها حمارين،

فسألت زكريا بدهشة:

"ما هذا؟"

نظر إلى موضع إشارتي، ولمحت نبرة تعجب في كلماته وهو يقول:

"ألا تعرف السوارس؟"

تذكرت الجملة التي كان جدي أسعد يقولها على سبيل المزاح من فيلم بين القصرين، والتي تقولها الست أمينة لسي السيد (السوارس صدمتني يا سي السيد) فابتسمت وصمتت قليلا لأرتب أفكاري ثم قلت له:

"أنا غريب أتيت من قرية بعيدة، هل تعتبر السوارس وسيلة نقل مثل الحنطور؟"

(الرد): مرد

قال لي:

"الحنطور وسيلة نقل فاخرة، ويجرها أجود أنواع الخيول، أما السوارس فهي وسيلة نقل عامة وهناك سوارس طابق واحد أو طابقين."

قلت له بفهم:

"أي أن العامة يركبون السوارس فقط؟ "

نظر خلفه وهو يستحث الحصان على السير أسرع قليلا، فرأيت نظراته المتشككة، وهو يقول:

"العامة يركبون السوارس أو الكارو، وهي عربة يجرها حمار، قلت لي من أين أنت؟ "

قلت له بارتباك حاولت إخفاءه:

" لقد أخبرتك أنني من قرية بعيدة، وجئت لزيارة عمي في ذلك العنوان الذي أعطيتك إياه."

علم أنني لم أرد التحدث فصمت حتى نهاية الطريق، وحين وصلنا إلى العنوان، نزلت من العربة وشكرت الرجل بشدة، ثم توجهت نحو الباب الذي اعتقدت أنه العنوان المنشود، تأملت الشجرتين وارفتي الظلال بجوار الباب لحظات، في ذات الوقت الذي طرقت فيه الباب بضع طرقات خفيفة، انقضت لحظات ثم سمعت حركة بسيطة وبضع همهمات، بعدها فتح لي الباب بتؤدة رجلا في منتصف الثلاثينات، فألقيت عليه السلام بارتباك وأنا أسأله عن السيد فريد، فأجابني ببشاشة مطلقة، وأشار لي أن أتفضل بالدخول.

دخلت المنزل بالفعل متتبعا خطوات الرجل الذي استقبلني، وتأملت جمال وحيوية المنزل، سرنا قليلا بداخل ممر أوصلنا إلى صحن الدار كما يسمونه في المنازل العربية القديمة، لقد رأيت مثله من قبل حين ذهبنا في تلك الرحلة المدرسية إلى بيت السحيمي، الرحلة التي جعلتني بالفعل أتمنى العودة للحياة في تلك الأزمان القديمة، المهم أننا وصلنا إلى الصحن وهو عبارة عن حديقة

الرد: مرد

صغيرة في منتصف المنزل، استخدمها العرب في الماضي لتلطيف درجات حرارة المنزل، وعلى الأغلب كانت تطل عليها الغرف بالدور السفلي والتي كانت غالبا تخصص لاستقبال الرجال، وكانوا يسمونها السلامك، والغرف العلوية التي كانت تخصص للنوم، وبها جناح لاستقبال النساء كانوا يسمونه الحرمك، أعتقد أن الوضع هنا متشابه إلى حد كبير، فالشاب صحتني إلى تلك الغرفة التي تطل على الصحن، أعتقد أن اسمها إيوان، فالإيوان هو عبارة عن قاعة مسقوفة محاطة بثلاث جدران، والجهة الرابعة إما تكون مفتوحة تماما، أو مصفوفة بأعمدة، وأحيانا تكون متصلة برواق مفتوح يطل علي الفناء الداخلي، بالنسبة لتلك القاعة، فهي مفتوحة تماما على الحديقة.

تحتوي القاعة على مقاعد خشبية ذات خرط إسلامي منحوت بدقة شديدة، تعلوها وسائد سمكية لتشعر الجالس بالراحة، وتتوسط الغرفة تلك الطاولة الخشبية الفخمة، تأملت فخامة المكان برهبة، بينما أشار لي الرجل بالجلوس، فاتخذت من إحدى المقاعد المطلة على الصحن مجلسا، ثم ودعني بابتسامة توقعت أنها قد تعني "انتظر لحظات، سأخبر فريد أنك هنا"، أو شيء من هذا القبيل، انتظرت بضع دقائق وأنا أتأمل الحديقة التي جلست في مواجهتها، لماذا أسمع صوت أُمي يتردد في رأسي وهي تقول (منزلهم أجمل أم منزلنا أجمل؟) كعادتها حين تراني أعجب بشيء ما بشدة، وتريد أن تلفت انتباهي أن ما رزقنا الله به هو نعمة جميلة تستحق الحمد، لا تغضبي يا أُمي إنني أمزح فقط معك.

بينما أنا غارق في أفكاري دخل ذلك الرجل طويل القامة، حليق الوجه، والذي يبدو في منتصف الخمسينات من عمره، ألقى علي السلام وهو يمد يده مصافحا وهو يقول:

" أهلا يا بني، أنا فريد العمري، من أين تعرفني؟"

شعرت بشيء من الألفة بسبب أسلوب الرجل المهدب، وبسبب تشابه اسم عائلته مع اسم عائلة والدتي فأنا أحفظ اسم والدتي سداسي وفي نهايته يظهر لقب العمري "مريم شاهين وجدي حسين سليمان العمري" قلت للرجل بشيء من التردد:

(الرد): مروان

" اسمي مروان، أنا غريب عن هذا المكان، وأرغب بطلب مساعدتك يا سيد فريد. "

نظر لي نظرة متفحصة، وكأنه يراني للمرة الأولى، ما هذا الذي أقوله؟ إن الرجل بالفعل يراني للمرة الأولى، يبدو أن رحلتي الطويلة قد أرهقت ذهني، ثم أشار إلى ملابسي وحقيبتني قائلاً:

"لا يبدو لي أنك من هذا الزمان يا مروان يا بني، هل أتيت بخصوص الرسالة؟"

ظهرت على وجهي ابتسامة أمل واسعة وأنا أهز رأسي بشدة علامة الإيجاب،
إلا أنه قال بشيء من الأسى:

" لكنك صغير للغاية يا بني، تبدو بذات عمر حفيدي سليمان. "

تعجبت من جديد من اسم حفيده، لأن معنى هذا أن هناك تكرار لاسم آخر من أسماء أجداد والدتي، لكنني تغاضيت عن الأمر ونحيته جانباً لكي أفهم أكثر،
وقلت له:

"من جهة لا يوجد سواي لينفذ أسرتي، ومن جهة أخرى أشارت رسالتك لتفضيل السن الصغير. "

ضحك الرجل ضحكة رصينة للغاية، تكونت من ثلاثة مقاطع فقط، لست أدري كيف لكنه فعلها، **وهو ينظر لي بشفقة قائلاً:**

"ها ها ها قصدت أن يكون متوسط العمر في العشرينات أو الثلاثينات وألا يزيد بأي حال عن منتصف الأربعينات، لكنك تبدو في الرابعة عشر من عمرك على أقصى تقدير. "

لوهلة تذكرت كلمات خالي أدهم، ثم قلت له بكبرياء وقد شعرت بشيء من الإهانة حين قلل من سنوات عمري:

"بل في السادسة عشر وبعد شهرين أتمم السابعة عشر من عمري، وأنت لم توضح السن المناسب فرسالتك كانت مبهمة للغاية. "

(الرد): مرد

لوهلة ظهرت على ملامح الرجل علامات تعجب لم أدر لها سببا، ثم قال والابتسامة لا تزال تملأ وجهه:

"الرسالة كانت مبهمة؟ كيف هذا؟ لا يهم يا بني، المهم أنك وصلت بالسلامة."

ابتسمت من جديد، ثم استدرك الرجل بدهشة:

"ولكن كيف وصلت لعنواني إذن طالما كانت الرسالة مبهمة؟"

بالفعل هكذا يكون السؤال، أو أن أسأله بطريقة أخرى، لماذا لم يضع عنوانه في المخطوطة، لكنني حاولت كتمان السؤال بداخلي لأقول له:

"على الرغم من عدم تركك لأي عنوان في المخطوطة إلا أنني وصلت الحمد لله، سأروي لك كيف الآن."

في تلك اللحظة سمعت طرقات على باب الإيوان، واستأذني الرجل في الذهاب لحظات، ليعود حاملا صينية بها عدد من الأواني النحاسية بها مختلف أشكال الطعام، وكؤوسا زجاجية لمحت بها سوائل ملونة تشبه العصير، فقدم الرجل الصينية أمامي قائلا:

"يمكنك تناول الطعام بينما تروي لي قصتك، ففيما يبدو كان سفرك طويلا."

شكرت الرجل وهممت بتناول الطعام، بالطبع قد يكون الرجل كاذبا، وقد يكون الطعام مسموما، لكنني لن أسمح لتلك الأفكار بتنغيص وجبتي التي أنتظرها منذ ما يقرب من أربع وعشرون ساعة، أنا أتضور جوعا الآن فلا يحدثني أحد عن عدم الثقة، وتناول الطعام في منازل الغرباء، وعلى الأخص والدي ووالدتي، فأنا أحاول إنقاذكما الآن.. المهم أنني انقضضت على الطعام بلهفة، كنت ممسكا بقطعة اللحم فأقضمها بشراهة كرجل الكهف، وكنت أرفع كوب العصير على فمي فأنتهي منه دفعة واحدة، أما حبات الأرز فكانت تتساقط فوق ملابسني متتابعة، خلاصة القول أنني كنت أتناول الطعام كمن يأكل آخر زاده، فأشار لي الرجل إلى قطعة قماش مطرزة بجوار الصينية لأمسح بها فمي وأضعها فوق ملابسني، فشكرته وتابعت تناول الطعام، حتى انتهيت تماما، فأحضر لي الحوض النحاسي الذي كان في ركن الغرفة، وإبريق نحاسي أنيق

(الراوي: مرد)

لكي أتمكن من غسل يدي دون أن أذهب إلى الحمام، رائعة تلك الفكرة،
ذكروني حين أعود أن أنفذها في غرفتي.

المهم أنني غسلت يدي وفي ثم شكرت الرجل بشدة على تلك الوليمة، ثم
رويت له قصتي بدءاً من شراء جدي عبد الكريم القصر، مروراً برحلاتي
الزمنية، وحتى وصلت لباب داره.

أنا الآن أتعامل بحدسي الذي فشل مرة من قبل مع السيد رشدي، وأتمنى أن
يصدق الآن مع السيد فريد، فأنا بالفعل أشعر بأنه إنسان مهذب ذو أصل طيب،
كان في تلك اللحظة يستمع إلى ما أروي به باهتمام، ولم يقاطع حديثي حتى
النهاية، وبعد أن انتهيت قال لي بشيء من الأسى:

"يوسفني أنني لا أعلم كيفية عودتك لزمانك من جديد. "

صمتت قليلاً لأنه فيما يبدو يحاول تجميع أفكاره، إلا أنني فجأة راودني الفضول
حول منزلنا، فسألته:

" ما نوع الانتقال الذي يحدث لمنزلنا يا سيد فريد، وأين يختفي من به فجأة؟"

نظر لي بعمق قائلاً:

"منزلكم يحتوي على إحدى نقاط التلاقي التي تربط ما بين الخطوط الزمنية،
وتسمح لك بالانتقال عبرها لكي تختار البديل الزمني الأنسب لحياتك."

سألته قائلاً:

"يبدو الأمر عسير على الفهم، كيف اكتشفتموه؟ "

أجابني قائلاً:

" كان هناك مفتاح للرموز على يمين الخريطة، ذلك المفتاح هو ما ساعدنا في
فهم الكثير من الأمور، فكانت هناك تلك الدوائر الخضراء على اليمين وكان
أسفلها ذلك النقش لحيوان خرافي، ذو جسم حصان ورأس نمر وجناحي صقر،
ومكتوب فوقه (يمم وجهك صوب البيت، أطرق الأرض بقدمك مرة، أطرق

(الرد): مرد

مرتين، أطرق ثلاثة، فأكثر، تنتقل عبر زمان زمنين ثلاثة فأكثر، والعودة تكون بذات الطريق، إن يمت وجهك شطر الشق الأخضر.)

من هنا ربطنا بين تلك الجملة وبين ما قال لنا عرفان، ففهمنا طريقة التنقل عبر المسارات الزمنية، من خلال تلك البلاطة الحجرية في مدخل المنزل، وذلك من خلال ضغطها عدد من المرات يساوي رقم الخط الزمني المطلوب الانتقال إليه، ما حدث لكم، على حسب اعتقادي، إن هناك خلل ما حدث بسبب تلك اللعنة فصار تأثير الشق أقوى حتى مع انسداد مدخل الكهف، وربما كان ارتباط ذلك الانتقال بالزلازل، نتج عن تحرك البلاطة الحجرية بشكل لا إرادي أثناء حدوث الزلزال.

ثم سألتني باهتمام شديد:

" ذكرت لي يا مروان شيئاً عجيباً بخصوص حدسك وحدس والدتك فيما يخص الكهف، وأنكما تشعران بالأمر قبل حدوثه، أليس كذلك؟ "

أجبت قائلاً:

" بلى يا سيد فريد."

فقال لي:

" أنا أيضاً يحدث معي ذات الأمر، وعبد الله ولدي أيضاً حين ذهب للكهف كان يرى رؤى متفرقة بخصوص أشياء لا يعلم عنها شيئاً، هل علم خالك وزوجته أو أحد من والديك سر ذلك الأمر؟ "

قلت له مفكراً:

" يعتقدون أنه حدس أو غريزة شعور بالخطر. "

عاد للصمت من جديد، بينما غرقت أنا في أفكاري العجيبة، ما نسبة أن يكون ذلك الرجل هو أحد أجدادي وهل الأفضل أن أسأله أم أكتفم الأمر عنه، إلا أنني قررت أن أتحدث فلا يوجد ما يمكن أن أخسره، فهو إما جدي أو لا:

(الرد: مرد)

"هناك معلومة يا سيد فريد لست أدري إن كانت ذات نفع لك أم لا، اسم والدتي الذي أعلمه هو "مريم شاهين وجدي حسين سليمان العمري" وقد فهمت أن اسم حفيدك هو سليمان العمري، فهل يعقل بأي شكل من الأشكال أن أكون حفيدك؟"

رفع حاجبه الأيمن وظل صامتا، لم أشأ أن أقطع صمته، لأنه من الواضح أنه يفكر بعمق، وقد دفعني التوتر إلى النظر في ساعتني كل دقيقتين، لكنني بدأت أشعر بالملل بالفعل بعد الدقيقة الخامسة عشر، كما أنني أرغب بشدة في احتضان السرير الآن، تنحنحت قليلا لكي أنبه الرجل لوجودي، فنظر لي بدهشة من لم يعتد مقاطعة تفكيره، وقال لي:

"هل هناك خطب ما؟"

قلت له بشيء من الارتباك:

"أردت فقط أن نتشارك الأفكار، هل توصلت لشيء؟"

قال لي بذات الرصانة:

"توصلت لشيء إلا أنه غريب عسير على الفهم، لا أدري إن كان ما افترضته صحيحا أم لا، إلا أنه فيه شيء من المنطقية."

هزرت رأسي قائلا:

"ربما إن أخبرتني به قد تكون لدي وجهة نظر في الأمر قد تفيد في بناء تلك الفرضية."

ابتسم وهو ينظر لي ذات النظرة التي ينظرها لي أفراد أسرتي الغاليين، نظرة الفخر التي أعتز بها وأحمد الله عليها، ثم قال:

"لقد بحثت كثيرا حول ذلك الكنز الذي عثرنا عليه، وحين قابلنا الحارس عرفان وقت دخولنا للكهف للمرة الأولى، أصابني شيء من القلق، وقد ازداد قلقي حين دفعه رشدي إلى البوابة بقسوة لم نعتدها منه من قبل، فرشدي هذا كان شابا ذكيا، لا يمكنه ارتكاب حماقات، إلا أنه بعد إيجاد الكنز، شهدنا منه تغيرا شديدا، صار ذكاؤه نقمة عليه، وقد تسبب في توليد شيء من الكبر في

الرد: مردك

طباعه وشخصيته، أما انتقالاته الزمنية المتكررة، فساهمت في جبروته، وصار يتعامل معنا بدونية شديدة، بالطبع لم نكن نعلم الكثير من الأشياء حول ذلك الكنز، إلا أنني لجأت للبحث عن الكتب التي تخصصت في وصف الكنوز القديمة، بالطبع وجدت كتباً تتحدث عن كنوز الحضارات المصرية القديمة، وكنز قارون، وغيرهم، واستمررت بأبحاثي سنوات حتى توصلت إلى كتاباً عتيقاً يتحدث عن كنز في ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، وفهمت أن هذا هو ذات كنزنا، يتحدث الكتاب عن الكنز كسلاح ذو حدين، فالأشعة التي تخرج من الأرض ذات تأثير قوي على البشر، حيث تؤثر على الجانب الذي يطغى على نفسك، إن كان الإيثار ومحبة الناس، فإنه يزيد من تلك المشاعر لديك، وتصبح إنساناً ذو قلب كبير محب وعطوف، أما إن كان في قلبك شيء من الكبر فإن شعورك هذا يتعاضم ويتفاقم، لذلك فهو يبحث في نفسك عن الخير والشر ويعظم الجانب الأقوى، الغريب في الأمر أن فتح تلك البوابة الزمنية يقوم بنشر لعنة ونشر شيء مضاد للعنة، لعنة لع نش هس سسس اي سا سا باك تا ننناااا .."

ما هذا؟ لماذا لا أفهم شيئاً، كلمات الرجل لم أعد أسمعها، بل صار يتردد صداها في ذهني وكأنها آتية من جب عميق، أسلوبه الهادئ في الكلام يبعث على النعاس، أم أنه وضع لي مخدراً في الطعام؟ أتتأعب بقوة، ثم أتتأعب مرة أخرى، ثم لم أدر ما حدث بعد ذلك.

(الرد): مرد

نسمة هواء رقيقة تداعب وجهي فأتمطى في فراشي بكسل، وأفتح عيني، أين أنا؟ لا أزال في ذات الإيوان والهواء أت من جهة الصحن، نظرت في ساعتني لأكتشف مرور ما يقرب من أربعة عشر ساعة على نومي، لا أذكر سوى أن الرجل كان يفسر لي شيئاً ما، نعم تذكرت الآن كان يحكي لي عثوره على كتاب تاريخي وأنا اعتقدت أنه قام بتخديري، نظرت من حولي، يبدو أنه دثرني بذلك الغطاء الخفيف وأطفأ القنديل، وخرج ليسمح لي بالراحة، أعتقد أنني سأنتظره حتى يأت إذاً، سمعت صوتاً يطلب الإذن لدخول الإيوان **فقلت:**

"تفضل."

فدخل صبي قد يصغرنى بعام أو اثنين، **قائلاً:**

"لقد استيقظت أخيراً، لا أطيق صبراً منذ أن أخبرني جدي عنك، أنا سليمان."

ابتسمت قائلاً:

"نعم استيقظت، صباح الخير يا سليمان."

فقال لي مازحاً:

"سليمان فقط هكذا؟ أنا جدك يا فتى.. نعم أصغرك بعامين لكن في الواقع أنا جدك."

ضحكت بقوة لأول مرة منذ بدأت تلك الرحلة، **وقلت له:**

"لقد علمت الآن ممن ورثت خفة ظلي يا جدي."

ثم ضحكنا سوياً، **فقال لي:**

"نحن ننتظرك لتناول الطعام سوياً، جدتي قامت بتجهيز الإفطار، هل أنت جوعان؟"

قلت له:

"أتصور جوعاً."

فقال:

"إذا هيا لأعرفك على أسرتك."

قمت من فراشي وتبعته لخارج الإيوان، يبدو واثقا من حديثه ذلك الفتى، مررنا بالصحن ثم اتجهنا إلى غرفة أخرى بها جلسات عربية عبارة عن مجموعة من الوسائد التي تشكل ما يشبه الأرائك الأرضية، وهناك تلك الطاولة القصيرة التي تشبه الطبلية التي كان دائما ما يحدثني عنها جدي عبد الكريم، لكنها كبيرة وتعلوها صينية نحاسية منقوشة بالنقوش الإسلامية، لم يكن هناك أحد بالغرفة بعد، فافترشت إحدى تلك الوسائد لأجدها مريحة إلى حد يجعلك لا تفكر في تركها أبدا، فجلست وجلس بجواري سليمان وهو يقول بحماس:

"جدي روى لنا ما حدث لك بالأمس، في الواقع لا يمكنني تخيل أنك من زمن آخر، وأنت في الواقع حفيدي، لكن كل الدلائل تشير لهذا الأمر بالفعل، كما أخبرك جدي بالأمس قبل أن تغط في نوم عميق."

قلت له بحيرة:

"يبدو أنني غرقت بالنوم قبل أن أسمع ما قال، آخر شيء أذكره أنه كان يخبرني أنه عثر على كتاب ما يخبره أن هذا الكنز هو سلاح ذو حدين لمن يعثر عليه."

فقال لي بحماس واضح:

"نعم.. نعم.. سأستكمل لك، بالفعل لقد توصل جدي إلى معلومات لم يكن يعلمها من قبل من خلال ذلك الكتاب، القاعدة الأساسية هي أن ذلك الكنز لا يمكن أن يكون فرديا، بل جماعيا، لابد أن يفتح البوابة اثنين على الأقل، لذلك توحى الخارطة بشكل خفي لمستخدميها أن يخبروا أحدا بمشاركتهم، وذلك لأن الكنز له شقين أساسيين، الشق الأول هو لعنة على من تسول له نفسه استخدام البوابة في الشر، وللأسف تلك اللعنة لن تصبه وحده، بل قد تمتد لتشمل من حوله بشكل عشوائي، أي أن شرها لن يؤثر عليه وحده، بل قد يؤدي غيره أيضا."

(الرد): مرد

فقلت له وقد انتقلت لي حماسته:

"والشق الثاني؟"

فأجابني بابتسامة عريضة:

" الشق الثاني عكس ذلك تماما، فهو عطية مضادة لتلك اللعنة، تصيب الشخص نقي القلب ذو الأصل الطيب ونسله، بمعنى آخر هي بصيرة تجعله يشعر بالكهف وكأنه كائن حي يتنفس، وهو يشعر بتلك الأنفاس، فتجده يعلم خبايا الكهف وطرقه ومسالكه، ويعلم ضمنيا وجوب استخدام البوابة في الخير، فهو لا يلجأ لتلك البوابة لتغيير قدر، أو لفعل أناني، بل لعمل إنساني أو إنقاذ روح."

قطبت حاجبي وأنا أحاول استيعاب كلماته، فقلت له:

"وهذا ما فعل جدك بالضبط، أليس كذلك؟"

هز رأسه قائلا:

" هذا صحيح، فجدي لم يتخذ أي خطوة في السفر الزمني إلا بعد أن تأكد من المعطيات التي أمامه، ولكن يبدو أنه لا يزال الكثير لتعلمه، فعودتك يا مروان أخبرتنا أن هناك موهبة أخرى تعطيها البوابة لنسل أنقياء القلوب، وهي موهبة الشعور بالخطر والاستعانة بالعائلة عن بعد، أي أن جدي وولده وحفيده وحفيد حفيده يمكنهم الاستعانة ببعضهم البعض عن بعد، فقط من خلال الشعور دون أي تواجد مادي، وهو ما حدث معك والدتك."

قلت مفكرا:

"معنى هذا أن استغاثة جدي الأكبر فريد الذهنية، أثرت لا إراديا على عقل والدتي عبر الأزمان؛ لكي تتعرف على والدي الذي يقيم في ذلك القصر الملعون لكي تحبه ثم تساعد في إيقاف اللعنة... ولكن لماذا لم يمتلك خالي تلك الموهبة؟"

(الردى: مرد)

أجابني قائلا:

"الأمر طبيعي فأخي الأكبر وعمتي لم يمتلكا الموهبة بعد.. ولكن أعتقد أن موهبة خالك كانت في الكشف عن أسرار الكهف."

هزرت رأسي قائلا:

"الأمر غريب جدا وعسير على الفهم."

ابتسم قائلا:

"وما الذي يسهل علينا فهمه منذ بدأت تلك الأحداث؟"

قلت له:

"معك حق.."

هزرت رأسي موافقا، ثم سألته قائلا:

"أعلم أين اختفت أسرتي، ولماذا تؤثر البوابة في موقع المنزل بهذا الشكل؟"

فأجابني قائلا بدهشة:

"ألم تتعرف بعد على وظيفة المخارج الثلاثة؟"

أجبت بشيء من الحرج:

"ليس تماما، كنت مرهقا بشدة بالأمس فلم أستطع استيعاب الأمر."

فقال لي بشكل لم أتوقع أن أسمعه من صبي في مثل سنه من جهة، وفي القرن التاسع عشر من جهة أخرى:

"هل سمعت من قبل عما يسمى الخط الزمني؟"

ابتسمت قائلا:

"بالطبع سمعت عنه، وقرأت كتبا كثيرة تتحدث عنه، كما شاهدت أفلام وثائقية وخيالية عن نظريات الخطوط الزمنية."

(الراوي: مرد)

فنظر لي بدهشة قائلا:

"أفلام؟"

استدركت قائلا:

"في زمننا توجد وسيلة ترفيه تسمى تلفاز، تعرض لنا قصصا وروايات مصورة يطلق عليها أفلام، أما أبطال تلك الروايات، يطلق عليهم ممثلين، يمكنك اعتبارها إحدى وسائل الترفيه في عصري."

قال لي كمن فهم الأمر فجأة:

"تقصد أنها روايات كالتي يرويها الراوي، ولكن بدلا من الراوي يمثلها بشر مثلنا؟ يبدو لي الأمر كأن تقرأ رواية فتتخيل أشخاصا يؤدون تلك الرواية أمامك."

قلت له بإعجاب واضح:

"بالضبط هكذا يا سليمان."

فحذرنى بسبابته مازحا، فابتسمت قائلا:

"أقصد يا جدي سليمان، هيا فلتستكمل ما كنت تتحدث عنه."

قال لي موضحا:

"الخط الزمني الذي نحيا فيه هو خط واحد فقط يبدأ منذ بداية الخلق وينتهي وقت أن يأذن الله."

هزرت رأسي متفقا فأكمل:

"حين انفتح ذلك الشق، بدأت اللعنة، فكان كل تعديل يحدث في الخط الزمني الرئيس، يقسم الخط الزمني إلى خطوط متعددة ببدائل متعددة، التحكم في تلك المسارات الزمنية كان يتم من خلال ثلاثة بوابات، كل بوابة في أحد القصور، حينما عثر جدي وأصدقائه على القصر الأول، استولى عليه رشدي بوضع اليد، وقال هذا ملكي أنا، وحينما عثروا على القصر الثاني، قرر سلطان أن يمتلكه، وحين وصلوا جميعا إلى موقع المنزل الثالث لم يجدوا شيئا، بل وجدوا

(الولد): مرد

أطلال بناء منهدم، فبالطبع لم يحصل جدي فريد على بوابة مثلهم، إلا أن سلطان – والذي كان يحب جدي فريد، كما كان يمتاز بالطيبة المطلقة – أخبر جدي أنه يمكنه استخدام بوابته وقتما شاء، بعدها عاش رشدي في ذلك القصر بينما عاش سلطان في قصره."

قلت له وقد بدأ عقلي في الاستيعاب:

"أي أن القصر ينتقل بأكمله في خط زمني بديل بمن داخله!"

هز رأسه بالإيجاب وهم بالرد، ولكننا سمعنا صوتا يتحدث خارج الإيوان، ثم دخل فريد وتبعه ابنه عبد الله الذي قال لي:

"أتمنى أن تكون قد نمت جيدا."

هزرت رأسي أن نعم، فربت على كتفي بحنان مطلق، ثم جلس بجواري، هناك مثلاً يقول "أعز من الولد ولد الولد" فما بالك بحفيد حفيد الحفيد؟ لحقت به سيدة تعلو ملامحها الطيبة وهي تحمل صينية طعام ممثلة بما لذ وطاب، ثم تبعتها سيدة أخرى أصغر سناً، فقال سليمان مشيراً إلى السيدة حاملة الصينية:

"تلك جدتي صفية."

ثم أشار للأخرى قائلاً:

"وتلك والدتي أمينة."

هزرت رأسي قائلاً:

"سعدت بمعرفتكم جميعاً."

فقالت الجدة صفية:

"لقد سعدنا بمعرفتك يا ولدي، هيا سم الله وتناول طعامك فرحلتك كانت طويلة ويبدو جسمك هزيلًا، ألا تأكل في زمنك؟"

الجدة هي الجدة في كل مكان، وزمان، حتى وإن رأيتي ممثلة ذو خدود مكتنزة، ستراني هزيلًا، ووجهي شاحبًا، هزرت رأسي بابتسامة وأنا أقول:

(الرد): مردك

"حاضر يا جدتي."

ابتسمت بسعادة وهي تربت على ظهري بحنان قائلة:

"بالصحة والعافية."

تناولنا إفطارنا في جو عائلي ممتع، وبعد انتهاء الطعام، قلت للجد فريد:
"أريد أن أعلم ما حدث لك ولأصدقائك، من أيضا لديه موهبتك يا جدي؟ وهل
لا تزال على تواصل معهم؟ وكيف علمت زوجة رشدي محل سكنك؟"

شعر الجد فريد بحماسي المبالغ لمعرفة ما حدث فابتسم قائلاً:

"رويدك يا مروان، سأقص عليك كل شيء."

قلت له بلهفة:

"كلي أذان صاغية.."

نظر فريد لنقطة بعيدة فوق الجدار المقابل وكأنه يسترجع ذكرى بعينها قائلاً:
"حين فتحنا البوابة شعرت بمشاعر مختلطة، ورأيت أشكالاً هندسية تشبه
الأشكال التي فتحنا بها البوابة تتطاير خارج البوابة، رأيت بعض الأشكال
تصيبني في قلبي، وأشكالاً أخرى تصيب رشدي وسلطان، شعرت بالهلع
وحاولت أن أخبرهما، ولكن دخول حارس الكهف جعلني أصمت، ثم حدث كل
شيء بسرعة، حتى دفع رشدي بالحارس إلى داخل البوابة بخشونة لم أعهد لها
منه، بالطبع أصابتنني الصدمة، وتبادلت النظرات القلقة مع سلطان، فقد بدا لنا
في تلك اللحظة أن رشدي قد صار شخصاً آخر."

قلت معقبا:

"في اعتقادي أن تلك الاشكال المتطايرة النابعة من الأشعة الأرضية والتي
أصابت قلوبكم هي التي منحتكم التغيير في شخصياتكم، وبدأت المنحة واللعنة."

(الرد): مرد

هز رأسه، مشيراً بسبابته قائلا:

"بالضبط هكذا، ففي حال لاقت الأشعة الأرضية صفات سلبية في الذات البشرية، ترسل تأثيرها فتتعمم تلك الصفات بداخل قلبه، وتتغلغل حتى تسيطر على روحه وحياته، أما البركة أو العطية التي تمنحها الأشعة الأرضية لمن طغت صفاته الحسنة على شخصيته وأفكاره، فتزيده مثالية، وتصبح روحه شفافة، تكشف ما يخفى البشر من مشاعر، وفي عقولهم من أفكار، وتشعر بالكهف وكأنه روح نابضة، وهذا ما حدث لي ولنسلي."

هزرت رأسي متفهما، ثم سألته قائلا:

"هل لم تكن نفس رشدي سوية من البداية بشكل جعل البوابة تدرك نواياه السيئة وتلعنه؟"

ابتسم جدي قائلا:

"لا أنكر أن رشدي كان أكثرنا اعتدادا بنفسه، إلا أن أقصى ما كان يفعله هو التباهي بمعلوماته التي كان دائما يستقيها من والده، والتي على الأغلب كان يتعلمها ليثبت لنا أنه أصغرنا سنا، لكنه أوسعنا علما، ولم تكن لدي مشكلة مع هذا الأمر وذلك لأنني كنت من النوع الذي يتغافل عن صغائر الأمور، فنحن أصدقاء في المقام الأول، ولن أسمح لتلك الصغائر أن تفرق بيننا، إلا أن رشدي كان يعتقد أن تغافلي هذا لا مبالاة مني، بالطبع لم يكن كذلك، بل كان حفاظا مني على صداقتنا، إلا أن مشهد دفع رشدي للخفير بداخل البوابة أقلقني، فقلت لرشدي بصدمة:

"ماذا فعلت؟"

فأجاب بسخرية قائلا:

"لا تقلق، سيتدبر طريقه."

(الراوي: مرد)

صدمني رده أكثر مما طمأنني، شعوري بالخوف – من الاشكال المتطاييرة، ومما فعل رشدي – دفعني لترك ذلك المكان بشدة، فتوجهنا جميعا نحو مدخل الكهف، لنتفاجأ بتلك الشجرة تطل علينا بشكلها الغريب الذي لم نر له من قبل مثيلا، والتي لم تكن موجودة قبل دخولنا، فكيف نمت وتفرعت هكذا في ذلك الوقت القصير، شعرنا بالرهبة وبشيء من الخوف، كما شعرنا أننا أقحمنا أنفسنا فيما يفوق عقولنا القاصرة، وتبادلنا النظر لحظات ثم سرنا في طريقنا، وكأننا لم نر ما يريب."

سألت الجد فريد قائلا:

" الأمر عسير على الفهم، كيف نمت الشجرة في لحظة؟ "

أجابني قائلا:

"في اعتقادي أن تلك الشجرة تروى بالجشع والطمع والمشاعر السلبية، حتى أنها قد تنمو في لحظة كما حدث عندما دفع رشدي حارس الكهف، اسمع يا بني، لا أريدك أن تشعر بالفرع، فتلك الشجرة على الرغم من نموها الناتج عن فعل قبيح ومشاعر سلبية، إلا أنها نمت في موضع أظهر قيمتها الطبية، حيث يستخرج من لحائها نوع من الراتنج resin، والذي يستخدم في بعض العلاجات." ^{١٨}

غمغمت بدهشة:

" سبحان الله."

استكمل جدي فريد قائلا:

" وعلمت من كتب التاريخ أيضا فيما بعد أن غلي أوراقها، أو فقط مضغها يفيد في تجديد الشباب وشفاء خلايا المخ التي يتلفها السفر الزمني." ^{١٩}

^{١٨} يبدو أن المعلومة حقيقية ها هنا.

^{١٩} لست أدري لماذا لا تبد لي تلك المعلومة حقيقية.

سألته بدهشة:

"هل لهذا السبب بدا لي رشدي أصغر سنا مما هو عليه؟"

أجابني قائلا:

"أعتقد هذا، لقد سعيت لإخبار رشدي وسلطان بهذا الأمر بكل الطرق، وفيما يبدو أن رشدي قد استجاب وتناول ذلك الدواء، بينما رفض سلطان الأمر حتى تدهورت صحته مع مرور الزمان."

هنا تساءلت قائلا:

"هل حدث التغيير في طباع رشدي وسلطان سريعا؟"

فأجاب قائلا:

"لم يبد لي التغير في طباع سلطان قويا، أما رشدي فقد شعرت بتغير طفيف في طباعه بعد فتح البوابة، فبعد أن قرر الاستيلاء على البوابة الأولى، لم يعرض علي استخدام بوابته، بينما أصر سلطان على التنازل عن البوابة التي قام باختيارها، وحين رفضت ذلك بقوة أخبرني أنه بإمكانني استخدام بوابته وقتما شئت، وقد كانت تلك هي اللحظة الفارقة، فاختلفت حياتنا تمام الاختلاف، فبعد أن كنا نلتقي بشكل يومي، تباعدت أوقات لقائنا حتى صرنا نلتقي مصادفة في الحي كل أسابيع ثم كل شهور."

ثم قطب جبينه وكأنه يتذكر ما يؤرقه، قائلا:

"فيما بعد علمت أن رشدي قد انتقل فورا هو وأسرته إلى ذلك المنزل الناء، وكان يعود في الزمن بضع مرات متوالية، كما كان يستخدم بوابة القصر للتنقل بين المسارات الزمنية للحصول على أفضل مسار زمني ممكن، فعاش عشرين عاما من الانتقالات الزمنية، وكأن ذلك الشق الزمني أصابه بإدمان من نوع ما، الغريب أنه حين كان يعود لإنقاذ نفسه أو أهله من حدث ما، كان يصبه حدث غيره، فكان يلهث من الركض خلف الموازنة بين السيئ والأسوأ والاختيار بينهم."

تساءلت قائلاً:

"وماذا عن الكتابات على جدران الكهف إذن؟"

فأجابني قائلاً:

"كان رشدي أحياناً ينسى الأحداث بعد سفره الزمني بفترة، وأحياناً قد ينسى سبب تغيير حدث بعينه، فقام برسم مخططات زمنية على جدران الكهف، ليسجل الأحداث التي يقوم بتغييرها، مما ساعده على تذكر الأحداث التي قام بتغييرها، لكي لا يكرر أفعال قام بها من قبل، ثم سار سلطان على خطاه في تدوين الأحداث على جدران الكهف، الجميل أن الكهف كان خارج مجال الزمن، أي أن الكتابة على جدرانه يمكنك أن تقرأها إن عدت إلى زمن ما قبل كتابتها، مما سهل عليهما الأمر.

وقد عاش رشدي حياة مترفة مرفهة ظاهرها السعادة وباطنها الأسى، فقد سافر بالزمن للوراء عدة مرات لكي يرتقي قمة الهرم الاجتماعي في مصر، حتى صار من كبار التجار الذين يحملون ميزاناً صغيراً في أكمامهم الواسعة لكي يزنوا النقود الذهبية،^{٢٠} وزادت ثروته وأملكه، وصار لديه من الأراضي الزراعية الكثير، واهتم بتجارة القطن والغلّال، وكان أسلوبه مع صغار التجار والعمال الذين يعملون لديه يزداد جشعاً وكبراً وتعالياً، حتى صار مكروها من الجميع، وعلى الجانب الشخصي أيضاً حاول أن يستفيد من ذلك الشق لكي ينقذ زوجته التي توفيت أثناء ولادتها، ليفقد ابنه، ثم يعود لينقذ ابنه، لكي يتوفى والديه، وكان القدر يأمره أن يكف عن تحديه، وهو مستمر في معاندته، ففقد الكثير بقدر ما كسب الكثير.

وعلى الرغم من عودته المتكررة للحفاظ على أفراد أسرته إلا أنه فقد الاهتمام بهم والتواصل معهم، فكان حفاظه عليهم يشبه حفاظه على ممتلكاته

^{٢٠} تلك حقيقة بالفعل فهناك في مصر في ذلك الوقت من يطلق عليهم كبار التجار الذين كانوا يحملون ذلك الميزان الصغير لوزن القطع الذهبية

(الرد): مرد

الشخصية بالمنزل، دون اهتمام حقيقي، فانفض الجميع من حوله، حتى أبناءه تركوه و رحلوا، وصار وحيدا، فقط بقيت زوجته، لأنها كانت تحبه، ولأنها كانت تعلم كل شيء عن ماضيه وحاضره، وتعلم أنه أنقذها عشرات المرات من أخطار محدقة، وعلى الرغم من معاملته الجافة معها، لم تفكر يوما في تركه، ربما بسبب شعورها بجميله، فهي سيدة أصيلة ولا تريد أن تكون ناكرة للجميل، وربما لأنها لا تزال تحبه، على الرغم من معاملته، أو لأنها تأمل في أن تتمكن من إصلاحه.

أما سلطان فأدمن المراهنات بكافة أنواعها، إلا أن مراهنات الخيل سيطرت على عقله بشكل أكبر، فكان يتابع سباقات الخيل، ويعرف نتيجة السباق، ثم يكتبها فوق جدران الكهف، في خط زمني منفصل ومجاور لخط رشدي، ثم يعود في الزمن ويراهن على الخيل الفائز.

ثم اعتدل في مجلسه قائلا:

"الآن يا مروان، لدي أمل واحد فقط في عودتك لزمك، إن اكتشفنا طريقة لسد الفجوة، وقتها ربما ينمحي تأثيرها وكأن لم تكن، وبالتالي تتلاشى أنت من هذا الزمان وتنتقل من جديد لزمانك."

سألته بشك:

"هل تعتقد أن هذا ما سيحدث بالفعل؟ أم أن خط زمني آخر سيتكون، لكي تولد مني نسخة أخرى تحيا في ذلك الخط الزمني حياة طبيعية، بينما أعيش أنا في ذلك الخط الزمني، وفي ذلك الزمن للأبد؟"

يبدو أن تفكيري أثار نقطة ما في عقله، فصمت مفكرا من جديد، إلا أنني لم أرد لصمته أن يطول، وقد تذكرت هدفي الأساسي من تلك الرحلة، فقلت له بنية صافية تماما:

"لقد نويت منذ البداية أن أصلح الأمر مهما حدث، وقد كانت إحدى توقعاتي أنني لن أعود لأرى أسرتي من جديد، لذلك فلنفعل الأصلح يا جدي، ولنبحث عن طريقة لغلq الفتحة، وما أراده الله سيكون."

(الرد): مرد

ابتسم ابتسامة صافية وكأنني أزلت من فوق كاهله حملا ثقيلا، وربت على كتفي
بحنان قائلا:

" بارك الله فيك يا بني، فلنبدأ رحلة حل اللغز."

مرت الأيام التالية على شاعرا بمزيج من المشاعر المختلطة ما بين استمتاع بالتجربة التي أحيها في الماضي وبين تعلمي ما كان يخفي عني من أسرار الحياة، لقد تولى أجدادي مهمة تعليمي ما استقوه من علم طيلة السنوات السابقة، بينما سقتني الجدة صفية من حنانها وعاملتني كما كانت تعامل سليمان وربما أفضل، الجميل في الأمر أن الجد فريد لديه غرفة في العلية يحتفظ بها بكافة كتبه التي قام بجمعها في السنوات السابقة، حيث كنا نقضي فيها بشكل يومي ما يقرب من ساعتين، نقرأ سويا ونتبادل الخبرات والآراء، وقد أقمت مع سليمان في غرفته، والذي كان يعتني بي ويحسن استضافتي في غرفته وكأنها غرفتي أنا، كما كان يأخذني بشكل يومي في الصباح الباكر بعد تناول وجبة الإفطار لكي أتعرف على هذا الزمن، الغريب أنني – وعلى عكس ما حدث حين التقيت رشدي – أحببت هذا الزمن بالفعل ولم أشعر فيه بالغربة مطلقا، ولم يكن ينقصني إلا وجودكم معي، لا أنكر افتقادي مشاهدة التلفاز في بعض الأحيان، أو تفقدي لوسائل التواصل الاجتماعي في أحيان أخرى، إلا أن ابتعادي عنها تلك الفترة أثر على تأثير يشبه إزالة السموم أو "detox" وكأنني أمر بفترة نقاهة من سيطرة تلك الوسائل على عقلي، فالحياة في ذلك الزمن ممتعة للغاية على الرغم من عدم توافر أبسط وسائل زمننا مثل الكهرباء والانترنت، فالتواصل الاجتماعي في ذلك الزمان لم يكن في حاجة لوسائل اصطناعية، بل فقط كان يتجدد بتبادل زيارات الأهل والجيران، فمثلا كان هناك تجمع عائلي شبه يومي عند الجد فريد حيث كان يدعو أبنائه وجيرانه بشكل منتظم ليجتمعوا عنده في الإيوان المطل على الصحن، لذلك أخبرتكم عن عدم شعوري بالغربة في هذا الزمان، لأن هذا ما اعتدنا أن نقوم به بالفعل بشكل دوري، إلا أن أشد ما أحببته هو وتيرة الحياة الهادئة، حيث تمضي الحياة

الزمن: مرد

بشكل يريح البال ويهدئ الأعصاب، كل شيء في هذا الزمن يحدث بتأني وروية دون ملل، فالبشر يجتمعون في المنازل، والشباب يلتقون على المقاهي، وقد تستمتع للرواة في الشوارع، وهم يروون حكايات عنثرة وألف ليلة وليلة، والبعض قد يقضى ليله في ممارسة بعض الألعاب مثل، الشطرنج، أو تناول التسالي، ومع ذلك يتبقى من اليوم ما يكفي للعمل أو الدراسة وغيرها، أشعر بأن هذا الزمان رزق بنعمة البركة في الوقت والرزق، فكان يكفيهم القليل ويفيض.

تعرفت على أجدادي جميعا في ذلك الزمن، وعائلاتهم وجيرانهم، وعرفني الجد فريد لديهم على أنني ضيف صديق لسليمان، وإنني سأقيم لديهم بعض الوقت، إلا أن هناك تلك الفتاة التي ذكرتني حين رأيتهما بجنة ابنة عمتي، وفيما يبدو أنني ذكرتها بأحد أقاربها فظلت تسألني عن محل إقامتي وأين ولدت، كنت أحاول التملص من أسئلتها المتكررة، إلا أنني لم أستطع إخراجها لأنها كما أخبرتكم كانت تشبه جنة، إلا أنها تكبرها ببضع سنوات، حيث بدت لي في السادسة عشر من عمرها أو أكبر قليلا، اسمها زمرد، أو زمردة كما ينادونها في منزل الجد فريد، الغريب أنها كانت مطلعة على مكتبة الجد بشكل جعله يسمح لها بزيارة مكتبته مرة أسبوعيا، فكنت أفاجا بها أحيانا وأنا جالس في المكتبة، تطرق الباب في رقة وتدلف إلى المكتبة في أناقة لا تتناسب مع سنها الصغير، وكأنها تتلمذت على يد دوقة، ثم تلقي علي التحية باعتداد، وتبدأ في تصفح الكتب بنهم، في البداية لم أكن ألق لها بالا، فكنت أرد التحية بلا مبالاة، ثم أوصل اطلاعي على الكتب العتيقة بينما أدون أفكارني كما اعتدت معكم، إلا أنني شيئا فشيئا وجدت نفسي بشكل لا إرادي أراقب ما تفعله دون أن تدري، حتى أنني بدأت أعتاد زياراتها الأسبوعية وأعتاد مراقبتي لها، الغريب أن أسئلتها وفضولها فيما يخص أصلي ومحل إقامتي كان فقط في التجمعات العائلية، إلا أن لقاءاتنا في المكتبة كانت تختلف تماما وكأنها لا تعرفني، حتى إنها لم تختلس النظر لتراني مرة واحدة طيلة فترات اطلاعها.

(الرد): مردد

في تلك المرة بعد مرور ما يقرب من أربعة أو خمسة أشهر على لقاءاتنا الصامتة في المكتبة، أغلقت الكتاب الذي كنت أطلعه فجأة قائلاً:

"زمردة، لم تخبريني، لماذا تشغل بالك تلك الكتب التاريخية؟ هل تحتاجين إليها في دراستك مثلاً؟ أم أنك تحبين الثقافة والاطلاع؟ "

نظرت لي بعينيهما البنية الواسعتين نظرة ثاقبة، ثم أسبلت عينيها بمثل وهي تهز كتفيها بلا مبالاة قائلة:

"يمكنك القول إنني أحتاج لتلك المعلومات لإنقاذ شيء هام في حياتي."

تعجبت من ذلك الرد المقتضب، إلا أنه أثار في نفسي الشكوك، فحاولت التوصل لاسم الكتاب الذي تقرأه، إلا أنني لم ألمح سوى كلمة الأزمان، فصمتت وعدت لاطلاعي من جديد، إلا أنها أغلقت كتابها بقوة وهي تقول لي:

" يتحدث الكتاب الذي أقرأه عن الحروب على مر الأزمان، والجزء الذي أطلع عليه الآن يروي أحداث الحرب العالمية الأولى والتي انتهت من حوالي خمس سنوات. "

هزرت رأسي بفهم مصطنع وأنا أشعر بارتباك لا مثيل له، نحن الآن في نهايات القرن التاسع عشر لم نصل بعد لأحداث الحرب العالمية الأولى، ما أعلمه أن ما انتهى منذ سنوات هو الاحتلال البريطاني على مصر، وما أتذكره عن تاريخ الحرب العالمية الأولى إنها استمرت ٤ سنوات من ١٩١٤ وحتى ١٩١٨، وكيف يمكن أن يطلق عليها الأولى وهي حرب وحيدة حتى لحظتنا تلك، هل تنبأ المؤرخون بحدوث حروب أخرى لذلك أسموها بالحرب العالمية الأولى؟ وهل عودتي في الزمن للخلف أثرت على مجرى التاريخ بهذا الشكل العجيب؟ وجدت الفتاة تتحدث إلي من جديد قائلة:

"أتعلم يا مروان؟ لولا تدخل أمريكا في الوقت المناسب لم تكن ألمانيا قد كسبت تلك الحرب. "

هنا دار رأسي بشدة، كيف كسبت ألمانيا الحرب العالمية الأولى، هنا قلت لها:

(الرد): مردو

"كيف حدث هذا؟ هل يمكن أن تأذني لي بالاطلاع على هذا الكتاب، هناك معلومات مغلوطة ها هنا، فالمنتصر في تلك الحرب كان الحلفاء وليس القوى المركزية، ولم تساعد أمريكا ألمانيا بأي حال، أعتقد أنك بحاجة لمراجعة معلوماتك."

عندها ابتسمت ابتسامة نصر وكأنها حققت فوز من نوع ما قائلة:

"لقد علمت هذا، أنت لست من هذا الزمن يا مروان."

هل نصبت لي تلك الفتاة فحا؟ يبدو هذا، أتمنى أن يكون ردي حذرا، قلت لها محاولا إبداء الدهشة المطلقة، حتى أنني فغرت فاهي بشدة قائلا:

"ما معنى كلامك يا زمردة؟ هل هناك أزمان أخرى يمكن القدوم منها؟"

أجابتنى بثقة هزت ثقتي بنفسي:

"نعم بالطبع، كما فعلت أنت بالضبط، لذلك علمت تلك المعلومات عن الحرب العالمية الأولى التي لم تحدث بعد، في الواقع لن تحدث قبل بضع وعشرين عاما على الأقل."

هنا بدأت أشك في أمرها فسألتها قائلا:

"وكيف علمتي أنت، هل تسافرين عبر الزمن؟"

هزت كتفيها بلا مبالاة وهي تنظر لي بغموض، ثم قالت:

"ربما..."

ثم أمسكت بحقيبتها القماشية، وأخرجت منها ذلك الدفتر المجلد بعناية، وناولتني إياه دون أن تتحدث، فقلت لها:

"ماذا تفعلين؟ ما هذا؟"

قالت لي بلا اكتراث، وهي تفتح صفحة بعينها، ثم أشارت للصفحة وهي تقول:

"اقرأ..."

الرد: مرد

تناولت منها الدفتر، بينما عادت هي لمقعدھا لتطالع ذات الكتاب، قلبت الدفتر بيدي بضع مرات، ثم فتحت الصفحة الأولى لأجد في منتصف الورقة كتب بالخط الكوفي العريض كلمة (مذكراتي) وأسفلها توقيع فريد العمري، أي أن تلك هي مذكرات الجد فريد؟

لم أترك نفسي للدهشة، وشرعت في القراءة بداية من الصفحة التي أشارت إليها زمردة.

(خارج السياق - ٥) يرويها مجهول

أحبوه وكرههم.. دونما سبب واضح، حتى وافته تلك الفرصة الذهبية، كان طفلاً متمرداً ملولاً، يقف أمام باب المدرسة منتظراً حافلته المدرسية، ينظر في ساعة يده ليجد أن الساعة قد تجاوزت الثانية، أي أن الحافلة قد تأخرت عن مواعدها ما يقرب من نصف الساعة، نظر يساره عبر الطريق، إلا أنه بدلاً من وصول الحافلة، توقفت تلك السيارة حديثة الطراز أمامه فجأة، وحين انفتحت النافذة بدا له ذلك الشاب الوسيم الذي تبدو الطيبة على محياه، وتتألق تلك الشامة على جبينه، والذي قال له بطيبة:

"ستأخر الحافلة يا عزيزي، ما رأيك أن نتناول غداءنا في أحد المطاعم المجاورة حتى تصل حافلتك؟ أريد أن أتحدث معك في موضوع هام.."

بالطبع والدته ذلك الفتى قد أوصته بعدم مرافقة الغرباء، إلا أننا كما ذكرنا أنه كان طفلاً متمرداً، بالطبع لن يطع كلمة ليست على هواه، طالما أنه يرى أن ذلك الرجل يبدو طيباً ويجعله يتناول طعامه المفضل بدلاً من غداء المنزل التقليدي، إذن لما لا يرافقه؟ طالما أن الحافلة قد تأخرت بالفعل، يبدو ذلك الرجل يعرف بالفعل ما يقول.

فركب معه السيارة نحو المجهول...

(مذكراتي) يرويها فريد العمري

(صفحة رقم ٤٥ من المذكرات)

في الفترة السابقة تعلمت الكثير والكثير عن قواعد السفر الزمني، إلا أن ما تعلمته كان له ثمن غال، أحمد الله أن رزقني نعمة التروي قبل المبادرة بأي خطوة في ذلك الأمر، ففيما بعد علمت أنه لا يمكن السفر الزمني في أوقات متقاربة، وكلما تقدم المرء في العمر كلما أثر تكرار السفر على عقله، كما تعلمت كيفية السفر لموعد محدد بذاته في الماضي، إلا أنني لم أستطع التوصل لمعرفة كيفية العودة للمستقبل من جديد، فكنت أضطر لأن أعيش ذات الأحداث التي تحتاج للتغيير مرة، واثنين، وثلاثة.

إلا أن أعظم فائدة عادت عليّ من هذا الأمر هو تصفية نيتي تماما من أي نوايا سيئة، أو صفات سلبية، بالطبع جاهدت نفسي كثيرا، في سبيل تنقية نفسي من شرورها، لكي لا أكون ذو تأثير سلبي على تلك البوابة الزمنية، عندها بدأت أستشعر القدرات التي منحها لي البوابة الزمنية لمقاومة اللعنة، من قوة البصر والبصيرة، والقدرة على التحكم في النفس أمام مغريات السفر عبر الزمن، مما ساعدني على التحكم في ذاتي وإنجاز المهام المطلوبة فقط، دون أدنى استجابة لمغريات تغيير الماضي والحياة بمستقبل جديد، ومع الوقت علمت أن تلك الموهبة قد وهبت لأبنائي وأبناء أبنائي.

في تلك الفترة التي كنت أقوم فيها بالبحث عن البوابة الزمنية، لم يكن يشغل عقلي وقتها سواها، حتى إن زوجتي كانت تترك لي مساحتي الخاصة بعد عودتي من عملي، فكانت أحيانا تقوم بتحضير الطعام وتجعل الأبناء يتناولون طعامهم، بينما تنتظرني هي بالساعات لكي تشاركني تناول الطعام وأشارها آخر ما تعلمته حول ذلك الكنز، فكان قلبي يتعلق بها أكثر وأكثر، وكنت أحمد الله على رزقه.

الرد: مرد

تعلمت في تلك الفترة الكثير والكثير عن تلك البوابة الزمنية، وعلمت من خلال قراءتي لأحد الكتب في العلوم القديمة والأساطير، أن الشجرة التي نمت أمام الكهف كانت نتيجة وليست سببا، فالشجرة تسمى "دم التين" أو "دم الأخوين" الاسم الذي يعود للأسطورة التي تتناقلها الأجيال في اليمن والتي تحكي قصة أول قطرة دم بين الأخوين قابيل وهابيل، وبحسب الأسطورة فقد كان قابيل وهابيل أول من سكن جزيرة سوقطرة باليمن، ولما وقعت أول جريمة قتل في التاريخ وسال الدم وارتوت الأرض بدماء الأخ، نبتت تلك الشجرة، بالطبع لا أعلم صحة تلك الأسطورة من عدمها، إلا أن الوصف الذي قرأته في الكتاب يتطابق تماما مع ما شاهدناه، وما أكد لي الأمر هو رسم توضيحي مجاور للوصف، عبارة عن شجرة ذات فروع منحنية لأعلى بدلا من الانحناء لأسفل.

وعلى الرغم من ذلك إلا أن نمو تلك الشجرة في هذا المكان وذلك الوقت كان من نعم الله بعباده، ففي لحائها خير كثير وشفاء من الداء، وفي أوراقها كان العلاج من شرور الكنز الشيطاني، فأخبرت سلطان ورشدي بما تعلمت لأنني خشيت أن يصيبهم مكروه، وقد كان رشدي متزوجا من ابنة عم زوجتي، لذلك كانت زوجته تزور منطقتنا بين الحين والآخر، مما قوى علاقتها بأسرتنا، وكانت تخبر صفية زوجتي بالتغيرات التي تحدث لزوجها، وأن طباعه شيئا فشيئا صارت لا تحتمل، وفي إحدى المرات علمت صفية زوجتي منها أن رشدي كان سببا لإنقاذها من الوفاة أثناء ولادتها، كما علمت أن سلطان بدأ يشعر بأعراض مرض لم يكن يدر كنهه، هنا بدأت ألح على سلطان في تناول تلك الأوراق، لكنه رفض بشكل قاطع، بعدها بدأ حاله يتدهور، فكان يصيبه ألم في رأسه من حين لآخر يجعله لا يقوى على الوقوف والحركة، وأحيانا قد يسقط مغشيا عليه، هنا أصابني القلق، وقتها قررت أن أخاطب الجزء العاقل بداخله، فذهبت له ذات مرة، وطلبت منه أن يساعدني في سد الشق، وفي نيتي أن يكون هذا سببا في شفائه، إلا أنه رفض تماما وأخبرني أنه يستمتع بما يكسبه من أموال، وحين أخبرته أنه مال حرام لأنه يكسبه من الميسر، قال لي بغلظة لم أعهد لها فيه أن تلك حياته وأنه حر فيها، هنا قررت العودة بالزمن لما قبل عثوره على الصندوق، الغريب أنني استطعت العودة بالفعل للوقت المحدد

(الرد: مرد)

بالضبط، سافرت بوعبي فقط لأنني كنت موجودا بهذا الزمان، فوجدت نفسي فجأة أستيقظ من نومي في سريري قبل حوالي شهر من عثور سلطان على الصندوق، الغريب في الأمر هو سفري على الرغم من يقيني أن البوابة لم تكن مفتوحة حينها، فتأكدت من أن الكهف يقع خارج نطاق الزمن الذي نعلمه، فالبوابة قد امتد تأثيرها، منذ قمنا بفتحها، عبر الماضي والمستقبل.

ذهبت لموقع الصندوق في الإسطنبول، وبحثت كثيرا، ونبشت الأرض فلم أجد شيئا، كنت أذهب لذلك المكان بشكل يومي وأراقبه عن بعد لعلني ألتقي بمن ترك الصندوق، وأعرف من هو ولماذا تركه في ذلك المكان، وفي اليوم السابق للقائنا بسلطان ذهبت باكرا وقررت الانتظار حتى أكتشف ما حدث، فوجدت رجلا ملثما يدلف إلى الإسطنبول ومعه الصندوق، لحظات ثم دلف سلطان، فحاولت الاختباء أكثر لكي لا يبدو مني شيء، إلا أنني بالكاد سمعت حوارهم الهامس كالتالي:

سلطان: "ها نحن قد صرنا وحدنا، هل يمكنك الآن أن تخبرني الآن من أنت؟"

الملثم: "أنا رجل يريد لأحوالك الصلاح."

سلطان: "أحوالي صالحة والحمد لله، فأنا متزوج ولدي من البنين خمس ومن البنات ثلاث."

الملثم: "نعم نعم أفهم ذلك، لكن لا داع لهذا الرضا الزائف الذي تخبرني به، من أين لك أن تنفق على أسرة مكونة من عشرة أفراد؟"

سلطان: "ليست عشرة أفراد، بل هناك والدي ووالدي زوجتي أيضا يسكنون معنا في ذات المنزل."

هز الملثم رأسه يمينا ويسارا وكأنه يصطنع شعورا زائفا بالأسى، فقال له **سلطان:**

"ماذا تريد ومن أنت؟ إن لم تخبرني الآن فلتخرج من هنا فوراً."

الملثم: "كل ما أردته أن أهديك هذا الصندوق والذي يحتوي على أعظم كنز منذ بدء الخلق."

سلطان: "والمقابل؟"

(الردى: مرد)

الملثم: " المقابل سيكون أي هدية منك تختارها، حتى وإن كانت تلك العربة بالحصان."

قالها وهو يمسك بلجام الحصان بقوة، فيسهل الحصان محاولاً تخليص اللجام من يده، وهو يرفع رأسه لأعلى بقوة، إلا أن يد الرجل كانت أقوى فلم يفلته،
نقل سلطان عينه بين الملثم والصندوق قائلاً:

"هل أفتحه؟"

أجاب الملثم: " بالتأكيد. "

بالطبع فتح سلطان الصندوق ليجد ما وجدنا بالضبط، فسأل الرجل:
"أين هذا الكنز؟ "

قال الملثم وهو يخرج الخريطة من مكانها في الصندوق:

"تلك هي خريطة الكنز، يمكنك العثور عليه والتتعم بخيره، إلا إنك لا يمكنك البحث عنه وحيداً، الكنز لا يفتح إلا لجماعات. "

فقال سلطان مفكراً:

"لدي فقط صديقين، هل هذا كاف؟ "

الملثم: "بل أكثر من كاف."

سلطان: "ما هي طبيعة الكنز إذن؟ هل هو ذهب؟ فضة؟ مجوهرات أثرية؟"

الملثم: "بل أقرب لخاتم سليمان الذي سيحقق لك كل أمنياتك. "

يبدو أن قلب سلطان بدأ يميل للعثور على ذلك الكنز، إلا أنه لا يزال لا يثق في الرجل،

فقال له بشك:

" كيف أثق فيما تقول وأنا لم أرك إلا بالأمس في المقهى؟ "

الملثم: "لن أحصل على مكافأتي حتى تعثر على كنزك، هل أمر عليك بعد شهر من الآن؟"

فكر سلطان لحظات، ثم قال:

" اتفقنا."

في تلك اللحظة فكرت أنني أضعت أسبوعا من عمري لكي أمنع عثور سلطان على ذلك الصندوق إلا أنني لم أستطع، لم أفهم بالطبع لماذا أخفى عنا سلطان أمر ذلك المثلث إلا أنني التمسث له العذر لأنني أنا ورشدي بالطبع ما كنا لنوافق على ما حدث إن فكرنا بالأمر بشكل أكثر عقلانية، ماذا الآن؟ هل أخبر رشدي بما رأيت أم أنفاعل مع الأحداث كما هي؟ هل أرفض البحث عن الكنز معهما؟ وما أدراني إذن أنهما لن يبحثا عنه سويا، ويحدث وقتها ما يحدث، إلا أنني حينها بالطبع لن أكتسب أي موهبة تجعلني أستطيع إنقاذهم، في تلك اللحظة حين قررت أن أشاركهم مهما كانت العواقب، سيطرت على عقلي فكرة واحدة، لا بد أن أنقذ عرفان حارس الكهف، لحسن الحظ كان اليوم لا يزال في بدايته، فاستأجرت حصانا، وتوجهت صوب الكهف سريعا، وحين وصلت كان الحارس واقفا أمام الكهف، فنظر نحوي بريبة، فألقيت عليه السلام وأخبرته أنني قادم بهدف حمايته، وقلت له أن البوابة الزمنية تم فتحها وأن يحترس الفترة القادمة من الاقتراب منها، ففزع الشاب وهو يعدو مهرولا تجاه الكهف، وهو يندب حظه، فلاحقت به مسرعا، عبر ممرات الكهف حتى توقفنا في مكان البوابة، لتكون الصدمة من نصيبي، لأجد البوابة مغلقة، كيف وصلت لهذا الزمان إذن؟ بالطبع انفعال الخفير عرفان، وظل يرغي ويزبد، ويقول لي أنه لا يرى أمامه سوى جدران الكهف الصماء، فارتبكت وقررت أن أحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، فقلت له إنه يبدو أن الأمر اختلط علي، لكن هناك من سيفتح البوابة غدا، وذلك الشخص سيدفعه لداخل البوابة الزمنية، لذلك يجب أن يحترس ولا بد له من الابتعاد عنها أثناء حديثه مع ذلك الرجل كثر الشارب، وإن لم يستطع الابتعاد، فليحدد وجهته الزمنية لكي يستطيع العودة بالزمن، بالطبع أخبرني أنه لا يمكن أن يترك أحد يفتح البوابة، لكني أخبرته أنني سافرت للماضي لكي أمنع فتحها، فلم أستطع، ويبدو إنه اقتنع بكلامي، لذلك امتطيت الحصان من جديد وتوجهت نحو المنزل.

الرد: مرد

الغريب أن ما حدث في زيارتنا الأولى للكهف تم كما هو دون زيادة أو نقصان، حتى أن الخفير عرفان وقف في ذات المكان ودفعه رشدي بذات الطريقة، إلا أنني بعد أسبوعين قررت زيارة الكهف من جديد، لأجد عرفان قد استطاع النجاة من البوابة، وحين سألته عما فعل أخبرني أنه استيقظ من نومه في خيمته ولم يدر ما حدث، وحين سألته متى استيقظ لأعلم الزمن الذي انتقل له، فأخبرني أنه بعد حادث البوابة، استيقظ منذ حوالي أسبوع بعد أن دفعه رشدي، هل معنى هذا إنه سافر إلى المستقبل بضعة أيام، ولكن الخارطة مكتوب عليها أن هذا مستحيل، لذلك خمنت أن الانتقال ربما قد أثر على عقله لدرجة أنه لم يكن يعلم بالفعل ما حدث، بعدها توالت ذات الأحداث التي عشتها من قبل، حيث زاد مرض سلطان حتى توفي بسبب تقارب فترات سفره الزمني مع كبر سنه، كما ازداد جشع رشدي حتى صار يخشاه الجميع، وصار يتنقل بين المسارات الزمنية بحرية، بعد أن تعلم كافة خبايا الخريطة، واستطاع من خلال نقر الحجر الموجود على بوابة المنزل عدد من المرات اختيار الخط الزمني الذي يريده في حالة عدم توفيقه في التغيير، فكان يحيا في كل خط زمني فترة لا بأس بها، ثم يعود من جديد لزوجته، التي تخبره أنها لا تطيق تلك الحياة، لكنه كان يرفض سماع كلمة منها حول غلق الشق.

أما أنا في ذلك الوقت فاستكملت دراسة ذلك الشق أكثر وأكثر، إلا أنني كنت أسافر عبره فقط للضرورة القصوى، وكنت أكتفي بخطي الزمني، ولم أنتقل عبر الخطوط الزمنية كما فعل رشدي وسلطان، ولا مرة واحدة، ومنذ وفاة سلطان ظللت أبحث عن طريقة تكف ذلك الأذى، وتحد من جبروت رشدي، لذلك كنت أكتب رموزا فوق الجدران، تشبه ما كان يكتبه رشدي وسلطان، لطلب النجدة، إلا أن رشدي كان يراها فيسارع بمحوها قبل أن يراها أحد، لذلك كان لا بد لي من أن أجد حلا، فكرت مرارا في ترك تلك المذكرات في موقع ما في الكهف، ولكن ما أدراني، قد يراها رشدي وتخفي إلى الأبد، هل أكتب رسالة بمخطوطة بطريقة لا يفهمها من يراها، وأخفيها جيدا بين صخور الكهف وأنتظر المساعدة؟ ساعدني يا إلهي، ساعدني يا رب فما أريد إلا إنقاذ صديقي العزيزين.

(كتب خانة) يرويها مروان

أغلقت الدفتر في حيرة مطلقة لأجد زمردة لا تزال تقرأ كتابها بنهم، ففتحنت ثم قلت:

"لم تخبريني كيف عثرت على تلك المذكرات؟ لا أعتقد أن جدي فريد أعطاها لك فهو لم يخبرني بوجودك في الأحداث بأي شكل."

ابتسمت قائلة:

"بذات الطريقة التي عثرت من خلالها على المخطوطة."

سألته بدهشة:

"لا، أنا لا أفهم شيئاً، هل يمكن أن تشرحي لي الأمر من البداية؟"

أجابت ببساطة:

"الأمر بسيط للغاية، أنت من أحفاد فريد العمري، أما أنا من أحفاد سلطان أبو الذهب، السؤال الهام هنا، من أي زمن أتيت أنت؟"

أجبته قائلاً:

"على الرغم من أنك لم تجيبي عن أسئلتني، إلا أنني سأجيبك، أتيت من عام ٢٠٣٩، وأنت؟"

فكرت قليلاً ثم قالت، وكأنها تحفظ ما تقول:

"كنت أسكن في قصر سلطان، جدي الأكبر، وفي العام ٢٠٤٠، تلاشى أفراد عائلتي، وفشلت أنا وأمي في التعرف على كيفية التنقل بين الخطوط الزمنية، للعثور عليهم، بالمناسبة تلك المفكرة عثرت عليها والدتي بعد ولادتي بعام أو اثنين، وذلك بعد اختفاء والدي مباشرة، كما عثرت على المخطوطة لكنها اكتفت بتصويرها فقط لتعلم ما فيها."

(الرد): مردك

قلت لها بدهشة ممزوجة بالغضب:

" معنى ذلك أن فريد ترك لنا ذلك الدليل وأنتم عثرتم عليه؟ لقد تعجبت لتركه تلك المخطوطة الغريبة."

قالت وكأنها لم تأبه لغضبي:

" سأخبرك بشيء آخر أيضا، لقد أخفى المذكرات بعناية بين الصخور بينما ترك المخطوطة واضحة للعيان لكي تخذع رشدي، وحين يجدها يترك المذكرات لمن سيبحث تاليا. "

سألته قائلا:

" أعتقد أنك تعلمين بالضبط ما حدث ويحدث، فماذا استفدتم من إخفاء المذكرات؟"

أجابت قائلة:

" لطالما توارثت أسرتي الأساطير والحكايات حول الكهف، حيث كنا نعلم بشكل غير مباشر أن البوابة الزمنية هي السبب المباشر في الأمور الغريبة التي تحدث لنا، وبالتالي هي ما تسبب في اختفاء أفراد أسرتنا، فقررت السفر عبر الزمن، وبالطبع استعنت بالمعلومات القيمة التي تركها فريد، المهم أنني وصلت ها هنا منذ عامين تقريبا وكنت أعلم بشكل تقريبي موقع منزل فريد، فتعرفت على تلك السيدة طيبة القلب جارته، حيث أشفقت علي حين علمت أنني فقدت أهلي، واستضافتني في منزلها بكل حفاوة، ومن هنا تعرفت على الجد فريد، وحين أخبرته عن عشقي للقراءة، أتى على ذكر المكتبة التي يمتلكها، فاستضافني وأسرته، وأخبرني إنه سيكون من دواعي سروره أن أزور مكتبته من حين لآخر."

نظرت لها متعجبا، وأنا أقول لها بدهشة:

" لقد فتح لك الرجل أبواب منزله، لماذا لم تخبريه بالحقيقة؟"

(الزاد): مرد

هزت رأسها بحيرة حقيقية قائلة:

"لست أدري حقاً، لكن يبدو أنني خفت من الفشل، أو أن يرفض استقبالي، إلا أنني بعد ذلك علمت أنه رجل ذو أصل طيب، ولم يكن ليرفض طلبي."

قلت لها بحزم:

"لا بد أن تخبريه."

نظرت حولها بحيرة ثم هبت من مقعدها قائلة:

"حاضر، لحظة.."

في الواقع لم أكن أتخيل أن يكون لي هذا التأثير عليها، فالفتاة تبدو صلبة عنيدة، لكن حين تحدثت وجدتها طيبة القلب، المهم إنها خرجت لما يقرب من العشر دقائق ثم عادت من جديد ومعها جدي فريد وسليمان حفيده، وبادرتني بقولها:

"أخبرت الجد فريد بأنني من المستقبل، وقال لي إنه كان يرتاب في الأمر لكن بغير تأكيد."

عقب جدي فريد على كلماتها قائلاً:

"المزيد من الدقة، لم أتوقع الأمر منذ البداية، بل فقط منذ أن التقيت مروان وأخبرني أنه لم يعثر سوى على المخطوطة، حينها خمنت أن هناك شخص آخر قد يكون عثر عليها، وحين فكرت وقع اختيار عقلي على زمردة."

هزرت رأسي بفهم، ثم سألتها سؤالاً ليس له أدنى علاقة بما يحدث قائلاً:

"هل هو اسمك الحقيقي بالمناسبة؟"

ابتسمت برقة قائلة:

"اسمي زمرد، فوالدي كان يحب الأحجار الكريمة، وكان يتمنى أن يراني يوماً ما متميزة كحجر كريم نادر فأسماني زمرد، أما أمي فتدللني بزمردة."

قال الجد فريد:

"اسم على مسمى يا بني، ببارك الله فيك، كان من الأفضل أن تخبريني بالحقيقة منذ البداية، لكي نستطيع الوصول إلى حل معاً."

(الرد: مرد)

قالت له بخجل:

"معك حق يا جدي، أنا آسفة، لكن ربما أكون قد توصلت لحل بالفعل، أو كدت أن أتوصل للحل."

نظرنا لها جميعا بمزيج من التعجب واللهفة، فصمتت برهة ثم سألنا:

"كل ما قيل ويقال عن البوابة هو وجود تأثير شيطاني ناتج عن مؤثر مالا نعلمه، ماذا لو أن ذلك التأثير الشيطاني قائم على أسس علمية؟"

تساءل الجد باهتمام:

"كيف هذا يا زمردة، هل يمكنك أن تفسري بشكل أوضح؟"

أجابت قائلة:

"هناك مادة أخبرني عنها والذي من قبل وافترض أنها ربما تكون هي المادة المكونة للفقوة الزمنية، والأحجار الثلاثة، تسمى بالمادة المضادة، هل تعلمون ما هي؟"

بالطبع أعلم كنه تلك المادة، فأجبتها بسرعة، وعقلي يحاول أن يربط بينها وبين الأحداث، قائلا:

"نعم بالطبع، هي مادة تتكون من جسيمات هي في الأساس نفس جسيمات المادة المرئية، ولكن بشحنات كهربية معاكسة، تلك المادة تجذب الأشياء إليها ويمكن أن تصنع منها القنابل الذرية."

قال سليمان:

"وما هي المادة المرئية إذن ولماذا تحدث علاقة جذب بينها وبين المادة المضادة؟ حاولا استيعاب إننا نسبقكما بقرنين من الزمان، أي إننا نحاول استيعاب وهضم تلك المعلومات بصعوبة.."

هنا أجبته قائلا:

"المادة المرئية العادية يا سليمان هي المادة العادية المكونة لكل الموجودات من حولك، تتكون من بروتونات موجبة والكترونات سالبة، تلك البروتونات

(الرد): مردد

والإلكترونات هي المكون الأساسي لأصغر جزء في المادة وهو ما يسمى الذرة: "

قال جدي فريد متعجبا:

" الذرة التي تحدث عنها القرآن، سبحان الله. "

بينما تساءل سليمان من جديد:

" وكيف علم الإنسان عن تلك المادة المضادة، طالما أنها لا تشكل الموجودات من حولنا؟ "

أشارت زمردة لسليمان بسبابتها، قائلة:

"سؤال جيد يا سليمان، فالعلماء قد عثروا على المادة في تفاعلات الأشعة الكونية ومن هنا أدركوا أن المادة العادية المرئية لها مادة مضادة، وقد استطاع العلماء إنتاج جسيمات مضادة في مسرعات الجسيمات، إلا أن هذا التحضير في المختبرات كان يستهلك طاقة هائلة. "

تساءل الجد فريد في حيرة:

"معنى هذا أن هناك رابطا، يربط بين الأحجار الأرضية الثلاثة، الموجودة أمام كل بوابة، وبين تلك المادة المكونة للشق الزمني؟ "

أجبت بشيء من الإحباط قائلا:

"ربما يا جدي، لا يوجد شيء مؤكد للأسف. "

وقال سليمان وكأنه يؤكد على كلامي:

" أعتقد أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يفدنا ها هنا هو المسئول عن فتح البوابة في المقام الأول، أول من بدأ اللعنة، وبالطبع لن نستطيع معرفة من هو، أو من أي زمان أتى. "

فرقعت زمردة بإصبعيها الإبهام والوسطى، ثم توجهت نحو المكتبة لتلتقط أحد المجلدات القديمة قائلة:

(الرد): مرد

" يتحدث هذا الكتاب عن الكنوز الأسطورية القديمة، ويفترض أن الكنز ربما تعود أصوله للأزمنة المصرية القديمة، حيث الحضارة والتقدم في استخدام المواد المتطورة، والتقنيات العلمية، وعلى غير المتوقع، السحر الأسود، وقد أشار الكتاب إلى أن فتح تلك البوابة حدث نتيجة لذلك الرابط القوى بين العلم والسحر في الحضارة المصرية القديمة، إلا أنه لم يذكر من فتحها بالضبط، أو من صنع تلك الرابطة. "

فغمغت بصوت خفيض قائلاً:

" ربما أحد العلماء أو الكهنة. "

قالت لي بحماس:

" بالضبط. "

فقال الجد فريد بحيرة مطلقة:

" أي أن المطلوب منا الآن أن نتوصل لأسباب فتح البوابة في المقام الأول بعدها نحاول أن نفهم علاقة تلك المادة المضادة بالبوابة الزمنية، ثم نستنتج كيفية ظهور ذلك التأثير على المنزل، وليس هذا فقط، بل يجب علينا أيضاً أن نبحث عن وسيلة لفصل الأحجار الثلاثة عن البوابة الزمنية، ثم نغلق البوابة تماماً. "

دار عقلي في حيرة وأنا أحاول أن أجيب عن تلك الأسئلة التي طرحها جدي، الكلام جميل بالطبع، ولكن كيف نبحث عن إجابات بدون محرك بحث؟ فجأة أدركت أن هناك اختلاف بين من شهد الإنترنت ومن لم يشهده، فالبشر في هذا الزمن متأقلمون تماماً مع فكرة عدم توافر التقنيات الحديثة، والتي تعد من أساسيات عصري، فمثلاً حين يريد أحدهم أن يبحث عن معلومة بعينها، فإن عقله يتوجه بشكل لا إرادي نحو الكتب والمكتبات، بينما حين تواجه جيلنا ذات المشكلة فإن أصابعنا تتوجه بشكل لا إرادي نحو محركات البحث في الهواتف والحواسيب، **قلت لهم:**

"الموضوع عسير جداً بالفعل، فلا يوجد لدينا ما يمكن البدء من خلاله. "

(الرد): مردة

قالت زمردة وقد فهمت مقصدي:

"تقصد هاتف أو حاسوب محمول ومحرك بحث، أليس كذلك؟"

هزرت رأسي بالإيجاب قائلاً:

"بالضبط."

بينما ابتسم سليمان قائلاً:

"ما هذا الذي تقولونه؟ هل هذه تعاويذ؟"

ضحكت بشدة قائلاً:

"بل وسائل وتطبيقات مستقبلية يا سليمان، في المائتي عام القادمة سيتطور العلم وتصير التكنولوجيا هي الغالبة، ضغطة زر قد توصلك لكافة المعلومات التي تحتاج إليها في لحظة واحدة."

قال سليمان:

"حين تتحدثون بتلك الطريقة أشعر بالقلق التام من هذا المستقبل."

ضحكت زمردة قائلة:

"لا تقلق يا سليمان، مستقبلنا مشرق إن شاء الله، إلا أن هناك بعض المنغصات، والتي يبدو أنها ضريبة التقدم."

هز سليمان رأسه متفهماً، ثم قال متسائلاً:

"إذن ماذا نفعل الآن لكي نستطيعوا الوصول لتلك المعلومات التي لم نصل إليها بعد؟"

أجبت قائلاً:

"نحاول الوصول بمعطيات ذلك العصر، سيكون الأمر صعباً، لكنه ليس مستحيلاً."

في ذلك الوقت حانت مني التفاتة تجاه زمردة، لأجدها منهمكة في البحث عن شيء ما بحقيبتها التي لا تفارقها، فقلت لها:

(الرد): مردة

" ماذا هنالك يا زمردة؟"

لم تجبني للحظات، وبدا لي أنها لم تسمعني، فقال فريد:

" هل هناك شيء يا ابنتي؟ "

اعتقدت أنها لم تسمعه أيضا، إلا أنها فجأة رفعت يدها لأعلى وهي تمسك بورقة صفراء عتيقة، ثم قالت:

"منذ حوالي شهر علمت أن هناك كتب خاتمة تضم عددا ضخما من الكتب الأسطورية والتاريخية، والأوراق الأثرية القديمة، مع العنوان، لكنني لم أستطع الوصول لذلك المكان وحدي، لذا أعتقد أنه يمكننا الذهاب سويا الآن. "

فكر الجد فريد قليلا ثم قال وهو يمد يده لزمردة لتناوله الورقة:

" حسنا، سأذهب معكما غدا، ما هذا؟ إن ذلك المكان يقع في قصر محمد علي في شبرا..."

هنا بدأت أتحمس للأمر، فأنا لم أزر شبرا من قبل، لكن والدتي تخبرني إنها مكان مزدحم جدا وممتلئ بالأسواق، من الرائع أن أراها في القرن التاسع عشر بالتأكيد، فقلت متسائلا:

"هل تعلم الطريق لهنالك يا جدي؟"

فقال لي وكأنه يتذكر:

" نعم، لقد زرتها ذات مرة، دعونا نستعد للذهاب غدا، سأجهز وسيلة مريحة نقلنا لذلك المكان."

هزنا رؤوسنا جميعا وكلنا ترقب ليوم الغد..

^{٢١} المكتبة في الماضي كانت تسمى كتب خاتمة

(الرد: مرد)

استيقظت باكرا في اليوم التالي تملأني الحماسة لمكان جديد سأتعرف عليه في هذا الزمن، خرجت من المنزل لأجد جدي قد جهز لنا تلك العربة الوثيرة التي ستقلنا إلى شبرا، لم ننتظر زمرة طويلا، فبدأ لي أنها لم تتم ليلتها من فرط الحماس، ركبنا العربة ذات الحصانين، وبدأنا رحلتنا..

كنت مستمتعا بتأمل الحياة البسيطة من حولي، ثم خطر على تفكيري ذلك الخاطر، لماذا قد يبني محمد علي قصرا له في ذلك المكان الناء، ويبدو أن السؤال قد تخطى عقلي ليتفوه به فمي، فأجابتي زمرة بلهجتها الخبيرة وكأنها تعلم كل شيء قائلة:

"كان محمد علي يرغب في الحصول على مكان قصي ليبنى له قصرا تهدأ فيه نفسه، فقام باختيار ذلك الموقع على شاطئ النيل بمساحة خمسين فدانا، وكانت تلك هي بداية حي شبرا. "

قلت لها بشيء من السخرية:

"محمد علي يذهب لذلك المكان البعيد لكي يحصل على بعض الهدوء والسكينة، فيقرر الشعب كله اللحاق به وملء الحي بالزحام."

قالت بجدية:

" هذا ما حدث بالفعل، فالناس تعشق الإقامة بجوار الحاكم حتى تكون في حماه وقريبة من عطايه إن كان كريما، بالإضافة إلى أن تخطيط المناطق الجديدة إذا اعتمد على تجهيز مناطق سكنية للسكان فقط، لن يجعلها منطقة مأهولة، على عكس أن تبدأ بإعمار أبعد منطقة فيها وتوفر المراكز الخدمية، مثل مدرسة أو مقر للحكم، أو قسم شرطة أو حتى مستشفى، حتى تبدأ أقدام الناس تأخذ على ذلك المكان، فتبدأ تدب فيه الحياة."

في الواقع، استطاعت زمرة أن تقنعي بتلك النظرية، وعلى الرغم من أنني أعتقد إنها ليست نظريتها الخاصة، بل لابد إنها قد سمعتها من أحد أقاربها، إلا أنني هزرت رأسي متفهما، ثم عدت لصمتي من جديد، حتى لاحظت مجرى النيل العذب، ومياهه تترقرق أمامي في ضوء الشمس الذي لم يتوسط كبد السماء بعد، فالتفتت نحوه بلهفة، أتأمل مياهه ذات اللون النيلي الذي كنت دائما

(الرد): مرد

أسمع عنه في الأغاني الوطنية، لكنني أراه دائما باللون الرمادي، بسبب التلوث والإهمال، فيأبى عقلي تصديق أن هذا اللون الرمادي هو اللون النيلي.

لحظات ثم انتقلنا إلى جمة وارفة الظلال، طريق ممهد تحفه الأشجار من الجانبين لتصنع طريقا يشبه الممر الذي يزفون فيه العرائس في القاعات والفنادق، لكنه أفخم وأروع، يبدو أن اللهفة كانت بادية على وجهي، لأن جدي فريد ربت على كتفي وهو يقول:

"لقد وصلنا إلى شبرا، علمت هذا من تلك الأشجار التي جلبها محمد علي من الخارج لتزرع في مصر."

تأملت الأشجار بفضول وقلت له:

"كيف هذا يا جدي؟ تبدو لي تلك أشجار يوسف عادية، ألم تر ثمار اليوسفي؟"

ثم أشرت للجهة الأخرى وقلت:

"وتلك الأشجار في الجهة الأخرى، تبدو لي ثمارها كثمار التين."

هنا ضحك جدي طويلا، ثم قال:

"هل يوسف أفندي صار اسمه يوسف في زمانكم؟ وتلك الأشجار ليست أشجار تين، ولكن هذا جميز."

ثم أشار لمجموعة أخرى من الأشجار وهو يقول:

"أما تلك فاسمها أشجار اللبخ."

قلت بعدم فهم:

"ماذا؟ اللبخ؟"

بينما قالت زمردة:

"شكلها ليس غريبا لكن الاسم عجيب جدا."

قال جدي:

(الرد): مرد

" نعم اسمها غريب لكنها شجرة رائعة وارفة الظلال، نسميها ذقن الباشا، ولها فوائد متعددة في الطب الشعبي، وأهم مميزاتها إنها تسمح بنمو الأشجار الأخرى بجوارها كما ترون."

واستطرد جدي قائلا:

" في عام ١٨٤٧ وفي أواخر أيام محمد علي باشا، أصدر أوامره بتمهيد ذلك الطريق المتسع الواصل بين مصر وشبرا، لأن شبرا في زمننا هذا ليست جزءا من القاهرة كما رأيتم، وكان هدف محمد علي أن يتحول هذا الشارع إلى مكان للنزهة والترويح خارج العاصمة، ولكي يحقق ذلك الهدف قرر بأن يكون هذا الشارع من أعرض الشوارع في مصر، وأكثرها استقامة، وأمر بغرس أشجار اللبخ والجميز بالتبادل، على حافتي الطريق التام الاستقامة، حتى صار طريقا مظللا، ومنتزها جميلا إلا أنه منذ حوالي خمسة عشر عاما، تحديدا عام ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس، وأخذ الخديو إسماعيل بعض أشجار اللبخ وقام بزراعتها في أماكن أخرى، لاستقبال إمبراطورة فرنسا، الامبراطورة أوجيني."

سألته بانبهار:

" أي أن شارع شبرا كان أجمل من ذلك في الماضي؟"

أجابني وهو يشعر بحنين للماضي قائلا:

" كان رائعا."

قالت زمردة بلا حماس يذكر:

" يبدو أننا وصلنا."

انتظرنا الحارس ليفتح لنا البوابة، ودخلنا بالعربة، وتوجهت عيني نحو القصر بلهفة، إلا أنني أصبت بشيء من الإحباط، لقد تخيلته أفخم من هذا، وتوقعت أنني سأشاهد أعظم قصر رأيته على الإطلاق، ولكن هذا لم يحدث للأسف، فقد لاحظت أن حجمه كبير عرضيا لكن ارتفاعه ليس كبيرا بالشكل الذي توقعت، أما الحديقة فكانت تحفة فنية بالفسقيات والنوافير والأشجار الرائعة.

بعد أن تخطينا البوابة استقبلنا حارس آخر قائلا:

(الرد): مرد

"كيف أستطيع خدمتكم؟"

ناولته زمردة الورقة قائلا:

"أتيت لزيارة المكتبة بناء على توصية صديق."

تناولها الرجل منها ثم تأملها بضع لحظات وقال:

"حسنا اتبعوني."

تبعناه بالعربة حتى مدخل القصر، ثم ترجلنا وتبعناه إلى داخل القصر، الآن تبدت لي فخامته، على عكس الشعور الذي انتابني من الخارج، كان القصر فخما بهيجا، بسقفه العالي، وأثاثه الأنيق، وزخارفه المنمقة.

طرق الرجل باب غرفة جانبية برفق وهو يقول:

"مجموعة من أصدقاء "عزيز"..."

وانتظر قليلا حتى سمع الرد:

"دعهم يتفضلون."

ففتح الباب وأشار لنا بالدخول، وأغلق الباب خلفنا برفق، كان ما رأيته أشبه بمكتبة في فيلم تاريخي، غرفة كبيرة متسعة منقسمة لجزئين، الجزء الأيمن عبارة عن مكتبة عملاقة منقسمة إلى عدة أرفف بارتفاع طابقين، تملؤها الكتب والمجلدات، بينما الجزء الأيسر تم تقسيمه إلى طابقين، الطابق العلوي بارتفاع أقل من السفلي، وكأنه مخزن أو ميزانين، ويمكن الوصول إليه من خلال تلك الدرجات الخشبية، أما الطابق السفلي فيحتوي على مكتب عملاق ومقعد فخم، يجلس عليه ذلك الرجل الذي قام من مقعده بمجرد دخولنا ورحب بنا قائلا:

"أهلا بكم وسهلا، أصدقاء عزيز هم أصدقائي، اعتبروا أنفسكم في منزلكم."

بتلك السهولة؟ ابتمت رغما عني، وأنا أتعجب عن يكون عزيز هذا، **بينما قالت زمردة:**

"أهلا بسيادتك، هل مسموح لنا تكرار المجيء إلى هنا حتى ننتهي مما نبحث عنه؟"

(الرد): مرد

يبدو أنها تريد أن تنتهي من كل تلك الكتب، أجب الرجل بكل ترحاب:
" بالطبع، القصر قصركم، الآن سأعود لأتابع عملي وإن أردتم شيئا، فقط نادوني."

قال الجد فريد متسائلا:

"لا نريد أن نزعجك، ولكن هل يمكنك مساعدتنا في الوصول إلى الكتب التاريخية، وكتب الأساطير؟"

قال الرجل بود:

"نعم بالتأكيد."

ثم أشار لأعلى في طابق الميزانين قائلا:

"هنا تجدون كتب الأساطير."

ثم أشار إلى الأرفف أسفل السلم قائلا:

"وهنا تجدون الكتب التاريخية، وإن أردتم سؤالي في أي شيء آخر، لا تترددوا."

شكرنا الرجل بامتنان، ثم قلت لزمردة وللجد فريد:

"أريد أن أبحث في كتب الأساطير في الطابق العلوي."

فقالت زمردة بشيء من الضيق، وكأني أخذت اختيارها:

"وأنا أيضا."

فقال الجد:

"حسنا، فلنبحثا في العلية، وأنا سأطلع على تلك الكتب التاريخية."

في الواقع كان يوما ممتعا، على الرغم من عدم عثورنا على أي خيط يؤدي للبوابة الزمنية، إلا أننا بحلول نهاية اليوم، شكرنا الرجل أمين المكتبة، وأخبرناه بقومنا غدا من جديد لمواصلة البحث.

الزمر (١): مردد

مرت الأيام، وقد بدأت أعتاد رحلاتي شبه اليومية للقصر، وزيارة المكتبة، وقراءتي لكتبها في نهم، وبدأت أعتاد حنان الجد فريد علينا أنا وزمردة، ومشاركة زمردة بالمعلومات التي نصل إليها سويا، مرت أسابيع حتى كدت أن أنسى الهدف الأساسي من قدومي لذلك المكان، هل أحببت الحياة في الماضي؟ نعم، بالطبع لا أنكر هذا، فالحياة هنا بكل ما فيها جميلة ومبهرة، حياة كل ما فيها يمتلئ بالخير والبركة، حتى أن يوما واحدا قد يكفي ما نفعله في أسبوع في زماني، المهم أن زيارتنا للقصر استمرت لما يقرب من ثلاثة أشهر، حتى بدأنا نعثر على طرف الخيط، وقتها كان الجد فريد قد قرر أن يوسع دائرة البحث قليلا، ليشمل باقي أقسام المكتبة، لأنه لم يجد ضالته في كتب التاريخ، إلا أنه كان يبحث في الكتب التي ليس لها غلاف، أو ذات غلاف مميز أو غريب، لأنه كان يعتقد أن الكنز في الأساس مجهول، لا يعلم عنه أحد سوى من طاله تأثيره، لذلك أخبرنا أنه يعتقد أن الحل سيأتي من خلال بضع وريقات قديمة كتبها أحدهم في عجالة، أو كتاب عتيق لم يشجع أحد على تصفحه، وهذا ما حدث بالفعل، فقد عثر في ذلك اليوم على كتاب عتيق ذو كتابات عجيبة لم أستطع أن أفهمها، للكتاب كعب ضخّم بشكل غير طبيعي، بالتأكيد مر علينا الأمر - أنا وزمردة - دون تركيز، لكن حين رآه الجد فريد، بدأ يبحث عن فتحة في طرف الكتاب، وحين فشل في فتح كعب الكتاب، بدأ يبحث في الأرفف عن أداة حادة، حتى عثر على ما يشبه سكين صغير أو مبرد كبير، وبدأ يصنع فجوة في طرف الكتاب، حتى بدأت في الاتساع، كل هذا ونحن نراقب ما يفعل بمزيج من الحماس والتوتر، المهم أنه في النهاية استطاع فتح الكعب، ليخرج تلك المطوية العتيقة.

قام بفتح المطوية لنجد أنفسنا أمام خريطة المنشودة بموقع الشق، والثلاث بوابات، وهناك كلمات تبدو كرسالة مكتوبة بخط صغير جدا على الجانب الأيمن من الخريطة؛ في الواقع لم أكن أعلم اللغة التي كتبت بها الرسالة، لكنها كانت تشبه الحروف الروسية، فتساءلت بشك:

"هل تلك كتابة روسية؟"

نظرت لها زمردة مدققة:

"لا أعتقد، ربما تكون كتابة إغريقية قديمة أو لاتينية.."

فقال الجد:

"وكيف نتأكد؟"

فقلت:

"ربما لو عثرنا على قاموسا أو معجما قد نتأكد.."

فقال الجد:

"لقد هذا الركن يحتوي على المعاجم العربية، قد نجد باقي اللغات بالقرب منها.
"

قالها وهو يشير نحو بقعة بعينها في المكتبة، فتوجهنا نحوها بسرعة، وبدأنا البحث عن مجلد يحتوي على كتابة تشبه الكتابة المنشودة، في ظروف أخرى كنت سأقوم بعمل مسح للرسالة وأجعل أحد تطبيقات الذكاء الاصطناعي يكتشف اللغة ويترجمها، ولكن هذا هو الحال الآن علينا أن نتأقلم.

عثرنا على المجلد المنشود، قاموس ترجمة من اليونانية القديمة إلى العربية، أصابت زمردة في تخمينها، تلك الفتاة واسعة الثقافة بالفعل، سبع ساعات مرت علينا ونحن نحاول الوصول لترجمة الرسالة، لاحظوا إننا لا نعلم شيئا عن الحروف الإغريقية، ولا حتى كيفية نطقها.

أمسك جدي فريد بالوريقة التي ناولتها له، بعد أن انتهيت وزمردة من ترجمتها، فقرأها بصوت عال قائلا:

"زوجتي العزيزة الغالية،

تركت لك أدلة عديدة من زماني هذا لتخبرك بمكان تلك المطوية، أنا الآن أسبق زمائك بمئات السنوات، يؤسفني أنني لا أستطيع العودة إليك من جديد، لكن يمكنني إصلاح أخطائي من خلالك، يمكنك سد الفجوة الآن، وبعدها يجب أن تخفي تلك المطوية عن أعين البشر، كنت سأخبرك أن تحرقها، لكن ماذا أن

(الرد): مرد

فتحت الفجوة من جديد؟ أردت دليلاً يستطيع البشر الوصول إليه لإثبات إمكانية غلقها.

زوجتي العزيزة الغالية،

أتذكرين الحجر المفتاحي، الذي ننقل من خلاله أمام المعبد، قومي بتثبيتته في الأرض فوراً، بحيث لا يمكن تحريكه، وذلك دون أن تضغطي وجه النمر المنحوت فوقه...

زوجتي الغالية،

أتذكرين الأحجار التي وضعتها في الخزانة؟ في الرف العلوي، نعم تلك التي فتحنا بها البوابة، ستضعينها بذات الترتيب الذي رسمته لك أسفل الرسالة بجوار الشق، ثم بعضاً طويلة حاذي الأحجار، ثم حاولي أن تحريكها أفقياً حتى تصل إلى الشق وتسقط بداخله، ستشتعل النيران الخضراء وتصير أقوى، لا تقلقي، فما هي إلا لحظات وتضيق الفجوة وتخفت نيرانها، ثم تنغلق تماماً.

زوجتي العزيزة، لا تحاولي معرفة الزمن الذي علقت فيه، أعلم أنك ستحاولين السفر للوصول إلي، لكن أرجوك فلتبقي في زمانك، وكأن لم أكن."

تبادلنا النظرات الفلقة، ثم أشارت زمردة لأسفل الخريطة قائلة:

"هناك كلمات بخط منمق في الأسفل."

نظرنا جميعاً، لنجد رسالة أخرى، فترجمناها سريعاً، وقد شعرنا في تلك المرة بشيء من التمرس والخبرة، لنكتشف إنها رسالة من الزوجة تسجل فيها أنها قد عثرت على الخريطة التي أرسلها زوجها، وتضمن من خلال دلائل – لم تذكرها في الرسالة – زمن بعينه، وتترك الخريطة لأختها لتسد الفجوة بعد ذهابها لزوجها، ثم تطلب منها أن تخفي الخريطة جيداً بعد غلق البوابة، **فقلت لهم بياس:**

"ستضيع في ماض لا تعلم عنه شيئاً بالتأكيد، فما الذي أكد لها وجود زوجها في ذلك الزمن الذي قصده، أعتقد أنها لم تفكر بشكل صحيح، وقد يقضي كل منهما حياته في زمن بعيد عن الآخر."

(الرد): مرد

أجاب جدي بطريقته المتأنية:

"لا أستطيع أن أرى الأمر بذلك السوء، فزوجها الآن أصبح جزءا من الماضي، أي أنها لو دخلت البوابة وفكرت فيه ربما تصل للزمن الصحيح."

قالت زمردة بابتسامة جانبية ساخرة:

"وكيف ستصل إلى مكان إقامته في ذلك الزمن، سيكون كالإبرة في كومة من القش."

قال الجد فريد من جديد:

"بالطبع لا نعلم الزمن الذي وصلتنا منه الرسالة، لكنني أثق أن هناك ما يشبه الإلهام الذي يهبط على من يساهم في فتح البوابة إن كانت نيته طيبة، وأعتقد أنهما ندما على فتحها، وذلك لا يحدث لذوي النفوس المريضة."

ثم استطرد قائلا بابتسامة حنون:

"العجيب أن تصدر تلك الكلمات منكما، وقد عثرتما علي بكل سهولة."

وجدنا بكلامه شيء من المنطق فهزنا رؤوسنا بفهم، ثم **عقبت متسائلا:**

"ماذا سنفعل الآن؟ هل نطوي الخريطة كما كانت ثم نعيدها لموقعها في الكتاب؟ أم أن نأخذها معنا ونعيدها في وقت لاحق؟"

فقال جدي:

"أعتقد أن نستعيدها قليلا، ثم نعيدها فيما بعد، لربما وجدنا بها شيئا آخر إن بحثنا جيدا."

فالتقطتها زمردة بلهفة ووضعتها في حقيبتها، **وقالت:**

"هيا ننطلق إذاً."

(الرد): مردد

كان لقاءنا في اليوم التالي مختلفا، جلسنا متربعين في الإيوان حول الطاولة الأرضية، أنا وزمردة، والجد فريد، وسليمان، ثم لحق بنا فيما بعد عبد الله والد سليمان، كنت وقتها أتناول مشروبا باردا، قدمته لي الجدة صفية، لست أدري كنهه، لكنه كان لذيذا لدرجة جعلتني أشربه دفعة واحدة، ثم وضعت الكأس المعدني فوق الطاولة الأرضية، وشكرت الجدة صفية ثم قلت مفكرا:

"ما هي خطواتنا التالية؟ هل أسافر للماضي بعد فترة مناسبة من فتح البوابة وأقوم بغلقها؟ أم نغلقها الآن؟"

فقال زمردة بدون تفكير:

"ولماذا نغلقها؟"

ثم استدركت قائلة:

"أقصد لماذا نغلقها الآن، نغلقها في الماضي بالطبع.."

نظرت لها لحظات متعجبا، بينما قال عبد الله والد سليمان:

"لا أرى أي داع للسفر الزمني من جديد، لماذا لا نغلقها هنا والآن؟"

قلت له بشكل بديهي:

"لقد قمت بتلك المغامرة من الأساس لكي أصلح كل ما حدث منذ فتح البوابة، وقررت بذل كل ما بوسعي لتحقيق هذا الأمر، وبما إنني قصدت الزمن الخطأ، وطالما إنني ضللت طريقي في الماضي دون أمل في العودة للمستقبل، لذا أعتقد أنه من الأفضل أن أسافر من جديد للماضي."

قال سليمان متسانلا، موجهها سؤاله لي ولزمردة:

"ولم هذا، ألم تقصدا الزمن الصحيح منذ البداية؟"

قالت زمردة بعد قليل من التفكير:

"بالنسبة لي، ربما أكون أخطأت في تحديد الزمن بفارق بسيط، إلا إنني أعتقد أنني قد وصلت في وقت مناسب، لكنه لم يكن الوقت الأنسب."

(الرد): مرد

ثم التفتت نحوي قائلة:

"وأنت يا مروان؟"

فكرت قليلا، ثم قلت بصوت خافت:

"لم أصل في الوقت الذي حددته بالطبع، فقد قصدت العام ١٨٤٥، لكن على الرغم من ذلك، فقد وصلت في الوقت المناسب، فقد أتيت في الوقت الذي تجمعت فيه الحقائق، على عكس الزمن الذي كنت أقصده في البداية، أما الفرق بين الزمن المقصود، والزمن الذي وصلت إليه حوالي أربعون عاما."

نظروا لي جميعا بدهشة، بينما سأل الجد فريد:

"لماذا أردت السفر إلى العام ١٨٤٥، لم تكن البوابة قد انفتحت بعد حينها؟"

أجبت قائلاً:

"بالطبع لم أكن أعلم هذا قبل سفري، لأنني استندت في تخميني على الأرقام المكتوبة على جدران الكهف."

قال لي باسم:

"حمدا لله أنك لم تقصد هذا الزمان، الأرقام التي قام بكتابتها رشدي كانت عبارة عن خط زمني يبدأ بمولده، وذلك لكي يستطيع دراسة الأحداث من كافة الزوايا منذ ولده..."

ثم خفتت ابتسامته شيئا فشيئا وهو يتساءل بجدية:

"ولكن يا مروان ما الذي صنع هذا الفرق الواسع، يبدو أنك لم تركز في تلك الفترة الزمنية بعينها."

قلت بخجل:

"تشنت تفكيري حين فكرت في أحد أدباء ذلك الزمن، فحاولت تخيل وقت مولده، ووقت كتابته لأول رواية له، ويبدو إنني سافرت إلى الزمان الذي كان يفكر فيه ببدايات روايته."

(الرد): مردد

هز الجد فريد رأسه وهو يحاول استيعاب ما أقول، بينما قالت زمردة:

" لا تمزح، هل تقصد هربرت جورج ويلز؟"

هزرت رأسي مبتسما أن نعم، فتساءل سليمان قائلاً:

" من هذا الكاتب؟"

أجبهته قائلاً:

" ويلز هو أحد الكتاب المشهورين في نهاية القرن التاسع عشر، تحدث في إحدى رواياته عن آلة الزمن، مما شتت تفكيري حين ربطت بين سفري الزمني وبين روايته."

ثم أكملت زمردة كلامي قائلة:

" الرائع أيضا بخصوص ذلك الكاتب، أنه تحدث في إحدى رواياته عن صعود الإنسان إلى القمر وهو ما سيتحقق بالفعل في المستقبل، كما أنه تحدث عن الغواصة والطائرة قبل اختراعهما، وكأن خياله، بالإضافة إلى تفكيره العلمي المبدع، كان قادرا على تخيل صورة واقعية للمستقبل."

فقلت مازحا:

" أو أنه مسافر زمني من المستقبل أيضا، لذلك عرف ما عرف.. يمكنني أن أكتب مئات القصص عن المستقبل في هذا الزمن."

اتسعت عينا سليمان في مزيج من الدهشة والحماس، وقال بسرعة:

" ماذا تقولان؟ هل يمكن السفر إلى القمر؟ وما هي الطائرة، والغواصة؟"

حاولت مجارة أسئلته، فأجبت قائلاً:

" سيصل الإنسان إلى القمر عن طريق ما يسمى بالصاروخ، أو المكوك الفضائي، والطائرة هي مركبة كالعربة بدون حسان، لكنها تطير، والغواصة..."

قاطعني قائلاً من جديد في حماس مفرط:

" هل ركبت تلك الطائرة من قبل؟ وما هو شعور أن تحلق في السماء هكذا؟ "

(الرد): مرد

هممت بالإجابة فقطعني من جديد متسانلا:

" إذن هل القمر مضيئا هكذا كما نراه ونحن على الأرض، وهل تنظمون رحلات للقمر؟ هل سافرت إلى القمر من قبل؟"

هنا قاطعه جده قائلا:

"سليمان، دعنا نستكمل موضوعنا الأساسي يا بني."

شعر سليمان بشيء من الإحراج فصمت، ولم أرد أن يصله هذا الشعور، فابتسمت وقلت له:

"مع بعض الصور على جهازَي اللوحي، سأريك كل شيء، بعد أن ننتهي."

هنا ابتسم سليمان من جديد وهز رأسه بثقة، بينما قال الجد فريد بتودة:
"بداية يا مروان، هل فكرت في عواقب غلق البوابة في الماضي سواء الآن أو بعد فتحها بمدة قصيرة؟"

هزرت رأسي أن لا، فأكمل:

"هل تعلم أن غلق البوابة في الماضي، قد يصنع أي مستقبل ممكن، فقد تولد وقد لا تولد، ليس أنت فقط، بل ربما أيضا زمردة وسليمان."

قال سليمان:

"لا أعتقد هذا يا جدي، فالخطوط الزمنية ستتحده وتصبح خطأ واحدا."

فأجابه قائلا:

"بالضبط هكذا، لكن أي خط زمني سيكون الخط الأصلي إذن؟ وماذا قد يحدث إن لم تساعد والدتي مروان والده في العثور على ذلك الكهف؟ هل تعتقد أنهما قد يتعارفا وتتعارف أسرتهما كما حدث في واقعه الأصلي؟"

صمتنا جميعا بقلق، بينما غمغمت زمردة قائلة:

"تأثير الفراشة!"

(الرد): مرد

التفتوا لها جميعا بدهشة، بينما ابتسمت وأنا أذكر تلك النظرية التي قرأت عنها من قبل،

وقلت لها:

" نعم لقد سمعت عن تلك النظرية."

هزت رأسها تحثني على استكمال كلامي، **فأكملت:**

" النظرية نشأت على يد العالم إدوارد لورانز في عام ١٩٦١، حيث أراد رؤية سلسلة معينة من الحسابات مرة ثانية، وتوفيرا منه للوقت والجهد بدأ من منتصف السلسلة، بدلا من بدايتها، وعندها انحرفت النتيجة بشكل كبير عن النتيجة الأصلية. "

قالت لي:

"بالضبط وماذا تسبب في هذا الانحراف؟"

أكملت كلامي قائلا:

" لأن لورينتز أهمل الأرقام العشرية الصغيرة جدا، وقد كان الفرق في البداية صغير جدا لدرجة أنه قام بتشبيهه بتأثير رفرفة أجنحة الفراشة الصغيرة جدا على الهواء. "

قاطعنا الجد فريد قائلا:

" ما علاقة تلك النظرية بالسفر الزمني يا أبنائي؟ "

أجبتة قائلا:

"في حياتنا اليومية تقابلنا اختيارات عديدة، كل اختيار منها قد يؤدي إلى انحراف معين في الخط الزمني، فمثلا إن اخترت دراسة التخصص العلمي قد أصبح طبيبا، وقتها قد أنقذ أرواح البشر، وإن اخترت دراسة التخصص الأدبي، قد أصبح صحفيا أو أديبا، وهكذا. "

(الرد: مرد)

هنا تحدث سليمان وقد فهم المقصود:

"وقد لا يلتقي والدك ووالدتك، لأن السبب في زواجهما كان مشكلة القصر."

هزرت رأسي بالإيجاب قائلا:

"وبالتالي أولد كطفل آخر في مكان آخر وزمان آخر لوالدين آخرين."

هنا ساد بيننا الصمت فجأة، بالتأكيد لا أستطيع أن أجزم بصحة هذا الكلام من عدم صحته، فعلى الرغم من نيتي الخالصة لإنقاذ الجميع، هناك جزء صغير بداخلي لا يزال يدافع عن وجودي، ويريد أن يولد من جديد مهما كانت العواقب، بالطبع لا أتمنى لي ولزمردة أن نظل سجناء في هذا الزمن إلى الأبد، ومن جهة أخرى لا أريد أن نتلاشى وألا يصبح لنا وجود، النظرية مقنعة بالفعل، ولكن كل شيء في الحياة مقدر بأمر الله سبحانه، وإن كان قدر الله أن نولد أنا وزمردة لكي نغلق الشق ثم ينتهي دورنا في الحياة ولا نولد في الخط الزمني الجديد، لا يهمني، فقد توقعت كل السيناريوهات حين قررت العودة، **حين وصل تفكيري لهذا الأمر قلت لهم بصدق:**

"بالنسبة لي لا أهتم أن أولد من جديد أو لا أولد، فمنذ البداية وهدفي هو إنقاذ عائلتي ومرسل الرسالة حتى وإن ضللت طريقي عبر الأزمان، ولو أن هدفي الذي خلقني الله من أجله هو تأدية ذلك الأمر، وبعدها ينتهي أمري، فأنا راض."

ظهرت على وجوه الجميع أشد نظرات التقدير والإعجاب، **بينما قال فريد:**

"بارك الله فيك يا بني، الحمد لله أني اطمأننت على نسلي."

وقالت زمردة بإعجاب واضح:

"يبدو أنني سأتعلم منك التواضع ونكران الذات يا مروان."

وربنت صفة على كتفي بحنان جم، وهي تقول:

"لا بد أن يولد هذا الفتى ويحيا حياة طبيعية، لقد منَّ الله علينا بحياة ملؤها المحبة والمودة، عن نفسي لا أرغب بتغيير أي حدث قد عشته مع تلك الأسرة، كما أن سلطان ورشدي كان باستطاعتها بمساعدة فريد، العودة بالزمن ومنع

(الرد): مروان

فتح البوابة، أو على أقصى تقدير غلقها، إلا أنهما فضلا المتعة المؤقتة والبريق الزائف لذلك الكنز المزعوم، لذلك أعتقد أنه من حق مروان وزمردة كشابين ضحايا بمستقبلهما لحماية أسرتهما أن تكون لهما الأولوية في التفكير، والبحث عن طريقة لإنقاذ حياتيهما."

ابتسمت لا إرادياً بفخر وسعادة من كلام جدتي، وقد شعرت نحوها بامتنان شديد، على الرغم من كون كلامها نظري غير قابل للتحقيق، فأنا حبيس هذا العصر لا أستطيع السفر إلى المستقبل، فقالت زمردة وكأئنا قرأت أفكاره:

" وكيف نعود لزماننا إذا؟"

قال عبدالله والد سليمان:

" لدي فكرة قد تمكنكما من غلق البوابة في زمنكما، دون الحاجة للسفر إلى المستقبل."

نظرنا له جميعا بلهفة فأكمل:

"نحن الآن نعلم يقينا اليوم الذي سيذهب فيه والديك إلى الكهف يا مروان، كما نعلم خط سيرهما، فلنتترك لهما رسالة مفصلة بكل ما حدث، وسيحدث، وطريقة سد الفجوة الزمنية، وكل ما تريد إخبارهما به، كما يمكن ترك رسالة مرفقة لوالدي زمردة أيضا إن أرادت."

قال فريد بحماس مطلق:

" فكرة رائعة يا عبد الله."

قلت لهم بيأس:

" وماذا إن عثر رشدي عليها؟"

قال فريد معيدا لي الأمل من جديد:

" رشدي اطمأن الآن أن من طلبت نجاته استجاب، لذلك لا أعتقد إطلاقا أنه قد يبحث عن رسائلني من جديد."

(الرد): مروان

هنا اقترحت زمردة أن نترك صندوقا به كل ما يلزم لغلق البوابة بجوار البوابة ذاتها، وبالطبع وافقنا جميعا، ولم نترك الصندوق إلا بعد تحصينه بكافة الأدعية التي نتذكرها.

وكما رأيتم هكذا تنتهي قصتي في الماضي، لديكم مطلق الحرية في اختيار الزمان المناسب لغلق الفجوة، وأيضا في الاختيار بين غلقها هنا والآن، أو العودة بالزمن وغلقها قبل اختفاء العائلة الأول، أراكم على خير، إلا أنني لست أدري إن كان ذلك الشخص الذي عرفتموه من خلال ذلك الدفتر سترونه من جديد أم لا؟ هل سأصير ولدكم أم لا؟ هل سأحي من جديد بينكم بتلك الخبرة التي اكتسبتها، أم سأكون مجرد طفل لاه لا يدري عن ماضيه أو مستقبله شيئا، إلا أنه أيا كان الشخص الذي سأكونه، أرجو أن تحبوني وتغمروني برعايتكم.

ملحوظة: تركت الأحجار المستخدمة في غلق الشق في قاع الصندوق..

ولدكم البار مروان،،

(الحيرة) يرويها يوسف

انتهيت من قراءة الدفتر الذي انتهى بالنسبة لي نهاية مفتوحة، فأنا بالفعل قد تعلقت بمروان ابني فوق ما كنت أتصور، وكنت أتمنى أن أجد في نهاية الدفتر ما يسرني ويبعد عني القلق، أريد أن أحدث معهم الآن وأفرغ مكنون صدري، تتنابني الآن مشاعر مختلطة تمتزج باضطراب، فتصيبني بالحيرة، أنا سأزوج مريم؟ أنا؟ الكائن المتوحد الذي لم يفكر في الزواج والاستقرار قط، والذي يرفض أن يصنع عائلة لكي لا ينجب جيلا معقدا يرث عقده النفسية، يتزوج وينجب ذلك الابن البار السوي، معنى هذا أن قراراتنا التي قد نصنعها يوما ما بعقولنا القاصرة، ونعتقد أنها القرارات الصائبة لعيش حياة أفضل، قد لا تكون بالفعل الأفضل، وقد يقدر لنا الله ما هو الأفضل والأنسب لحياتنا، فانه يدبر الأمر بالشكل الذي لو فكرنا طويلا في عواقبه قد لا ندرك إنه أفضل حال قد نحياه، فمروان ولدي هذا هو من سينقذنا رغم رفضي التام للارتباط والزواج والإنجاب، ابني هذا هو من يعلمني الآن خبايا نفسي، التي لم أعلمها قط من قبل؛

فقلت لهم مازحا كمحاولة مني لإخفاء مشاعري المضطربة، وتخفيف التوتر الذي صرنا نشعر به جميعا الآن:

"مروان يوسف... يبدو لي وكأنه اسم لاعب كرة قدم.."

فقال أدهم:

"أعتقد أنه سيكون لعلاء دورا في اختيار هذا الاسم، فهو يعشق كرة القدم."

نظرت لمريم لأجدها تحاول أن تتجنب نظراتي، بالتأكيد معها كل الحق، قال والدي وكأنه لم يلحظ ما قلنا:

"قصة ولا في الخيال، حفيدي المستقبلي مروان يرسل لي رسالة من الماضي؟"

ثم فكر قليلا واستكمل كلامه:

الزمني: بوس

"بعد أن فهمنا ما حدث، ماذا الآن؟ هل نغلق الشق الزمني في زمننا الحالي؟"

قال أدهم:

"أرى أن نختار سويا الآن، فلدينا وقت طويل قبل أول اختلال قد يحدث من جديد."

قال جدي:

"في وقت سابق كنت سأختار أن أمح الأربع سنوات التي انتقلنا فيها للخط الزمني البديل، إلا أنني الآن سأترك لكم الخيار."

وعقب والدي:

"وأنا أيضا أؤيد كلام والدي."

بالطبع أنا أيضا كنت أتمنى هذا، ولكن هل سيؤثر هذا في شخصياتنا؟ وهل سيمح فترات الهم والحزن من حياتنا؟ وما أدراني أن هذا التغير سيكون للأفضل؟ **قلت لهما بتردد:**

"أعتقد أنني أؤيدكما أيضا."

فقال أدهم بشيء من المكر:

"ممتاز، والآن تأت مهمة توزيع الأدوار، من منا سيسافر لما قبل اختفاء العائلة لسد الفجوة؟"

لقد كان هدف أدهم من السؤال واضحا، لدرجة أنني توقعت أنه سيجيب بنفسه (بالتأكيد أنا سأذهب يا شباب) **إلا أن جدي ابتسم بطرف فمه ثم قال:**

"لولا اشتراطات السفر الزمني لكنت ذهبت.. ليتني في الثلاثين من عمري."

هنا أخيرا تحدثت مريم قائلة بشروء وعدم تركيز:

"أنت الخير والبركة يا جدي."

الزمن: يوم

فقلت مفكرا:

"يبدو أنني المتطوع الوحيد الذي ستنطبق عليه الشروط، فأنا لا زلت في الخامسة والعشرين وأنا والد مروان، وأنا الذي اختفت عائلتي لأربع سنوات كاملة."

فقال أدهم ما توقعته بالضبط:

"إذا كنت والده فأنا خاله وأنا في العشرينات من عمري أيضا، وتلك والدته، سندهب معك بالطبع لكي نكون بجوارك إن احتجت إلينا، تخيل هكذا أن تلجأ لنا في الماضي بسبب مشكلة تمر بها، ستلجأ إلينا بالطبع قائلا: أهلا أنا صديقكم يوسف، أنت خال ابني وأنت والدته، هل تعتقد إننا سنصدقك ونساعدك؟"

بالطبع كلامه منطقي جدا، وعلى الرغم من أنني متأكد تماما من أن أدهم لا يأبه لأي شيء سوى خوض تجربة السفر عبر الزمن، إلا أنني بالطبع لا أريد السفر وحدي بذاكرياتي التي أحملها، إلا أن مريم ألقته بنظرة توعده واستنكار، ثم ها هي تعود لشرودها من جديد، وبالطبع لا أستطيع أن ألومها، على الإطلاق...

(استعداد) ترويهما مريم

انتهى يوسف من قراءة الأوراق، وكل ذرة في كياني ترتجف، إلا أنني حاولت أن أبدو متماسكة، وقد زادني هذا توترا، ليس من السهل عليّ أن أعلم تفاصيل حياتي المستقبلية فجأة هكذا، أشعر بمشاعر عديدة تصيبني بالارتباك، أشعر بالخلل من قراءة يوسف لمشاعري وكأنها كتاب مفتوح أمامه، كما أشعر بالصدمة من مجرد تخيل زواجي المفاجئ من يوسف، أسمع لسان حالكم يتساءل ألسن تحببته؟ بلى أحبه، ولكني تخيلت أن هناك مراحل عديدة تسبق مرحلة بناء الأسرة وإنجاب الأطفال، على الأقل أن يبادلني الإعجاب، ثم تتعارف أسرتهما، وبعد ذلك تأت الخطبة، ونتعارف أنا وهو، وهكذا...

دعكم من كل هذا، من هو مروان؟ منذ أن بدأ يوسف في قراءة الدفتر وأنا أحاول استساغة ما حدث، ولا أزال أحاول أن أفهم وأستوعب الأمر، لاكتشف أن ابني سيفقدنا كما فقد والده أسرته، ثم يذهب لإنقاذنا في الماضي، وها هو يتركنا الآن لا ندري إن كان سينجو أم لا؟ ماذا إن لم نستطع إنقاذه؟ لن أستطيع إنقاذه وأنا في تلك الحال بالطبع، سأنهار حالا بالتأكيد، سأسقط بينهم مغشيا علي الآن، أرى شفاههم تتحرك، إلا أنني لا أسمع ما يقولون، أنظر ليوسف فأجده يحاول أن يستشف ما بنفسه فأحاول بقدر المستطاع تجنب نظراته الفاحصة، وأحاول أن أتابع الحوار لأجد أدهم يقحمني معه في الأمر، ويفترض سفرنا الزمني مع يوسف، حدثت فيه باستنكار، ثم ألقيت عليه نظرة متوعدة، أنا لست والدة أحد بعد ولست زوجة أحد أيضا، وهذا الأمر لا أستسيغه، ما معنى السفر عبر الزمن من الأساس، فليخبرني أحداكم، أعلم حماسة أدهم بالطبع فهو يرى أسعد أحلامه تتحقق، أن يعيش بداخل فيلم خيال علمي، وبالطبع أفهم لماذا لا يريد الذهاب وحده مع يوسف لأنه يعلم أنه إن أقسم لي في الماضي أنه أت من المستقبل لن أصدق، قلت للجد بشيء من الضيق:

"كيف استسغت تلك الرواية سريعا يا جدي وأنت ..."

(الرد): مريم

لم أستكمل جملتي، فضحك هو ثم أكملها قائلا:

"وأنا في هذه السن؟ يبدو أن قلبي وعقلي لا يزالان في سن الشباب يا ابنتي."

فابتسمت للمرة الأولى منذ أن بدأ يوسف في سرد الرواية، فسألني أدهم قائلا:

"ماذا بك يا مريم، لماذا تتصرفين بغرابة؟"

هل يمزح؟ كيف يمكنني أن أهضم أحداث مرت بعائلتي على مدار قرنين من الزمان، أحداث بدأت منذ عقود ماضية وحتى عقود آتية في المستقبل في ساعة واحدة؟ قلت له وأنا أحاول الحفاظ على هدوئي:

"الأمر غريب بالفعل يا أدهم، أن أتلقي رسالة من ولدي الذي لم يولد بعد والذي سافر إلى الماضي، ليرسل لي رسالة عمرها قرنين من الزمان، عقلي لا يستطيع استيعاب كل تلك الأحداث!"

قال العم أسعد:

"اسمعي يا ابنتي، أنا أؤيدك تماما في أن لا شيء مما سمعنا يمكن استيعابه بسهولة، ولكنه التفسير الوحيد لما مررنا به، عن نفسي مثلا، لم أستطع فهم ما رواه مروان عن انقسام الخط الزمني لعدة خطوط يمكن التنقل بينها."

بينما قال يوسف بشيء من الحزم:

"أعلم يا مريم أن الأمر عسير على فهمنا جميعا، لكن ما الشيء اليسير الذي حدث حين ابتعد عني أهلي وعدت إلى منزلي لأعيش سنوات من الوحدة."

ثم ابتسم بحنان لم أستوعبه قائلا:

"لكني الآن لم أعد وحيدا."

هنا خفق قلبي من جديد وارتسمت على شفتي رغما عني ابتسامة، يبدو أنها فضحت المزيد من مشاعري، إلا أن أدهم لم يلاحظ ما حدث لأنه كان مهتما بتوضيح الفكرة، فقال وهو يمسك قلما وورقة من فوق مكتب الجد، ويخط بضع خطوط بيده:

(الرد): مرجع

"سأوضح لكم جميعا الأمر لتستطيعوا استيعابه، تخيلوا أننا نحيا الآن حياتنا الحالية في ذلك الخط الزمني أو time-line، ذلك الخط هو الذي يحتوي على تلك الأحداث التي عشناها بالفعل من التحاقى بالجامعة مع علاء ثم عملي بعد ذلك مع يوسف وعلاء، واختفاء عائلة يوسف التي ساهمت في المزيد من التقريب بيننا، في هذا الخط الزمني نحن جميعا أصدقاء، ولكن ماذا يحدث إن تمكنت من العودة في الزمن لأصنع بعض التغييرات؟"

قلت له وأنا أحاول ترتيب الأفكار في عقلي:

"يصبح لدينا خط زمني بديل، ربما نلتحق فيه بجامعة أخرى، ونلتقي بأصدقاء آخرين، وقد لا نعمل معا."

أكمل يوسف قائلا:

" وإن لم أرض بالأحداث الزمنية في ذلك الخط الزمني البديل عندها أعود من جديد لتعديل الأحداث."

فقال أدهم مستكملا توضيح الفكرة:

" من هنا انشق الخط الزمني الواحد إلى عدة خطوط، يمكن التنقل بينها باستخدام البوابات الثلاثة، التي مثلت نقاط التقاء الخطوط الزمنية، ولكن نتيجة لعودة رشدي وسلطان المتكررة للماضي، بهدف التعديل في أحداث قدرية، حدثت تلك الاضطرابات الزمنية."

فقال يوسف متعجبا:

"على حد علمي، فإن الخطوط الزمنية لا تتلاقى مطلقا."

قال أدهم متفهما:

" هذا صحيح، ولكن يبدو أن الواقع يختلف عن النظريات العلمية، لاحظت الأمر أيضا حينما أخبرنا مروان أن المسافر الزمني لا يجب أن يسافر إلى زمان هو موجود فيه بالفعل، وذلك على عكس المتعارف عليه في نظريات السفر الزمني، حتى في الروايات والأفلام وكأنه قانون ضمني ينص على أن

(الرد): مريح

المسافر الزمني إن سافر إلى زمن هو موجود به بالفعل سيجعل ذاته تتلاشى إن صنع أي تغيير، وإن التقى نفسه تحدث له صدمة، فالنظريات تقول إن عودة المسافر إلى زمن يتواجد فيه بالفعل، يصنع منه نسختين، يطلق على النسخة القديمة بقايا زمنية، وعلى الأرجح يتوجب على أحدهما قتل الآخر، لأنه لا يمكن للمرء أن يعيش مع نسخة مستقبلية من ذاته، في حالتنا هنا فالواقع لا يشبه الخيال، السفر الزمني إما يتم من خلال الانتقال الكلي للجزيئات الجسد كما حدث لمروان، أو يتم عن طريق نقل وعيك الحالي إلى جسدك في الماضي، لذلك ستستيقظ من نومك يوما ما لتجد أن لديك خبرات سنوات قادمة."

قال يوسف بشرود:

" نعم فهمت، مثلما حدث في فيلم Prestige..."

قال أدهم بابتسامة عريضة:

" بالضبط."

إلا أنني قلت بغزع وقد صدمني ما قال أدهم:

"هل معنى هذا أن مروان ابننا لن يستطيع العودة من جديد إلى ذلك الخط الزمني؟"

نظر لي يوسف بدهشة، فرفعت حاجبي وأنا أستوعب ما قلت دون أن أدري، يبدو أن غريزة الأمومة تلك أقوى مما كنت أتصور.

قال أدهم بشيء من الأسف:

" إن لم نستطع العودة لموعد اختفاء عائلة يوسف وسد الفجوة في ذلك الحين، ربما نظل عالقين في تلك الحلقة إلى الأبد، العودة للخلف ومحاولة التغيير، ثم الفشل، ثم المحاولة من جديد وهكذا، وقد لا نتمكن من رؤية مروان على الإطلاق."

(الردى: مريم)

قال الجد بأمل:

"أنا أثق فيكم يا أبنائي، ستعودون إلى الماضي، وتسدون الفجوة قبل أن يحدث ما حدث."

قلت لهم برجاء:

"لماذا لا نكتفي بسدها هنا والآن؟ لماذا يجب أن نعود في الزمن لنسدها، ثم نحيا السنوات الأربع السابقة من جديد؟"

ترك أدهم القلم فوق الطاولة قائلاً:

"لأن الأربع سنوات التي مرت على تلك الأسرة غيرت فيهم الكثير، محت البهجة والسعادة وأثقلت صدورهم بالكآبة، وكأن ما حدث قد نتج عن فعل شيطاني تسبب الشق في وجوده."

قال العم أسعد مؤيداً:

"صحيح يا أدهم، فالحظات التي مرت علينا بداخل ذلك المسار الزمني البديل كانت لحظات كئيبة، وخاصة حين انعزلنا عن العالم الخارجي."

فقال الجد:

"الأمر بأيديكم الآن، بالنسبة إلي بالتأكيد أتمنى محو الأحداث السيئة التي انحفرت في أذهاننا في تلك الفترة."

قال يوسف بحماس وكأنه سيسافر زمنياً الآن:

"وشخصيتي الكئيبة التي تحولت إليها، إن التقيتي يا مريم قبل هذا اليوم كنت ستحبين شخصيتي من الوهلة الأولى التي رأيتني فيها، لقد كنت إنساناً مرحاً مقبلاً على الحياة، كنت حنوناً طيباً، دائم البسمة."

لماذا وجه لي كلماته تحديداً، لست أدري، لاحظت أن يوسف قد اختلف قليلاً بعد قراءة تلك الرسالة، أو ربما كثيراً، صار وكأنه شخص آخر تمتلئ روحه بالحيوية والأمل، كما أنه صار يتحدث معي بجرأة جعلتني أشعر بالخجل من طريقتي، فهذا هو يخبرني بأنني كنت سأحب شخصيته إن كنت رأيتي قبل كل

(الرد): مريم

هذا، ولولا حياتي لكنت أخبرته أنني أحببته على تلك الشخصية الكئيبة التي طالما كرمها، إلا أنني أثرت أن أقول له مازحة:

"على الرغم من أنني لم أر تلك الشخصية المرحّة، إلا أنني أرى أن تلك الشخصية الكئيبة تلائمك أكثر."

ابتسم لكلماتي قائلاً:

"لست أدري إن كان هذا مدح أم ذم."

ابتسمت بالتبعية قائلة بشيء من المكر:

"مدح بالتأكيد، فأنا أراك أكثر جاذبية بتلك الشخصية الكئيبة."

ابتسم من جديد وقد فهم الدعابة، **فقلت متسائلة:**

"معذرة لجهلي بتلك الأمور، ولكن لدي سؤال آخر."

قال الجد:

"جميعنا يجهل تلك الأمور لكن فيما يبدو أن أدهم هو من يعلم الكثير."

فابتسم أدهم بلطف لما قاله الجد، **وقال لي:**

"تفضلني يا مريم."

قلت له:

"إن كنا سنسافر من هذا الزمن ونترك زمننا هذا، معنى هذا أننا سنصنع خط زمني بديل أيضاً، ولكن لن يكون لنا وجود في هذا الخط الزمني لننتقل إلى خط آخر، أليس كذلك؟"

هنا قال يوسف:

"سأجيبك أنا عن هذا، كلامك صحيح بالطبع، ولكنه صحيح حتى نغلق فقط تلك الفجوة ونعيد للعالم اتزانته من جديد، لأن بمجرد غلق تلك الفجوة ستتحذ الخطوط الزمنية في الخط الرئيس الذي نحيا فيه، لذلك سيكون هو خط واحد نتواجد فيه جميعاً إن شاء الله."

(الرد): مريح

فقلت على استحياء وأنا أكور أنفي وأرفع فمي، كعادتي كلما شعرت بالخجل:

" هل هناك احتمال ألا يتواجد مروان في هذا الخط الزمني؟"

قال لي مطمئنا وابتسامة ترسم على شفتيه:

" بالتأكيد سيتواجد إن شاء الله. "

فقال الجد:

" دعونا نتفق أولاً أنكم لن تتدخلوا في مسار الأحداث تماماً، فلتؤدوا دوركم فقط في سد الفجوة ودمج المسارات الزمنية من جديد في مسار واحد. "

هزنا رؤوسنا في استسلام، ثم بادر يوسف بالسؤال:

"متى نذهب؟"

قال أدهم:

" في الواقع لا مانع لدي من السفر الآن. "

قال العم أسعد:

" لا أوافقكم الرأي يا شباب، لقد رأيتم ما حدث لمروان عندما سافر مشنت الذهن، أقترح عليكم التدريب بشكل مستمر لفترة معقولة على ممارسة الرياضة والتأمل، وتحديد وقت يومي لتدريب الذات على التفكير في أمر واحد فقط، سيسافر ثلاثتكم معاً، لذا فإن أي خطأ في التفكير قد يجعل أحكم يسبق الباقيين أعواماً عديدة، لا أريد أن أتسبب لكم في اليأس أو الإحباط، ولكن لا بد أن نرى الأمور بعقلانية. "

قال يوسف بتهذيب:

" معك كل الحق يا والدي، ولكن بماذا سنخبر الأسرة؟"

قال والده:

" لن نخبرهم يا بني، لا داعي لأن نصيبيهم بالقلق بغير داعٍ. "

(الرد): مريم

لماذا تفكر تلك الأسرة بهذا الغموض دائما، يبدو أنها وراثته عن الجد عبد الكريم، دون قصد قام بتوريث طبع الكتمان لأبنائه، ومن بعدهم أحفاده، أسرتي تختلف عن هذا تمام الاختلاف، أنا وأدهم وأختي الصغرى رغد لا نخفي عن بعضنا البعض شيئا، ولا توجد بيننا وبين والدي ووالدتي أي أسرار، وذلك والحق يقال أشعر أنه مريح إلى حد كبير، فلو لا أنني وأدهم تحدثنا معهما عن يوسف وأسرته ما شعرت بالراحة لزيارتنا المتكررة لمنزلهم..

"هيه مريم، أين ذهبت؟"

قطع يوسف تسلسل أفكاري بسؤاله، فقلت له:

"أرى أن تخبرهم يا يوسف، أعتقد أن ذلك سيكون أفضل، ماذا إن لم نستطع إصلاح الأمر؟ أعتقد أنهم يستحقون المعرفة."

أطرق يوسف برأسه ومط شفته السفلى قائلا:

"حسنا سأخبرهم."

ثم قال أدهم ما جعلني أشعر بأن الأرض تبتلعني:

"ما هذا الذي حدث؟ هل بدأت "الحكومة" عملها بدءا من الآن؟ حاضر وتمام وتحت أمرك؟ كنت أعتقد...."

قاطعتة قائلة وأنا أطبق على أسناني بغيظ:

"أدهم أخي الحبيب، يوسف اقتنع بكلامي فقط، ليس كما تصورني وكأنني زوجة مسيطرة مثلا."

فقال العم أسعد مازحا:

"لا تقلقي يا ابنتي، كل رجل منا لديه حكومته، هناك رجالا يفعلون ما تريد من أمامها فقط ويستغلون غياب الزوجة فقط ليفعلوا ما تراءى لهم، لكن لا تقلقي ليس هذا من شيمه رجال أسرتنا."

لماذا أشعر إنهم متصالحون مع الأمر بهذا الشكل العجيب؟ خرجت مني بضغ
كلمات مبعثرة مختلطة بسعال نتج عن التوتر:

(الرد): مريم

" لا يا عمي، كح كح، بالطبع، كح، لم أفكر بهذا، كح كح."

لكن ها هو أدهم ينقذني من الأمر برمته، فقال وهو ينظر لساعته:

" أعتقد أننا تأخرنا، سيقلق والدينا هكذا، هيا يا مريم، نستأذنكم يا عمي ويا جدي، سلام يا يوسف."

تعالى مهمة، هي عبارة عن مجموعة كلمات مختلطة، سلام خذوا حذركم، أوصلوا السلام لماما وبابا... ثم قال يوسف بعد انتهاء المهمة:

" طيلة الأسبوعين القادمين سنحاول أن ننام جيدا، ونمارس الرياضة والتأمل."

فأكملت أنا بلهجة ذات معنى:

" ونحاول بقدر المستطاع الابتعاد عن أي جهاز إلكتروني، لأنها عن تجربة تصيب بالتوتر وعدم التركيز."

فهم أدهم ما أرمي إليه فنظر لي باستنكار ثم قال:

"أمرك يا سيدتي، أي خدمات أخرى؟"

قلت له بتعالي مصطنع:

" لا، فلتنذهب الآن."

ضحك يوسف ووالده وجده، ثم قال الجد:

"تشرفت بمعرفتكم يا أبنائي الأعزاء.."

(مواجهة) يرونها أدهم

الشمس تغرب الآن ونحن نلوح بأيدينا لنودع يوسف وعائلته، وهم يلوحون لنا بالمثل من شرفة الفيلا، أستقل سيارتي مع مريم، وننطلق نحو منزلنا، هناك مشاعر عديدة تعتمل بداخلي، هل هناك أحد غيري يشعر بالغربة تجاه ما حدث؟ أراهن أنهم جميعا يعتقدون أنني أشعر بالسلام النفسي تجاه كل تلك الأحداث، لكنني شعرت بتوتر يوسف ومريم تجاه ما حدث ولم أشأ أن أزد حالهم سوءا، لقد كنت أشعر بالفعل بمشاعر مريم تجاه يوسف، لكن تلك هي المرة الأولى التي ألاحظ فيها مشاعر يوسف تجاه أختي، كنت أتابع اختلاجات وجهه أثناء قراءته لرسالة مروان، كما لاحظت النظرات المتكررة التي كان يوجهها لمريم ليرى وقع الرسالة عليها، كيف لم ألاحظ هذا؟ لست أدري، ربما دائما ما كنت أقنع نفسي بأن مريم طففتي الصغيرة التي كنت ألعبها في صغرها وأحقق لها كل ما تتمنى في كبرها ليست فتاة كبيرة ناضجة يمكن لأي شاب أن يعجب بها ويحبها، أغار عليها؟ بالطبع أغار، كل أخ يغار على أخته، ولكن غيرتي ليست كأى غيره أخرى، ففي قرارة نفسي هناك ما يخبرني أنه لا يوجد رجل في الكون كله يستحق قلب أختي، فمريم تستحق أن تعامل كملكة، أعلم أن يوسف شابا رائعا، ولكن هل سيصونها ويعاملها كملكة؟ للأسف لم يوضح مروان هذا الأمر، لكن من رسالته كان من الواضح أنه يحب والديه جدا، وأن علاقتي به علاقة وطيدة بالفعل كعلاقة صديق بصديقه، الأمر الذي كان يحيرني أيضا هو ريم... و..

"أدهم.. لم تتحدث منذ خرجنا، فيم تفكر؟ "

قاطعت مريم سيل أفكاري بسؤالها، فقلت لها بعدم اكتراث:

"لا شيء محدد، بل مجموعة أفكار مبعثرة..."

"حول ما حدث؟ "

"نعم.."

"ماذا عنه، أقصد ما النقطة التي تفكر فيها تحديدا؟ "

(الزوجة: لوم)

آاه، مريم وإلحاحها، ستظل تلح على حتى أخبرها بما في رأسي، لكني لن أعطاها تلك الفرصة، ليس الآن..

"كنت أفكر في مروان، أعتقد أنني شعرت من خلال رسالته أننا سنكون أصدقاء.."

شعرت بنظراتها الثاقبة تخترق رأسي فالتفت التفاتة سريعة لكي أحافظ على اتزان السيارة على الطريق، وقلت لها وابتسامة ترتسم على وجهي:

"ماذا هناك، لماذا تنظرين لي هكذا؟"

هزت كتفيها بعدم اهتمام وهي تقول:

"لا شيء.."

ثم شعرت بنظراتها تحاول اختراق عقلي وهي تستطرد قائلة:

"أنعلم يا باشمهندس أننا لا نستطيع إخفاء أي شيء عن بعضنا البعض منذ صغرنا؟"

تعجبت من سؤالها إلا أنني أجبتها قائلاً:

"بالتأكيد.."

فقالت لي:

"ونحن بمنزلهم، بعد أن انتهى يوسف من قراءة الرسالة، كنت تنظر إليه وأنت عاقد يديك أمام صدرك بينما تزم شفتيك ورأسك لأعلى قليلاً، وأنا أعلم جيداً أن هذا الوضع هو وضعك الدفاعي، تقوم باتخاذ تلك الوضعية بشكل تحفزي حينما ترى ما لا يرضيك."

هزرت رأسي ببطء لكي تكمل كلامها، فأكملت:

"لم تشر تماماً بأي شكل من الأشكال إلى زواجي المستقبلي أو حتى إنجابي لمروان، ظللت تتحدث عن نظريات السفر عبر الزمن التي تحفظها عن ظهر قلب."

قلت لها بدهشة:

"ماذا تقصدين؟"

أجابت بلا مبالاة:

" لا أقصد شيئاً، ولكن صدمتك من الأمر كانت كصدمتي أنا ويوسف، وربما أكثر قليلاً. "

نظرت لها باستنكار، ففزعت وهي تقول:
" أدهم، أنظر للطريق.. "

ابتسمت، والتفت للطريق من جديد، مريم هي أكثر من يفهمني في الكون، لست أدري إن كان هذا أمراً محمود أم مذموماً، لكنني أتذكر أن هذا الأمر كان يثير جنوني ونحن أطفال صغار، حين كنت أفعل أمراً دون معرفة أمي وأبي، كانت تدخل غرفتي وتعتقد ذراعيها بتحد وهي تقول: " أعلم أنك فعلت هذا الأمر، لن أخبر أمي أو أبي، أتعلم لماذا؟ لأنك ستخبرهما بنفسك.. " هكذا بكل ثقة اكتسبت ثقتي، وبالتالي اكتسبت ثقتهما، هي ليست أختي فقط، بل صديقتي أيضاً، لست أدري لماذا أخفت عني حبها ليوسف، قلت لها بشيء من العتاب:

"أتعلمين يا مريم أن صدمتي لم تكن من السفر عبر الزمن، بل كانت لسبب آخر، فأنت لم تخبريني منذ البداية عن مشاعرك تجاه يوسف، والتي توقعت منذ لاحظتها إنها مشاعر عابرة لن تدم طويلاً، لأن يوسف لا يبادلك إياها، إلا أنني اليوم اكتشفت إنني كنت مخطئاً بسبب ذلك الأمر، فيوسف يحبك بقدر ما تحبينه، ولست أدري كيف لم ألاحظ ذلك الأمر. "

أعلم أنها ستفتح عينيها باتساع من الدهشة، كما كانت تفعل دائماً حينما أصددها بأمر ما، نظرت لها بسرعة لأجد نفسي محقاً، فقالت بارتباك:

" لم أخبرك لأنه ليس بالأمر الجلل، كما أنني لم أشأ أن أثير أمراً لم يولد إلا في خيالي، لكنني لم أفهم ما قلته عن مشاعر يوسف، فيوسف أبعد ما يكون عن أن يكن لي مشاعر أكثر من مشاعر الأخوة. "

قلت لها بهدوء:

"ربما، ولكن ألم تلاحظي نظراته المتكررة لك طوال فترة قراءته للدفتر؟ حتى وإن لم أكن مصيباً فيما لاحظت، إلا أن مما بدا لنا، أعتقد أن مستقبلكما لديه رأياً آخر في تلك المشاعر التي يبدو أنها ستنمو وتطور حتى زواجكما."

قالت بصدق:

" أنا آسفة.. "

قلت لها ضاحكا:

"لا أخبرك بهذا لتعتذري، أعلم أن رد فعلي إن علمت بأن مشاعركم متبادلة منذ البداية – متى كانت البداية بالمناسبة – ما كان ليصير محمودا، بل ربما كنت سأتسبب في نقلك أو نقله من الشركة."

فسألتني بحذر:

"والآن؟"

تجهمت للحظات ثم قلت لها:

" لقد استوعبت الأمر لا تقلقي، أتعلمين يا مريم فيم تكمن المشكلة؟ في تفكيري، كنت مقتنع تماما أنك تستحقين أفضل إنسان في الكون، وكنت أبحث لك عن هذا الشخص، لدرجة أنني قد ظننته أمرا مستحيلا، ولكن حين علمت أن قدرك سيكون مع يوسف، نعم لا أنكر ارتياكي وضيق في بداية الأمر، لكن الآن بالطبع أشعر بأنكما تنتميان لبعضكما البعض، أختي الجميلة الرقيقة ذات الأخلاق العالية، وصديقي الخلق الكئيب ما أجمله من ثنائي.. "

قلت جملتي الأخيرة ثم انفجرت ضاحكا، إلا أن مريم لم تدرك في البداية المزحة،

فقالت مسرعة:

" لم يعد كئيبا.. "

ثم استوعبت إنني أمارحها، فابتسمت وهي تلكنني في كتفي برفق، وها نحن نصل للمنزل، سنخبر أسرتنا بما حدث، أعلم هذا يقينا.. ولكن هل سيخبر يوسف أسرته يا ترى؟ أم ستتغلب عليه طبيعة عائلته الكتوم؟!

(مشاعر) يرويهما يوسف

وحدي في غرفة جدي، أقوم مشاعري الثائرة تجاه كل ما حدث ويحدث، لدي شوق عجيب لمستقبل لطالما رفضته، ورفضت أفكاره، لأجد نفسي فجأة أمام مشاعر بكر، تنبع من مكان ما بداخل نفسي للمرة الأولى في حياتي، تدفعني لاستكمال حياتي على الشكل الذي قرأته في تلك الرسالة للتو.

ذلك الطريق الذي اختارته نفسي يتطلب مني التغيير، يجب أن أصبح إنسانا آخر بعقل جديد وقلب جديد، كان أول تغيير قررت أن أتبعه هو ألا أهتم شيئا عن أسرتي بعد الآن، لذلك فور أن رحلت مريم وأخوها، استأذنت والدي وجدي في إحضار باقي أفراد الأسرة، حيث قمت بإخبارهم بكل شيء، وكل ما ننوي فعله، وقد كان رد فعل أُمي غريبا، فقد رأيتها تندفع نحوي بلهفة وتحضنني وتقمني، وهي تقول: "ألف مبروك يا حبيبي، تربيته في عزك يا رب!" وكأنني تزوجت وأنجبت بالفعل، وكأنها تحمل ولدي بين ذراعيها الآن، أما ريم فشردت قليلا، ثم قالت بغموض:

"هناك أجزاء غير واضحة لم يرويها مروان، لكننا سنكتشف الأمر معا."

لم أفهم مقصدها، لكنني أحفظ ريم عن ظهر قلب، ذكية ولماحة، ودائما ما تحاول معرفة ما وراء الرواية، إن قلت لها أبي يناديك، تصمت قليلا ثم تخبرني إنه يناديها بسبب كذا، وبنسبة كبيرة تكون محقة في توقعاتها، لذلك أعلم يقينا الآن أن هناك شيئا خفيا، وأثق تماما إنها ستعلم ذلك الشيء.

بعد اجتماعنا الأسري، قررت أن أختلي بنفسي قليلا لأحدد الخطوات التي سنتبناها في المرحلة القادمة قبل السفر، فأمسكت بدفترتي وقلمي، وبدأت أكتب الخطوات التي يجب علينا اتباعها قبل خوض تجربة السفر الزمني، إلا إن يدي تركت القلم وأمسكت بهاتفني، ودون أن أشعر وجدنتني أتحدث لمريم:

(الزوجة): بوس

"أهلا مريم، كيف حالك؟ لقد وددت أن أطمئن إنكم وصلتم المنزل بسلام، وصلتم منذ قليل؟ اممم حمدا لله على سلامتكم..... مريم..... أشكرك على كل شيء.".

ثم أغلقت الهاتف، وها أنا ذا أجلس في مكاني محققا في هاتفي بذهول، في الواقع ليس لدي أي تفسير لما يحدث الآن، هل أحببت مريم فجأة هكذا؟ مريم التي أعرفها منذ سنوات ولم تتحرك مشاعري قط تجاهها، أحبها هكذا في لحظة؟ أم أنني أحببت حياتي منذ أن ظهرت فيها؟ أم أحببت مستقبلنا معا؟ أم أن مشاعري تجاهها تنحصر في مشاعر الامتنان لكل ما فعلته معي هي وأخوها، أم إنها كل تلك الأسباب مجتمعة؟ لا أعرف وربما لن أعرف.

في اليوم التالي التقيت بأدهم ليخبرني بالأفكار التي رتبها وأخبرته بأفكاري بالتبعية، وقمنا بحصر الخطوات التي سنقوم بها، وقد كانت كالتالي:

- تحديد اليوم الذي سنقرر السفر إليه بشرط أن يكون قبل يوم حادث الاختفاء.
- اختيار حدث معين يمكننا التفكير فيه في ذلك اليوم.
- تدريب عقولنا على التركيز في أمور محددة، بدون تشتيت.
- التمرين على تصفية ذهن من أية أفكار، وتعلم كيفية تعزيز الشعور بالاسترخاء.

كنا قد اعتدنا طيلة الفترة التالية لعثورنا على الرسالة، الاتفاق على خططنا في المكتب بوقت الراحة في منتصف اليوم، وكان علاء وأمنية يشاركانا بالأفكار، إلا أنهما اشترطا عدم القدوم معنا، فطباع أمنية تشبه طباع أمهاتنا في الخوف والقلق المطلق، مما يخفيه المستقبل، وفي حالتنا هنا، فأمنية تخشى مما يخفيه الماضي أيضا، كما أنها قالتها صريحة أثناء إحدى مناقشاتنا:

"بالطبع لن أخترق ذلك الشق دون أن أتأكد مما بداخله، وذلك لن يحدث، بالتالي لن نسافر."

الزوجة: بومس

نعم كما لاحظتم قالت لن نسافر، فقد فرضت على علاء ذات الرأي، على الرغم من أن علاء كان يتمنى خوض التجربة معنا، أو أن هذا ما أخبرنا به لحفظ ماء وجهه.

مر علينا شهرين من التدريب، بالطبع لم يكن الموضوع سهلا وخاصة لدى شخص مثلي يقدر القلق والتوتر ويسعى للبحث عنهما بكل الطرق، إلا أنني أعتقد أن الأمر كان بغاية السهولة مع شخصية هادئة كمریم، أما أدهم فاجتهاده كان يكفي، فهو إنسان مجتهد لا يرض بالفشل، ففي ذلك اليوم انتظر حتى حان وقت الراحة، وبينما كنا نتناول شطائر الجبن والبيض التي أعدتها لنا أمنية، قال لنا:

"أعتقد أننا الآن جاهزون للانتقال، ما رأيكم؟"

أجبتة قائلا وأنا أحاول ابتلاع ما تبقى من الشطيرة:

"أنا على أتم الاستعداد."

وهزت مريم رأسها موافقة وهي تشير لي إشارة بمعنى أنا أيضا مستعدة، لأنها لم تستطع التحدث بينما تبتلع الطعام، ثم ابتلعه سريعا وهي تقول:

"وأنا أيضا."

ثم رشفت رشفة ماء ومسحت فمها بمنديل، وهي تقول:

"نريد أن نحدد يوما مميزا لنا جميعا لنتوجه إليه."

فسألت أدهم قائلا:

"هل ذهبت لرحلة شم النسيم التي نظمها إدارة شؤون الطلاب؟"

فقال لي:

"لا للأسف، بالإضافة إلى أنني لا أريد أن ننقل إلى يوم الاختفاء مباشرة، تجنبنا لحدوث أي أخطاء."

الرسالة: بوس

فسألتني مريم قائلة:

"لقد حضرت حفل التخرج في عام تخرج أدهم، أليس كذلك؟"

فكرت قليلا، ثم قلت:

" العام السابق لتخرجي، نعم أعتقد إنني حضرته."

فأمسكت مريم بهاتفها، ثم قلبت فيه قليلا، وفجأة رفعتة لأعلى لتجعله في مواجهة أعيننا، لأشاهد نفسي بحجم صغير وسط الخريجين في تلك الصورة، هل احتفظت بصورتي الصغيرة تلك كل هذا الوقت على هاتفها؟ ترى متى أحببتي إذن يا ترى؟

(الانتقال) ترويها مريم

أخيرا قررنا السفر، والآن نحن على أهبة الاستعداد للانتقال الزمني إلى يوم حفل التقاط صور الخريجين تمهيدا لحفل تخرج أدهم وزملائه، أتمنى ألا تكون هناك أي نسبة خطأ، توجه ثلاثتنا إلى داخل الكهف بخطوات غير ثابتة، فكيف تكون ثابتة ونحن نرتجف من قمة رؤوسنا لأخمص أقدامنا؟ وذلك بعد أن ودعنا أسرتينا على مدخل الكهف بنظرة وداع على أمل لقاء قريب، ثم قاما بغلق المدخل بالصخور بعد مرورنا تماما، وهم يحبسون دموعا رأيناها بقلوبنا قبل أن تراها أعيننا، في تلك اللحظة لمحت في عيني والذي شعورا بالذنب واضحا بشدة، وقد خمنت أن سبب ذلك من وجهة نظره، هو اضطراره للتضحية بابنته وابنه بسبب نداء أجداده.

تبادل ثلاثتنا نظرات مطمئنة، ثم أمسك أدهم بيدي من جهة، ويد يوسف من الجهة الأخرى، ثم توجهنا صوب الشمس المضيئة دون أن ننبس بكلمة واحدة كما اتفقنا قبلا، وها نحن أولاء نخترق الشمس المضيئة ونحن نركز تفكيرنا على يوم واحد فقط، يوم حفل التقاط صور التخرج.

بمجرد أن اخترقت الشق، حاولت حصر مشاعري في ذلك اليوم، والذي وافق أول أيام الإجازة بعد انتهاء اختبارات نصف العام، يومها طلبت من أخي أن يصحبني معه لأنني أحب الشعور بامتزاج المشاعر المختلطة التي يشعر بها الطلاب تجاه بعضهم البعض وتجاه جامعتهم وتجاه أساتذتهم، ونظرات الفرح والسعادة في عيون الطلبة والطالبات، والتي تقابلها نظرات الفخر الممتزج بشيء من الحزن والأسى من الأساتذة، فالتألم سيخرج ويلتقي بأصدقاء آخرين، بينما الأستاذ مهما تعلق بطلابه، فلا بد له من فراقهم يوما ما، ربما لهذا السبب لم أفكر قط في الاستمرار بمساري الجامعي ما بعد التخرج، لأنني أكره الفراق ولا أقو عليه.

(الرد): مرح

لا لن أفعل مثلما فعل مروان، ركزي يا مريم، نعم سأركز فقط على أحداث ذلك اليوم، على الرغم من تلك الرياح التي أشعر بها تضرب وجهي، والأضواء التي تتغير ألوانها باستمرار، أتذكر أنني في اليوم السابق للحفل كنت في غاية السعادة وأنا أتحدث مع أمنية، وأخبرها بكل حماس عن ذهابي مع أخي إلى كليته غدا، تحمست بدورها وهي تقول لي هل يمكنك اصطحابي أنا أيضا؟ أخبرتها أنه بالتأكيد لن يكون لدى أدهم أي مانع، كنا في عامنا الجامعي الثالث حينها، وهو كما تعلمون العام الثاني من التخصص^{٢٢} لذا كنا في شدة الحماس لرؤية دفعة تخرج، إلى متى سنظل سائرون وسط تلك الشمس التي تعمى العيون، أمسكت بيد أدهم جيدا وأنا أخشى أن أفلتها، كم مر علي من وقت؟ لست أدري بالطبع، ولكن أتمنى أن ينتهي الأمر بعودتنا إلى الموعد المحدد قبل ٤ أعوام، لماذا أشعر أن يد أدهم تتلاشى من بين يدي؟ أقبض يدي عليها بقوة من جديد، فأشعر بقبضة يده على يدي بالتبعية، فأغضض عيني التي لم تعد ترى شيئا سوى دوائر سوداء ضخمة، ظل حجم الدوائر يزداد حتى اسودت الدنيا من حولي فأغضضت عيني في خوف وقبضت على يد أدهم مرة أخرى، ثم فتحت عيني من جديد لأجد أنني في غرفة نومي أمسك بوسادتي بدلا من يد أخي، وأعتصرها بين يدي بقوة، كيف وصلت هنا يا ترى؟ هل أحلم وأنا بداخل البوابة الزمنية؟ لست أدري بالطبع، نحيث الوسادة جانبا، ثم قمت من سريري بكسل وكأني استيقظت من نومي للتو، فتحت ستائر غرفتي، لأجد أنه الصباح الباكر، تنشقت الهواء النقي، ثم تلفتت حولي من جديد، هناك شيئا ما خطأ ها هنا، أشعر بأن مشاعري بكر وكأني صغرت أعوام، أشعر بحماسة لم أشعر بها منذ سنوات، ونشاط يدفعني لفعل شيء ما لا أعلمه، ولكني أريد أن أفعله بالفعل، أشعر وكأني أغرد وكأن الطبيعة بأكملها تغرد معي، أشعر بأنني أحب كل شيء في العالم، أحب أمي وأبي، أحب أختي وأخي، أحب ذلك الصباح وأشعر كأنه ملكي وحدي.

^{٢٢} تقصد أنها في ثالث عام لها بالجامعة إذا احتسبنا عام الإعدادي.

هناك من يطرق باب غرفتي:

"أدخل."

إنه أدهم أخي، اندفعت نحوه قائلة:

"أدهم يبدو أننا لم نستطع السفر، لكن هناك شيئاً عجيباً يحدث."

نظر لي أدهم بدهشة قائلاً:

"أخيراً وصلت يا مريم؟"

أين وصلت، ماذا يقصد؟ هل سافرنا؟ قلت له بدهشة:

"أخيراً ماذا؟ وصلت من أين يا أدهم؟"

فقال لي وهو يجلس على طرف السرير:

"لقد وصلت باكراً عنك وعن يوسف."

نظرت له بسعادة قائلة:

"أي أننا نجحنا؟"

هز رأسه بالإيجاب، وهو يقول بشيء من الحزن:

"بالطبع نجحنا، لم نصل معاً، لكننا فعلناها، وها نحن جميعاً الآن في العام

٢٠١٥."

ربتت على كتفه لأواسيه، دون أن أعلم سبب حزنه، ثم تذكرت فجأة:

"هل وصل يوسف أيضاً؟"

رفع إحدى حاجبيه وهو ينظر لي نظرة بشيء من الإحباط قائلاً:

"وصل باكراً بمقدار أسبوع."

ضيق عيناى وأنا أسأله في عدم فهم:

"ما معنى تلك النظرة؟"

قال لي:

" لقد عشت لحظات من اليأس قبل وصولكما، اعتقدت أنني ضللت طريقي في الماضي، لكنني كنت أحاول أن أشتت تفكيري وأن أقنع نفسي بأن تلك الفرصة ربما تكون أتت لي لأحقق ما لم أستطع تحقيقه من قبل. "

ثم نهض من فوق طرف السرير وهو يقول:

"هيا استعدي يا أختي الغالية لنذهب لحفل التصوير."

لوهلة لم أنتبه لكلماته لكنني فجأة انتبهت أنني أصبت في الموعد، فقلت في سعادة:

" أتقصد أنني أتيت في موعدي؟ "

هز رأسه وابتسامة حنون ترسم على وجهه وهو يقول:

" دائما أنتِ المجتهدة يا صغيرتي."

ثم خرج من الغرفة ليتركني أحاور عقلي، في كيفية الاستفادة من تلك الفرصة التي قدمت لي على طبق من ذهب، خمس سنوات أستطيع فعل ما أريده فيهم من جديد، أستطيع تغيير القرارات الخاطئة، أستطيع أن أصبح إنسانة مختلفة، تعجبت من اختلاف أفكاره، فقد كنت أول من يرفض ذلك السفر، لأنني لم أرد تكرار خمس سنوات من حياتي، نحييت أفكاره جانبا، ثم ارتديت ملابس في عجلة، لألحق بأدهم، لشدة دهشتي أنني ارتديت ذات الرداء الذي ارتديته في المرة الأولى عند حضوري حفل التصوير، هل معنى هذا أننا لا نستطيع تغيير أبسط مفردات ماضينا؟ هل كل ما يحدث لنا يندرج تحت بند المقدر والمكتوب؟

حين نظرت في المرأة لاحظت براءة في نظراتي كنت قد بدأت أفقد وجودها، خرجت من غرفتي لأجد والدتي قد جهزت لنا شطائر الجبن والمربى، كم أفقد تلك الشطائر، أذكر أنني حين كنت في البكالوريوس كنت أخجل من تلك الشطائر التي كانت تعدها لي أمي فطلبت منها ألا تعدها لي مرة

(الرد): مرح

أخرى، لأنني كنت سأتناول الغداء مع صديقتي، يومها ظلت أمنية توبخني لأنها كانت تعشق شطائر أمني، لكنني أخبرتها أنني قد نضجت على تناول الشطائر المنزلية، كان هذا خطأ، لن أكرره في هذا الخط الزمني بالتأكيد.

دقائق ویرن جرس الباب وتأتي أمنية، سأتناول تلك الشطائر سريعاً، لذیذة جداً ما أطيبها، ثم أقبل أمني - امممووووا - ثم أفتح الباب قبل أن ترن أمنية الجرس، لتبدو على وجهها أكبر نظرة دهشة رأيتها في حياتي:

"كيف علمت... آه لا يهم، أين أدهم؟"

سنمرح كثيراً فيما يبدو، أشرت إلى غرفته وقلت لها:

"يستكمل ارتداء ملابسه."

قالت لي:

"هل أخبرته برغبتني في المجيء؟"

فقلت لها مزاحمة:

"بالطبع لا، ستأتين رغماً عنه."

ضحكت وهي تغطي فمها بيدها كعادتها حين تضحك، فشاركتها ضحكها وقدمت لها إحدى شطائر أمني فتناولتها بلهفة وهي تشكرني، لست أدري هل أخبرها بما حدث؟ أو سيحدث؟ هل أخبرها بالمهمة التي عدنا في الزمن من أجلها؟ ها هو أدهم يخرج من غرفته متأنقاً فيقطع علي خواطري وهو يقول:

"لنذهب يا فتيات."

نهبط جميعاً الدرج، نستقل السيارة، وننطلق نحو الجامعة.

(خارج السياق - ٦) يرويها مجهول

حين أخبره ذلك الرجل الطيب إنه بإمكانه طلب أي مما يشاء من قائمة الطعام، اختار الفتى كل ما منعه عنه والدته، والتي يرى إنها تتحكم به فقط لتحرمه من أحب الوجبات لديه، لماذا؟ لأنها وجبات غير صحية، هل هذا سبب مقنع بالنسبة إليه؟ إنها لذیذة وهذا يكفى، اختار الفتى شطيرة البرجر اللذيذ، زجاجة المياه الغازية، والكثير من الحلوى الملونة بالألوان الصناعية، وانتظر الشاب الطيب حتى انتهى الفتى المتمرد من طعامه، ثم سأله:

"هل قضيت وقتاً طيباً؟"

أجاب الفتى وهو يمسح فمه بالمنديل:

"جداً.."

فقال الشاب مبتسماً:

"بالهناء والشفاء.."

نظر الفتى في ساعته بتوتر، ثم قال متسائلاً:

"هل ستتأخر الحافلة أكثر من ذلك؟ أم ربما تكون قد وصلت؟ الساعة الآن تقترب من السادسة.."

قال الشاب بغموض:

"لا تقلق يا عزيزي، ستلحق بها في موعدها تماماً، فقط أريد منك خدمة، وفي مقابل تلك الخدمة، لن أدعوك على الغداء لتطلب كل ما تشتهي فقط، بل سأخبرك أيضاً بما يجعلك تحقق كل ما تتمنى."

لمعت عينا الفتى بحماس وهو يقول:

"سأفعل كل ما تريد."

ثم بدأ بينهما حديثاً قد طال، ولكن بعد أن انتهى لم يعد الفتى أبداً كما كان..

الفصل الثالث

كحيل... وضاح... ومرتجز

في منبع ثم رباط... فتم السيادة

ينبعث الأشقر متألقا... فتحل السعادة

(الحفل) يرويها يوسف

اليوم هو يوم تصوير خريجي كلية الهندسة، وأيضا يوم لقائي بأدهم ومريم بعد انتقالنا الزماني، وهذا اليوم فعليا لم يحدث في الواقع الذي عشناه من قبل، وصلت لهذا الزمن منذ أسبوع، أي قبل موعد وصولي بأسبوع كامل، مما اضطرني لأن أذاكر آخر مادة لدي في هذا الترم وأدخل اختبارها من جديد، لا يهم مادة واحدة، حمدت الله أنها لم تكن مواد الترم بأكملها كما حدث لأدهم، كيف علمت أن أدهم جاء باكرا؟ نعم تلك حكاية قصيرة حدثت منذ ثلاثة أيام في يوم اختباري الأخير، يبدو أنه كاد أن يجن بسبب وصوله المبكر قبلنا، ويبدو أنه اعتقد أنه سيزل في الماضي وحده، لذلك ما حكا لي حين التقينا أنه سأل على أيام اختبارات دفعتي ومواعيد الاختبارات، وسأل عن اللجنة التي فيها اسمي، وظل يوميا ينتظرني حين أنتهي من الاختبار ويظهر أمامي بحيث يجعلني أراه، ويلاحظ رد فعلي، وكما أخبرني، كنت ألقى عليه التحية وأشكره على المحاضرات التي يتركها لنا في المكتبة، أو أبتسم له ابتسامة مجاملة، لأنني لم أكن قد وصلت بعد، حتى بعد أن وصلت منذ أسبوع، كنت ألزم المنزل لأنني لم أشأ أن أثير الريبة، لذلك كنت أذاكر كأنني بالفعل أعيش في ذلك الزمن، ثم جاء يوم الاختبار، وبعد أن اختبرت وانتهيت فوجئت بأدهم خارج القاعة، وحين رأيته اندفعت نحوه قائلا:

"أدهم.. أخيرا وصلت، لماذا تأخرت على هكذا؟"

نظر لي مفتعلا الدهشة قائلا:

"ماذا؟ وصلت؟ من أين وصلت؟"

لوهلة ارتبكت، وقلت له:

"لا، لا، لقد اختلط علي الأمر، أعذر يا باشمهندس أدهم."

(الرد): بوس

فضحك أدهم بصوت عال، وهو يحتضنني ثم يربت على كتفي بقوة قائلا:

"كنت أمزح معك، أنا أدهم المستقبلي، أنا الذي انتظرتك طويلا."

اتسعت عيناى على آخرها وأنا أقول:

" هل وصلت قبلي؟ لقد وصلت منذ أسبوع تقريبا."

قال لي بشيء من الحزن:

" لقد وصلت منذ ستة أشهر.."

نظرت له متعجبا، وأنا أسأله:

"كيف حدث هذا؟ هل أخطأت في توجيه عقلك للزمن المناسب؟"

هز رأسه يمينا ويسارا ثم لأعلى وأسفل ولم يرد، بالطبع لم أفهم إيماءته تلك، لكنني فهمت أنه لم يشأ أن يتحدث عن ذلك الأمر.

ظللنا في انتظار مريم طيلة الأيام الثلاثة التالية، وفي كل يوم يمر كان يخبرني بأن مريم لم تستطع القدوم، لست أدري كيف كنا نصيغ تلك الجملة هكذا، مع العلم أننا نحن من لم نستطع القدوم في الموعد المحدد، وحين أشرق صباح يوم الحفل، ظللت أتساءل هل ستستطيع مريم السفر أم لا، كانت سيناريوهات عديدة تتشكل في رأسي، فمريم أحببتي طيلة العامين السابقين في الخفاء، ربما أتى دوري لكي أحبها أنا أيضا دون أن تعلم، هذا هو العدل، لذلك كنت في أتم الاستعداد لعدم وصولها، ولكن ماذا إن حدث هذا؟ هل ستضل طريقها في الفراغ الزمني؟

أنفقتني أدهم من تساؤلاتي في الصباح الباكر، وأنا أقلب في سريري، برسالة يخبرني بها أن مريم وصلت في موعدها، الفتيات مجتهدات بالفعل، هذا رأيي فيهن منذ قديم الأزل، تتسائلون عن سبب عودتي في موعد يختلف عن مواعيدي وإن كان مقصودا أم لا، في الواقع لست أدري، فحين اخترقنا البوابة، لم يشغل تفكيري سوى يوم حفل التصوير، حاولت التركيز أكثر وأنا أقاوم الهواء الذي يلفح وجهي، إلا أن عقلي كان يشغلتني قليلا، فتذكرت يوم ميلادي

الزمن: يوم

الذي يسبق هذا الموعد بأسبوع، وهو آخر تجمع عائلي دافئ قضيته مع أسرتي قبل اختفائهم، بالطبع حاولت التركيز على وجهتي أكثر وأكثر بينما أشعر بيد أدهم تقبض على يدي بقوة، فحاولت أن أوجه كافة أفكاري لصباح يوم الحفل، بدلا من التفكير في يوم تجمعنا الأسري، إلا أن مقاومتي لفكرة بعينها زادت الأمر سوءا، وفجأة اسودت الدنيا من حولي وشعرت بيد أدهم تتلاشى شيئا فشيئا.

بالطبع أصبت بالإحباط قليلا حين عدت لموعد أبكر من موعدنا، ولكنني انتهزت كل فرصة للاستمتاع بوجود أسرتي من حولي، ثم أتى يوم حفل التصوير، فنهضت من سريري وأنا أتمطى في كسل، ثم سمعت صوت خطوات جدي المتأنية وهو يمر في الممر بين الغرف، لكي يطرق أبوابنا جميعا لنتناول الإفطار سويا، كم افتقدت تلك الأيام، منذ أن عاد جدي من الخط الزمني الآخر، وهو تحت سيطرة روح كنيية مختلفة كليا لم أعتدها، أتمنى أن يعود لطباعه المرححة من جديد بعد أن نغلق البوابة الزمنية.

تناولت إفطاري سريعا وقبلت يد جدي وجدتي ثم قبلت رأس والدي وجبين أمي، كم افتقدت تلك التفاصيل الرقيقة التي كانت تميز حياتي في الماضي، ثم استأذنت الجميع وتوجهت إلى الجامعة.

اتخذت مقعدا في الكافتيريا، وجلست منتظرا مريم وأدهم كما اتفقنا، هما ذان، ومعهما أمنية أيضا؟ كيف وصلت أمنية إذن؟ ربما غيرت رأيها وقررت أن تسافر إلينا، ولكني لا أرى أي داع لمجيئها، ترى هل أحضرت معها علاء أيضا؟ أعتقد أنه لن يتركها لتسافر وحدها بالطبع، ها هم يصلون إلى الطاولة التي أجلس عليها، فاندفعت نحو أدهم قائلا:

"صديقي العزيز ..."

ثم التفت نحو مريم وأمنية قائلا:

"حمدا لله على سلامتكم يا فتيات، أخبرني أدهم أنك وصلت في الصباح يا مريم، لكن متى وصلت أمنية؟ هل جاء معك علاء أيضا؟ لماذا تشيرين لفمك

(الرد): يوسف

يا مريم؟ أصمت؟ تريدني أن أصمت لماذا؟ أهااا... أمنية لم تسافر معكما، ولكنكما صديقتان منذ البداية."

قلتها وأنا أخطب جبهتي في فهم، هل كنت غيبا في فترة دراستي الجامعية؟ بالطبع لم أستوعب كل هذا إلا بعد أن رأيت مريم تكاد تففز في مكانها وهي تشير إلى فمها وأدهم يزم على شفثيه ويغمض عينه وهو يخطب جبهته بكفه، أعتذر يا شباب، ولكن كيف سنصلح هذا الأمر مع أمنية؟ قالت أمنية بدهشة:

"هل تعرفني؟ ومن أين تعرف علاء؟ ومن أين وصلت يا مريم؟ هل سافرت دون أن تخبريني؟"

ساد الصمت بيننا فجأة وأمنية لا تزال تحاول استشفاف ما يحدث، ومريم ترميني بنظرات نارية، بينما أدهم يكتم ضحكة تحاول أن تفلت، يبدو أن هذه هي المرة الأولى التي تغضب فيها مريم مني بهذا الشكل، ألم تسعى بكل الطرق لكي ترى الجانب الآخر من شخصيتي؟ تفضلي، هذا هو الجانب الخفي... لماذا انزعجت إذا؟

"ألن يخبرني أحكم بما يحدث؟"

قالت أمنية بشيء من الضيق، فقالت مريم:

"هذا يوسف صديق أدهم وعلاء، وكان يعتقد أننا سافرنا وعدنا، لذلك كان يسأل هذه الأسئلة."

نظرت أمنية لمريم بشك ثم قالت:

"هل من المفترض أن أصدق ما قلتيه؟ هناك ما هو أكبر من ذلك، هناك أمرا لا أعلمه لكني أشم رائحته."

تبادلنا ابتسامة جانبية أنا وأدهم، لم تتغير أمنية على الإطلاق (فيها وإلا سأخفيها)، فقالت مريم:

"إن أخبرتك لن تصدقيني، لذا لن أخبرك."

(الزمن): بومس

أعجبني المدخل الذي بدأت به مريم، يبدو أنه سيؤتي ثماره مع أمنية، أو لا، لست أدري، لا أحد يتوقع تصرفات أمنية فهي أنثى للغاية، لذا دعونا نشاهد ما سيحدث.

"مريم، ماذا هنالك؟ تعلمين أنني أفهمها وهي طائفة وإن لم أفهمها، ألتقطها مرة أخرى ثم أتركها لتطير من جديد لكي أفهمها.."

قالت أمنية في حزم، ولكنني ظللت أكتف الضحك بعدما سمعت جملتها، لست أدري كيف حافظت مريم على رباطة جأشها، فخفضت من صوتها وتلفتت يمينا ويسارا ثم قالت:

"أمنية، سأخبرك وأمري إلى الله، نحن مسافرون عبر الزمن.."

اتسعت عينا أمنية على آخرهما، ثم انفجرت ضاحكة وهي تقول:

"حسنا لقد راقتني الدعابة، هل تلك الدعابة بمناسبة يوم حفل التصوير؟"

نظرنا إليها جميعا بصمت، فأوقفت الضحكة فجأة ثم قالت وهي تهز رأسها برفض:

"لا أفهم شيئا، لا أفهم شيئا."

فقال أدهم برفق:

"أمنية، ما سنقوله لك الآن حقيقي مئة بالمئة، وسري مئة بالمئة، هناك أحداث كثيرة ستحدث بعد سنوات من الآن إن شاء الله، من تلك الأحداث أننا سنتعرف على يوسف في شركة هندسية للاستثمار العقاري، أنا وعلاء سنعمل بها، علاء سيجعلك تعملين معه، وأنا سأجلب مريم للعمل معي، ونلتقي يوسف ونتعرف عليه ونصير أصدقاء، وتحدث أحداث عجيبة للجميع بسبب شيء ما فتحه

^{٢٣} لا أقصد أي إهانة هنا بالطبع لكن مقصدي أن غالبية الرجال قد لا يستطيعون توقع أفكار النساء لأن تلك الطبيعة التي خلقهن الله عليها، فالرجل يستطيع التركيز في فكرة واحد فقط بينما تستطيع المرأة أن تركز في ألف فكرة في ذات الوقت.

الزمن: مريم

شخص أحمق، وللجميع تلك أقصدك بها أيضا، لذلك اضطررنا أنا ومريم
لاصطحاب يوسف إلى الماضي. "

قالت أمنية وحاجباها يرتفعان وفمها ينفتح في زهول:

" أي أنكم لستم أصدقائي؟ "

هنا قالت مريم بصدق:

" بل يا حبيبتي نحن أصدقائك، ولكن أنت وعلاء فضلتما البقاء. "

تساءلت أمنية بشك:

" وما دخل علاء في الأمر؟ إنه أمرًا يخصني وحدي. "

هنا تبادلنا النظرات في حيرة، هل نخبرها بشيء؟ أم لا يجب أن نخبرها بأي
شيء تفصيلي عن مستقبلها، هل تؤدي معرفة أي حدث في المستقبل إلى تغيير
أي مما حدث في الماضي، أم أن المقدر لا مفر منه، الفكرة هنا أننا عائدون
لهدف واحد فقط، ونريد تحقيقه، عندما طال صمتنا تساءلت أمنية من جديد:

" هل علاء خطيبي في الزمن الذي أتيت منه؟ "

رفعت مريم كتفها وابتسامة صغيرة ترسم على شفثيها، فقالت أمنية:

"ماذا؟ زوجي؟"

ابتسم أدهم قائلا:

"ماذا ستستفيدين من المعرفة يا أمنية؟ دعي الزمن يمر كما هو، نحن لا
نستطيع أن نخبرك بأي شيء لأن هذا قد يتسبب في تغييرات قوية في الزمن. "

ظلت أمنية صامتة وهي تفكر، يبدو أنها تفكر الآن في الانتهاء من ذلك اللقاء،
وستعلم هي كيف تستخرج المعلومات من مريم، وبعد فترة من الصمت قالت:

" حسنا لن أسأل، ولكن أين ذهبت نسختكم في الزمن الحالي، أنتم من المفترض
أن تكونوا أصدقائي في المستقبل، هل يتواجد نسختين منكم حاليا؟ "

هنا قلت لها موضحا:

الزوجة: بوس

"ليس بالضبط، فقط يحل الوعي المستقبلي محل الوعي الحالي، بمعنى أن مريم صديقتك الآن هي ذات مريم بطباعها ومشاعرها وشخصيتها وأخلاقها، إلا أنها تعلم القليل عن بعض أشياء في المستقبل، يمكنك اعتبارها صديقتك، ولكن بروح أكثر نضوجا."

ابتسمت مريم وهي تنظر لي بإعجاب، يبدو أنني وضحت الأمر بشكل صحيح، فبادلتها نظرات الإعجاب، نعم أعترف بهذا، أنا أشعر نحوها الآن بمزيج من الإعجاب والامتنان، ويؤسفني أننا عدنا بالزمن بدلا من أن نتقدم بالزمن لتتزوج، يبدو أن تبادلنا للنظرات قد طال، لأن أمنية قالت وهي تشير إلينا بشك قائلة:

"هل... هل سيحدث بينكما شيء، هل ستتزوجان؟"

هنا أصابني ارتباك شديد وأنا أقول:

"ماذا؟ لماذا تقولين هذا يا أمنية؟"

قالت بصرامة أضحكتني:

"مهندسة أمنية لو سمحت، هل أعرفك لكي تحذف الألقاب؟"

انفجرنا جميعا بالضحك بينما قال أدهم:

"هل يمكننا الذهاب لحفل التصوير الآن إذا سمحتم، يجب أن نظهر بالصور لكي لا نغير المستقبل، بعد إذنكم بالطبع."

ابتسمت أمنية للمرة الأولى بعد هذا الحديث وهي تقول:

"ستقعون بالكلام أمامي، أعلم هذا."

ثم انطلقنا جميعا نحو فناء الكلية، تحديدا نحو مكان الحفل...

(الغريب) يرويها أدهم

الحفل ينتهي الآن، شيء عجيب جدا أن تعيش تفاصيل يوم عشته من قبل، هل تعلم تأثير déjà vu؟ هذا بالضبط ما كنت أشعر به طوال الحفل، صديقي هذا فانتة صورة فظل يتقافز حولنا كي نعيد تصوير تلك الصورة من جديد، وتلك الزميلة سكبت على رداثها القهوة وتخشى أن تظهر في التصوير، وهذا الذي يسألنا قبل ذهابه إلى الكافتيريا، إن كنا نريد شطائر أو مشروبات، وسيحاسبنا بالطبع، لأن تعاملنا إنجليزي على حد قوله، الشيء الوحيد الذي لم يكن يتكرر هو وجود يوسف معنا.

لقد وصلت لهذا الزمن منذ سبعة أشهر، لماذا؟ سؤال وجيه بالطبع، يمكنني أن أخدعكم كما خدعت نفسي، وأقول إنه خطأ غير مقصود، كما حدث مع يوسف، لكن على الرغم من إن الحدث الذي تذكرته كان أقوى، إلا إنني أود أن أعترف لكم أنه كان مقصودا، نعم، فقبل انتقالي قررت أن أعود لزمن قريب لتحقيق استفادة شخصية، ففي نهاية الفصل الدراسي الثاني من عامي قبل الأخير في الجامعة، مرضت جدتي لأمي مرضا شديدا، وقد انشغلت عنها وقتها في اختباراتي، على الرغم من تعلقي الشديد بها، وكنت أعدها في كل مرة أتحدث لها فيها هاتفيا أنني سأزورها يوم انتهائي من الاختبارات، وكنت أتواصل مع أمي لكي أطمئن على جدتي من خلالها، ثم جاء اليوم الذي انتهيت فيه من اختباراتي وذهبت لزيارة جدتي ولكن كان الأوان قد فات، فقد توفيت قبل دقائق من وصولي، وهي كما أخبروني فيما بعد كانت تتمنى لقائي، حزنت حزنا شديدا حينها، والآن وانتني الفرصة للعودة من جديد لإصلاح الأمر، فكان تفكيري منصبا على يوم مرض جدتي.

العجيب أنني حين استيقظت في هذا اليوم الذي عدت فيه تعجبت بشدة، فمنذ دقائق كانت رياح الفجوة تلمح وجهي، ثم فجأة اسودت الدنيا في عيني فأغلقت عيني ثم فتحتها من جديد لأجد نفسي فوق سريري في غرفتي، بالتأكيد اعتقدت أن هذا كان حلما، لكنني شعرت بمشاعر عجيبة تجتاحني، شعرت بأنني

الزمن: اليوم

أخف وزنا وأناي أحب الدنيا بما فيها، وتنشقت الطبيعة لأجد لها رائحة، بالإضافة إلى أن لون غرفتي هذا غيرته منذ عامين، فلماذا عاد من جديد؟ عندها فهمت أنني انتقلت في الزمن، وحين ذهبت لغرفة مريم وجدتها جالسة بذات البراءة التي عهدتها فيها، دون أن تخبرني عن أي سفر زمني، حينها بالتأكيد شعرت بقلق شديد، فقد كنت على اعتقاد أقرب لليقين أنني وصلت في موعدي، إلا أنني حين ألقيت نظرة على هاتفني اكتشفت أنني أبكرت سبعة أشهر كاملة، لم أترك نفسي للشعور بالصدمة، فقد عدت للوراء ما يقرب من أربع سنوات، لذا لن يصنع فارقا أن أزيد سبعة أشهر.

وقد كان أول ما فكرت فيه أنني أوتيت فرصة جديدة للبقاء مع جدتي وقت مرضها، إلا أنني على الفور فكرت في أنني سأضطر لإعادة اختبارات هذا العام والعام التالي، ولكن لا يهم، فقد حصلت على فرصة جديدة للاختبارات بعقلية مهندس ذو خبرة في مجاله، نعم بالفعل مهندس ذو خبرة ولكنه للأسف صار يمل من المذاكرة، تذكرت أن إعادة الاختبارات كان تحقيقا لأسوأ أحلامي، فمذ أن تخرجت وأنا أحلم ذات الحلم العجيب، أحلم بنفسي جالسا في لجنة الاختبار، وعلى الرغم من انتهائي من دراستي، إلا أن الحلم كان دائما يصورني وأنا أسابق الزمن لأنتهي من الاختبار في موعده؛ لكي لا أرسب، المهم أنه في ذات يوم وصولي تلقت والدتي مكالمة تفيد بأن جدتي مريضة، فاستعدت للذهاب وحدها لتقييم معها، وحين طلبت منها أن أرافقها، رفضت كما حدث في المرة الأولى بحجة تركيزي في الاختبارات، فوقفت أمام الباب لأسده بجسمي وقد ساعدني فارق الطول بيني وبين أُمي وأنا أقترح عليها بتوسل أن تحضر جدتي لتقيم معنا، وأن وجودها بيننا قد يؤثر على مرضها بشكل إيجابي، وقد يكون سببا للشفاء، ترددت أُمي لحظات ثم أمسكت هاتفها وهي تخبرني إنها ستفكر بالأمر.

بالفعل هذا ما حدث، قضيت مع جدتي تقريبا وقتي كله دون كلل أو ملل، كنت أجلس بجوارها ممسكا بكتابي بيد، وواضعا يدي الأخرى فوق رأسها، وكانت بين الحين والآخر تمسك بيدي لتقبلها، فكنت أدعو لها بالشفاء وأدعو الله

الزمن: (لوم)

أن يغير قدرها تلك المرة، لا أنكر إنها قد تحسنت كثيرا، وذلك لم يحدث في خطي الزمني، والذي كانت حالتها فيه تتدهور سريعا، يبدو أنها كانت تحتاج لأسرتها من حولها، حتى أتى ذلك اليوم وانتهت اختباراتي، عدت إليها سريعا دون أي تأخير كما حدث في المرة الأولى لأقبل جبينها قبلة الوداع قبل أن تذهب وتتركنا..

كان لدي أمل أن يتغير قدر جدتي، كما فعل رشدي وأنقذ زوجته عددا لا بأس به من المرات، لكنني فهمت مما حدث أن الإنسان ليس مخيرا في أقداره وإنما هو مخير في أفعاله وردود أفعاله، فما قدر لك سيحدث ولو بعد حين، الفكرة هنا أنك إن أصابك مصاب لا قدر الله، هل سترضى؟ أم ستسخط؟ هل ستأقلم مع ما يحدث.. أم سترفض أن تتأقلم وتحيا حزينا..

يبدو أنني في الفترة القادمة سأقيم الأمور بشكل مختلف، في الفترة التالية، بدا لي أنني أستمتع بكل حدث في حياتي، سواء أكان مبهجا أم محزنا، يبدو أنني كنت مختلفا تمام الاختلاف، لكن في الواقع لم أكن مختلفا بل كنت أحاول أن أحيأ كل لحظة باستمتاع، ذلك العمر مر علي دون أن أشعر، والآن جاءت الفرصة لأشعر بكل لحظة، حتى في اللحظات الصعبة، فتلك اللحظات كانت عاملا رئيسا في تكوين شخصيتي، حتى لحظات الاختبار على الرغم من ثقلها على نفسي، إلا أنها لا تزال تمثل جزءا من أجمل سنوات مرت علي بالجامعة، لن تتكرر، لذا فلأستمتع، وقد لاحظ رفيقي ذلك الأمر بالتأكيد، لقد صرت متفائلا بشدة، لا بأس، فأنا أحب هذا بالطبع.

يبدو أنني استقصت في إخباركم بما حدث وقت الانتقال، ونسيت أن أستكمل ما حدث في حفل التصوير، فعلى الرغم من شعور (رأيته من قبل) الذي أخبرتكم به، إلا أن هناك شيئا أكاد أن أجزم أنه لم يحدث من قبل في ذلك الحفل، هناك ذلك الشاب الذي يقاربني في العمر أو ربما يصغرني بعامين أو ثلاثة، والذي كان نظره متعلقا بنا، وكلما بادلته النظر تلفت إلى الجهة الأخرى، أحيانا كنت أنظر له فجأة لأجده يمسك بهاتفه ويحاول التقاط الصور لنا، هل هو أخ لأحد الطلاب مثلا؟ أم إنه معجب بمريم ويلتقط لها الصور؟ أيا يكن لابد أن

(الزوجة: لوم)

يقف عند حده، توجهت نحو الكافيتيريا لأحضر بعض المياه الغازية، ثم توجهت نحو مريم ويوسف، وناولتهما المشروبات وأنا أشير بطرف عيني نحو ذلك الشاب، وأقول لهما:

"يبدو أن مريم لديها معجب صامت."

انفعل يوسف قائلاً:

"ما الذي تقوله يا أدهم؟"

بينما ابتسمت مريم بشيء من الخبث لدى رؤية يوسف يغار عليها، ثم قالت:

"يبدو أنك واهم يا أدهم، لا أعتقد هذا، ربما يشبه علينا أو شيء من هذا القبيل."

فقلت لها:

"لو أعتقد أن أحداً يشبه شخص ما يعرفه فسيحاول التواصل معنا، لكنه صامت منذ لاحظت وجوده في الصباح، وعيناه معلقتان بنا، ومنذ قليل بدأ في التقاط الصور لنا."

عادت أمنية من دورة المياه وهي تقول:

"ماذا فاتتني؟ عم تتحدثون؟"

قال يوسف بطريقة تنهي الأمر:

"لا شيء محدد، كنا ننوي الرحيل لكي نؤدي المهمة التي أتينا من أجلها."

فهمت مقصده، لم يشأ أن ندخل أمنية في تفاصيل أخرى، حسناً، قلت لهم

مفكرًا:

"فلنذهب إلى مكان حيث يمكننا التحدث فيه لنبدأ خطوات غلق الفجوة، سنوصل أمنية لمنزلها ثم نطلق."

قالت أمنية بشيء من العند الطفولي:

"بل سأنتقل معكم، ماذا ستفعلون؟"

قال يوسف بدهشة:

(الزلي: لوم)

" أين علاء؟ لقد اعتقدت أنكم كنتم أصدقاء منذ الجامعة. "

قلت له ولم أفهم العلاقة بين سؤاله وبين ما نقول:

" أنا وعلاء لم نصبح أصدقاء إلا بعد تخرجنا، أيام الجامعة كنا زملاء فقط، مجرد تحية الصباح، وكيف حالك.. الحمد لله، لا أكثر ولا أقل..."

فقال يوسف، وهو يشير نحو أمنية بطرف عينه، دون أن تلحظ:

" أي أنكما لن تلتقيا اليوم ؟ "

قلت له وقد بدأت أفهم مغزى السؤال، لا يريد أن ترافقتا أمنية فيما يبدو، ومعه كل الحق:

" لا، بل كانت بداية صداقتنا في الفصل الدراسي الثاني بعد إجازة منتصف العام، كان ذلك بعد أن اعترف لأمنية ب.... "

صمتت فجأة، يبدو أنني لن أصمد أمام مغريات حرق الأحداث، لا يوجد فيلم رأيته وطلبت من مريم مشاهدته واستطعت أن أمسك بلساني أثناء مشاهدتها للفيلم، وها هي أمنية تحاول استيعاب كلماتي، فتقرب يدها من أذنها وهي تقول:

" ماذا؟ ماذا قلت يا أدهم؟ بماذا سيعترف علاء؟ "

حاولت مريم إنقاذي وهي تقول:

"أمنية، أنتِ بالطبع تعرفين أن أدهم أخي يعشق حرق الأحداث سواء أحداث الأفلام التي شاهدها، أو كما ترين أحداث الحياة التي عاشها من قبل، صدقيني يا أمنية نحن هنا لمهمة محددة وسنحاول تناسي أي شيء آخر مما حدث – أقصد سيحدث – لنا في المستقبل، أرجوكِ ساعدينا، فنحن لا ننقذ يوسف وأسرته فقط، بل ننقذ أنفسنا جميعا، كل شخص فينا ذاق مرارة تلك الفجوة التي فتحها ذلك الأحمق، هل فهمتِ شيئا؟ "

جميل أن مريم لم تأت على ذكر نداء الأجداد، والأجمل أن أمنية فكرت لحظات ثم قالت:

الرابع: الوعد

" نعم فهمت، أعدكم أنني لن أتدخل في أي من الأحداث أو أمنع حدثاً هاماً، أو أتصرف بشكل غير سليم، أعدكم، ولكن عدوني بشيء أرجوكم."

قلت لها وقد بدأت أهدأ:

" ما هو؟"

قالت بمزيج من الخجل والحماس:

"خذوني معكم في مهمتكم تلك، وأخبروني بما يحدث، وأعدكم أعدكم أنني لن أقف في طريقكم أو أسعى لتغيير أي حدث لا يعجبني، صدقوني سأساعدكم في كل ما تطلبونه مني فقط، لكنني أريد أن أفهم أرجوكم."

هنا نظرت مريم لي وليوسف باستعطاف قائلة:

" أرجوكم، لن نغير شيء ولن نحدث أي فارق لا تقلقوا."

هز يوسف رأسه ببطء إيجاباً، بينما همهمت أنا بكلمات تعني أنه لا مشكلة لدي، حينها ابتسمت مريم في امتنان، ثم يبدو أنها تذكرت شيئاً ما، فالتفتت نحو أمنية قائلة:

" ولكن هناك أمراً أستغربه يا أمنية."

هزت أمنية رأسها وكأنها تتساءل عن كنهه دون أن تتحدث، فأكملت مريم:
"لقد استغرقت وقتاً لأستوعب أمر السفر الزمني بأكمله، كيف صدقتِ أنتِ في دقائق؟"

أجابت أمنية بتلقائية شديدة:

الزلي: لوم

"أدهم كتلة من الخبرة في كل ما هو غريب من صغره على حد قولك، بالإضافة إلى أنه إنسان صادق، لذا لو كان أخبرني أنه بالأمس قد اخترع جناحين ليطير بهما إلى القمر، ثم عاد اليوم بالتأكيد كنت سأصدقه.."

شعرت بالفخر يتملكني، فظهرت ابتسامة على وجهي، وأنا أقول:

"أشكرك يا أمنية، أقدر ثقتك، وأعلم أنك ستصونين سرنا."

هزت رأسها وهي تقول:

"بالتأكيد."

فقلت للجميع:

"هيا يا شباب فلنذهب لأداء المهمة."

هممنا بجمع أشياءنا، وتوجهنا نحو بوابة المدخل، الغريب أن ذلك الشاب الذي أخبركم عنه كان يتبعنا نحو البوابة، فانتظرت لما قبل وصولنا إلى بوابة المدخل بخطوات، ثم قلت:

"لقد نسيت شيئاً هاماً، سأذهب لإحضاره."

(من أنت؟) يرويها يوسف

أخبرنا أدهم قبل خروجنا من باب الكلية مباشرة، أنه قد نسي شيئاً ما وسيعود لإحضاره، في الواقع لم أستوعب، ما الذي نسيه أدهم بالضبط، فنحن ضيوف على هذا الزمن، إلا أنني فهمت حين رأيته يتوجه نحو هذا المعجب الصامت الذي لاحظ أدهم مراقبته لنا، رأيت أدهم يتحدث له بشيء من الحدة، فاستأذنت الفتيات وذهبت لأكون بجواره إذا تعامل معه الفتى معه بطريقة غير لائقة، فذهبت لأجد أدهم يقول له:

"ماذا تعني بأنك لا تقصد أن تراقبنا؟ أعطني هاتفك إذن، أريد رؤية الصور التي قمت بتصويرها."

ارتبك الفتى وهو يقول:

"صدقني، أنا لم أتسبب في أي شيء قد يؤذيكم."

بدأ أدهم يهدأ قليلاً، وهو يقول:

"في أي عام دراسي أنت؟"

ارتبك الشاب من جديد وهو ينظر لي ولأدهم، فحاولت أن أطمئنه قائلاً:

"إن كنت من الطلاب الجدد، أو أنك تريد التقديم في الجامعة، يمكنك الاستعانة بنا في أي وقت."

وجذبت أدهم من ذراعه قائلاً:

"هيا يا أدهم لكي لا نتأخر."

(الرفق: يوسف)

فظهر الإحباط على وجه الفتى بينما همس أدهم في أذني قائلا:

"ذلك الشاب وراءه سر لا أفهمه، انتظر قليلا يا يوسف."

وقفت بجواره عاقدا يداي أمام صدري في شيء من الملل،

بينما قال أدهم مخاطبا الفتى من جديد:

"أريد فقط أن أرى آخر صورة على جوالك، وسأرحل بمجرد رؤيتها."

تردد الفتى مرة أخرى، ثم أخرج من جيبه شيئا يشبه الهواتف القابلة للطي إن كانت تلك الهواتف يمكن طيها بشكل أسطواني، سأقرب لكم الأمر، أتذكرون المسطرة التي كنا نلعب بها في طفولتنا وحين نضرب بها المعصم تتحول إلى ما يشبه ساعة اليد؟ هذا أقرب ما يكون لذلك الشيء الذي أخرجه من جيبه، ثم قام بفرد الالتواء ليصبح هاتفًا رقيقًا بسمك مللي واحد على أقصى تقدير، هذا الهاتف من المستقبل إذًا، هناك مسافر زمني وحيد يعرفنا بشكل شخصي، هذا المسافر انتقل انتقال كلي فيما يبدو؛ لأنه اصطحب هاتفه المستقبلي معه، هنا كان لابد لي من أن أسأل:

"مروان؟"

مط الفتى شفثيه بإحراج لحظات، ثم هز رأسه ببطء بالإيجاب، فابتسمت ومددت يدي، فاندفع نحوي في سعادة قائلا:

"نعم يا أبي."

(الرفق: بوس)

احتضنته بشوق لم أدر مصدره في الواقع، ثم أشرت لأدهم قائلا بسعادة غامرة:

"مروان يا أدهم."

فتح أدهم ذراعيه قائلا:

"مرحبا بك في هذا الزمان يا ابن أختي."

فاندفع مروان نحو أدهم ليحتضنه، إلا أنني استدركت فجأة قائلا:

"كيف علمت يا مروان أننا سنعود لهذا الوقت تحديدا؟"

ابتسم مروان قائلا:

"في الواقع لم أكن أعلم، لكنني راجعت المواقف التي ربما تكونوا التقيتم فيها عبر الزمن، ثم وقع اختياري على ثلاثة مواقف زمنية، الموقف الأول لم تتعرفوا عليّ فيه، وها نحن في الثاني ولم أضطر لتجربة الثالث."

نظرت له بمزيج من الإعجاب والراحة لأنني اطمأنتت عليه، بينما سأله أدهم قائلا:

"السؤال هنا كيف عدت يا مروان؟ ولماذا؟"

هم مروان بالإجابة، لكنه توقف عن الكلام وأشرق وجهه حين رأى والدته وصديقتها قادماتا نحونا..

(سيادة وسيطرة.. منبع ورباط) ترويضها مريم

لم أدر لماذا تأخر أدهم ويوسف مع هذا المعجب الصامت، الآن لدي اثنان يشعران بالغيرة، كنت واقفة مع أمنية التي لا تفهم سر قلقي، وأنا أدعو الله في سري ألا تحدث مشكلة، ففوجئت بيوسف وأدهم يحتضنان ذلك الشاب الغريب، ويتبادلان معه أطراف الحديث في سعادة مطلقة، هل هذا صديقهما؟ وكيف لم يعرفاه منذ البداية؟ هنا أجبرني فضولي على التدخل، فجذبت أمنية برفق، وأنا أقول لها:

"تعالى لنر ما الأمر."

ذهبنا إليهم بالفعل وألقينا السلام، لأتفاجأ بأغرب رد فعل حدث لي في حياتي على الإطلاق، ذلك الشاب انطلق نحوي وكاد أن يحتضنني، إلا أنه في اللحظة الأخيرة اكتفى فقط برد السلام وهو ينظر لي بشوق مبالغ فيه، هل هو معجب بالفعل؟ ثم توجه نحوي قائلاً:

"أمي افتقدتك بحجم الكون كله."

أمي؟ من أمك يا بني؟ أيعقل أن يكون هذا مروان؟ كيف أتى هنا؟ هل تجوز العودة إلى المستقبل من جديد؟ فلننح تلك الأفكار جانباً الآن، فأنا أرى ابني الذي لم ألدّه في سن مقاربة لسني، بينما يفوقني طولاً وعرضاً، أفكارى انقلبت فجأة رأساً على عقب، فارتفع حاجبي بدهشة وعدم استيعاب، فأوضح يوسف بفخر يشوبه شيء من التردد:

"مريم، أحب أن أعرفك على ولدنا العزيز مروان."

هنا جذبتني أمنية من رداي قائلة:

"من هذا؟ من مروان؟ لماذا كاد أن يحتضنك ذلك الشاب؟"

قلت لها بذهول:

"يبدو أنه ابني..."

(الرد): مريخ

تجمدت يدها على رداي وهي تردد:

"ابنك... كيف؟"

التفت مروان نحو أمنية قائلا:

"كيف حالك يا عمتي أمنية، ملامحك لم تتغير إطلاقا منذ آخر مرة رأيتك فيها.."

قالت أمنية بشيء من الذهول وعدم الفهم:

"كيف حالك يا مروان، أصدقكم القول جميعا، في خلال ساعتين سمعت ورأيت ما أدهشني، وقلب حياتي رأسا على عقب، أتمنى أن يكون كل ما أخبرتموني به هو إحدى برامج المقالب ولن أعاتبكم، بل سأضحك وأقول دعونا نذيع الحلقة وندخل الفرحة على قلوب الناس."

هنا قال مروان في دهشة:

"أي أنك لم تسافري معهم؟ لقد توقعت أن أراك أنت وعمي علاء."

ظهرت عليها الدهشة من جديد وهي تقول:

"ما أمر علاء يا شباب، لماذا تقحمونه في حياتي بهذا الشكل، اسمع يا مروان، أنا لا أعلم شيئا عن مستقبلي ما عدا بضع أحداث ذكرت لها مريم، أقصد والدتك."

هز مروان رأسه في تفهم وهو يقول:

"نعم فهمت، أخبرتك والدتي أنني فقدتكم جميعا في الجانب الآخر من الزمن، ولم أستطع استعادتكم من جديد، وأن هذا سبب عودتهم لهذا الزمن.."

هنا نظرت لمروان بلوم وأنا أقول له:

"في الواقع يا مروان، لم نخبرها بكل هذا، ألم تطلب منا أن نبقى الأمر سرا؟ وألا نخبر أحدا قط عن مستقبله؟"

ارتبك مروان قائلا:

"أسف يا أمي، لقد توقعت فقط أنها ستسافر معكم."

(الرد): مروح

ابتسمت في سعادة لا تلائم الموقف، فمروان كرد فعل طبيعي اعتبر أن كلماتي هي نصائح من والدته التي ينبغي أن يطيعها، حتى وإن كنت لم أنجبه بعد،

قطعت أمنية أفكاري بسؤال وجيه بالفعل:

" كيف تقولون أنكم سافرتم عبر الزمن، بينما يقول مروان إنه فقدكم في الجانب الزمني الآخر هذا؟ "

أجابها يوسف مفسرا:

"لقد سافرنا للوراء ما يقرب من أربعة أعوام ونصف، بينما سافر مروان في العام ٢٠٣٩ تقريبا، ذلك العام الذي فقدنا فيه مروان، ولم يستطع استعادتنا قط، لكن نحن لم نصل لهذا الزمن بعد."

هزت أمنية رأسها وهي تحاول استيعاب الأمر، **بينما قال أدهم بخنان وهو يربت على كتف مروان:**

" مروان كيف حالك؟ على حسب ما فهمت من رسالتك أنك غادرت في السابعة عشر من عمرك، لكن الآن يبدو عمرك مقاربا لعمري، لست أدري كيف. "

قال مروان مبتسما:

" ذلك صحيح، في الواقع أنني أقمت في الماضي لمدة تقترب من الثلاثة أعوام، وانشغلت في دراسة كل ما يخص تلك البوابة الزمنية. "

نظر له أدهم بانبيهار قائلا:

" حقا؟ "

فقال يوسف وقد حاول أن يتخلص من ذهوله:

" لا تخبر خالك بهذا يا مروان، لأنه قد يترك البوابة مفتوحة، ليجري أبحاثه حولها. "

ضحك مروان قائلا:

" لا تقلق يا والدي، خالي على الرغم من أفكاره التي تختلف عن أفكار الجميع، إلا أنه من أكثر الناس حكمة، بالمناسبة خالي في المستقبل هو صديقي اللدود. "

(الرد): مريم

جميل أن يوسف صار يتعامل مع الأمر بشكل طبيعي للغاية، وأدهم أيضا فيما يبدو، لن أفهم مطلقا عقليات الرجال، كيف يتناولون الأمور بتلك البساطة؟ كيف يستسيغون أمورا غير مستساغة بالمرّة؟ ولماذا لا أستسيغ ما يحدث، ولماذا استساغه الباقون بتلك السهولة؟^٤ هناك شابا يتخطاني في الطول، ويتخطاني في العمر ويخبرني هكذا بأنه ولدي.

كنت غارقة في أفكاري التي قطعها مروان قائلا:

"هل جاءت معكم عمتي ريم؟ لقد افتقدتها جدا.."

فأجاب أدهم بأعرب إجابة تخيلتها قائلا:

"لا يا مروان، لم ترافقنا، بالمناسبة هل جنة الرحمن وعبد الرحمن أبناء ريم هم أبنائي؟ هل ريم زوجتي في الزمن الذي أتيت منه"

سأله مروان في دهشة:

"كيف علمت هذا يا خالي؟"

أدهم وريم؟ كيف هذا؟ وكيف علم أدهم أنهم أبناءه بدون أن يخبرنا مروان؟ هل هو قلب الأب؟ ربما.. يبدو أن أدهم اعتبر سؤال مروان إجابة لسؤاله بالإيجاب، فتساءل مفكرا وكأنه لا ينتظر إجابة من أحد:

"لقد توقعت هذا، ولكن لماذا ريم؟ وكيف ومتى؟"

فقال مروان بعقلانية:

"خالي، لماذا تسأل تلك الأسئلة، وأنت لا تحب أن يخبرك أي شخص عن مستقبلك؟ لأنك تحب أن تكون قراراتك نابعة من عقلك وقلبك، ليس لأنك تعلم أن هذا سيحدث بالفعل.."

^٤ ولماذا أستخدم الفعل يستسيغ بهذا الشكل المبالغ فيه؟

(الرد): مريح

حينها قلت لأدهم:

" كيف علمت بذلك الأمر يا أدهم؟ "

أجابني بشرود:

"جنة الرحمن وعبد الرحمن هي الأسماء المستقبلية لأبنائي، لم أخبر بها أحدا قط، منذ صغري وأنا أدعو الله أن يرزقني بأبناء تحمل تلك الأسماء، لكي يرزقهم الله نصيبا من اسميهما، فتكون ابنتي هي جنتي أنا والدتها في الدنيا، ويكون ابني عبدا طائعا مطيعا، وربط اسميهما بالرحمن ليملأ قلبيهما بالرحمة والمودة."

ابتسمت بإعجاب وأنا أستشعر فلسفة أخي في اختيار الاسمين، **بينما ابتسمت أمنية قائلة:**

" أحبيك يا أدهم على حسن اختيارك.. "

فقال مروان بسعادة:

"عمتي وافقت فور سماع فلسفة خالي لاختيار الاسمين، وقالت إنها لم تكن لتفكر في أفضل من هذين الاسمين. "

لاحظت صمت يوسف وشروده المفاجئ، لست أدري فيم يفكر لكن يمكنني التخيل أن تفكيره الآن مقلوب رأسا على عقب، لست أدري لماذا أرهقني فجأة الوقوف الطويل،

فقلت لهم جميعا:

" دعونا نجلس قليلا، يبدو أن حديثنا سيطول. "

وسبقتهم لأقرب طاولة، فتبعوني بدون مناقشة، فشعرت بسيادة لحظية، وبمجرد أن جلسنا جميعا، **تساءل يوسف:**

"ماذا حدث يا مروان جعلك تبحث عنا قبل غلق البوابة؟ "

(الرد): مريح

قال مروان بعد أن ابتلع ريقه:

"اكتشفت خيانة من لم أتوقع خيانتته على الإطلاق، والمعلومات التي وصلتني منه كانت مغلوطة.."

ثم ابتلع ريقه وأكمل قائلا:

"زمردة.. لم تكن كما توقعت، لقد خدعتني، وقد اكتشفت أنا وجدي فريد بعد فترة وجيزة أنها تخفي ما لم تبد."

تبدت الدهشة على وجوهنا، فأكمل قائلا:

"علمت من أحدهم أن طريقة غلق الفجوة التي عثرنا عليها بغلاف الكتاب إما كانت خاطئة أو لم تكن مكتملة، بالتأكيد زمردة علمت هذا، وأخفت المخطوطة الزائفة بغلاف الكتاب دون أن نعلم، فقد اكتشفت أن غلق الفجوة يجب أن يتم من خلال المنبع والرباط."

رددت بدهشة:

"المنبع والرباط!"

وضح لي قائلا:

"نعم، في القبو أسفل الجبل، تحديدا أسفل المثلث الوهمي الواصل بين البوابات الثلاثة – المنزلين وأطلال المعبد – في منتصف المثلث تماما يقع مركز الجبل، وأسفل البوابة يبدو منبعها، أما الرباط فعلمت أنه رباط سحري يقوم على اتحاد من نوع خاص، هذا الرباط هو القادر على غلق المنبع."

تساءل أدهم وهو يحك ذقنه بسبابته وإبهامه قائلا:

"اتحاد ماذا بالضبط يا مروان؟"

أجاب مروان بحيرة:

"لا أحد يعلم تحديدا، ولكن حين يتم هذا الاتحاد تحدث (سيادة وسيطرة) تتسبب في غلق البوابة.."

(الردى: مريح

قال أدهم مكررا الكلمات الرنانة:

" المنبع والرباط، سيادة وسيطرة، ما علاقة تلك الكلمات بغلق البوابة."

قال مروان بحيرة:

"في الواقع لست أدري يا خالي، هذا كل ما توصلت إليه، الرباط يحدث بالقرب من المنبع، فتحدث السيادة والسيطرة، ماذا يرتبط وكيف؟ لست أدري، ومن الذي يسيطر لست أدري أيضا."

قلت متسائلة:

"وماذا عن الأحجار التي أخبرتنا في رسالتك أنها تسد البوابة؟"

فأجاب قائلا:

" للأسف لا تغلق البوابة، فقط تخفت الأضواء ثم تختفي لفترة قد تمتد لأسابيع أو شهور، ثم بعدها تعود وتتوهج من جديد كما كانت."

قلت له بدهشة:

" كيف علمت هذا؟ "

ابتسم قائلا:

" سأخبركم الآن."

(لم خنت) يروها مروان

بعد أن وضعنا الصندوق بالكهف، بجوار البوابة، بالتأكيد جميعنا وأنا أولكم لم نشك لحظة في زمردة، إلا أن هناك أحداث عديدة جعلتني أتساءل، لماذا صارت زمردة تختفي أكثر من اللازم، بعد أن كانت شبه مقيمة في منزل الجد الأكبر فريد، في البداية اعتقدت أنني قد تعلقت بها بشكل ما، إلا أن تعلقي بها كان أقرب للتعليق برفيق بحث كنت أراه يوميا، ففي البداية كنت أفقدها وأفقد وجودها، إلا أن عقلي استيقظ فجأة، وأجبرني على تذكر أشياء مرت علي من قبل مر الكرام.

أصدقكم القول، عندما تركت الدفتر في الكهف كنت أنوي أن أحيي في ذلك الزمن حتى يحدث أحد الأمرين، إما أن أنتقل بوعيي تلقائيا لخطي الزمني بعد أن أنقذ أهلي، أو أتلاشى من الوجود تماما، لتحيا نسختي الأخرى، إلا أن عقلي أبى أن يطيعني، وكنت أستيقظ ليلا على تساؤلات تثير في رأسي أفكار متعددة.

ففي إحدى الليالي، بينما كنت نائما في غرفة سليمان، شعرت بنسيم يداعب وجهي، ففتحت عيني لأرى ذلك القط الضخم ناصع البياض، ذو العيون الكحيلة، والوجه المستدير الأشبه بوجه نمر واقفا بثبات بجوار فراشي، ينظر لي في الظلام بعينين مضيئتين، شعرت بالهلع، ثم استوعب عقلي أنه ذات القط الذي كان دليلي من قبل في الكهف، فنهضت من مكاني، وتبعته بخطوات متأنية، بعد أن شعرت وكأنه يستحثني على اتباع خطواته، حتى وصلت معه للإيوان، وقفت لحظات أتأمل صحن البيت على ضوء القمر، وفجأة ظهرت زمردة في منتصف الصحن، ظهرت في قلب الظلام، وكأنها مضيئة بذاتها، نظرت لي بشيء من الغضب، وهي تتمتم بشيء ما ثم اختفت فجأة، واختفى القط، لأجد نفسي في فراشي من جديد، لم يكن حلما، أكاد أن أقسم، لكن كيف حدث هذا؟ ولماذا رمقتني زمردة بنظرة الغضب تلك؟ هنا تذكرت تلك المرة حين كنا جالسين نطالع الكتب في غرفة المكتبة بمنزل جدي فريد، حينها قلت لها شيئا عن عدم رغبتني في البحث عن كيفية سد الفجوة، وأنني أرغب في

(الرد: مرد)

البحث عن كيفية عودتنا لزماننا، وقتها أفلتت منها نظرة جمدت الدم في عروقي، بالطبع لم أفهم معناها، لكنها كانت نظرة من ينوي سوءاً، إلا أنني أخبرتها أن تلك كانت مزحة، فابتسمت وهي تلقي بقلمها تجاهي.

حين استيقظت في الصباح كان عقلي قد أسقط ما حدث قبيل الفجر، سواء في ذلك الحلم، أو في ذكرياتي عن زمردة، إلا أنه بعد مرور ما يقرب من شهر، شعرت بذات النسيم من جديد، ففتحت عيني، وكما حدث في المرة الأولى تتبعت القط، حتى رافقته للإيوان، وفي ذات البقعة التي رأيت فيها زمردة في المرة السابقة، رأيت ثلاثة رجال، واقفين في مواجهة جدار مضيء، ترى كيف ظهر ذلك الجدار المضيء فجأة في الإيوان؟ هناك رجال آخر يأت من ركن الإيوان، ويبدو إنه يكره وقوفهم أمام ذلك الجدار، لم أستطع تبين ملامح الرجل، إلا أنني تبينت تلك الشامة التي ظهرت على جبينه وكأنها تضئ بذاتها، وبدا لي من طريقة سير الرجل أنه يشعر بالغضب، الغريب أن أحد الرجال الثلاثة قام بدفعه داخل الجدار المضيء، فابتلعه، ثم فجأة صار الجدار شفافاً، ورأيت الرجل الذي تم دفعه إلى داخل الجدار يصل إلى نهاية الإيوان، ثم يأت نحو الجدار سائراً من جديد، ثم يخرج من الجدار دون أن ير أحداً من الرجال الثلاثة، لماذا بدا لي ذلك المشهد مألوفاً؟ بمجرد أن دار السؤال في عقلي، تبخر كل شيء فجأة ووجدت نفسي في فراشي من جديد، هنا بدأت أتساءل عما يحدث لي، ذكرني الأمر بما حدث في الكهف من قبل، يبدو أن لدي موهبة من نوع ما، لكن لا أستطيع استيعاب حدودها، وكأن تلك الأحلام لم تكن أحلاماً بقدر ما كانت تحذيراً، أو مساعدة من شخص ما أو شيء ما، ذلك الشيء يخبرني بأمر لا نعلمه بخصوص زمردة، وأنه لا يجب علينا إسقاط أمر خفير الكهف عرفان بتلك السهولة، فهناك شيء ما حدث وقتها، شيء لم يسمع عنه أحد، ربما لا يعرفه سوى عرفان نفسه، ترى أين هو الآن؟

كتبت تلك النقاط التي أفلقت منامي في مفكرتي الورقية التي حلت محل مفكرتي الإلكترونية، وصارت لا تفارقني منذ عدت لهذا الزمن، وقررت أن أبحث في تلك الأمور في الصباح، فأطفت قنديلي واستكملت نومي.

(الرد): مردة

في الصباح استقبلتني الجدة صفية بالترحاب وهي تخبرني أن الفطور جاهز الآن، لوهلة تذكرت جدتي وفاء وتذكرت كم أشواق لها الآن، فابتسمت للجدة صفية بتهذيب وأنا أقول لها:

"أشكرك يا جدتي، لقد أرهقت نفسك، سألحق بك بعد قليل."

تركتها وهي تدعو لي بالبركة والسعادة، ثم توجهت نحو المنزل المقابل للبحر عن زمردة، طرقت الباب برفق مرتين، ثم اشتد طرقي قليلا في الثالثة، ولما لم أتلق ردا، نظرت لأعلى لأتأكد من أنه لا يوجد من ينظر من المشربية، ثم عدت لمنزل فريد، لأتناول الطعام معهم بشرود، فقال الجد فريد بقلق:

"ماذا بك يا بني؟"

أجبت بذات الشرود قائلا:

"ترى أين ذهبت زمردة؟ لماذا لم نعد نراها منذ أن وضعنا الدفتر في الكهف؟"

تبادل النظرات الحائرة مع الجدة صفية، وهو يقول بلهجة من يعتقد أنني قد تعلقت بها أو افقدت وجودها لأسباب أخرى:

"لست أدري يا بني، ربما كان هدفها أن تساعدنا ثم شعرت بأننا لم نعد بحاجة لها، لكنني أخبرتها أن تأت في أي وقت دون تردد، منزلنا دائما مفتوح لها.."

وددت أن أوضح له سبب سؤالي، لكي لا يعتقد أنني قد تعلقت بها بشكل آخر، فقلت:

"سؤالي هذا لأنني تذكرت شيئا ما، بخصوص زمردة، زمردة لم تكن تساعدنا بهدف المساعدة، بل هناك أمرا يخفى علينا، كانت تساعدنا بسببه."

قالت صفية بدهوة:

"لماذا تقول هذا الكلام يا مروان، الفتاة طيبة ولم نر منها إلا الطيب."

قال مروان وقد خشي أن يكون مخطئا:

"أحيانا كانت تغفلت منها نظرات ذات مغزى غير مريح، حتى وإن افترضنا أنها كانت تنوي الخير لماذا اختفت إذًا؟"

" تك تك تك "

سمعنا من يطرق باب المنزل طرقات خفيفة، يبدو أن سليمان ذهب ليفتح الباب،
ليتفاجأ بزمردة واقفة بابتسامتها البشوش، فقال لها:
" تفضلي يا زمردة، كنا في سيرتك حالا. "

قالت بشيء من الخجل:

" أتمنى أن يكون بالخير. "

فألت لها صفة، وهي تنظر لي بشيء من العتاب:

" بكل خير يا ابنتي، هيا بسم الله.. فلتأكلي معنا. "

ثم أشارت لها لتجلس بجوارها أرضا حول الطاولة الأرضية "الطبلية"،
بينما قالت زمردة بخجل:

" لقد أفطرت يا جدتي بحمد الله، أشكرك كثيرا. "

فجأة هببت من مكاني واقفا، فقال لي فريد:
"إلى أين يا بني، فلتكمل طعامك. "

قلت باقتضاب:

" لقد شبعنا والحمد لله. "

ثم أشرت لزمردة لتخرج معي للفناء قائلا:

"زمردة، أريد أن أسألك عن موضوع هام. "

رافقتني وعلى وجهها تبدو نظرات الحيرة، فالتفتت لها فجأة بعد أن كنت سائراً
أمامها وأنا أقول:

"لقد طرقت بآبكم منذ قليل، فلم يجب أحد.. هل كنت في الخارج؟"

أجابتنى قائلة:

" بل كنت بالمنزل، ولكنني كنت أستريح قليلا لأنني لم أتم جيدا بالأمس. "

(الرد): مرد

نظرت لها بتردد، هل أواجهها بمخاوفي تجاهها؟ وبم أخبرها؟ رأيتك في الحلم
تتظرين لي نظرات مريبة؟ لا بالطبع، ليس لدي أي دليل ضدها، وإن كانت
لديها أي نوايا سيئة، فهل ستعترف هكذا بكل سهولة؟ وإن كانت لديها نوايا
سيئة بالفعل، لماذا ستزورهم بعد أن انتهى الأمر؟ ربما لتدرا التهم عن نفسها
مثلا؟

"مروان.. ماذا هنالك؟ لماذا تنظر لي هكذا؟"

أفقت فجأة من أفكاري وأنا أقول:

"أردت فقط أن أشرك على مساعدتك لي لاستعادة أسرتي."

قالت بحيرة وشيء من الارتباك:

"هل آآ هل عرفت عنهم أي شيء؟"

أجبتها وقد شعرت بارتباكها:

"بالطبع لا، لكنني أردت أن أشرك على تعبك."

ابتسمت بشكل مفاجئ وهي تقول:

" لا شكر على واجب."

بدأت أشعر بالريبة من جديد بسبب أسلوبها الغريب، ثم قلت لها:

" هيا لنجلس معهم بالداخل."

بعد عدة أيام، قررت أن أبحث عن عرفان، خفير الكهف، لكن للأسف لم
أدر من أين أبدأ، فبدأت بسؤال فريد، إن كان يعلم أي شيء عنه أو عن محل
سكنه، إلا أنه لم يستطع إفادتي بأي معلومة، فقررت أن أعتمد على نفسي في
البحث، فقط طلبت من فريد حصانا لكي أستطيع التنقل بسهولة، فانتقى لي
أفضل حصان لديه لأستطيع التنقل কিما شئت.

الرد: مرد

قمت بتجهيز حقيبتى التى رافقتنى من زمانى، وأضفت إليها بعض المعدات من منزل فريد، ولم أنس بالطبع خارطة للطرق فى القاهرة، ثم بدأت رحلتى متوجها نحو الكهف.

بحثت عن خيمة عرفان بجوار الكهف، فلم أجدها بالطبع، فقد مر زمن طويل على حراسته للكهف، ثم درت حول الجبل ممتطياً حصانى، ثم شعرت بحركة، فترجلت من فوق الحصان، وحاولت أن أخفى نفسى وحصانى خلف أحد الصخور، لأرى ذلك الشاب الملثم غريب الهيئة، يتوجه نحو باب الكهف ممتطياً حصانه الأسود اللامع، وهو ينظر هنا وهناك، وكأنه يبحث عن شيء ما.

بدا لى ذلك الشاب فارساً حقيقياً، بزيه البدوي، والعباءة التى تتطاير من خلفه، وغطاء رأسه الذى تلثم به، ماذا يسمونه يا ترى، أعتقد أنها عمامة، لست أدري لماذا ذكرني ذلك الشاب بأبطال فيلم الرسالة، وهم يرتدون العباءة وغطاء الرأس الأبيض، ذو الطرف المنسدل من جهة واحدة، ترى هل هذا ما يفعله سكان الصحراء للتخلص من حرارة الجو الشديدة؟ هنا تذكرت جدي الأكبر عبد الكريم، وهو يخبرني عن مدى روعة فيلم الرسالة بنسختيه العربية والأجنبية، الآن فقط تمنيت لو كنت شاهدته معه حينما طلب مني ذلك.

مرت دقائق، ثم بدأ يلوح في الأفق حصانا آخر باللون الأبيض الشاهق، ينطلق مسرعاً نحو مدخل الكهف، وحين اقترب الحصان الأبيض فوجئت بأن فارس ذلك الحصان لم يكن سوى زمردة، التى ما إن اقتربت من الرجل الملثم، حتى جذبت لجام حصانها ليرفع رأسه لأعلى بحركة مسرحية، ثم يتوقف بجوار الحصان الآخر، فأخفيت نفسي خلف الصخور جيداً، لكي لا يلاحظا وجودي، ثم سمعت صوت زمردة الذي يشبه صوت قطرة ناعسة وهي تلقي السلام، فاكتفى الرجل بإيماءة برأسه، فسألته قائلة:

" أخبرني يا عزيز، هل توصلت لشيء؟ "

(الرد: مرد)

هذا هو عزيز إذن، الذي يسر لنا دخول الكتب خاتمة، هز عزيز رأسه بالإيجاب، فتساءلت زمردة بلهفة:

"أي أنه أخبرك بالسر؟"

"نعم، يا زمرد."

صمتت زمردة قليلا، وهي تنتظره أن يستكمل كلماته، إلا أنه ظل صامتا، ترى ما هو السر الذي تتحدث عنه؟ هل من الأفضل أن أظهر لهما نفسي الآن هل أواجههما؟ أم أنتظر قليلا، حتى أفهم عم يتحدثان، قالت زمردة بضجر من تأخره في الرد:

"أتعلم أنني أنتظر موعدنا هذا منذ أسبوع بأكمله، أنتظر فقط عودتك لتعطيني جوابا واضحا، هل يمكن السفر إلى المستقبل أم لا، وأنت هنا تأت لتخبرني بكلمة وتصمت ساعة، ماذا أفعل أنا الآن؟"

إذاً هذا هو الأمر، يبدو أن زمردة تسعى للعودة لزمانها من خلال ذلك الشاب المدعو عزيز، لماذا لم تخبرني إذن؟ هل نست كل ما مررنا به معا؟ وكل ما خضنا سويا؟ ستعود الآن لزمانها وحدها دون حتى أن تخبرني، لكن كيف ستعود يا ترى؟ يبدو أن عزيز قرر الخروج من صمته، حيث قال لها:

"لماذا تريدين العودة وحدك؟ ولماذا لم يأت معك الشاب الذي أخبرتني عنه؟ هناك شيء ما لا يريحني في روايتك، كيف ساعدتيه، والآن تريدين الهرب وحدك، وتتركينه."

فقالت له وهي تحاول التملص من سؤاله:

"وأنا أخبرتك، لا شأن لك بهذا الشاب.."

قال لها وقد بدا عليه الضيق:

"كيف هذا، بل لي شأن بالطبع، الفتى بالتأكيد يرغب في العودة لأهله.."

عادت للإلحاح من جديد وهي تقول له:

"إن أخبرتني كيف سافر والدك إلى المستقبل، أعدك أن أخبره بالأمر.."

(الرد): مروان

حذق فيها عزيز بغضب قائلا:

" لماذا لا أصدقك؟ أريد أن أصدقك لكنك لا تتركين لي خيارا، الحل الوحيد، أن تقابليني به."

قالت باستكبار:

" لماذا تريد لقاءه بهذا الشكل؟ يبدو أنك تراوغ، لا أعتقد أنك ستخبرني بشيء." **سدد لها عزيز نظرات نارية، وصوته يتحول من الهدوء إلى مزيج بين الحزم والغضب وهو يقول:**

" أنا من يقرر هنا ماذا أقول ومتى؟ "

شعرت زمردة بشيء من الخوف، وحاولت أن تتحدث، لكن عزيز قال لها بنفاد صبر تعجبت له:

" الآن ستذهبين، ولنلقى غدا في ذات الموعد، ومعك مروان، هيا اذهبي."

نظرت له بدهشة، ثم امتطت حصانها في خوف، ورحلت.

انتظر عزيز لحظات بعد رحيلها، ثم انطلق بحصانه، ليعثر رمال الصحراء في الهواء، هنا قررت أن أنتظر قليلا في مخبأي، حتى ابتعد حصانه بمسافة كافية، ثم امتطيت حصاني بخفة وحاولت أن أتتبع الغبار المبعثر، مع الحفاظ على ذات المسافة بيني وبينه دون أن أقترب، حتى انقشع الغبار فجأة لأجد الحصان يتوقف بجوار أطلال ما يشبه معبد قديم، هناك عدد لا بأس به من الأعمدة وأنصاف الأعمدة التي لا يعلوها سقفا، هناك أيضا بقايا باب، تشبه بوابة منزلنا، وبضع أعمدة متفرقة هنا وهناك على الطراز المصري القديم واليوناني، وتلك الخيمة التي تتوارى بين الأطلال، والتي أدركت من خلالها مكان إقامة ذلك الشاب، بدأ شعوري بالقلق يتضاعف، فدرت حول المكان لكي لا يراني، ثم تركت حصاني بجوار أحد تلك الأعمدة العتيقة، وربتت على وجهه برفق وكأنني أوصيه أن يكون فتى مطيعا، ويبقى هنا حتى أعود، ثم علقت لجامه بالعمود، وتبعت عزيز وهو يتوجه نحو تلك الأطلال، محاولا بقدر

(الرد: مرد)

المستطاع عدم الدخول في مجال بصره، فوقفت خلف أحد تلك الأعمدة لتسهل علي المراقبة، لألمح القط الأبيض الذي رأيته من قبل، يركض مسرعا نحو عزيز، ترى هل يراه؟ لا أعتقد هذا، فالقط الآن يدور حوله، دون أن يجفل – عزيز لا القط – ثم ينظر لي، وكأنه يريدني أن أفعل شيء ما – القط وليس عزيز – خمنت إن القط ربما يريدني أن أتحدث مع عزيز، إلا إنني ظللت في مخبأي منتظرا، فالتفت عزيز فجأة نحو العمود الذي أختبئ خلفه، قائلا بتؤدة:

"وأخيرا مروان، لقد انتظرتك طويلا.."

ظللت في مخبئي مترددا، فنادى من جديد:

"مروان، يمكنك أن تخرج، أنت في أمان.."

ما هذا اليقين الذي يتحدث به؟ تعلقت عيني بالقط وكأنني أنتظر منه أن يملي علي ما يجب أن أفعله، إلا أنه اكتفى بالوقوف مكانه ساكنا في اعتداد، وهو ينقل بصره بيني وبين عزيز، فخرجت من مخبئي ببطء، فقال عزيز، بسخريّة غير ملحوظة، وكأنه يعرفني من سنوات:

"أخيرا ظهرت؟"

فقلت متعجبا:

"ماذا تقصد بأخيراً؟ هل تنتظرنني منذ وقت طويل؟"

نزع عزيز اللثام من على وجهه وهو يبتسم بود غريب قائلا:

"بالطبع أنتظرك منذ وقت طويل، لكني أتحدث عن ظهورك اليوم، لماذا الاختباء؟ وماذا كنت تنتظر لتتحدث معي؟"

ارتبكت من جديد وقد فوجئت بإجابته الغريبة، فسألته:

"كيف علمت بأمر اختبائي؟"

عادت السخريّة لنبرة صوته وهو يقول:

"كيف علمت؟ لقد لمحتك ولمحت حصانك، ورأيت آثار أقدام الحصان حول الكهف، كما أنك لم تبعد بمسافة كافية حين كنت تتبعني إلى هنا."

(الرد: مرد)

نظرت له بذهول، فأكمل عزيز بفخر:

"لقد تربيت في الصحراء."

يبدو أنه يحب الاستعراض ذلك الرجل، هزرت رأسي متفهما، ثم بشيء من الممرارة تساءلت:

"لماذا أرادت زمردة أن ترحل وتتركني في هذا الزمان؟ ومنذ متى تلتقيان؟"

لم يجبني عزيز، بل أطل نظره إلي وعلى وجهه ابتسامة لم أفهم معناها، فأخذت نفسا عميقا ثم قلت له:

"إذاً أنت عزيز ابن عرفان الخفير، وعلى حسب ما فهمت فوالدك استطاع السفر إلى المستقبل."

تبدلت ملامح وجه عزيز إلى ملامح الود والترحاب وهو يقول:

"مروان، أنت ضيفي، هل يصح أن نتحدث هكذا وقوفا؟"

تعجبت من هذا التغير المفاجئ في طباع الرجل، من السخرية، إلى الود والترحاب، فأشار الرجل لي إلى تلك الخيمة المتوارية بين الأطلال، وهو يقول:

"تفضل يا عزيزي، أفضل أن نستكمل حديثنا جلوسا."

تبعته إلى الخيمة بترقب، وأنا أتأمل ما حولي بدهشة، فالخيمة تختلف تماما عن الأطلال بالخارج، فهي نظيفة وأنيقة، تحتوي على عدد من الجلسات الأرضية، وفراش أرضي نظيف للنوم، يكفي لفرد واحد، درجة حرارتها تختلف عن درجة الحرارة بالخارج، وكأنها مكيفة بشكل طبيعي على الرغم من توسط الشمس كبد السماء، أشار لي عزيز لكي أجلس فوق إحدى الوسائد، ثم تبعني جلوسا، وهو يمد يده جانبا ويحضر إبريقا به مشروبا ساخنا، يبدو أنه كان يضعه فوق الفحم ليسخن حتى يصل، ثم صب لي كوبا وآخر له، وجلس يشرب بهدوء، في البداية شعرت بشيء من القلق، ثم ما لبثت أن ارتشفت رشفة من المشروب، الذي تبين لي إنه شاي تم غليه على الفحم، غريب طعم هذا

(الرد): مرد

الشاي، لكني أحببته، فطلبت كوبا آخر، تعجبت لحالي، فها أنا الآن أرافق رجلا مريبا، وأجالسه وأتناول منه المشروبات، وأطلب المزيد أيضا، ابتسمت وأنا أرتشف الكوب الثاني من الشاي، لقد صرت أفكر كثيرا منذ عدت لهذا الزمن، لم أعد أشاق لجهازي اللوحى أو هاتفى المتنقل، لقد أغلقتهما واكتفيت بوضعهما في منزل فريد دون استخدام، لعلى أحتاج أي منهما لأي سبب من الأسباب.

قال عزيز بود:

"نورتني يا مروان، لقد وددت أن أتعرف إليك منذ فترة طويلة، ربما منذ تعرفت زمردة."

تساءلت قائلا وأنا أشعر بشيء من الضيق:

"كيف عرفت زمردة، ومتى؟"

أجاب ببراعة مطلقة:

"منذ حوالي عامين تقريبا، رأيتها تخرج من الكهف، وهي تتلفت حولها بقلق، ظننتها ضلت طريقها، فذهبت لأطمئن عليها، فكان أول سؤال وجهته لي، كان في أي عام نحن؟"

أكملت قائلا:

"ففهمت أنها مسافرة زمنية."

هز رأسه قائلا:

"بالضبط، وحين أجبتها، ارتسمت على وجهها نظرات الإحباط، فتأكدت من أنها أخطأت في بضع سنوات، أخبرتها أنني حارس ذلك الكهف لكي تطمئن، ثم سألتها عن العام الذي كانت تقصده، فأخبرتني إنها كانت تقصد العام ١٨٦٠، وفهمت منها إنها من نسل أحد أولئك الذين فتحوا الفجوة، وقد عادت لكي تحاول التأثير على الماضي، لكي تنتقل نفسها للخط الزمني الأصلي."

(الرد): مرد

فكرت في كلماته بحيرة مطلقة، لقد أخبرتنا زمردة أنها من خطي الزمني، فكيف يخبرني عزيز الآن أنها من خط بديل؟ هزرت رأسي متفههما فأكمل كلامه قائلاً:

" كنت دائماً موجوداً لأجلها، ساعدتها كثيراً، حتى إنني ساعدتك أيضاً دون أن تدري، وأردت أن ألقاك لأخبرك بسر والدي، لكن يبدو أن زمردة تماطل في هذا الأمر."

قلت له متسانلاً من جديد:

" إذاً فوالدك يسافر للمستقبل؟ كيف يفعل هذا؟ "

قال بوهن:

" مروان، لا أستطيع أن أخبرك حتى يعطيني والدي الإذن في إفشاء سره."

غلبني الفضول فسألته:

" ماذا يفعل والدك بالضبط؟ ما هي استفادته مما يفعل؟ هل فقط يسافر إلى الماضي والمستقبل دون هدف واضح؟"

بدأ أن عزيز لم يرغب في إجابة هذا السؤال، إلا أنه أطل تفكيره قليلاً وبدأت على وجهه مشاعر غير مفهومة، ثم قال دون أن يجب سؤالي:

" تعتقد أن الأمر مجرد بوابة زمنية تسمح لك بقضاء رحلة عبر الأزمان، لكن في واقع الأمر، هي أقرب لكيان قام بفتحه أحد ملوك مصر في عصور الدولة الحديثة، ليتغلب على أعدائه."

قاطعت قائلاً، بدأ الأمر يتضح شيئاً فشيئاً وأنا أسترجع معلوماتي التاريخية:

"تقصد أحمس؟ ليتغلب على الهكسوس؟"

لأول مرة تبدو الدهشة على ملامح عزيز، وهو يجيب:

" نعم، صحيح.. "

(الرد): مردو

ثم أكمل روايته قائلا:

" استفاد أحسن من ذلك الكيان في معرفة خبايا الأعداء، ليخترقهم وينتصر عليهم، في وقت لم تكن هناك أي قوة راسخة في المنطقة، الأمر الذي سهل عليه إنشاء إمبراطورية مصرية، وقتها لم يكن يعلم سوى القشور عن ذلك الكيان الذي افتتحه، أقصى ما استطاع فعله كان أن يدخل إلى الكهف ويتمنى أن يصل للزمان المنشود ثم يخترق الفجوة، ويتجول في غياهب الماضي، بعد ذلك أراد المزيد، فقام بتعيين ذلك الكاهن الذي ساعده في فتح الكيان، نائبا له، وهي وظيفة كانت تحتل المرتبة الثانية بعد الوزير، وأمره بتعليمه كل ما يخص ذلك الكيان، وبالفعل قام الكاهن بتعليمه كل ما يلزم، مما ساعد أحسن فيما بعد في حملته، كما ساعده في اختيار من يشغل الوظائف الإدارية بالملكة. "

حاولت الاستيعاب قائلا بذهول:

" وماذا بعد؟ "

فاستكمل حكايته قائلا:

" ولتيسير عملية التنقل عبر الماضي والمستقبل، قام ذلك الكاهن بمساعدة الملك بحفر أسفل المنطقة المحيطة بالكهف، نفقا على هيئة مثلث متساوي الأضلاع، واستغل تلك المنطقة السفلى التي قام بحفرها في عمل مكان يستطيع الملك التنقل من خلاله عبر الأزمان، وممارسة مهامه السرية، وألقى على ذلك المكان تعاويذ، تجعل من يدخل إليه يتأثر بالأوهام البصرية ولا يرى حقيقته، رؤوس ذلك المثلث كانت ... "

قاطعه مروان قائلا:

" أماكن بوابات الانتقال الثلاثة.. "

قال عزيز:

" بالضبط.. "

فسأله متعجبا:

(الردى: مرد)

" كيف علمت كل هذا؟ "

فقال لي بابتسامة حنين:

" علمني والدي.. "

تساءلت وأنا أشير للمكان من حولي قائلاً:

" وهل تلك الأطلال تعتبر موقع لإحدى البوابات، مثل منزلنا؟ "

أجابني بهزة رأس بسيطة قائلاً:

" هذا صحيح.. "

تساءلت من جديد وقد ازدحمت الأفكار في رأسي:

"أعتقد أن والدك ربما يكون قد أتم الخمسين عاماً الآن أو على مشارفها؟"

فجأة تجمدت الابتسامة على وجه عزيز قليلاً، ثم قال بإقتضاب:

"ربما!"

تأملته لحظات، وكأنني أراه للمرة الأولى، ثم قلت له:

"كم عمرك يا عزيز؟ "

نظر لي بغموض، والكلمات تخرج من فمه ببطء:

"خمن!"

"خمس وعشرون عاماً مثلاً؟"

فقال بمزيد من الغموض:

" اقتربت... "

تأملت ملامح وجهه من جديد، بعد أن أزاح اللثام عن وجهه، هناك شيئاً مألوفاً في تلك الملامح، لكنني لا أستطيع تحديده، أين رأيت تلك الشامة من قبل يا ترى؟ ساد الصمت لحظات، يبدو أن عقلي استعاد قدراته على التذكر فجأة،

فأرسل الكلمات لتخرج من بين شفتي دون تحضير:

(الرد): مرد

"أنت لست عزيز، أنت عرفان خفير الكهف، ولكن كيف لا تزال صغير السن، هل أنت نسخة عرفان القادمة من الماضي مثلاً؟"

فوجئ عزيز بما قلت، فأطال النظر لي بدهشة، وهو يقول:
"ما هذا الذي تقوله؟"

صارت الصورة واضحة بداخل عقلي تماماً الآن، فalcط حين زارني تلك المرة، جعلني أشاهد مشهد دفع عرفان بداخل البوابة، على الرغم من إني لم أتبين ملامحه، إلا أنه كانت له نفس هيئة عزيز، بالإضافة إلى تلك الشامة على وجهه والتي كانت تظهر بوضوح في الظلام، الغريب أن عزيز لديه ذات الشامة في ذات الموضع، فقلت له باستنكار:
"لماذا تكذب، هل هناك ما تخفيه؟"

صمت عزيز طويلاً، وهو يمسح شفنيه لإحدى جانبي وجهه في تفكير عميق، ثم قال:

"كيف علمت هذا الأمر؟ هل أخبرك القط الأبيض؟"

تعجبت من ذكره للقط الأبيض، ترى هل رآه حين ظهر لي منذ قليل؟ هل يظهر القط لأحد سواي؟ قلت له بدهشة:

"كيف علمت بأمر القط؟ هل تراه أيضاً؟ وسؤالك هذا يعني أنني محق فيما قلت.. أليس كذلك؟"

(الرد): مرد

أجاب سؤالي مراوغا:

"أنا والقط صديقان لا يلتقيان.."

ثم استطرد قائلا بصدق:

"إلا أن معك حق فيما قلت، نعم، أنا عرفان، ونعم، أنا في العام الثالث بعد الأربعين من عمري، واكتشفت أسرار البوابة، واكتشفت ما يجعل الانتقال الزمني لا يؤثر في الصحة، بل وكيف يجدد الشباب أيضا، لذلك تراني في هيئة شاب في الخامسة والعشرين، لقد شهدت غلق البوابة في نهاية حكم المصريين القدماء وشهدت فتحها ثانية في عصور الدولة العثمانية، وكنت مع من أغلقها من جديد، ليعود جدك فريد مع رفاقه ليقوموا بفتحها مرة أخرى."

ثم أخذ نفسا عميقا واستكمل:

"بالمناسبة، تلك المرة هي أطول فترة تفتح فيها البوابة، لقد سافرت حتى ٢٣٠٠م ولم تكن قد أغلقت بعد، لذلك فيما يبدو أن والديك لم يتمكنوا من إغلاقها بعد."

قلت له بذهول:

"سافرت لعام ٢٣٠٠؟ يجب أن تخبرني كيف تسافر إلى المستقبل؟"

قال لي بإنهاك:

"هذا بالضبط ما أردت أن أخبرك به.. فإما أن تذهب لأهلك، أو تظل حبيس هذا الزمن إلى الأبد."

بالطبع لا يمكنني أن أحيا هنا إلى الأبد، فقلت له:

"لماذا يجب أن أذهب لأهلي؟ هل سيصيبهم مكروه إن قاموا بإغلاق البوابة؟"

(الرد): مرد

قال بغموض:

" لن يستطيعوا إغلاقها يا مروان.. "

"لماذا؟ لقد علمنا من مخطوطة الكتاب العتيق طريقة غلق البوابة."

هز رأسه متفهما وهو يقول:

" آه، نعم هذا الكتاب، للأسف فيما يبدو أنه قد تم خداعكم.. "

سألته بدهشة:

" انخدعنا؟ من خدعنا!؟ "

قال لي بتأثر واضح:

" زمردة ليست كما توقعت يا مروان، زمردة فعلت ما بصالحها فقط، في سبيل

بقائها، وأنت أعطيتها الثقة الكاملة بكل أسف. "

شعرت فجأة بانقباض في صدري، وبشيء من الضيق وأنا أسأل من جديد:

" كيف هذا؟ "

قال وكل ذرة في كيانه ترتجف:

" هي من أخبرتكم بموقع الكتب خانة، وهي من اختارت لكم المكان الذي

تبحثون فيه، وهي التي أخبرتكم بلغة المخطوطة، وربما أيضا هي من

ترجمتها.. "

" هل تقصد أن المعلومات التي توصلنا لها غير سليمة؟ "

أجاب بغموض:

"يجب أن يكون المختار موجود وقت غلق البوابة.. والبوابة لن تغلق إلا بوجود

المنبع والرباط.. "

تساءلت بعدم فهم:

" من المختار هذا؟ وما هو المنبع والرباط؟ "

(الرد): مردو

" أنت المختار يا مروان أنت ووالدتك، فأنت تمتلك أحد أطراف الرباط، وهو قطك الأسطوري، أو لأصح لك المعلومة هو نمر وليس قطا، ولكن يبدو أن حجمه قد تبدى لك بقدر عمرك، أما والدتك فتمتلك الصقر، لذلك عند غلق البوابة يجب أن تتواجد أنت ووالدتك في الحين ذاته ليتم ارتباط الكائنات الأسطورية."

رفعت حاجبي في دهشة قائلا:

" ما هذا الذي تقوله؟"

أكمل إجابته وكأنه لم يسمع ما قلت، قائلا:

"أما المنبع فهو السرداب أسفل الكهف، لأنه منبع الأشعة الصادرة من باطن الأرض والتي تغذي البوابة، لذلك لا يمكنك غلق البوابة إلا بنزول القبو ومعالجة الوهم البصري، ثم تتوغل في القبو حتى تصل إلى ما يقابل فتحة البوابة في القبو السفلي، وجودك في تلك اللحظة هام جدا، لأن بدونك لن يظهر القط، وبالتالي لن يحدث الرباط، عندها تنغلق الفجوة في كافة الأزمان منذ فتحت في عهد المصريين القدماء، ويتحد الخط الزمني، ويصبح الزمان خطأ واحدا من جديد.."

" هل يمكن إحضار ذلك الصقر الذي تملكه أمي ونسدها الآن.."

"أولا، كيف نحضر والدتك ها هنا، ثانيا، هناك عواقب عديدة يا بني في حال قمت بسدها الآن، فقد لا تولد من الأساس وقد تتلاشى من هذا الزمان أيضا، فظروف مولدك تتعلق بتعارف والديك، وقد كان سبب توطد علاقتهما هو تلك البوابة، هناك ملابسات عديدة لا نستطيع توقعها عما سيبقى في ذلك الخط الزمني."

تعجبت من معرفته بظروف حياتي، ترى هل زار زماني وعلم قصتي، وقصة، والدي، ووالدتي؟ أم أن زمردة تطوحت بإخباره بأمرى؟ إلا أنني هزرت رأسي بفهم، بينما كان عقلي مشتتا في البحث عن سبب كذب زمردة، ثم تذكرت أمرا فجأة، فسألته قائلا:

(الرد: مرد)

"بالمناسبة، هل توصلت لشخصية المثلث الذي ظهر لسلطان في الماضي وأدهاه الصندوق؟"

تردد عرفان قليلا ثم قال:

"للأسف ذلك المثلث كان أنا، ففي إحدى مرات انتقالني الزمني، انتقلت من الماضي البعيد عام ٣٠٠٠ ق.م. إلى المستقبل القريب عام ١٨٦٠، فاستيقظت من نومي في فراشي بالخيمة، وحين انتهيت مما أردت فعله في هذا الزمن، قصدت البوابة الزمنية لأستكمل رحلتي، ولكنني وجدتها مغلقة تماما، فقررت الذهاب إلى سلطان ورفاقه، لأحتهم على فتحها من جديد، باعتبار ما سيكون، فقررت أن أخفي وجهي لكي لا يعرفني سلطان فيما بعد، وأهديته الصندوق."

شعرت فجأة بدوار، ولم أعد أعلم ماذا حدث قبل ماذا، ثم قلت:

" لا أفهم شيئا، أي أن شخصيتك الشابة لم تكن تعلم شيئا عن السفر الزمني، لكن بعد أن دفعك رشدي للبوابة علمت نفسك بنفسك، ثم ظللت تسافر عبر الزمن، حتى ضللت طريقك لزمانك الذي يلي دفعك في البوابة بعدد من السنوات، فقررت أن تفتحها عن طريق سلطان ورفاقه، لكي تسافر بضع سنوات للأمام؟"

قال عرفان:

" يبدو هذا، بغض النظر أنه حتى بالنسبة لي أنا الذي عشت كل تلك الأحداث، هناك أشياء أراها عسيرة على الفهم، ودائما ما أتساءل، ماذا إن لم أكن سافرت لذلك الزمن، وعدت مباشرة لزمني، هل كانت ستنتفتح البوابة من جديد؟ وماذا إن لم يدفعني رشدي، هل كنت سأعلم شيئا عن السفر الزمني؟ ومن إذن كان سيعطهم الصندوق؟"

شعرت بالدوار من جديد، فقلت لعرفان:

" طيلة حياتي وأنا أحب التفكير في احتمالات السفر الزمني، لكن لم أتخيل نفسي وأنا أعيش واحدة من تلك الاحتمالات."

" الأمر صعب، لا أخفيك سرا."

(الردى: مرد)

هزرت رأسي من جديد متفقاً معه، ثم قلت:

"وزمردة، لماذا كذبت علي وعلى أسرة جدي؟ على الرغم من أن الجميع كان يعاملها بكل احترام وتهذيب وكأنها جزء من العائلة."

قال عرفان:

"أعتقد أنها تخفي سرا، لذا أريد أن ألقاك معها غداً، لكي نعرف سرها، وليكن لقاؤنا عند مدخل الكهف."

"اتفقنا."

قلتها ثم صافحت عرفان بقوة، وتركتنه وامتطيت حصاني لتبدأ رحلة العودة.

(الرد): مرد

في اليوم التالي حاولت أن يكون لقائي بزمردة مصادفة، لا يزال جزء من نفسي يبرر لزمردة ما تفعله، ذلك الجزء هو ما يجعلني أفكر كم هي وحيدة مسكينة، تحيا مع العمة إحسان التي تؤويها دون أن تعلم قصتها، وجزء آخر يلوم ذلك الجزء المتعاطف بشده على تفكيره.

خرجت من المنزل وأغلقت الباب خلفي بشروء، فوجدت زمردة تودع العمة إحسان وهي تقبل رأسها ويدها، **قائلة:**
"أحتاج لدعائك يا عمتي."

أمطرتها العمة بوابل من الدعوات، فقبلت يدها مرة أخرى ثم تركتها، والتفتت خلفها لتجدني واقفا بلا حراك.
"ماذا تفعل هنا يا مروان؟"

سألتني والدهشة بادية على وجهها، فأجبته **بسؤال آخر قائلة:**
"هل أنت ذاهبة لمكان؟ إلى أين تذهبين؟"

كانت نبرة الاتهام تفوح من صوتي فارتبكت قليلا، ثم تماكنت نفسها وأجابت:
"كنت قادمة لمنزلك، لأصحبك معي إلى الكهف."

تصنعت الدهشة وأنا أقول:

"الكهف مرة أخرى؟ لماذا؟"

صمتت قليلا، وكأنها تبحث عن إجابة شافية، ثم **قالت:**

"ستعلم حين نصل، أين حصانك؟"

أشرت جهة منزل فريد قائلاً:

"لا يزال في الإسطبل، لحظات وسأكون هنا."

وها نحن ذان ننطلق نحو الكهف، وكل منا يمتطي جواده، وها هو عرفان والذي تعتقد زمردة أنه عزيز، يقف أمام مدخل الكهف، عاقدا ذراعيه أمام صدره بثقة واعتداد، تتطاير عباءته خلفه، وكأنه مشهد من فيلم تاريخي قديم،

(الرد): مردة

توقفنا أمام مدخل الكهف، وبعد أن ترجلنا، قمنا بربط الأحصنة في صخرة مجاورة للكهف، وذهبنا لنلقي التحية، فاستقبلنا عزيز ببشاشة، بينما قالت زمردة وهي تشير لعرفان/عزيز:

"هذا عزيز، ابن عرفان حارس الكهف، الذي اكتشف وسيلة تجعلنا نستطيع السفر إلى المستقبل."

تصنعت ملامح الدهشة من جديد وأنا أقول:

"حقاً؟ أستجعلننا نعود لزماننا يا عزيز."

ابتسم عرفان بغموض قائلاً:

"بالتأكيد يا مروان، تعالوا معي.."

"ألن ندخل الكهف؟"

قالتها زمردة بدهشة، لكن لم يجيبها أحد، بل امتطى كل منا جواده وانطلقنا دون أن ننتظرها، فامتطت جوادها بسرعة، لتلحق بنا، أوقفنا الجياد وترجلنا حين وصلنا عند أطلال القصر، توقفنا قليلاً في انتظار زمردة، ثم قادنا عرفان حتى وصلنا إلى الخيمة.

"إلى أين نحن ذاهبون؟"

تساءلت زمردة بصوت مرتجف، فقال عرفان باقتضاب:

"إلى خيمتي.."

حين وصلنا للخيمة، أشار لنا عرفان لنتخذ من الوسائد الأرضية مقعداً، عندها قالت زمردة:

"ها هو مروان يا عزيز، الآن يمكنك أن تخبرنا كيف نستطيع العودة للمستقبل؟"

رأيت عرفان يحضر ورقة كبيرة ويضعها فوق طاولة صغيرة ذات نقوش عربية وتفريعات نباتية، ثم أحضر من ركن الخيمة ريشة وقنينة حبر، وقال لنا:

(الرد): مرد

"سأخبركما الآن.."

بدأ عزيز برسم بضعة خطوط مكونا مثلث متساوي الأضلاع، ثم رسم دائرة في منتصف المثلث تماما، يتوسطها خط سميك، ثم قال وهو يشير من أسفل الدائرة لأعلى:

"هذا اتجاه الذهاب للماضي، إذا توجهت صوب البوابة ونظرت لمركزها يمكنك السفر للماضي بسهولة، أما إذا سرت في عكس الاتجاه عندها تستطيع السفر للمستقبل."

تساءلت قائلاً:

"ما معنى هذا الكلام؟ هل اخترق الشق بظهري إذن لكي أستطيع السفر للمستقبل؟"

اعتقدت أنها كلمات دارت في رأسي، ولم أدر أنها خرجت من فمي إلا بعد أن أجابني عرفان قائلاً:

"ليس الأمر كما تخيلت، ولكن عدم تواصلك البصري مع مركز الدائرة في هذا الاتجاه يمنحك من السفر للماضي، مما يمنحك فرصة التفكير في وجهتك المستقبلية، لذلك يمكنك إغلاق عينك عند الدخول أو الدخول بظهرك كما فعلت أنا حين دفعني رشدي، فقد ابتعدت خطوات للوراء، وحين سرت عكس الاتجاه، انتقلت للمستقبل ثلاثة أيام، وذلك بسبب الحدث المرتقب الذي كان يشغل تفكيري يومها، وهو عودة والدي من سفره."

"ما رأيك يا مروان؟ هل ستخوض التجربة؟"

سألتني زمردة بفضول، فأجبت:

"نعم ربما، لكن لن أسافر لزماني، سأسافر إلى زمن ما قبل أن أولد."

سألت بتلقائية:

"ولماذا لا تعود لزمانك؟"

قلت بشيء من الحزن:

(الرد: مرد)

" ماذا إن لم تغلق البوابة؟ هل سأعود لأجد نفسي وحيدا من جديد؟ "

نظرت لي بإشفاق، يتعارض مع خيانتها لي، **فقلت لها:**

"لماذا يا زمرد؟"

نظرت لي بتعجب، فأكملت..

" لماذا لم تخبريني بسعيك لتركي وحيدا في هذا الزمان؟ "

نظرت لي بحيرة لم أدر لها سببا، وهي تتسائل بصوت خافت:

" أنا؟ "

هبت واقفا موجها لها نظرات الاتهام، فوقفت بدورها تبادلني نظرات حائرة،

مرت لحظات من الصمت ثم بدأت تصرخ قائلة:

" لست مجبرة على إخبار أحد بكل تحركاتي.. "

اكتسى وجهي بملامح الغضب، بينما ظل عرفان جالسا في هدوء مبالغ فيه، حركت نظرها بيننا في شك، ثم فجأة أخرجت خنجرا صغيرا كان متواريا بين ثنايا ملابسها، ولوحت به في وجهي مهددة، وتوجهت بظهرها صوب باب الخيمة، وهي تهددني بالخنجر لكي أبتعد عنها، لكنني كنت أقترب منها بغضب، وكرد فعل لا إرادي جرحت ذراعي بالخنجر، فتأوهت وأمسكت بذراعي، **بينما سقط الخنجر من يدها وهي تردد:**

"أسفة لم أقصد، أسفة لم أقصد.. أنت الذي..."

ورجعت بظهرها من جديد لكي تستطيع الهرب، ثم انطلقت عدوا حتى امتطت حصانها وانطلقت به تشق الصحراء شقا، فتبادلت النظرات مع عرفان في حيرة مطلقة، فأشار لي أن أدعها تهرب، فنحن لا نحتاج لها الآن، لكنني كنت أحتاج لها بالفعل لتوضح موقفها، أعلم أن معرفتي بها لم تتجاوز العام ونصف، ولكننا قضينا معا أوقات عديدة، كنا نتحدث بالساعات، ونصمت بالساعات، ونفكر سويا، حتى الطعام كنا نتناوله سويا، كنت أنتظر منها أي

(الرد: مرد)

تفسير، وكنت سأسامحها بدون اعتذار، ولكن يبدو أنني كنت مخطئاً، وطوال الفترة السابقة كانت تعاملني بذلك الود، وهي تخفي ما لا تظهر.

وكأن عرفان قد شعر بما أفكر به، فقال لي **مواسيا:**

"دعك منها، فلتحمد الله أنها انكشفت أمامك الآن، قيل أن ترحل وتتركك وحيداً ها هنا.."

فهزئت رأسي في أسي وأنا أقول:

"معك حق.."

مر عام آخر وأنا أتعلم من عرفان أساسيات السفر الزمني، علمني كيف أركز في زمان بعينه، وكيف أسيطر على عقلي أثناء دخولي البوابة، كما علمني أيضاً كيف أسافر لبقعة بعينها في المستقبل القريب أو البعيد، حتى أنه علمني كيف أتحكم بظهور النمر – الذي كنت أعتقد قطاً – واختفائه.

أثناء تلك الفترة لم يتوقف بحثي عن زمردة لكنني لم أجدها تماماً في أي مكان وكأنها تلاشت، حتى المرأة التي تؤويها لم ترها منذ أن صحبتني للقاء عرفان، كنت حزينا ولكن الجدة صفية كانت تواسيني دائماً وتطلب مني أن ألتمس لزمردة العذر، بسبب ما بيننا من عيش وملح كما كانت تقول، لكنني كنت أهرز رأسي برفق دون اقتناع، فأنتم تعلمونني وتعلمون أنني لا أحب النهايات المفتوحة، فما بالكم في الأمور الحياتية؟

كان عرفان يعلمني كل ما يعلم عن السفر عبر الزمن، حتى أنه كان يعطيني من تلك العشبة التي كان يقطعها من الشجرة الموجودة خارج الكهف، وكان دائماً ما يخبرني بأهميتها في حماية عقلي أثناء السفر الزمني، إلا أنه كان يتركني أحياناً بسبب أسفاره ويرافقني في أحيان أخرى، وكان جدي فريد يحب رفقنا في بعض أوقات فراغه، وكان يحب أن يتحدثني أن أسافر لزمن ما، وأعود لذات اللحظة، في البداية كنت أتركه طويلاً منتظراً مع عرفان، ولكن بمرور الوقت كنت بالفعل أسافر لذات البقعة الزمنية، كان الأمر بالنسبة لي يشبه رحلة، وكأنني أتجول بين الممرات الزمنية حتى أصل للزمن الذي أريده.

(الرد): مرد

عندها جاءت اللحظة الفاصلة، لحظة وداع أسرتي الثانية، الجد فريد والجدّة صفية، وعبد الله وسليمان، كنت أتمنى أن أقول زمردة أيضا لكن بكل أسف وكما أخبرتكم فهي حرفيا تلاشت من هذا الزمان.

كنا واقفين جميعا أمام البوابة الزمنية، كانت لحظة الوداع قاسية، لكننا تغلبنا عليها حين **قال سليمان:**

"سأفتقدك نعم، لكنني أريدك أن تولد يا حفيدي العزيز."

فابتسمت وعانقته بتأثر وأنا أمنع دمعة فارة من الهرب من عيني،

بعدها التفتت إلى عرفان قائلا:

"أشكرك يا عرفان على كل ما فعلت من أجلي على مدار العام السابق."

أجابني بابتسامة حنون:

"لم أفعل شيئا يا مروان، أنت الذي فعلت كل شيء، بي أو بدوني، فالموهبة لديك."

قلت له متسائلا:

"ألن ترافقني يا عرفان؟"

وضع يده فوق كتفي وهو يقول:

"أثق بأنك ستفعلها وتلتقي أهلك، وأثق بأنك ستغلق البوابة بمساعدة والدتك."

ثم عانقتي وهو يقول:

"سأفتقدك يا مروان، خذ حذرك."

هزرت رأسي ثم لوحت بيدي لهم جميعا، وحين وقفت أمام البوابة مباشرة، التفت نحوهم مبتسما، ثم أخذت نفسا عميقا، وخطوت بداخلها خطوات بطيئة لكن واثقة..

وداعا يا زمن الأجداد!

(مشاعر نقية) مريم

كنت أستمع لرواية مروان، وأنا أرتجف من داخلي، وأشعر بسعادة خفية، وبفخر عجيب لأن هذا الشاب هو ولدي، دعوت الله بسري أن يولد هذا الشاب ويكون عوناً لي ولوالده، لا أريده أن يضيع عبر الأزمان وهو يحاول إنقاذنا ولا نستمتع بحياتنا معه، قال يوسف معقبا:

"لا تحزن يا ولدي على ما رأيت من زمردة، سترى الكثير في تلك الدنيا."

هز رأسه مبتسما بأسى وهو يقول:

"نعم يا والدي، أشكرك."

وقالت أمنية بتعجب:

"يبدو أن الشرير ذو الشعر الأشعث، والملامح غير المريحة، والنوايا الخبيثة، انتهى وجوده، الآن قد يكون هناك من يصطنع خوفه عليك، ومن أمامك قد يتمنى لك الخير، وفي نفسه لا يضررك إلا الشر."

قلت لهم بشيء من المنطق:

"لا أستطيع أن ألوم زمردة، لست أدري لماذا.. أشعر بأنها ضحية بشكل أو بآخر، فعلى الرغم من الطريقة التي اتبعتها لإنقاذ أهلها، إلا أنها تبدو كتومة منذ البداية كما لاحظتكم، وكأنها طائر يغرد وحيدا دون سربه، فمَنْذ أن تعرفت على فريد وأسرته، لم تخبرهم بشيء، إلا أنها عند المواجهة، لم تنكر شيئا وقصت قصتها ببساطة."

قال مروان ولا يزال الضيق بادياً على ملامحه:

"لماذا إذاً لم تبرر موقفها حين واجهتها؟"

تأملت انفعالاته وأنا أفكر، ذلك الفتى لا يبدو لي أنه حزين لفراق رفيق، هناك ما هو أكثر من ذلك، فواسيته قائلة:

"لعل لها عذر.. لا نعلمه."

(الرد): مريم

قال لي بضيق أكبر:

" وفيما يفيد هذا، لقد تركتها وحيدة في ذلك الزمن، وفعلت بها ما كادت أن تفعله بي."

ممم هناك شعورا بالذنب إذن بالإضافة إلى تلك المشاعر الخفية، يبدو أن مشاعره النقية وصلت لنا جميعا، فقال يوسف:

"ما رأيك أن تأت معنا للمنزل لكي لا نتأخر أكثر من ذلك، ونستكمل حديثنا هناك."

فقال مروان ببراعة:

" كيف هذا؟ بم ستخبرهم؟ "

أجاب يوسف مبتسماً، وهو يربت على كف يده:

"سأقول لهم إنك صديقي العزيز."

"تك تتك تك تك.. "

طرقت باب الفيلا بإيقاعي المفضل بهدوء، لحظات ثم فتحت لي ريم بابتسامتها البشوش، نقلت بصري بينها وبين أدهم بحركة لا إرادية، ثم لوهلة لم أدر كيف أقدم لها مروان، فقدمت لها أدهم ومريم وأمنية أولا، فأشرق وجهها وهي تفسح لهم الطريق مرحبة بهم، ثم نظرت لمروان باهتمام في انتظار أن أقدمه لها،

فسبقني هو قائلا بابتسامة عريضة، وكأنه ينتظر أن تتعرفه ريم:

"أنا مروان زميل يوسف في الجامعة. "

نظرت له ريم بعدم فهم، وهي تتساءل في نفسها عن سر تلك الابتسامة العريضة، وهي تقول:

" أهلا وسهلا، تفضلوا. "

دلفنا إلى داخل القصر ثم التفتت خلفي لأجد مروان لا يزال واقفا في مكانه بلا حراك يتأمل شيئا ما، ناديته متسانلا:

"مروان ماذا هنالك؟"

قال بتلقائية مقطبا حاجبيه وهو يفكر في شيء ما:

"أنظر يا أبي، ذلك الرسم لم يكن موجودا لدينا، لأن جدي قد جدد القصر بعد زواجك. "

هنا اتسعت عيناى على آخرهما وظهر شبح ابتسامة بلهاء على وجهي، بينما عادت ريم بعد أن خطت عدة خطوات داخل الفيلا وهي تنقل بصرها بيني وبينه بتعجب شديد، قائلة:

"لماذا يخاطبك بأبي يا يوسف؟ ومن هذا الذي تزوج؟ "

الزوجة: بوس

ارتفع حاجبائي ولم ارد، فقالت مريم:

" إنها دعابة فيما بينهما يا ريم.. "

فقالت ريم:

"لا، بل هناك شيئاً ما تخفونه عني، وأريد أن أعلم ذلك الشيء.. "

قال مروان كمن يعترف قبل أول صفة كما يقولون:

"أعتذر لكم جميعاً لكنني لم أعتد أن أخفي شيئاً عن عمتي، سأخبرك بكل شيء يا عمتي. "

هنا ضحكت ريم بشدة وهي تقول:

"عمتي؟ من عمك؟"

فقال أدهم وهو يشير جهة غرفة المكتب:

" لن نستطيع التحدث هنا يا ريم.. دعينا لنتحدث بغرفة المكتب أفضل.. "

قالت ريم بمزید من الدهشة:

" ماذا يحدث هنا؟ وكيف علمت أن تلك هي غرفة المكتب؟"

لن تتركنا ريم اليوم، على الأغلب سنظل واقفين أمام الباب نتحدث حتى نفهم ما يحدث..

هنا أحاطت مريم كتفيها بذراعها وهي تقودها عبر الاستقبال لتصل بها إلى غرفة المكتب ونحن نتبعها بعد أن أحكمت غلق باب الفيلا، وهي تقول لها:

" انظري يا ريم، الأمر أكبر منا جميعاً، تعالي معنا وستفهمين كل شيء.. "

الزوجة: بومس

هزت ريم رأسها يمينا ويسارا بعدم تصديق لما يقرب من الخمس وسبعين مرة، وذلك بعد أن روينا لها ما حدث باختصار، لماذا أشعر بأن تلك القصة تسيير بالمقلوب من النهاية للبداية، وكأن الأحداث تحدث في المستقبل ثم نعود للماضي لإستكمالها، المهم إننا انتظرنا قليلاً حتى بدأت تهذاً ثم قالت:

"وماذا الآن؟"

قال مروان:

"سنغلق البوابة بالطبع.."

فقال أدهم متسانلاً:

"وماذا عن الرسم الذي أشرت إليه بالخارج منذ قليل؟"

أمسك جبهته وهو يقول:

"نعم تذكرت، هل يمكن أن أفحص شيئاً في المدخل؟"

قلت له بترحاب:

"منزلك يا مروان، تفضل بالطبع.."

راففته أنا وأدهم بينما تركنا الفتيات بالغرفة، وتوجهنا نحو الجدار الخارجي لنكتشف ما أثار فضول مروان.

الزئبق: بومس

قام مروان بإحكام غلق مصراعي الباب، ثم بكلتا يديه أشار نحو وجه النمر المنحوت في منتصف الباب، ثم فرد يديه بحركة مسرحية ليشير إلى جناحين تم حفرهما بدقة على المصراعين، ثم نظر إلى الأرض أسفل قدمه بتركيز، إن ظننتم أنني قد فهمت ما يشير إليه، وإنني سأفسر لكم الآن ما يفعل فأنتم واهمون.. سألته بفضول قائلا:

"ما الذي يلفت انتباهك؟"

قال لي بحماس:

"لقد تم تجديد الفيلا وطلائها قبل حفل زفافك أنت وأمي، لذلك لم ألاحظ تلك الرسوم من قبل، وحتى وإن كنت لاحظتها، لم أكن لأعلم إلى ما تشير، ولكن الآن بعد كل ما حدث، وحين رأيت تلك النقوش أضاءت في عقلي فكرة غريبة، ولكنها منطقية، ذلك الوجه الذي يبدو منحوتا فوق خشب الباب، أحيانا كنت أراه يشبه وجه أنثى الأسد، وفي أحيان أخرى كنت أراه وجه نمر، ولكن عيونه الكحيلة تشبه عيون القط الأبيض الذي كان يساعدني، والذي أخبرني عرفان عنه أنه نمرأ وليس قطاً."

ثم التقط أنفاسه واستكمل قائلا:

" تلك الأجنحة المنحوتة على مصراعي الباب، ذكرتني بصوت رفرقة الأجنحة التي تسمعها أُمي عند دخولها الكهف، وكما أخبرني عرفان فإن حارس أُمي هو الصقر.. أما ذاك الحصان غريب الشكل المنحوت بمقبض الباب بدقة، فلست أدري تحديدا ما صلته بالأمر.."

تأملت الحجر أسفل قدمه والرسم المحفور عليه، فأضاء مصباح الفهم في عقلي فجأة فقلت:

" ما فرصة أن يكون الرباط هو نتيجة اندماج النمر حيوانك الحارس، والصقر الذي يحمي مريم، والحصان الذي لا نعلم مالكة، ليكون ذلك الكائن المحفور فوق حجر الأرضية."

الزمن: بومس

اقترب أدهم من البلاطة الحجرية الأرضية، وتأمل الشكل المنحوت الذي يمثل اتحاد رأس النمر وجسم حصان وجناح طائر، ثم قال:

"منطقي جداً، ولكن انظروا هكذا معي.. لماذا تتألق البلاطة الحجرية بتلك الألوان المشابهة لأضواء البوابة الزمنية؟"

قال مروان ببديهية:

"لأن هذا هو حجر الانتقال عبر الخطوط الزمنية.."

اقتربت من الحجر برهبة ولم أجرؤ على لمسه، لكن لاحظت أن تلك الألوان ما هي إلا أحجار كريمة صغيرة تطعمه، فقلت متسائلاً:

"هل تلك الأجزاء الملونة أحجار كريمة؟"

اقترب أدهم أكثر قائلاً:

"فيما يبدو، لحظة، هذا الحجر الأخضر أنا أعرفه، لقد قرأت عنه من قبل."

نظرت له مستحثاً إياه على إكمال كلماته، فقال:

"اسمه حجر الأمازيت.."

سأله قائلاً:

"حجر ماذا؟"

أجابني باستفاضة قائلاً:

"حجر الأمازيت، كما قرأت عنه من قبل، هو حجر كريم قديم للغاية، تم تقديره لجماله وقوته وقدراته العلاجية لعدة قرون، وقرأت أيضاً أن المصريين القدماء قد استخدموه في التماثيل والتماثيل، والمجوهرات، حيث اعتقدوا أنه رمزاً للخصوبة."

قال مروان مفكراً:

"يبدو لي ذلك الحجر رائعاً بألوانه التي تتدرج من الأخضر إلى الفيروزي، لست أدري كيف لم ألاحظه من قبل!"

قلت له:

" حين تحيا ذات الحياة مرتين، بالتأكيد سترى أشياء لم تبد لك من قبل. "

هز رأسه بالإيجاب، فتساءلت دونما انتظار إجابة قائلا:

" ترى هل استخدمه قدام المصريين، بسبب فوائده المعنوية أم بسبب تركيبه وتكوينه؟"

" لست متأكدا من الأمر، لكن ما أعلمه أنهم استخدموه، لإيمانهم بأنه يهدئ التوتر، ويزيل أي أفكار سلبية، أما من ناحية التركيب فإن ذلك الحجر يحمي من تلوث المجالات الكهرومغناطيسية، وذلك لأنه يحتوي على نسبة لا بأس بها من الرصاص."

هنا بدأ عقلي في استيعاب ما يرمي إليه أدهم فقلت:

" معنى هذا أن أحجار الأمازيت تلك المستخدمة في تطعيم القصر، غرضها الحماية من الأشعة الكهرومغناطيسية، النابعة من البوابة، والتي قد تكون أشعة جاما؟"

هز أدهم رأسه ببطء أن نعم، فأكمل مروان بحماس:

"لذلك قرروا استخدام خامة مشبعة بالرصاص بهدف الحماية من التأثير الضار لأشعة جاما."

كنت قد سمعت أن أشعة جاما هي المكون الأساسي للثقوب الدودية^{٢٥}، فقلت متسائلا:

^{٢٥} أشعة جاما هي أشعة كهرومغناطيسية، تم اكتشافها سنة ١٩٠٠ على يد العالم الفرنسي فيلارد. وهي نتاج للتفاعلات النووية التي غالبا ما تحدث في الفضاء، كما تنتج أيضا من العناصر المشعة مثل اليورانيوم وباقي النظائر المشعة. ولذلك تحرم المعاهدات الدولية إجراء هذه التفجيرات.

^{٢٦} الثقب الدودي the wormhole هو عبارة عن ممر نظري عبر الزمان والمكان، يمكن أن يخلق اختصارات لرحلات طويلة عبر الكون، في عام ١٩٣٥، استخدم " أينشتاين" والعالم الفيزيائي "نathan روزن" نظرية النسبية العامة لتوضيح فكرة وجود الثقوب الدودية حيث اقترحا وجود " جسور" تمر عبر الزمان والمكان، وتربط بين نقطتين مختلفتين في الزمان والمكان، فمن الناحية النظرية تقوم تلك الجسور بإنشاء

(الرد): بوس

"تقصدون أن تلك الأشعة الضوئية هي إحدى المداخل المؤدية لثقب دودي؟"

في اللحظة التي هزوا رؤوسهم فيها بالإيجاب، خرجت الفتيات اللواتي كنا قد نسينا وجودهن بالداخل، وفيما يبدو أنهم قد سمعوا بعض أطراف الحديث، حيث قالت ريم بدهشة:

"معذرة يا شباب، ولكن على حد علمي فإن أشعة غاما ذات تأثير ضار جداً على الخلايا الحية، ولولا أن من الله علينا بوجود الغلاف الهوائي حول الأرض الذي يمتص ويشتمت هذه الأشعة ذات التردد الموجي العالي والطاقة الكبيرة، لانعدمت الحياة على سطح الأرض، وذلك لأن أشعة جاما لها قدرة فائقة على النفاذ واختراق الأجسام وتدمير الخلايا الحية، فكيف يمكن فتح منفذ لها على الأرض؟! "

فقال أدهم بهدوء:

" وهذا بالضبط ما كدت أن أوضحه، ففيما يبدو أن حجر الأمازونيت مشبع بكمية لا بأس بها من الرصاص، لكي تقاوم تأثير أشعة جاما، حيث تحتوي الأشعة وتمنعها من الخروج عن المثلث الوهمي الذي يحمي البوابة الزمنية من جهة، ويحمي البشر من أضراره من جهة أخرى.. "

كنت أسمع نقاشهم بينما أتفقد الحجر الأرضي المتحرك، هناك موضع إصبعين على طرفي البلاطة الأيمن والأيسر، جنوت على ركبتني لأقترب أكثر، وقمت بتثبيت أصبعي السبابة عند طرفي البلاطة الحجرية، ثم ضغطت، ولشدة دهشتي انفتحت البلاطة لأعلى حول محور لم أره، لتتصنع فتحة تكفي لمرور إنسان بالغ، ثم اقتربت أكثر لألاحظ تلك الدرجات الحجرية التي تتجه لأسفل.. ثم فجأة تراقصت أمامي تلك الظلال السوداء، فجفلت وابتعدت للخلف حتى كدت أن أسقط على ظهري، لأسمع ضحكات الجميع، فقد كانت تلك الظلال هي ظلالهم وهم ينحنون بجواري لكي يستكشفوا ما بداخل تلك الفتحة.

اختصار يمكن أن يقلل من وقت السفر والمسافة، وقد أطلق على تلك الجسور الثقوب الدودية، وعلى الرغم من أن نظرية آينشتاين للنسبية العامة تنبأت رياضياً بوجود الثقوب الدودية، إلا أنه لم يتم اكتشاف أي منها حتى الآن، ولكن قد يتم رصد الكتلة السلبية للثقب بواسطة الطريقة التي تؤثر بها جاذبية الثقب الدودي على الضوء المر.

(الزوجة): بوس

ابتسمت وأنا أقول بشيء من الارتباك:

"اعتقدت شيئاً يحاول الخروج من الفتحة."

فقالت مريم بابتسامة:

"لا عليك، كنا لنفعل ذات الشيء إذا كنا مكانك."

بينما قالت أمنية متسائلة:

"هل نجرب النزول لأسفل لنرى ماذا هناك؟"

قال أدهم:

"أمنية الصغيرة تختلف تماماً عن أمنية الكبيرة."

هزرت رأسي مؤكداً، وأنا أقول:

"نعم لاحظت ذلك، أمنية الصغيرة تتميز بالجرأة وروح المغامرة."

بينما قالت مريم مازحة:

"ربما يكون علاء هو السبب."

بالطبع لم تفهم ريم ما نرمي إليه، فهي لا تعلم لا أمنية الكبيرة ولا الصغيرة ولا حتى علاء، فقالت:

"بالنسبة لي لا أستطيع مرافقتكم، فالعائلة على وصول، ولا أعلم بماذا أخبرهم، لذلك سأنتظر بالمنزل لحين عودتكم."

فعبثت على كلماتها قائلاً:

"ممتاز، لا أعتقد أننا سنكون بحاجة للفتيات أيضاً، يمكنكم البقاء مع ريم يا فتيات."

فقالت أمنية:

"بالطبع لن أبقى، إن أرادت مريم البقاء مع ريم، فلها مطلق الحرية، لكنني ذاهبة معكم، بعد إذنكم بالطبع."

(خارج السياق - ٧) يرويها مجهول

بعد حديث طال بين الشاب الغريب والفتى المتمرد، أفضى المتمرد للشاب الغريب بتفاصيل حياته وأسرته، حتى أنه أخبره بالحادث الذي حدث منذ سنوات لوالدته وأخيه، وأخبره عن قلق والدته الشديد ورغبتها منذ ذلك الحين في الرحيل وترك المنزل، والسبب الوحيد الذي يصبرها على البقاء هو والده الرجل الطيب، فوالدته تؤمن بوجود كائنات أخرى لا ندري عنها شيئاً، تلك الكائنات هي وراء كل ما يحدث بالمنزل، بينما الأب يطمئنها ويخبرها أن ما هم بضارين من أحد إلا بإذن الله.

عندها لمعت عينا الغريب وطلب من الفتى طلباً عجيباً:

"سنلعب معهم لعبة، ما رأيك؟ غدا سنقف أمام النافذة، وتلقي بحجر صغير فوق درج السلم، ولكن حاول أن تستهدف البلاطة ذات الفصوص الخضراء بحيث تراها تهتز شيئاً قليلاً، ما رأيك؟"

بالطبع لم يفهم الفتى هدف اللعبة، فهز رأسه في ملل، وهو يفكر في تلك الحافلة التي لن يصل إليها في الموعد بالتأكيد، فالمساء قد اقترب وهو لا يزال مع ذلك الشاب، الذي وعده بتنفيذ كل ما يطلب، ولكن هل بالفعل سينفذ له الشاب كل ما يريد بالتبعية؟ سيعقد له اختباراً بسيطاً، لقد وعده الشاب بأنه سيلحق بالحافلة المدرسية، سنر الآن كيف سيحدث ذلك.

ركب الفتى سيارة الشاب، الذي انطلق في طريق يختلف عن طريق المدرسة، عندها شعر الفتى بالقلق، وخاصة عند توقف السيارة أمام ذلك الكهف الموحش، إلا أنه طلب منه أن يرافقه لدخل الكهف، فرافقه بتردد وهو يشعر بشيء من الخوف، لم يرد أن يبدي شعوره للشاب، فحاول الحفاظ على رباطة جأشه، إلا أن الشاب قام بفعل شيء ما قبل دخولهما الكهف تعجب له الفتى بشدة، التقط ورقنتين من تلك الأشجار العجيبة الموجودة أمام مدخل الكهف، ثم بدأ يمزغ إحداها، ثم ناوله الأخرى قائلاً:

الزوجة: هوى

"لا تدخل الكهف قبل أن تتناول إحدى تلك الأوراق، اتفقنا؟"

هز الفتى رأسه بتوتر قائلاً:

"اتفقنا."

ثم تناول منه الورقة ومضغها سريعاً، محاولاً ألا يشعر بحبيبات التراب الممتزجة بالورقة، دخلاً إلى الكهف وأضاء الشاب كشافاً صغيراً ليضيء الطريق، وحين تفرع الممر اتخذوا الممر الأوسط، حتى وصلا إلى تلك الأشعة الملونة، ثم أمسك الشاب بيد الفتى بقوة ودخلا البوابة، ثم فجأة وجد الفتى نفسه ينتظر أمام المدرسة من جديد، نظر إلى ساعة يده، ليجد أنها لا تزال الثانية ظهراً، ثم ألقى نظرة على يساره ليجد ذلك الشاب في سيارته يلوح له من بعيد، ويشير له بإبهامه إشارة بمعنى **"كل الأمور تحت السيطرة"**. فأشار له الفتى بالتبعية ثم ابتسم متعجباً مما حدث، ولم تمر الخمس دقائق حتى وصلت الحافلة وركب الطلاب مسرعين، ووصل الفتى لمنزله في موعده بسلام، صدق الشاب وعده، فبدأ للفتى إنها ربما بالفعل ستكون صفقة رابحة..

(أمنية) ترويها أمنية

منذ أن بدأت الرواية وأنتم تتساءلون، ترى من هي أمنية؟ وربما أردتم التعرف عليّ بشكل أكبر، وها أنا ذي أقص عليكم ذلك الجزء من الرواية، لأنني وددت أن أنقل لكم مشاعري بنفسي، في البداية أعلم أن لديكم انطباعا عاما تكون لديكم حول طباعي الأنثوية التي تحدث عنها الجميع، أحب أن أخبركم أن تلك الطباع لم تكن سوى نتيجة حتمية لكوني فتاة وحيدة، لأخين أكبر، بالتالي انفردت بالتدليل الخالص من والدي ووالدتي، كانت والدتي دائما ما تنثني على جمالي وأنوثتي ورقتي، على الرغم من إنني كنت أرى نفسي من وجهة نظري فتاة عادية للغاية، إلا أنه كان هناك ذلك الجزء الأنثوي البحت في روحي، الذي كان يحب بشدة، ويغار بشدة، ذلك الجزء الذي لا يستطيع أن يكبت مشاعره، فيغضب بطفولية مطلقة، ويخاف، ويقلق ويرتعب على كل من هو غالي، وكل ما هو غالي، نعم أخاف كثيرا، حتى أن المقربين مني يرونني جبانة، لا أجرؤ على فعل شيء غير محسوب تماما، لكنني أخبركم أنني لم أكن جبانة بقدر ما كنت حذرة، لذلك تجدون أدهم الآن يضرب أخماسا في أسداس، وهو يراني مصرة على موقعي في النزول معهم إلى ذلك القبو، حتى اضطرت مريم لمرافقتنا رغما عنها، بالتأكيد أشعر بالقلق، فأنا كما أخبرتكم أخشى كل ما لا أراه، لكن ضع نفسك مكاني إذا سمحت، ماذا تفعل إن وجدت أصدقائك لم يعودوا أصدقائك، ولكن عادت نسختهم المستقبلية في الزمن ليوقفوا أحداثا سيئة ستصيبهم، وقد تصيبك معهم، ألن يتغلب وقتها فضولك على خوفك؟ هذا ما حدث معي، سبب رغبتي في المشاركة، هي رغبتي في الاطمئنان، أي أن تلك الجرأة بدافع الخوف أيضا، لكنه خوف من المستقبل، مستقبلي، ومستقبل أصدقائي.

وعلى الرغم من حماستي تلك، إلا أنني كنت آخر من يهبط الدرجات الحجرية، بالطبع كان أدهم هو أول من تقدمنا، كانت خطواتي غير واثقة تتظاهر بالثبات، في كل خطوة كنت أخطوها كانت ضربات قلبي تزداد فبدأت

(الراوي: لمينه)

أبسمل وأحوقل في سري؛ لعل قلبي يهدأ، هبطنا ما يقرب من خمسين درجة حجرية، أي ما يقارب ثلاث طوابق، إذا افترضنا أن ارتفاع الدرجة الواحدة يساوي قدر ارتفاع درجة السلم الواحدة مرة ونصف، حمدا لله أنه هبوط، فالصعود أصعب بكثير، على الرغم من ذلك تسارعت أنفاسي حتى وطأت قدمي آخر درجة، وهنا تعجبت لشيء ما، لم أكد أفكر فيه حتى وجدت يوسف يقول:

"كيف يصل الضوء إلى هنا يا ترى، لم أشعر بأي قدر من الظلام حتى وصلنا لآخر درجة سلم."

هزرت رأسي مؤيدة كلماته، بينما قالت مريم:

"هناك شيء لا يريحني فيما يحدث."

هنا رأيت حجم يوسف يتضخم ضعفين أو أكثر، بينما بدأت تظهر الأنياب على فك أدهم، فشبهت بصرخة واقتربت من مريم لأجدها تصرخ بالتبعية، ورأيت فقايع تملأ وجهها فابتعدت عنها، ثم سألنا أدهم بأنيابه العجيبة:

"ماذا هنالك يا فتيا؟!"

ثم ابتلع باقي الكلمة وهو ينظر لنا برعب، بينما قال مروان بهدوء لم أستطع استيعابه:

"أخبرني عرفان أن نزول القيو يستلزم معالجة الوهم البصري، يبدو أن أعراضه بدأت تظهر علينا، من منكم يرى تلك الثعابين التي تخرج من أرض القيو؟"

هزنا رؤوسنا أن لا، فأكمل بذات الهدوء:

"لقد أخبرني أنني أستطيع القضاء عليه من خلال القط، أقصد النمر لكني لا أعلم كيف.."

فقال يوسف بذهول:

"حاول يا مروان، لأن ما نراه ليس أفضل شيء بالطبع."

سألته بفضول:

" ماذا ترى يا يوسف؟"

فأجاب قائلا:

" لن أستطيع أن أخبركم لكن يبدو أن تلك الأوهام تحقق أسوأ مخاوفنا."

هزت مريم رأسها الذي يزداد تضخما بسبب الحبوب والفقاقيع موافقة، وهي تقول:

"نعم هذا حقيقي جدا، فأنا الآن أحاول السيطرة على كل الأفكار السيئة التي أراها مجسدة أمامي."

فقلت لمروان:

"حاول إذن يا مروان أن تخلصنا من ذلك الوهم."

"حاضر يا طنط أمنية.."

قالها بسعادة مفرطة فأجفلت من الكلمة، طنط؟ لماذا يا مروان؟ أسوأ مخاوفي قد تحقق دون وهم بصري، وهي أن يناديني أحدهم بكلمة طنط، تذكرت صديقات والدتي، حين بدأت أقاربهم في الطول، كانت كلمة طنط، أو خالة تزعجهم بشدة، الآن شعرت ذات الشعور، لكن ترى بم أنادي صديقة والدتي إذن؟ هزرت رأسي بابتسامة مجاملة، ثم انتظرنا جميعا حوله، وهو يحاول استدعاء ذلك النمر، الذي فيما يبدو يحضر بناء على أهوائه الشخصية.

ظللنا على هذا الحال ما يقرب من ربع الساعة، وبدأنا نشعر بالملل، فقال أدهم: "أعتقد يا مروان أنه من الأفضل أن نتحرك، ويمكنك أن تعيد الكرة من جديد فيما بعد، أهم شيء ألا نصدق أي شيء مما نراه."

هز مروان رأسه في طاعة، ثم واصلنا المسير، وحين خطونا بضع خطوات شعرت برهبة لم أدر لها سببا، كنت أشعر برجفة في جسدي، وهممت بأن أسألهم عن شعورهم، إلا أن أدهم سبقني خطوات بسؤال الجميع قائلا:

(الراوي: أمينة)

" هل تشعرون برهبة تفوق رهبتنا حين كنا ندخل الكهف؟ أم أن الإنسان كلما صغر سنه كانت مشاعره أكثر تجسيميا؟ "

فأجبت بصوت مهزوز قليلا، وأنا أتقدم معهم:

"لم أدخل الكهف معكم من قبل ولكن يمكنني القول أنني أشعر بثقل يجثم على أنفاسي، وخاصة مع تلك الأوهام البصرية التي أحاول أن أقنع نفسي بعدم وجودها."

فقال مروان:

" الغريب أنك لن تدخل الكهف في المستقبل أيضا يا طنط أمنية. "

هزرت رأسي بشيء من الضيق مرة أخرى، وأنا أهم بالرد، فأنا لست طنط،
لكن يوسف قال وهو يضيء كشافا لينير طريقنا:

" لا أعتقد أن تلك كانت مشاعري في الماضي، بل كنت أشعر وكأن شيئا كئيبا يحدث، لكن الآن يجتاحني شعورا بالخوف وعدم الطمأنينة لا أدري كنهه."

وأكملت مريم قائلة:

"أشعر بأن مشاعرنا صارت وكأنها مشاعر مجسمة ثلاثية الأبعاد، وكأنني صرت أشعر بكل شيء من حولي. "

الغريب أن كلمات مريم فتحت نقاشا من العسير تخيله في مكان مثل هذا، فبينما يرى كل منا الآخر بشكل يجسد أسوأ مخاوفه، إلا أن يوسف قال وكأنه لا يشعر
بالقلق الذي نشعر به:

"بالضبط، لقد قرأت كتابا في المستقبل الذي أتينا منه، يتحدث عن اعتياد الإنسان في صغره على استخدام كل حواسه في التعرف على أي شيء، لذا حينما يبدأ الطفل في التعرف على الأشياء من حوله فإنه يحاول أن يستخدم كافة حواسه، تخيلي مثلا طفلك وقد بدأ يتعلم الزحف، حتى يصل إلى مكان الأحذية، فإن أول ما يفعله هو أن يبدأ يقلب الحذاء بيديه لكي يتعرف عليه بحاستي اللمس والبصر، ثم يبدأ يضرب به الأرض لكي يتعرف على الصوت الذي سيصدره

(الراوي: أمينة)

وهكذا يستخدم حاسة السمع، كل هذا وأنت لا تكثرين على الأغلب، إلا أنه في الخطوة التالية يقوم بوضع فردة الحذاء في فمه لكي يتذوقها عندها بالتأكد سيجن جنونك، أخرج الحذاء من فمك نحن نسير به على الأرض الفذرة، لكن إن فكرت بالأمر فهو لديه مجموعة من الحواس التي يحاول من خلالها استكشاف العالم من حوله، لذلك تكون ذاكرة الطفل قوية، وكما يقال فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، أتعلمون لماذا؟"

أخذت نفسا عميقا ألتمس منه الشعور بالطمأنينة، ثم أغمضت عيني لكي أمنعها من رؤية الثعابين التي تخرج من ثقوب الأرض من حولي، فأكمل يوسف، وكأنه لم ينتظر ردا، قائلا:

" لأن الطفل يستخدم كافة حواسه في الاستكشاف والتعلم، وكلما كبر قليلا، كلما نقص اعتماده على حواسه وزاد اعتماده على حاسة واحدة فقط."

بدأت أهدأ قليلا فعقبت قائلة:

"لذلك ونحن أطفال كنا نشتم رائحة الصباح ورائحة التجمع العائلي، ورائحة الخريف والذهاب إلى المدارس، ورائحة رمضان والأعياد، كان كل حدث بالنسبة لنا حالة ومجموعة كاملة من الخبرات."

وأكملت مريم:

" صحيح، حينما كنت أخرج من المدرسة في موعد انتهاء اليوم الدراسي، كنت أشم لزحام الأطفال رائحة، وحين كنت أعود للمنزل باكرا في أيام الاختبارات، كنت أشم رائحة شمس الصباح ورائحة اليوم البكر الذي يتبقى فيه الكثير ليتم إنجازه، حتى التجمعات العائلية أيضا، كانت لها رائحة الود والدفء."

فقال يوسف مؤكدا على كلمات مريم:

" بالفعل يا مريم هذا صحيح، أتعلمين أن تلك التقنية تعتبر علاج نفسي فعال للقضاء على النسيان المتكرر، من خلال استخدام كافة الحواس التي لا تستخدم في المعتاد بهدف تذكير العقل، كأن تذهبين مثلا في رحلة بحرية بهدف الاستجمام، فإن حاولت أثناء الاستمتاع بالرحلة تصفية ذهنك تماما، ثم غذيت

(الرؤي): الزمنية

بصرك بتداخل ألوان البحر مع السماء، ثم تغمضين عينيك، بينما صوت الأمواج وارتطامها بالصخور ينساب عبر أذنيك، ثم تشمين رائحة اليود بالمياه، وتشعرين برذاذ الموج يداعب وجهك، حينها سيجتاحك الشعور بمشاعر مختلفة وكأنك أخرجتني من رأسك كل ما يشغلها، وستتحفر تلك اللحظة في عقلك أبد الدهر.

ابتسمت بشيء من الخبث، حين لاحظت تودد يوسف المتزايد لمريم، لو كنا وحدنا لكنت ألقيت على مسامعها بعض الدعابات عن هذا الأمر، لا أخفيكم سرا، لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التعليق، فقلت بشيء من السخرية:

"يعجبني حديثكما، وخاصة إنه يتلاءم مع الجو الشعاري الذي يحيط بنا. "

تحنحت مريم بشيء من الحرج، بينما قال يوسف:

"وددنا تمضية الوقت حتى لا نتأثر بتلك الأوهام العجيبة.."

يبدو أنني تسرعت بإلقاء ذلك التعليق الذي أشعرهم بعدم الراحة، تابعنا المسير، بينما تابع أدهم التقدم في الكهف بخطى واسعة، دون أن يشاركنا الحديث، حتى أنه سبقنا بخطوات، بدا لي منشغلا بأمر ما، كدت أن أسأله، لكننا كنا قد وصلنا إلى كتلة ضوئية تخرج من أرض القبو وتستمر حتى تبلغ سقفه، بينما على اليمين وعلى اليسار ممران يشبهان الممر الذي أتينا منه، هل تلك هي البوابة الزمنية التي أخبروني عنها؟ أرسل عقلي الكلمات إلى شفتي، فتساءلت بتعجب:

"تلك هي البوابة الزمنية إذن! "

هز أدهم رأسه بعدم تركيز قائلا:

"نعم هي، أعتقد أن هذا هو منبعها الذي أخبرنا عنه مروان."

إلا أنه قال مُشيراً إلى ظل يخرج من البوابة ثم يقترب منا:

"ولكن ما هذا؟ وهم بصري آخر؟ "

(الراوي: أمين)

نظرنا جميعا إلى موضع إشارته، فأجفلت وأطلقت صرخة صغيرة رغما عني وأنا أمسك برداء مريم، التي شهقت حين رأت ذلك الظل، فقال يوسف:

"يبدو أنه مسافر زمني."

قال أدهم:

"يبدو هذا، لنقترب أكثر لنفهم."

اعتقدت لوهلة أن الظل هو جزء من الوهم البصري؟ إلا أن مروان قال بحماس:

"ما هذا؟ إنه عرفان.."

إذاً فهو حقيقة وليس وهماً، ... إنطلق مروان نحوه في لهفة قائلا:

"كيف أتيت وتركت عمالك؟"

فأجاب قائلا:

"لقد انتهيت من أعمالي وأتيت من أجلك، ألن تعرفني على أسرتك الكريمة؟"

فقال مروان بحماس وهو يشير نحونا:

"بالطبع، أبي، أمي، خالي، صديقة أمي.."

ثم أشار نحو عرفان قائلا:

"وهذا عرفان.."

فابتسم عرفان بنعومة قائلا:

"تشرفت بمعرفتك، سأضطر أن أستعير منكم مروان ووالدته في مهمة عاجلة للغاية."

ثم بدأ يدرأ عن وجهه شيئاً ما، وكأنه يرى وهما بصريا لا نراه، ثم أمسك بمعصم مروان من جهة ومن الجهة الأخرى أمسك بمعصم مريم بخشونة بدا لي أنه لم يلاحظها سواي، ثم اختفوا جميعا بداخل البوابة، وسط نظرات الدهشة الصادرة منا.

(خارج السياق - ٨) يرويها مجهول

نفذ الفتى طلبات الشاب الغريب، وحقق له بالفعل كل ما طلب منه، وقد كانت طلبات الشاب الغريب بسيطة جدا، فهو إما كان يطلب منه أن ينقل له ما يحدث في منزله، أو فقط أن يحرك الحجر على باب منزله حركة بسيطة، حركة غير ملحوظة لكن ذات تأثير ملاحظ، أو أن يذهب إلى الكهف لينزع صخرة صغيرة بشكل قد لا يبدو بغير تدقيق، بحيث يعتقد الناظر أن الصخور جميعا في مكانها، وأن الأمور تحت السيطرة، إلا أنها تسمح بمرور قدر طفيف من الإشعاع يسمح بحدوث انتقال كلي أو جزئي عبر الخطوط الزمنية..

واهتم الشاب الغريب أن يشرح للفتى ما سيحدث نتيجة لتلك الأفعال بالتفصيل، حيث أخبره عن ظهور الأشباح، وطمأنه أن ما تلك الأشباح سوى بشر يحيون في خطوط زمنية موازية، ولكن تلك الضغطة البسيطة للحجر كانت تحدث تلاقي مؤقت للخطوط الزمنية، ينتهي بعد لحظات أو قد تستمر الدقائق وأحيانا ساعات، لكنها كانت كافية لتدب الرعب في قلوبهم، ولكنه أيضا كان يخبره أن يصاب بالهلع أمام أسرته حين تحدث أحداث غريبة، وكأنه لا يعلم شيئا مما سيحدث، وقد لاقى ذلك الأمر هوى في نفس الفتى فكان يشعر بسعادة خفية لم يدر مصدرها، وقد أجاد الفتى التمثيل بحق، حتى صار شابا يافعا، يحقق ما يطلب منه ذلك الغريب، وفي المقابل يحقق كل أمانيه من خلال تلك البوابة السحرية، بالسفر عبر الزمن لتحقيق مآربه، لقد صدق الغريب وعده بالفعل، وحقق له كل ما تمنى، ولكن حال الفتى كان يسوء بمرور الزمان، وعلاقته بأسرته كانت تتدهور، وبمرور الوقت صار رجلا متمردا كارها لأسرته، متعطشا لتحقيق رغباته الدفينة، مما جعل أسرته تتقي شره، حتى جاء ذلك اليوم الذي طلب منه الغريب فيه أن ينفي أسرته لذلك المكان لفترة من الزمان، وأخبره إنه سيعوضه عن عمره الذي سيقضيه في ذلك المكان والزمان، وافق المتمرد على مضمض، لكنه كان يعلم أن الغريب سيعوضه بالفعل، وسيفي بوعده كالمعتاد.

(.. صفر..) يرويها مروان

قبض عرفان على معصمي من جهة، بينما قبض على معصم أمي من الجهة الأخرى، فصاح والذي فيه بشدة وهو ينطلق نحونا:
"دع يدها.."

لكن عرفان لم يلتفت له، فشعرت بالقلق، من المفترض أن عرفان جاء للمساعدة، لماذا يتصرف ذلك التصرف المريب؟

قال عرفان دون أن يوجه كلامه لأحد بعينه:
"أراكم على خير."

وسحبنا معه إلى داخل البوابة دون أن نفكر في وجهتنا، فرأيت طريقاً آمناً يشبه الطريق الذي اتخذته للسفر عبر المستقبل، وكأنه طريق ممهد وسط الأشجار، ظل يتسع ويتسع حتى شعرت أننا قد صرنا صغارا، وعلى الرغم من ذلك، لا أزال أشعر بقبضة يده على يدي، وبدا لي أن تلك اللحظة هي التي يجب أن نحدد من خلالها وجهتنا، إلا أن عرفان استمر في طريقه دون أن يلتفت لأي من الأحداث المحيطة بنا، ثم فجأة تألقت البقعة البيضاء التي تبدو في نهاية الطريق، وصارت تتلون بألوان متعددة، حتى كدنا أن نصل إليها، وقتها فقط استقر لونها لتصبح باللونين البرتقالي والأزرق الداكن، وكأن الشمس قد غربت للتو، فجأة جد عرفان في السير، فانتسعت خطواتي لألحق به، حتى اخترقنا جداراً شفافاً، لم نره ولكن شعرنا به، لنصبح بداخل البقعة ذات اللونين البرتقالي والأزرق الداكن، وقتها فقط أفلت عرفان يدي ويد أمي، فنظرت لأمي لأجدها على حافة الإنهيار، أعلم أنها أصغر سناً، لكنني أعرف أمي في كل حالاتها، نظرتُ لها مطمئناً، ثم قلت لعرفان بشيء من الحدة:

"ما هذا الذي حدث يا عرفان؟"

(الرد): مرد

قال لي مطمئناً:

"أردت أن أساعدك يا مروان، ألم ترد هذا؟"

قلت له:

"ليس بتلك الطريقة إذاً.."

قال لي:

"تلك هي الطريقة الوحيدة للأسف."

ثم فجأة أشار إلى السماء البرتقالية المائل للزرقة بسبابته اليمنى، ثم أشار إلى الأرض عديمة اللون بسبابته اليسرى، فظهر هلالاً في السماء، وانبتق فرع نباتي من الأرض، فخرج من خلف أُمي صقراً شاهق البياض يرفرف من حولنا، بينما اندفع النمر الأبيض من خلفي ليلتقيا أمامنا، وقتها فقط، أشار إليهما عرفان، وهو يقول بحنان غريب:

"هيا يا أبنائي عودا لوالدكما.."

ثم التفت إلينا قائلاً:

"هذا فقط ما أردت، أشكركم جزيل الشكر على هديتكما الغالية، لن أنس تضحيتكما من أجلي.."

تحدثت أُمي للمرة الأولى منذ وصلنا لهذا المكان — أم أنه زمان — قائلة له بصدمة:

"أي تضحية، ومن أنت من الأساس، وأين نحن؟"

قال لها بصبر:

"أريد أن أجيب عن كل أسئلتك، لكن للأسف لا أستطيع، لأن أشرار الروايات يقضون وقتهم في الحديث مع ضحاياهم، فتصل الشرطة وتقبض على جميع الأشرار.. وأنا لا أريد أن أفعل هذا.. على الرغم من عدم وجود شرطة بالطبع، بالإضافة لأنني لا أعد نفسي من الأشرار.."

(الرد): مرد

قلت له:

" هل كنت تخذعني طيلة العامين السابقين؟ أريد أن أفهم إذن، أعتقد أنه من حقي أن أعلم ما حدث، أو على الأقل أين نحن.. أو متى نحن؟"

ضحك ضحكة ودودة وهو يقول بذوق لا يليق مع الموقف:

" نحن لسنا بمكان أو زمان، نحن في نقطة اللا زمن، نقطة الصفر إن كان يمكننا قول شيء مثل هذا.."

قالت والدتي بدهشة:

" أي إننا خارج حدود الزمن؟ "

قال لها مبجلاً:

" بالفعل يا سيدتي."

هنا سألته قائلاً:

" أعتقد أن من أبسط حقوقنا أن نعلم لماذا خنتنا قبل أن نتركنا هنا، خارج حدود الزمن، ولماذا لا تقتلنا وتستريح منا، بدلاً من أن نتركنا هنا نلاقي مصيرنا؟"

نظرت لي أُمي بفزع، بينما قال عرفان بحنان مبالغ فيه:

" كيف أقتلكما، وأفقد أبنائي الأعراء الصقر والنمر معكما، وإن صحبتكما معي قد تحبطون كل مخططاتي للسيطرة على الأزمان.."

ثم تنهد قائلاً:

" لا تقلقا يا أحنائي، كل شيء محسوب بدقة."

وفجأة نظر لأعلى مُفكراً:

" لن يضير إن أخبرتكما بحكايتي، فأنا أكتمها في صدري منذ عقود، ولم أبح بها سوى لقلمي الذي كان صديقي الوحيد على مر السنين.."

(أنا عرفان) يرويها عرفان

لم أكن عاشقاً لإسمي حتى أتممت العشرين عاماً، إلا أن ذلك العام قد شهد تغييراً في طباعي وشخصيتي، ذلك التغيير ربطني بإسمي وأدركت أنه خلق لي وأناني خلقت له، عرفان، هذا اسمي، وهو كفيل بأن يجعل المرء يدرك قصتي دون أن أقصها، عرفت وأعرف وسأعرف، دعوني أروى لكما قصتي، والتي أعلم أنها ستظل سرا بيننا، طالما أنتما هنا.

عندما ألقاني رشدي بداخل البوابة الزمنية، غاص جسدي في أعماق البوابة، وشعرت بنفسي أسبح في فراغ لا نهائي، وكأن رוחي تنتزع مني، ثم شعرت بها تحوم حول جسدي في حيرة، ورياح شديدة تلمح وجهي بلا هواده، فشعرت شهقة قوية لست أدري حتى الآن هل كانت نابعة من فرعي، أم لأنني أردت أن أتأكد إن كنت حياً أم لا، ثم تذكرت فجأة أن والدي المسافر كان عائداً من سفره بعد ثلاثة أيام، وكيف أنه سيصيبه الإحباط إن عاد من سفره ووجد أن ولده الذي ائتمنه على تلك الأمانة، لم يصننها واختفى في ظروف غامضة، سيطر ذلك الأمر على تفكيري حتى اسودت الدنيا من حولي، فأغلقت عيني ثم فتحتها ببطء، لأجد نفسي في فراشي الصغير بداخل الخيمة، أسمع صوت هرولة أقدام حصان خارج الخيمة، ثم بدأ صوت الخطوات يصير أكثر بطناً حتى توقف تماماً، لحظات مرت دون صوت ثم سمعت صهيل حصان، ثم صوت والدي ينادي:

"عرفان، عرفان، أين أنت؟ هل أنت نائم؟"

أغمضت عيني من جديد ثم فتحتها لأجد أنني بالفعل في خيمتي، كيف حدث هذا يا ترى؟ لست أدري بالطبع.. فتلك البوابة الزمنية كما أخبرني أبي، هي مدخل إلى الماضي، لهذا فأول ما خطر ببالي أنني عدت في الزمن إلى الوراء.

نهضت من فراشي بذهن غير صاف، واستقبلت والدي على مدخل الخيمة، فاجاني بقوله:

(الرد: مرنا)

"لقد أخبرتك أنني سأعود من سفري يوم الثلاثاء، هل نسيت؟"

هرشت رأسي بحيرة قانلا:

"لا يا والدي بالطبع لم أنس، ولكن يبدو أن النوم غلبني، أعتذر يا أبي."

فقال والدي بصرامة:

"لا بد أن تحترس من ذلك الكهف، وتضع عينيك في منتصف رأسك، لا نريد أن يأت أي دخيل."

هزئت رأسي بشدة موافق على كلامه، بالطبع لن أخبره أن هناك من اكتشف سر الكهف، لأتعرض للتوبيخ والتأنيب، فقال والدي وهو يتوجه نحو الفراش:

"سأستريح قليلا، هيا اذهب إلى الكهف الآن، وأمنه جيدا."

كان والدي هو المسؤول عن حراسة تلك البوابة من الدخلاء، وحين بدأ يتقدم في السن، شرح لي كل شيء وجعلني أشاركه في الحراسة، اعتقدت في ذلك الوقت أنه كان يعرف كل شيء عن تلك البوابة، وعن كيفية التحكم بها، ولكن سؤالي الأزلي كان: ترى ما حدود علم والدي عن السفر المستقبلي؟ حاولت نزع تلك الأفكار من رأسي لأتفرغ لحراسة الكهف من جديد..

بعد هذا الحدث ببضعة أيام زارني فريد، وسأل عن أحوالي بعد تلك الدفعة، أخبرته أنني بخير، وأخبرته بأنني استيقظت بعد ثلاثة أيام في خيمتي، إلا أنني احتفظت بالجزء الذي استنتجته لنفسني، لست أدري لماذا، لكنني فكرت في أن السفر إلى الماضي قد يؤديه بما فيه الكفاية، فلا داع لأن أخبره بتكهناتي والتي لم أتأكد منها بعد.

المرحلة التالية كانت مرحلة البحث والتدقيق، كانت لدي تلك الفرضية التي تخبرني بأني بالفعل سافرت للمستقبل، لكنني لم أدرك كيف حدث ذلك، لذلك كان لا بد لي من حصر كافة الظروف التي أحاطت بذلك الحادث، ترى هل كان ذلك بسبب تركيز تفكيري في حدث مستقبلي أعلم يقينا بأنه سيحدث، وهو عودة والدي من سفره؟ أم أن الأمر قد حدث بسبب دفعي قسرا بداخل البوابة؟ أم أنه

(الرد: مره)

كان بسبب دخولي البوابة بظهري، الأمر بالفعل يستحق التجربة، فقد أثارت تلك التساؤلات فضولي، فقررت أن التجربة هي خير برهان، فانتظرت حتى سافر أبي من جديد، لكي أبدأ تجربتي.

في البداية قررت أن أكتب التاريخ اليومي، على تلك الصخرة أمام الكهف^{٢٧} لكي أستطيع تحديد شيئاً ما أركز عقلي عليه، فكتبت تاريخ اليوم وجواره رقم (١)، ثم اخترقت البوابة بخطى ثابتة وأنا أسلط تفكيري على الانتقال إلى اليوم السابع للتجربة، توقعت أن تنجح التجربة من المرة الأولى، إلا أن التجارب الأولى كانت فاشلة تماماً، مرت علي أيام وأنا أتقدم بخطى ثابتة نحو البوابة وجل تفكيري في نقطة بعينها في المستقبل، إلا أن كل ما كنت أحصل عليه هو أن تسود الدنيا أمام نظري وأجدي أمام البوابة ثابتاً عند الزمن ذاته، لم أنتقل دقيقة واحدة للخلف أو للأمام.

هنا قررت أن أقوم ببعض التغيير، سأدفع نفسي للخلف، يعلم الله كيف، لكنني سأحاول، أحضرت عدداً من الوسائد التي أضعتها بخيمتي الصغيرة، وقربت قليلاً من البوابة، ثم اعتليت معطياً ظهري للبوابة، وقفزت للخلف، شعرت بذات الرياح القوية، لكنني شعرت كأنني أنزلق إلى هاوية تأخذني لأسفل، ولم أستطع أن أرى شيئاً فقد كنت أسقط بظهري، لحظات من السقوط مرت علي كعمر كامل، مما منعي من التفكير في أي زمان أو مكان، لحظات وكأنها النهاية، ثم من جديد وجدت نفسي واقفاً أمام البوابة مع وسائدي وكأنني لم أقفز من الأساس.

لم أكرر التجربة لأيام، نتيجة لخوفي الشديد، ولكنني حاولت التغلب على مشاعري السلبية التي تكونت جراء التجربة، وقررت أن أقوم بآخر تجربة،

^{٢٧} لماذا لم أكتب على صخرة بداخل الكهف؟ لأنه كما نعلم، فإن الكهف وما بداخله لا يخضع لأي قانون زمني، وكأنه لا يمر عليه الزمان، لذلك أي كتابة تكتب فيه قد تظهر منذ بداية الزمان وحتى نهايته، وأنا بالطبع أردت أن أعلم إن كنت أنتقل للمستقبل أم لا، لذا لجأت لصخرة خارج الكهف.

الزوجة: مروة

سأدخل إلى البوابة سائرا ولكن بشكل عكسي، بحيث أعطى ظهري للبوابة، ثم أسير في اتجاهها بظهري، كان ذهني مشتتا للغاية، لكنني حاولت التركيز على الرغم من تلك الرياح التي كانت تحاول منعي من السير، إلا أن ما ساعدني على تدبر طريقي هو عدم رؤيتي للبقعة البيضاء في منتصف الطريق والتي كانت تتسع في كل مرة لأجد أنني خارج البوابة، الآن سأتوقف لأتمكن من تحديد الوجهة، توقفت في مكاني ونظرت حولي للمرة الأولى منذ بدأت محاولاتي، المكان يصعب وصفه، فهو لا يشبه شيئا رأيته من قبل، لا توجد جدران، فقط الفراغ الذي تسبح به، لونه؟ لقد أخبرتكما للتو، المكان لا توجد به أي مجسمات مادية، لذلك لم ألمح أي ألوان معروفة أو مفهومة بالنسبة لعقلي، إلا أنه في اللحظة التالية لوقوفي، تشكل في الفراغ من حولي شبكة، وكأنني شجرة تتكون من حولي الفروع والأغصان ببطء شديد، نظرت أسفل قدمي، لأجد دائرة تتشكل تحت قدمي من العدم، لم أستطع تحديد الخطوة التالية، لكنني قررت اتباع إحدى تلك الفروع، فاخترت الفرع الأيمن، وحين خطوت أول خطوة تبعدني عن مركز الدائرة، شعرت بتقلص حجمي، حتى صار الفرع الرفيع الذي تكون منذ قليل بمثابة طريق أو شارع يمكنني السير فيه، حين خطوت في هذا الطريق، لاحظت أن المكان مزدحم ممتلئ بالناس، وحين دققت اكتشفت أن ما هؤلاء الناس إلا أفراد عائلتي ومعارفي، دققت أكثر لأجد هؤلاء البشر يؤدون لمحات من حياتي، فرأيت نفسي يوم مولدي، ورأيتني يوم عملت مع أبي في الحراسة، ويوم زواجي، ماذا؟ يوم زواجي؟ أنا لست متزوجة، وها أنا ذا أيضا أسير في الطريق وأحمل طفلا، وها هي امرأة تبدو زوجتي تتشاجر معي، تأخذ الطفل ثم تتركني وحيدا، ومشهدا آخر لم يحدث من قبل أيضا، وأنا أستظل بظل شجرة عجيبة الشكل لم أر لها مثيل سوى خارج ذلك الكهف، ثم أهب واقفا ألتقط أوراقها الرفيعة، ثم أسحقها بيدي، وأقذفها لفمي وأبتلعها، شعرت بالإنهاك مما رأيته، فتوقفت عند ذلك المشهد، وجلست بجوار صورتي

^{٢٨} لا أزال أتحدث إلى مروان ومريم بالطبع.

(الرد): مرناه

التي تبتلع الأوراق دون أن أتحدث، فتلاشى الطريق من حولي فجأة، وشعرت وكأنني أنتزع من مكاني، ثم تلاشى جسدي، ولم أر أمامي سوى السواد، لحظات كنت واعيا تماما بما يحدث، ثم أضيئت الدنيا من حولي من جديد، لأجدي مستظلا بظل الشجرة العجيبة أمام الكهف، وألوك أوراق الشجرة بنهم، لماذا أفعل هذا؟ لست أدري بالطبع، لكن بمجرد أن سألت نفسي هذا السؤال، وجدت الإجابة حاضرة في ذهني في التو:

(تلك الشجرة نمت بسبب لعنة فتح البوابة الزمنية، وعلى الرغم من أنها نمت نتيجة لارتوانها بالشر الكامن في نفوس من فتحوها البوابة على مر الأزمان، إلا أن الخير ينمو في أوراقها وجذوعها، فأوراق الشجرة تحافظ على الشباب، وتحفظ الصحة، وتقلل الشيب، وتؤخر العجز والخرف، وقد علمت ذلك من زيارتي للعصور المصرية القديمة، تحديدا المرة الأولى لفتح البوابة الزمنية.)

ما الذي يحدث لي؟ كيف أسأل نفسي التي لا تعلم شيئا، فتجيب بتلك البساطة؟ لقد سافرت إلى المستقبل إذأ، المستحيل الذي ظن الجميع أنه مستحيل، اكتشفت سره أخيراً.

ظلت في هذا الزمن ما يقرب من الشهر، تعلمت كثيرا عن السفر الزمني، ولكن لشدة دهشتي، كنت أشعر في بعض الفترات بأن ذاتي تنشط إلى شطرين، وكأن بداخلي شخصين يختلفان ويتعاركان، في البداية حاولت أن أقاوم ذلك الشعور، حتى قررت الاستسلام له في تلك المرة، وتركت نفسي لنفسي، حرفيا، ولشدة دهشتي سمعت ذلك الحوار بذهني، إلا أنه لم يتخط لساني:

"ماذا تفعل هنا يا عرفان؟ ألم تتعلم ما جنت من أجله؟ هيا اذهب لزمانك واتركني في زماني.."

"ما هذا الذي أسمعه؟ هل أتحدث الآن لذاتي المستقبلية؟ يا فرح قلبي.."

"نعم يا غبي، أنت تتحدث لذاتك الآن، ما الذي يبيئك في هذا الزمن، ألم تتعلم ما أردت تعلمه؟ هيا ارحل إذن واتركني وشائي، لقد احتملتك شهرا على أمل

(الرد: مرناه)

أن ترحل، لكنك تأبى الرحيل قبل أن تعلم كل شيء، ستتعلم لا تقلق لكن كل بأوان.. "

" لماذا تتحدث لي هكذا؟ ولماذا صار لساني فجأ هكذا؟ وكيف أتحدث إليك، ألم يحل وعيي محل وعيك؟ "

" لا يحدث الأمر بهذا الشكل الذي تعتقده، يظل الوعي كامنا بداخل العقل، ينتظر لحظة الخروج، وكلما كان الشخص أقوى كلما كان وعيه الأصلي حاضرا بشكل أسرع."

" معنى هذا أن الوعيان يتصارعان، وينتصر الأقوى؟ "

" نعم هو كذلك، والآن يجب أن تستعد للرحيل، وجودك غير مرحب به.. "

" حسنا سأرحل لكن كيف؟ هل أدخل البوابة من جديد؟ وإلى أين ينتقل جسدك؟ هل سيرافقني أم فقط ينتقل وعيي؟ "

" لا تقلق أدخل البوابة وأنت تقصد حاضرك وستستيقظ في فراشك في زمانك. "

هزرت رأسي في غياب، ولم أستوعب ما حدث، فأنا أتحدث إلى ذاتي هنا، التي لا ترحب بوجودي في زمنها، توجهت نحو الكهف، ومنه إلى البوابة الزمنية، فقصدت زماني واستيقظت من جديد في فراشي، كما أخبرتني ذاتي المستقبلية.

بعد ذلك الحدث، كنت أحاول أن أتجول عبر الأزمان، في كافة الأفرع والأغصان التي رأيتها بداخل البوابة، تعجبت بشدة لأنني كنت قادرا على التجول في الزمان بحرية مطلقة، حتى وإن لم أكن جزءا منه، حتى إنني استطعت السفر عبر الزمن آلاف السنين للوراء، إلا أن أشد ما كان يشغل تفكيري هو تلك البقعة البيضاء في بداية الممر وتلك الأخرى في نهايته، حاولت مرارا الوصول لأي من هاتين البقعتين، لكني لم أستطع، كأن ما بداخلهما محجوب عن عيني، وكلما قصدت طريقا للوصول إليهما، كانت قدماي تتجمدان تماما في مكانهما، وأشعر بقيود تلتف من حولي، ثم تظلم الدنيا، وأجدني خارج البوابة، في الكهف من جديد.

الزمن: مرنا

بعد تكرار الأمر ذاته مرارا، تيقنت مما كان يربيني، أيا كان مقدار قوة الكيان الشيطاني الذي فتح تلك الفجوة، إلا أنه لا يستطيع كشف حقيقة بدء الزمان ونهايته.

مرت على فترة من النشاط جعلتني أسعى لمعرفة كل ما له علاقة بالبوابة الزمنية، وجدت مخطوطات تعود للأزمنة المصرية القديمة، واكتشفت أن الموضوع بأكمله نتج عن سحر أسود يعود لعصور المصريين القدماء، أدى إلى فتح نفق دودي يصل بين نقاط الزمن، بالطبع لم أكن أفهم معنى النفق الدودي حتى تجولت في المستقبل قليلا، وفهمت ما يعنيه، المهم إنني في البداية عدت في الزمن لأشهد أول مرة تنفتح فيها البوابة الزمنية، كنت أخشى ألا أستطيع السفر للأزمنة التي لم تفتح بها البوابة، لكن يبدو أن سحرها يعمل بتأثير انتقائي، أحيانا أسافر فأجدني أستيقظ في فراشي وأذهب إليها لأجدها مغلقة، وأحيانا أنتقل فأجدها مفتوحة على مصراعها، لذلك كان كل دوري حين أجدها مغلقة، فقط أن أقوم – ببعض المساعدة – بفتحها، لكي أواصل رحلتي جديد.

مر علي الزمان وأنا أتجول عبر الأزمنة المختلفة، صار الزمن حديقتي الخاصة التي أتجول فيها بحرية، كنت أعود لزمني في أوقات قليلة، لأستريح من جنون التنقل عبر الزمن، ثم أعاود رحلتي من جديد، عدت لأتزوج وأنجب، كما عدت لأطمئن على والدي ووالدتي، لم أحاول تغيير حياتي كما قد يظن البعض، فقد استمتعت بحياة التنقل هذه، تعلمت الكثير عن كل شيء وأي شيء، كنت مقربا لأحمس وكليوباترا، وكنت صديقا لمحمد علي، قدت الطائرة، وشاهدت صاروخا ينطلق إلى الفضاء، ونجوت من أوبئة اجتاحت العالم بأعجوبة، تحدثت في جهاز صغير يسمى الهاتف الشخصي، ورأيت آليين يساعدون في أعمال المنزل، ووجدت أجهزة تحاكي صوت وصورة البشر بعد وفاتهم، شاهدت تطور التلفاز ودخلت دار السينما، مر علي عشر سنوات أو يزيد، وأنا مستمتع بتنقلاتي التي لم أخبر بها أحدا واحتفظت بسري لنفسي، وقتها حافظت على عادة مضغ أوراق شجرة دم الأخوين، أو دم التنين كما يطلق عليها أيضا، العادة التي حافظت على صحتي من الانتقالات المتعددة، وجددت شبابي بشكل لم يصدق من حولي.

الزمن: مرنا

صار لي في كل زمان أذهب إليه رفقة غير بشرية، أشعر وكأن تلك الرفقة وكأنها تعطيني وتحتويني، فمثلا في عصور الفراعين، كانت رفقتي في تعلم الكتابة الهيروغليفية واللغة المصرية القديمة، وفي العصور الرومانية، صرت أعشق المسارح والأسواق، فأقضي وقتي مرتحلا بينها، وفي بدايات القرن الحادي والعشرين، كنت أقضي وقتي مستمتعا بملذات العصر، فكنت أحجز جناحا في أفخم الفنادق، وأقضي وقتي فوق فراشي الوثير أقلب قنوات التلفاز في كسل، بينما تضغط أصابعي أزرار الهاتف كل بضع دقائق لطلب شيئا يؤكل أو يشرب، أما القرن الثاني والعشرون، لماذا أخبركما به وأنتما بالتأكيد لن تشهداه.

عشر أعوام مرت من الاستمتاع بالسفر عبر الزمن، والاستمتاع بالتعرف على كل عصر، في منتصف تلك المدة، التقيت نفسي الصغيرة، والتي سافرت في بداية اكتشافني لكل شيء، لكنني كنت قد أصبحت فظا بشكل لم أعده في نفسي، ففي البداية شعرت بتأثير انتقال روعي القادمة من الماضي لجسدي، وكأن هناك روح غرة ساذجة تسكنني، في البداية قررت أن أتحنى جانبا حتى ترحل نفسي من تلقاء نفسها، إلا أنني اضطررت للتحديث معها ونهرها لكي ترحل، تأثرت للحظات ثم عدت لحياتي من جديد، لا داع للقلق، ستعلم نسختي الصغيرة سبب ما فعلت في المستقبل.

كل هذا كان رائعا، حتى أصابني بعض الملل فقررت أن أخرج عن المألوف، لماذا لا أستمتع قليلا؟

قررت أن أمارس تلك اللعبة، فكنت أسافر إلى أزمنة مستقبلية قريبة ثم أعود مرتحلا إلى الماضي، لأخبر زبائني بخبراتي، بداية لعبتي كانت مجانية بالطبع لكي أستطيع أن أصنع جمهوري الخاص، لكن بعد فترة وجيزة أصبحت خدماتي بمقابل مادي، ثم أصبح المقابل عال بالفعل، وصرت جليس كل من يؤمن بوجود العرافين وتلك الخزعات التي أعلم يقينا أنها ليست موجودة بالفعل، أحيانا كنت أفضل في الإجابة عن بعض الأسئلة التي يسألوني عنها، فهناك مثلا ذلك الرجل الذي أتاني ليعلم عن مستقبله، فطلبت منه مهلة ثم سافرت وعدت بعد أن علمت كل شيء عن مستقبله ومستقبل زوجته وأبنائه،

(الرد): مره

لأجده يسألني عن صديقه ليتأكد من أنني صادق، فأضطر لتلفيق إجابة فيتبدى له أنني كاذب، فتضيع سمعتي في هذا الزمن، لأرتحل إلى أزمان أخرى.

أشيخ ويشيخ عقلي؟ بسبب تكرار السفر الزمني؟ هل تمزحان؟ لا بد أنكما تمزحان، وماذا عن هواية مضغ أوراق الشجرة إذن؟ تلك العادة التي أدمنتها حين علمت فوائدها.

أعلم ما ستقولان، التهويل بشأن خطأ ما أفعله، بالطبع أعلم أنني مخطئ، ولكن كل ابن آدم خطأ، نهايتي ستكون بشعة؟ لم أخبركما بفداحة ما فعلت لكي تجزما بذلك..

ثم ماذا تعلمان عن حياتي التي عشتها قبل التعرف على تلك البوابة، لكي تحكما على أفعالي هكذا؟ لقد عشت في ظل والدي دهرًا، كان يظن أنه يعلم كل شيء، فيخفي عني الأسرار، يظن نفسه عليمًا، ولا يعلم أن فوق كل ذي علم عليم، كنت نكرة وصرت فجأة عالما بكل شيء، كنت جاهلا، ولكنني فجأة صرت العرفان، لست مخطئا، لكنهم البشر المخطئون، هم ذوي الإيمان الضعيف، بدلا من أن يلجأ هذا أو ذاك إلى الله بدعاء أو صلاة ليسأله ما يشاء، يلجأ لي أنا لأخبره بما يفعل وما لا يفعل، من المخطئ هنا إذن؟ أنا فقط استغللت موهبتي في كسب الرزق، الغاية لا تبرر الوسيلة؟ ربما، لكنها بررتها لي بالفعل، أعتذر لكما.. أو لا أعتذر، فلماذا أعتذر ولمن؟

يوسفني - أو أنه يسعدني - أن أخبركما أن كل وسيلة استخدمت في غلق البوابة كنت سببا في إفسالها، بالطبع يجب أن أجعلها تفشل، ففتح البوابة يفتحها في كل الأزمان، وغلقها يغلقها في كل الأزمان، لذا كلما انغلقت كنت أساهم في فتحها من جديد، ليكون الزمان ملكي وحدي.. لا تلوموني أيها السادة، فأنا أحافظ على أكل عيشي، تتساءلان عن كيفية إغلاق البوابة؟

بالطبع لن أخبركما؟ ماذا توقعتما؟ لم يحدث ولن يحدث، أنا الأقوى ها هنا، وأنتما الضعفاء.. وبعد استيلائي على الكائنات الأسطورية، تكون لي الغلبة ولن يقف أمامي أحد.

(أمومة) ترويحها مريم

بعدما انتهى ذلك السيكوباتي من روايته، كنت أتأمل بهدشة، كيف وثق فيه مروان بتلك السهولة، إنه ناعم كالحية، مكر كالثعلب، جاف المشاعر كأرض بور تعرضت للشمس عشر سنوات، لست أدري إن كان قد تسبب في أذى تلك الفتاة زمردة أيضاً، قلت له بغضب:

"ماذا تحسب نفسك فاعل؟ هل ستركنا هنا هكذا بتلك السهولة؟"

هز رأسه مبتسماً ذات الابتسامة اللزجة، وهو يقول:

"نعم يا مريم بالطبع، هل اعتقدت أنني بعد أن حصلت على ذلك الكنز، سأنقذك وكل يذهب لبيته، ونعيش في تبات ونبات؟ لا يا عزيزتي، سأترككما ها هنا، لا أخفيكما سرا، الخروج من ذلك الغلاف الرقيق يكاد يكون مستحيلاً دون تلك الحيوانات، لذا حين أخرج من هنا بالسلامة، تضيع فرصتكما في العودة."

قال مروان بمرارة:

"لقد وثقت بك، وخنت ثقة زمردة بسببك."

فهز رأسه يميناً ويساراً بأسف مفتعل قائلاً:

"هل فعلت هذا؟ أنا أسف.."

سألته قائلة:

"ولماذا تهتم بتلك الحيوانات هكذا؟"

أجاب قائلاً وعيناه تلمع بجنون:

"أعلم أن تلك الحيوانات ساعدتكم كثيراً، ربما دون علمكما، لقد اعتقدت يوماً أن وظيفة تلك الكائنات الأسطورية هي إيضاح الحقائق فقط، لكن لعلمكما، تلك الكائنات هي الوحيدة القادرة على التحكم في الوهم البصري بداخل القبو، كما أنها الوحيدة القادرة على التحكم في جعل البوابة تنفتح مرة أخرى أم لا، وبالإضافة إلى ذلك فأنا أطمح في الوصول من خلالها للبقعة البيضاء في نهاية

(الرد): مريم

الزمان، كما أنها بالتأكيد ستخبرني عن صاحب الفرس وهو الحيوان الثالث،
آآ.. بالتأكيد هناك فوائد أخرى لا أعلم عنها شيئاً، لكنني الآن، والآن فقط
أستطيع أن أعلمها، الآن يمكنني أن أترككما مطمئناً مستريح البال. "

حاولت أن أعطله قليلاً عن الذهاب فسألته من جديد:

" الأمر المحير هنا، هو كيف تواجدت مرتين حينما التقيت سلطان، وفي الوقت
ذاته كنت خفير الكهف الطيب عرفان؟"

وكأنما فهم الغرض من وراء سؤالتي، أجاب قائلاً:

" على الرغم من أنك تحاولين كسب وقت في صالحك، ولكنني سأجيبك، لأنني
لدي الوقت كله، وأعلم أن وجودكما هنا الآن تحصيل حاصل."

ثم تنهد وهو ينظر إلى الصقر المحلق حوله قائلاً:

"الأمر بسيط، حين حل وحي ذاتي المستقبلية محل وحي عرفان الماضي، كان
لدي هدف محدد، فكنت أنتهز فرصة نومه وأسيطر على وحيه حتى أعود للنوم
من جديد، فأنتحي جانباً حتى يتحقق ما أريد."

قلت له بماطلة:

"أي أن ذاتك المستقبلية كانت المتحكم الرئيس.."

قال وقد بدأ يشعر بالملل من مباطلتي:

" نعم يا مريم كانت هي المتحكم الرئيس، والآن أذهب في أمان الله، وداعاً يا
رفيقي.."

قلت له سريعاً:

" انتظر، انتظر، وزوجي وأخي وصديقتي، ماذا ستفعل معهم؟"

فكر لحظات وهو يفرك ذقنه بإصبعيه، ثم قال وكأنه يتحدث لنفسه:

(الرد): مريح

" في الواقع لم أستقر بعد، فتلك الأسرة لن تهدأ حتى تصل إلى حل، لذا ربما أتركهم بدهاليز القبو يلاقوا مصيرهم مع الأوهام البصرية، وربما ألقى بهم في غياهب الزمن، لست أدري."

قالها وهو يهز رأسه وكأنه ينفي شيئا ما وهو يردد:
"ممم لم أقرر بعد.."

هنا قال مروان بحيرة وحزن:

" لماذا فرقت بيني وبين زمردة؟ مع إنه كان باستطاعتك القضاء علينا معا، ولماذا تركتني أعود لأهلي، ولماذا ساعدتني في الوصول للزمن المحدد الذي انتقلوا إليه أيضا.. لماذا كل هذا، كان باستطاعتك أن تقضي على كل منا على حدة.."

ابتسم عرفان بجانب فمه ابتسامة بها شيء من السخرية قائلا:

" في الواقع كنت أنوي إعادة زمردة لزمانها، لأنني لم أشأ أن أجمعكما سويا في ذات الزمان، ولكنني كنت سأبقي عليك يا مروان في الماضي، لكي تعتقد أنك أنقذت أهلك، بعد عثورهم على الصندوق، دون أن تتأكد إن كانوا أنقذوا أم لا، وقتها كنت ستعتقد أنك قد صرت بقايا زمنية، وأن هناك مروان آخر يحيا الآن في خط زمني آخر، وبما أنك تحب التضحية لذا كنت ستعيش في الماضي سعيدا بتضحيتك تلك."

"أما زمردة، فمسيكينة هي، كانت تسعى ليصبح لها كيانا، قلبي الأبيض كاد أن يساعدنا في بعض الأشياء، والتي بالمناسبة لا علاقة لها بخيانتك، بل بوجودها، لأنني مما فهمت من حديثي معها، فهي كانت تنوي إنقاذك أيضا، ولكن حين علمت أنك أنت والدتك ممن اختارتهم البوابة ومنحتهم تلك الهبة، أصررت على أن ألقاك، وأن تعود لوالدتك لأحصل على ما امتلكتما سويا، وحين بدأت زمردة تشك في تصرفاتي، كادت أن تفضحني، فقررت أن أقنعك بأنها تنوي الرحيل إلى المستقبل بدونك، وأنت صدقت دون أي مقاومة، فشكرا لك يا مروان."

(الرد): مريح

تساقطت دمعة من إحدى عيني مروان، فوددت أن أواسيه، وأريت على كتفه، لكنني لا أعلم أن كان يمكنني اعتباره ابني بالفعل الآن أم لا، فأنا الآن لا أزال أراه شابا غريبا عني، كل ما استطعت فعله، إنني نظرت له بأسى، بينما سددت لعرفان نظرة تحمل كل الكره الذي بداخلي تجاهه، فابتسم ردا على نظراتي ثم اخترق الغلاف بكل سهولة.

نظر لي مروان نظرة استجداء، وكأنه ينتظر مني الحماية وهو يقول بألم:
"أمي.."

شعرت بكل ذرة حزن وغضب وإحباط يشعر بها، لذا قلت له مطمئنة بنبرة دافئة:

"لن يتركنا الله يا عزيزي، سيأتينا الفرج من حيث لا نحتسب.."

(الأثر الزمني) ترويهما زمردة

أنا زمردة.. بالطبع عرفت من أنا، لكن السؤال ها هنا، هل صدقت ما يقال عني؟ هل ترونني الشر مجسدا مثلما يراني الجميع؟ هل كرهتموني بسبب ما سمعتموه عني؟ لن ألومكم، ولكن امنحوني لحظة واحدة من التفكير.. هل فعلا أبدو لكم بذلك الشر الذي رآه مروان فيّ؟ على الرغم من أنني أقدر تماما أسباب مروان في أن يظن بي تلك الظنون، فعرفان هذا – والذي كنت أعتقد في البداية أنه الابن عزيز – يفرض سحر كلماته على من يتحدث معه بطريقة تجعل من يقترب منه يصدق كل ما يقول، إلا أنني أشعر بغصة ومرارة مما فعل مروان معي، لقد أردت الخير له منذ البداية، نعم ربما كنت كتومة قليلا، ولكن أليس لكل إنسان مطلق الحرية في إخبار من حوله بظروفه الخاصة؟ أم أن الحرية كلمات وشعارات نرفعها حين يمسن الأمر، أما إذا مس من سوانا، فلا يملك ذلك الحق في الاحتفاظ بتفاصيل حياته.. لطالما أردت مساعدة مروان في العودة لأهله، بقدر ما أردت العودة لأهلي وأكثر.

أعزائي، أنا زمردة، دعوني أروى لكم قصتي لعلكم تعلمون حقيقتي.

اسمي زمرد، لكن المقربين ينادونني زمردة، منذ ولدت وأنا أسكن مع أسرتي في قصر فخم، وهو شيء رائع كما توقعت، ربما ليس بالروعة التي تعتقدونها، ولكنه رائع بما يكفي ليسعدنا كأسرة، فالمنزل واسع ورحب، ويكفي عائلتي بأكملها، لكن الحلو لا يكتمل، ففي يوم ما بدأت أحداث غريبة في الظهور بالمنزل، في البداية كانت بسيطة، ولكن بمرور الزمن صارت أقوى، لن أقول إننا لم ندر أسباب تلك الأحداث، فنحن نعلم كل ما حدث منذ قرنين من الزمان، حيث كان جدي الأكبر صالح رشدي مظهر يكتب مذكراته أولا

الزمن: زمره

بأول^{٢٩} ووصى أبنائه بالسير على خطاه، دعوني أخبركم أولاً من هو جدي الأكبر صالح، صالح هو الابن الأصغر لرشدي مظهر، الأب الذي ضحى بطفله بعد ولادته، وذلك لوفاة زوجته وهي تنجبه، لذلك عاد في الزمن لينفذها ويمنع وجود طفله من الأساس، أعلم أن رشدي عاد في الزمن مرات عديدة، بعضها لإنقاذ أفراد أسرته، والبعض الآخر لتعزيز شئونه المالية، وفي كل عودة زمنية له، كان يقسم الخط الزمني الرئيس إلى خطين، خط زمني يحيا فيه ويتنعم بنعمه، وخط زمني فرعي، يحتوي على الأحداث التي يكرهها، وغالبا ما يكون ذلك الخط الفرعي كئيب الأحداث دون لحظات سعادة تذكر، فقد تكون ذلك الخط نتيجة معاندته للقدر، لذا قد لا تجد فيه الرضا الذي يمنحك القدرة على مواجهة الأسوأ، كل ذلك كان جميلا، لكن لولا ما حدث حين كان صالح طفلا في العاشرة من عمره، لم نكن لنعلم شيئا عن هذا الأمر.

عاش صالح بالقصر في رعاية جده وجدته، وذلك بعد أن توفيت والدته وهي تلده، وعاش والده رشدي في الخط الزمني الموازي، يعاند الأقدار من جديد، تاركا ولده في مواجهة المجهول، إلا أنه في ذلك اليوم قام الطفل صالح ذو العشر سنوات، بفعل ما هو معتاد عليه بشكل يومي، وهو الجلوس على الدرج أمام باب القصر، مفترشا الأرض، ومعه رقعة الشطرنج الصغيرة التي يدرب نفسه عليها من خلال تخيل حركات وهمية لخصم خفي، فبدأ ينقل القطع باحترافية لا تلائم سنه، إلا أن تلك القطعة تدحرجت فجأة من فوق الرقعة، لتسقط فوق الحجر ذو النقوش الغربية، وحين انحنى ليلتقطها، وجد الحجر قابلا للتحرك حركة بسيطة للغاية، فبدأ يضغط بثقل جسده فوق الحجر، حتى استطاع أن يضغط الحجر لأسفل، في ذات اللحظة، انفتح باب القصر فتحة بسيطة غير محسوسة، وكأن رياح خفيفة داعبته فتحرك، إلا أن صالح لاحظ تلك الحركة، فانطلق ليفتح الباب على مصراعيه، ويدخل القصر، بالطبع كما توقعتم لم يكن

^{٢٩} أعتذر يا مروان إن لم أخبرك بقصتي الحقيقية، ليس لقلة ثقتي بك، ولكن خشيت أن تعتقد أنني..... لا عليك ستفهم بعد قليل..

(الرد): نروة

هذا منزله، حين انطلق مسرعا، اصطدم بشخص ما، اعتقد إنه جده، لكنه حين نظر لأعلى فوجئ بشخص آخر لم يره من قبل، فقال له بخوف:

"من أنت؟"

فقال الرجل بصرامة:

"بل من أنت؟ هذا منزلي.."

فأجاب بخوف أكبر:

"اسمي صالح رشدي.."

هنا انفعل الرجل قائلا بعصبية:

"وكيف أتيت إلى هنا يا صالح؟"

لم يجب الولد، فحملة الرجل مسرعا إلى الخارج من جديد، وهو يقول له بحزم:

"إياك أن أراك هنا مرة أخرى.."

ثم ذهب نحو الحجر أمام الباب وبدأ يضغط بقدمه الحجر بقوة وهو يعد:

"واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة.."

وبعد أربع ضغوطات للحجر انطلق إلى داخل القصر وأدخل صالح ثم تركه وأغلق الباب خلفه، تاركا إياه في أقصى حالات الدهشة، فما فعل هذا الرجل ببساطة أنه أخرجه من منزله، ليدخله منزله من جديد، يا للدهشة!!

ظل صالح بعد هذا الموقف معتقدا أن ذلك الرجل كان لصا، ولكن ما لم يجد له تفسير هو لماذا يخطفه اللص من منزله، ثم يعيده من جديد لمنزله؟ وما سر ذلك الحجر؟ بالتأكيد لن ينسى الأمر أو يتركه يمر بتلك السهولة، لكنه سيجد حلا، بالتأكيد سيجد حلا، فهو طفل ذكي وعنيد، وعلى الرغم من مساوئ الصفة الثانية في علاقته مع جده، إلا أن لها دور كبير في تحقيقه لكل ما يريد تحقيقه.

الزمر:

قرر أن يجرب ما فعل من قبل بالضبط في الليل، بحيث يضغط الحجر مرة ويدخل القصر، إلا أنه كان يستيقظ كل ليلة ليجد أحدهم مستيقظا، ففي تلك الليلة كانت جدته لا تستطيع النوم، وفي ليلة أخرى كان جده جالسا على مقعده المفضل في الاستقبال أمام باب المدخل، يقرأ على ضوء القنديل، وفي ليلة أخرى بدا له أن زوج خالته كان مصابا بالأرق، فقضى ليلته في الشرفة، فنسي الأمر لشهور، ثم قرر أن يعيد المحاولة، حتى استطاع أن يصل إلى الباب دون أن يراه أحد في تلك الليلة، ولكن قبل أن يخرج، ألقى بإحدى قطع الشطرنج الخاصة به بجوار الباب، ثم أعاد الكرة، وخرج ووارب الباب من خلفه، ثم قام بضغط الحجر مرة واحدة فقط، ليشعر بانفراجة الباب الطفيفة، ليتجه مرة أخرى نحو الباب، ليدخل القصر من جديد، لكنه في تلك المرة كان حذرا لأبعد الحدود، لأنه لم يرد أن يضبطه هذا الرجل متلبسا من جديد، فدخل بتأن، ووارب الباب خلفه بهدوء، بطريقة تجعل الناظر يعتقد مغلقا، ثم دخل القصر ممسكا بشمعته الصغيرة، ليتفحص أنحاء، أول ما وقع نظره عليه هو موقع قطعة الشطرنج التي ألقتها قبل أن يخرج من الباب، لكنه بالطبع لم يجدها، مما أكد شكوكه تجاه ذلك القصر، ذلك القصر ليس قصره، قرر أن يعود إلى الحجر ويضغطه ٤ مرات كما فعل ذلك الرجل، ثم يعود للباب من جديد، ليجد قطعة الشطرنج ملقاة على الأرض بإهمال، عندها بدأ يفهم ما يحدث، لكنه لم يدر له سببا، لذلك قرر أن يدون كل ما يحدث دون زيادة أو نقصان، ليس هذا فقط، بل قرر أيضا أن يكرر الزيارات للقصر الآخر ليفهم ما يحدث، كان يذهب للقصر الآخر في أوقات مختلفة على مدار اليوم، وكان يتأنى قبل فتح الباب لكي لا يراه أحد، فكان إذا شعر بحركة في الداخل غادر سريعا إلى قصره.

من خلال تلك الزيارات المتكررة، علم صالح أن هذا الكهف هو سبب ذلك البلاء، وأنه قد تسبب في انقسام الخط الزمني الرئيس إلى خطوط فرعية، تحمل احتمالات زمنية متعددة، حيث لا يمكن التحكم في تلك الخطوط الزمنية الفرعية إلا من خلال الخط الزمني الأصلي الذي يعيش فيه بشدي، والذي يمكن الانتقال له عبر البلاطة الحجرية بمدخل القصر، وقبل وفاته أوصى أبناءه وأحفاده، بأن يتوارثوا كتابه العتيق، ويضيفوا إليه كل حدث جديد.

الزمن: زمره

لم ترحل أسرتنا قط من القصر، كما حدث في باقي الخطوط الزمنية، فنحن من خط زمني مختلف.. بالتأكيد درست قانون الاحتمالات في الإحصاء، كل تلك الخطوط الزمنية تتبع ذات القانون، لذا كان رشدي يجرب عدة احتمالات ثم يختار الواقع الأنسب لظروفه ليحي فيه.

لذلك تجدونني أعلم ما حدث بالتفصيل، حتى حين اختفت أسرتي في ذلك اليوم كنت أعلم يقينا ما حدث، ففي الفترة الأخيرة صار الانتقال يحدث دون تحضير، فجأة نجد القصر قد انتقل لخط زمني آخر ثم يعود في ذات اللحظة.

حاولنا التوصل لسبب ما يحدث، وذلك بهدف الوصول لحل، ولكن ظلت الطريقة المثلى لمعرفة ذلك هو العودة في الزمن ودراسة الأمر عن قرب في زمن الأجداد، بالطبع لم يحدث ما يجعل الأسرة تنتفض وتهرع نحو الكهف، لتعود بالزمن إلى وقت فتح البوابة، إلا أنني حين عدت في ذلك اليوم إلى المنزل مع والدتي في المساء، اكتشفت أن أهلنا جميعا اختفوا من الوجود، بالطبع لم نفكر مرتين، فتلك الأعياب الكهف، لم يكن أمامنا سوى حل واحد فقط، وهو أن نتنقل عبر الخطوط الزمنية، للبحث عنهم، فقمنا بتجهيز قائمة لكتابة أرقام الخطوط الزمنية التي انتهينا من البحث فيها بالفعل، كلما بحثنا في خط زمني، قمنا فوراً بكتابة الرقم، لكي نمنع عودتنا إليه من جديد، قضينا أربعين يوماً في التنقل بين الخطوط الزمنية، فلم يبد لنا أن لها نهاية، حتى يأسنا وفقدنا الأمل، بالطبع لم يكن هذا حلاً، فعدد الخطوط الزمنية التي قد تسبب في وجودها رشدي غير معلوم لأحد، لذا كان الحل الوحيد الذي ارتأيته هو السفر إلى الماضي ومنع فتح البوابة من الأساس، أو السفر إلى الماضي ومعرفة كيفية غلق البوابة، إلا أن أمي اعترضت بشدة على الحلين، فحاولت أن أقنعها بأن السفر إلى الماضي هو ملاذنا الوحيد، فدار بيننا هذا الحوار، قالت لي أمي بلهجة تقريرية حازمة:

"لن نسافر عبر الزمن يا زمردة، سنجد حلاً هنا.. "

قلت لها مداعبة:

"من أخبرك أننا سنسافر يا أمي، سأسافر وحدي."

(الردى: نمرود)

شهقت أمي قائلة:

"أتركك ترحلين، كما رحلوا؟ بالطبع لن يحدث هذا."

قلت لها مطمئنة:

"انظري يا أمي، أولاً نحن نعلم ما حدث جيداً، ومعنا مذكرات الأجداد، وأوراق فريد التي عثرنا عليها من الخط الزمني الرئيس، ونعلم تقريبا الزمن الذي نريد الوصول إليه، وأنا في سن صغيرة تسمح لي بالذهاب، وحين أمنع فتح البوابة، سيعود أهلنا من جديد ولن تشعري بأنني تركتك.." "

فكرت أمي قليلاً ثم فجأة نظرت لي بفزع قائلة:

"وماذا إن أغلقت البوابة، ثم تلاشنا جميعاً يا ابنتي، فنحن نعيش في خط زمني فرعي، وجدك الأكبر رشدي سامحه الله هو من عاش في الخط الزمني الرئيس."

صمتت ولم أدر بماذا أحبيب، فوالدتي معها كل الحق في هذا، لقد فكرت في شيء آخر، إنني قد أصنع خط زمني مواز، لأبقى أنا وأسرتي كبقايا زمنية، لكن تفكير والدتي أكثر منطقية، فالبوابة هي ما تسبب منذ البداية في انقسام الخط الزمني، **فقلت لأمي بشيء من الحزن:**

"ماذا ترين يا أمي؟"

قالت وهي تفكر في الأمر بشروء:

"لست أدري يا ابنتي.. لا أريد أن نرحل سوياً، فنضيع عبر الأزمان، وأرحل أنا لزمان وأنت لزمان آخر، ولا أريد أن أرحل وحدي، فتبقين وحدك ها هنا لتلاقي مصيراً لا يعلمه إلا الله، ولا أريد أن أتركك ترحلين فأظل وحدي هنا فقط أنتظر.." "

قلت لها:

"أعلم مقدار حيرتك يا أمي، ولكن إن تركتك ها هنا، سيكون الأمر أيسر سأرحل ويتغير الزمان، فأعود إليك من جديد، ولن تشعري بفقدي، وكأنني لم أذهب قط."

(الردي: زروة)

قالت لي بعيون دامعة، وصوت مرتجف:

" كيف هذا؟ وقد قرأتِ الدفتر الذي تركه فريد.. لا يمكن العودة للمستقبل من جديد.. "

لديها كل الحق في قلقها أعلم هذا، هذا أمر ليس له أي أبعاد، فقط مجموعة من الاحتمالات، وأسئلة متنوعة من ماذا لو، فقط ما نعلمه يقينا إنه لا يمكن العودة للمستقبل، ومن جهة أخرى فالعودة سويا إلى الماضي لذات النقطة أمر عسير، إن لم يكن مستحيلاً..

فقلت لها مستكملة ما بدأت:

"ألم يذكر فريد صعوبة السفر الزمني للكبار، وأن الخيار يجب أن يقع على الشباب؟ "

قالت بشيء من العند:

"لا يهم، المهم أن نبقى معاً، سواء هنا أو هناك.."

فقلت لها بدبلوماسية:

"الدي حل، ما رأيك أن أراسلك عبر الزمن لأطمئنك عليّ."

تحولت نظرات الحزن بعينها، إلى نظرات دهشة وتعجب، **فقلت لها:**

" نعم، يمكنني أن أراسلك عبر الكهف، سنتفق على موضع معين وأرسل لك منه ما يحدث، أولاً بأول، وسيأتيك دفعة واحدة بالتأكيد لأنه حدث في الماضي."

وافقت على مضض فقلت لها:

" أولاً، أريد أن أجمع أشياءي التي أريد اصطحابها معي، ثم ننتقل سويا إلى الخط الزمني الأول، لكي نستطيع الوصول إلى الكهف."

قالت بشيء من الحزن:

" سأساعدك.. "

(الرد): زمره،

بالطبع تعلمون ما حدث بعد ذلك، وتعلمون كل ما حدث بيني وبين آل مروان، ما خفي عليكم فقط هو علاقتي بعرفان، نعم لم أخبركم بها ولم أخبر أحدا بالطبع، فقد كانت شكوكي تحوم حوله منذ البداية، لم أدر كيف رأني حين وصلت في المرة الأولى، لكنني فوجئت به يستقبلني بابتسامته اللزجة، ويخبرني أنني أخفقت في عدد من السنين، بالطبع لم أخبره بقصتي كاملة، لأنني لم أثق به تمام الثقة، أخبرني أن اسمه عزيز، وأنه يحرس تلك المنطقة من بعد والده، وإنني إن أردت شيئاً، فليس علي سوى أن آت للقائه، هنا أمام الكهف، وحدد لي مواعيد معينة لكي أتأكد من تواجده، فكنا نلتقي بشكل دوري، ولأنني كما تعلمون وددت العودة لأهلي مرة أخرى، فكان سؤالي المعتاد هو **"هل يمكنني العودة إلى المستقبل؟"** إلا إنه لم يكن يجيبني إجابة شافية، بل كان يراوغ في الإجابة، حتى صدر مني ذلك الخطأ في تلك المرة، ذهبت يومها إلى مدخل الكهف وانتظرته قليلاً حتى وصل، بعد التحيات وسؤاله لي عن الأحوال، قلت له:

"كنت أريد منك خدمة بسيطة."

"تفضلي يا زمره.."

"هل يمكنك أن تدلني على مكتبة أستطيع الاطلاع فيها على كتب تاريخية؟"

فكر قليلاً ثم قال:

"لا أستطيع التذكر الآن للأسف، سأحاول أن أبحث لك عن واحدة."

قلت لها شاكراً:

"أشكرك يا عزيز جزيل الشكر."

ثم استدركت قائلة:

"بالمناسبة، هناك ذلك الفتى الذي تعرفته مؤخراً، دائماً ما ألتقيه في المكتبة بمنزل أحد معارفي..."

(الرد: زمره)

قاطعني قانلا:

"تقصدين بمنزل فريد؟"

هنا شعرت بأنني ارتكبت خطأ فادح، فهزرت رأسي بشيء من الضيق وأنا أقول:

"نعم.. نعم.. ليست تلك المشكلة، ولكنني أشك في كونه مسافر زمني، كيف يمكنني التأكد من هذا الأمر؟"

هنا بدا عليه الاهتمام للمرة الأولى منذ تعرفته، فقال بابتسامة واسعة:
"الأمر بسيط، أخبريه بأمر خطأ عن المستقبل، وإن اعترض يكون مسافرا زمنيا، وإن جهل الأمر الذي تتحدثين عنه، يكون من هذا الزمان."
أعجبني الفكرة ابتسمت وبدأ عقلي يفكر في أنسب موقف أستطيع أن أكشف به أمره،

فقال عرفان:

"فيك الخير يا زمره، لقد ذكرتني الآن بذلك الصديق العزيز الذي يعمل بمكتبة قصر محمد علي بشبرا؟ لست أدري كيف ذهب عن بالي حين سألتني."

نظرت له بشك، فأكمل:

"ستذهبن لذلك القصر، وتذكرني اسمي لأمين المكتبة، قل لي له أن عزيز بن الحاج عرفان هو من أرسلك."

فهزرت رأسي وقلت بامتنان:

"حسنا، أشكرك يا عزيز شكرا جزيلا."

قال بشيء من التواضع:

"لا تشكريني يا زمره، لا شكر على واجب، مهمتي فقط هي أن أساعدك."

(الرد): زمره:

بعد ذلك اللقاء بوقت قصير، علمت من مروان برؤيته لذلك القط الحارس، وبأن والدته لديها موهبة استباقية أخرى، وكان الأمر محير جدا بالنسبة إلي، فانتهزت فرصة لقائي التالي بعزيز، وسألته ببراءة:

"بما إنك تعلم الكثير عن ذلك الكهف وتلك الفتحة الزمنية، هل تعلم بوجود أي حيوانات ذات علاقة بذلك الكهف؟"

هنا انتبه فجأة وقال بلهفة:

"هل ظهرت لك أي حيوانات وأنت بداخل الكهف؟"

تعجبت من لهفته التي نادرا ما تظهر على ملامح وجهه، وأجبت قائلة:

"لا لست أنا، بل أخبرني عنها صديق.."

فسألني بلهفة أشد قائلا:

"ما هو هذا الحيوان وكيف يظهر له؟"

أجبت باقتضاب:

"هو قط يظهر وقتما يحلو له، وقد يساعد في أوقات الأزمات، دون أن يستطيع التحكم في وقت ظهوره."

فنظر لي نظرة ثاقبة، وكأنه يحاول أن يسبر أغوار نفسي، وهو يقول:

"فقط هذا؟"

هزرت رأسي، وأنا أقول بثقة:

"نعم.."

فسأل من جديد، لكي يتأكد:

"هل تعلمين أحد آخر من أفراد عائلته يرى ذلك القط أو أي حيوان آخر؟"

قلت له بحزم وحسم من لا يريد أن يفصح عن المزيد:

"لا.."

(الزمن): زمره

بدأ لي أن إجابتي قد فضحت أكثر مما دارت، بالطبع لن أخبره بالمزيد، فهو حتى الآن يجيب أسئلتني بأسئلة أخرى، فكر عرفان قليلا ثم قال:

"أريد أن ألتقي مروان يا زمرد."

قلت له بشك:

"لماذا؟ يمكنك معرفة ما تريد معرفته من خلالي.."

قال لي بشيء من الدهاء:

"فلنقل أن لدي شيئا يهمك."

"وما هو؟"

"والدي أخيرا أخبرني بكيفية السفر إلى المستقبل، اعتقدت أنك تحتاجين لتلك المعلومة.."

هنا انتابني شعورين مختلفين، الأول هو شعوري باللهفة، بالطبع وددت معرفة قصة والده، فأنا أتحرق شوقا للعودة لأهلي، الثاني هو الشك، فلماذا تذكر الآن أن يخبرني بهذا الأمر؟ بدأ لي إنه يراوغ ليحصل على معلومة، لم أدر مدى قيمتها لديه في هذا الوقت تحديدا، **لاحظ تفكيري فقال وكأنه غير مهتم برؤية مروان:**

"لا عليك، أنا فقط أحب التعرف على رفقائي في السفر الزمني."

نظرت له بشك قائلة:

"حسنا، ربما نلتقي جميعا يوما ما.."

في الفترة التالية لم ألتقي عزيز بشكل دوري كما اعتدت فقد انشغلت مع مروان وأسرته، حيث اكتشفنا سر غلق البوابة الزمنية، بعدها قرر مروان إرسال رسالة لأهله كما تعلمون، وبعد أن وضعنا الصندوق بالكهف ببضع أيام، ذهبنا للكهف لتأكد من اختفاء الصندوق، عندها اطمأنت أن أسرة مروان قد عثروا على الصندوق، لأنه وكما نعلم فالكهف لا تنطبق عليه المعايير الزمنية، ومعنى عدم وجوده في زمننا هنا أن الرسالة قد وصلت للزمان المطلوب، في

الرد: نروة

تلك اللحظة فقط شعرت بالراحة والأمان، حين اطمأنتت لوصول رسالة مروان لأهله، فكنت أنام ملء جفني، وأتناول طعاما لم أتناوله من قبل، ظللت على تلك الحال أياما وأيام في حالة من الاستسلام، وأنا في انتظار التلاشي، لم أدر بالطبع كيف سيحدث الأمر، هل سأختفي من الوجود كأن لم أكن؟ أم ستتلاشى ذكرياتي شيئا فشيئا قبل أن أنهار تماما؟ أعلم أنها أفكار لا توحى بالراحة والاستكانة تماما، ولكن شعوري بسعادة مروان في تحقيق ما أراد منحني سعادة أنستني رغبتني في العودة لأهلي، لم التعجب؟ فلنحدث بواقعية، لقد أتيت من خط زمني مجاور للخط الرئيس، بالتأكيد لن أعد لزمني، ومسألة اختفائي هي مسألة وقت إلى أن يتأثر الزمان بتعديلات غلق البوابة.

في ذلك اليوم استيقظت وكلتي طاقة وحيوية، أفكر في أسرتي العزيزة، لماذا لم أفكر من قبل في أن أراهم قبل التلاشي، لما لا أطلب من عزيز أن يخبرني بكيفية السفر إليهم، فقط لأودعهم، وستكون المرة الأخيرة التي قد ألجأ له فيها.

كان قد مر علي وقت منذ رأيت مروان وأسرته، شعرت بأنني أفتقدهم وأفتقد الحديث معهم، فقررت المرور بهم أولا قبل الذهاب إلى الكهف، إلا أنني حين زرتهم تحدث إلي مروان بفتور عجيب لم أعده منه قبلا، فظننت أن بقاءه في ذلك الزمن صبغه بتلك الروح المستسلمة، لكن تبين لي فيما بعد أن الأمر أكبر من ذلك، جلست معهم قليلا ثم انطلقت في طريقي للكهف، أفكر في لقائي الأخير بأسرتي، وأنا أدعو الله أن يبسر لي رؤيتهم، قبل زوال خطنا الزمني.

كان رد فعل عرفان حين ذكرت له رغبتني في السفر للمستقبل عجيباً،

حيث قال لي بهدوء شديد:

"ما رأيك في أن تحضري مروان، وتعرفيني عليه، بعدها أخبرك بما أخبرني به والدي؟"

قلت له بشيء من التحدي:

"ولماذا لا تخبرني الآن؟"

قال لي ببراءة تعجبت لها:

"زمرد، أيرضيك أن أخبرك بسر، انتمنه علي والدي، دون أن أستاذنه؟ "

نظرت له بشك، وأنا أحاول أن أستشف ما بداخله، فقال لي:

" أراك غدا، ومعك مروان، إلى اللقاء."

ثم امتطى حصانه وتركني وحدي في الصحراء، فامتطيت حصاني ورحلت، بينما أفكر فيما يجب أن أفعله الآن، فقد بدأت أشعر بأنه يراوغني لسبب ما لا أعلمه، إن لم يكن يراوغني فلماذا لم يخبرني بكيفية السفر إلى المستقبل، ولماذا يهتم بالسؤال عن مروان بذلك الشكل؟ وماذا إن أخبرت مروان بما حدث، بالتأكيد سيغضب مني، لأنني انتمنت ذلك الغريب على أسرارنا، دون قصد، فكرت أن أخبره بإمكانية سفرنا الزمني للمستقبل، ولكن ماذا إن كان عزيز هذا كاذب.

أعلم أنني أخطأت في الحفاظ على التواصل معه طوال الفترة السابقة على الرغم من عدم ثقتي به، إلا أنني شعرت بأنه يخفى ما لا يبدي، فوددت أن أكون على مقربة منه، لعلني أتعلم منه أكثر، ولعلي يوما ما أستطيع إنقاذ أسرتي من الضياع، ولم أخبر مروان وأسرته لأنهم اكتشفوا حقيقة سفري الزمني في وقت لاحق، فحين عرفت مروان، كنت أعرف عرفان منذ عام أو أكثر قليلا، فلم أجد فائدة تذكر من إطلاعه على الأمر، بالإضافة إلى أن عقلي يمنعني من البوح بما داخلي إلا للضرورة القصوى، إلا أن شعور تأنيب الضمير كان يسيطر علي، فمروان يخبرني بكل شيء منذ تعرفت إليه، وأنا أخفى عنه الحقائق، فماذا إن علم أنني من سلالة ذلك المدعو رشدي وليس سلطان، وإنه إن أغلق البوابة هنا والآن، قد أتلاشى كأن لم أكن، فأنا قادمة من خط زمني موازي..

قضيت ليلتي مثقلة بالأفكار السلبية التي منعني من النوم حتى ساعة متأخرة، إلا أنني بمجرد أن استغرقت في النوم، رأيت نفسي مع عزيز (عرفان) ومروان في مكان غريب لم أره من قبل، وكأنه أطلال قصر قديم،

(الرؤى: نزوة)

بينما نقف ثلاثتنا فوق رؤوس مثلث متساوي الأضلاع، عزيز ينظر لمروان بلهفة، بينما ينظر لي مروان بغضب، وأنا أنظر لتلك الشامة على جبين عزيز بقلق لم أدر مصدره، لحظات لم أدر كم دامت، ثم رأيت شعره يشيب في لحظات، وهو يشعر بهذا ثم ينظر لي ويقول أنت السبب.

استيقظت غارقة في عرقي، وأنا قلقة جدا من هذا اللقاء، بسبب ذلك الحلم الذي لم أدر معناه، لكنني تيقنت إنه تحذير من شيء ما، فأخذت خنجري الذي اعتدت أن أحمله في كل مرة ألتي فيها عزيز، لأنني لم أثق فيه قط، وقررت أن أصطحب مروان دون أن أخبره بشيء، بالطبع تعلمون ما حدث بعد ذلك، ولقاءنا الغريب في أطلال المعبد والذي انتهى بجرحي لمروان دون قصد ثم هربي، وذلك بعد أن رأيت نظرات مروان المتشككة، ونظرات عزيز التي تضمّر شرا لم أدر له سببا.

بعد ما حدث، حاولت الاختباء بقدر الإمكان، فقد رأيت نظرات مروان تتهمني بالخيانة، أنا أعلم أن مروان شاب حساس جدا، وفيما يبدو أنه قد تصور سيناريو لم يحدث، بالطبع لم أفهم كلماته التي تتهمني بالخيانة، بينما لم يستوعب عقلي كيف استنتج مروان إنني أخبرته بالطريقة الخاطئة لإغلاق البوابة، ألم نعثر على الورقة بداخل كعب الكتاب معا، وترجمها معا؟ هناك شيء ما لم أستطع أن أفهمه، عند تلك النقطة بدأ عقلي يربط النقاط ببعضها البعض، عزيز قد التقى مروان قبل لقائنا هذا، وفيما يبدو أنه أخبره عن رغبتني في السفر للمستقبل، هذا هو المبرر الوحيد لتصرفات مروان الغريبة، حتى عزيز نفسه كان..... عزيز؟ لحظة واحدة، في الحلم لم يكن عزيز ملثما، وظهرت تلك الشامة على جبينه، الآن فقط تذكرت وصف فريد للخفير عرفان، والتي تطابق تماما أوصاف عزيز، ماذا إن كان عزيز هو عرفان، وقد كان يخفي شخصيته لغرض في نفسه؟

قررت أن أتصرف وفقا لتلك الأفكار التي توصلت إليها، فلم أعد إلى المنزل في ذلك اليوم، وانتظرت حتى المساء لكي أستطيع التسلل دون أن

(الزوجة: زهرة)

يراني أحد، رحبت بي العمة إحسان في قلق، وأخبرتني أن مروان وأسرتة يبحثون عني منذ ساعات، فقلت لها ألا تخبر أحدا بأنني قد عدت، وظللت هكذا مختبئة أراقب الوضع من المنزل، بينما تساعدني العمة في معرفة ما يحدث في المنزل المقابل، مر علي عام أو أكثر قليلا في مخبئي، حتى لاحظت اختفاء مروان تماما، ففهمت أن عرفان قد أخبره بطريقة السفر الزمني إلى المستقبل، حينها دفعنتي العمة لكي أزور أسرة الجد فريد، لكي أفهم ما يحدث، لعلني أعود لزماني، في الواقع وقتها كنت قد فقدت كل ذرة أمل في العودة لأهلي ولزماني، فصار شعوري عبارة عن مزيج من الإحباط والمرارة، لكنني مع إصرارها، وافقت على مضض أن أزور الأسرة، الأسرة الطيبة التي رحبت بي بحفاوة بمجرد ظهوري على عتبة بابهم، وعلى الرغم من تعجبي مما حدث، إلا إنني ابتسمت بشيء من السعادة حين رأيتهم، أخبروني بما حدث، أخبروني بالطبع بأن عزيز هو نفسه عرفان، وأن مروان كان حزيناً ولم يفهم سر ما فعلت، بينما كان الجد فريد والجددة صفية يتفهمان ما حدث بشكل أو بآخر، حتى أن الجد فريد قال لي جملته التي أذكرها حتى الآن، والتي جعلتني أقص عليهما كل ما حدث، وأنا أقاوم دموعي:

"بنيتي، أنت غريبة في زمان ليس زمانك، لذا أنت هنا بين أهلك وأسرتك، أتعلمين مقولة ابن سيرين "إذا بلغك عن أخيك شيء، فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا، فقل لعل له عذرا.""

عندها هزمتني دموعي، وبكيت رغماً عني، فأحتضنتني الجددة صفية بحنان وهي تسأل:

"ماذا حدث يا ابنتي؟"

رويت لهما ما حدث، ورأيت نظرات التعاطف في عينيهما، ودخل سليمان في تلك اللحظة لينظر لي متأثراً وكأنه قد سمع ما رويت، وسأل جده قائلاً:

"هل أخبرتها يا جدي؟"

(الردى: نمرود)

قال له:

"ليس بعد يا بني."

فنظرت لهما بتساؤل قائلة:

"هل حدث شيء آخر؟"

هز سليمان رأسه بحماس وهو يقول:

"حدث شيء عظيم.. لقد ظهر لي حيواني الحارس."

هنا وللمرة الأولى منذ زمن بعيد أبتسم بسعادة مطلقة، وأقول له:

"هذا خبر رائع، هل أخبرت به مروان؟ هل علمه قبل رحيله؟"

قال لي:

"لقد ظهر لي في لحظة رحيل مروان."

فقلت له بسعادة جمّة:

"أخبرني إذن بما حدث."

فقال لي وهو يتخذ من المقعد المجاور لجده مجلساً:

"في ذلك اليوم الذي قرر فيه مروان الرحيل، صحبناه إلى الكهف بهدف وداعه، وفي لحظة دخوله إلى البوابة وقبل اختفائه التام، بدا لي حصاناً يركض مسرعاً عبر الأضواء الملونة، ثم فجأة اخترقها، وشعرت به يمر من خلالي، ففزعت وسقطت أرضاً، بينما ظل والدي يسألني إن كنت بخير وأنا أهز رأسي بذهول، فقد شعرت بما يخبرني ألا أتحدث بشيء أمام عرفان."

شعرت بالأدرينالين يغزو جسدي فانفجرت عيناى في حماس، وأنا أستحثه على أن يستكمل قائلة:

"وبعد هذا؟"

(الرد): زمره،

فقال الجد وابتسامة طيبة تزور فمه:

" ساعدته على الوقوف من جديد، وقد شعرت بأن الكهف هو سبب ما يحدث، فصمتت ، وحين عدنا للمنزل أخبرني بما رأي، ففهمت إنه حصل على هبة أنقياء القلوب، وقد وهب بذلك الحصان ليحرسه."

صمت الجد فسألت قائلة:

" ثم ماذا حدث؟ هل هذا كل ما حدث؟ "

قال سليمان:

" لا يا زمرده، لقد بقيت طيلة الأسبوعين الماضيين أحاول التعرف على قدراتي الخاصة، وكل ما يمكن لذلك الفرس فعله، لقد اكتشفت أنه يمكنه أن يساعدني في منامي ويقظتي، وإنني يمكنني التحاور معه، كما يمكنني استدعاؤه، لكن لا يمكنني أن أريه لأحد.."

ثم صمت قليلا، وكأنه يستمع لأحد ثم قال:

" نعم نعم، ويمكنني إهداء لشخص آخر بشرط أن يستحق أن أهديه إياه.."

لم أستوعب لم قد يفكر بأن يهديه لأحد فسألت بهدشة:

" ولماذا قد تفكر في أن تهديه لأحد، تلك هبتك، وقدراتك الخاصة، فحافظ عليها فأنت تستحقها بنقاء قلبك.. "

قال لي بجدية لم أعدها في طريقته معي من قبل:

" زمرد، لقد ظلمت كثيرا، ولم نوفيكَ حقك، على الرغم من أنك كنت دائما ما تخفين عنا جزءا من الحقيقة، لكنني أقدر تماما ما فعلت، وتفعلين من أجل أسرتك، ولم تهتمي يوما لأمر نفسك قط.. لذا نعم، أنت تستحقين."

قلت له بهدشة مطلقة:

"ماذا أستحق، ولماذا؟ وماذا سأفعل بهذا الحصان؟"

(الردي: زمره)

تبادل سليمان النظرات الحائرة مع الجد فريد، ثم مط الجد شفته السفلى في تردد وهو يقول:

"لقد نسي سليمان أن يخبرك أن ذلك الفرس أخبره بما يحدث الآن في زمن آخر، ونحتاج لمساعدتك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه."

هزرت رأسي بانتظار أن يخبرني أحد بما حدث، رباه ما هذا التردد، فليخبرني أحكم، يبدو أنه بدا على وجهي التملل، لأن سليمان قد بادر بقوله:

"ذلك الفرس يعطيني لمحات وكأنني أشاهد صندوقا يعرض لي من خلاله الأمور التي تحدث الآن بالفعل على مدار الأزمان، وتؤدي لتدمير الخطوط الزمنية، يبدو أنه بشكل أو بآخر يحاول أن يمنع دماره، ولذلك ظهر لي في تلك اللحظة التي رحل فيها مروان، لأن فيما يبدو أن سفر مروان لزمان بعينه قد يدمر الخطوط الزمنية."

هزرت رأسي أحته على أن يكمل فقال:

"رأيت عرفان يختطف مروان ووالدته، ويذهب بهما إلى خارج حدود الزمن." هنا نظرت له بدهشة قائلة:

"خارج ماذا؟"

أجاب قائلا:

"حدود الزمن، تعلمين أن الزمن من مخلوقات الله بالطبع، مثل السماء والأرض والبشر، حتى الموت مخلوق من مخلوقات الله."

قلت له متفهمة:

"نعم أعلم هذا، لكنني لم أستوعب أن هناك مكان يمكن الذهاب له خارج حدود الزمن، وكيف علمت هذا؟ أقصد كيف أخبرك الحصان؟"

قال لي:

"لم يخبرني بالطبع، سأوضح لك، لقد رسم لي الحصان طريقا رأيته وكأنه خطوطا مضيئة تضئ بعقلي، رأيت خطأ باللون الأبيض، تحدث فوقه

الرد: زمره

الأحداث، ذلك الخط يبدأ من زمني إلى ما شاء الله، رأيتني أتقدم في العمر، وأنزوج ويصبح لدي أولاد وأحفاد، والخط يزداد طوله، حتى رأيت مروان ووالدته في امتداد الخط الزمني لأحفادي، ورأيت عرفان يختطفهم، ثم يتكون خط زمني آخر بلون آخر، ثم خط زمني آخر بلون يختلف عن سابقه، وغيره وغيره، حتى أصبح أمامي ما يقرب من مائة خط زمني كل لون منها يعبر عنه ضوء بلون لم يتكرر، وعلى الصعيد الآخر، رأيت عرفان يختطفهما حتى خرج تماما من كل الخطوط الضوئية، واخترق تلك الفجوة التي تسبق نقطة تلاقي الخطوط، بعدها تفتتت كافة الخطوط، ولم أدر ما حدث. "

حككت جبھتي، وأنا أحاول أن أستوعب قائلة:

" أي أن الحصان يحذرك من أن ذلك الاختطاف الذي قام به عرفان قد يتسبب في تدمير الخطوط الزمنية تماما. "

هز رأسه قائلا:

" هذا بالضبط ما فهمت.. "

فقلت له متسائلة:

" ولماذا تريد أن تهديني ذلك الحصان إذن؟ لماذا لا تحتفظ به وتنقذ ما يمكن إنقاذه؟ "

قال لي بمنطقية:

"أنت سافرت عبر الأزمان من قبل يا زمردة، لا يوجد لدينا وقت للتجارب، بالإضافة إلى أنك من المستقبل أما أنا فساأستغرق وقتنا حتى أتكيف مع الوضع، وقد بدا لي إنه طالما إننا حتى الآن لم نتأثر أو يحدث شيء مريب، إذن فالتغييرات تحدث بطيئة، وبالتالي أمامنا وقت حتى تنهار الخطوط الزمنية، لكن المشكلة إننا لا ندري كم من الوقت قد تبقى لنا، لذلك كلما أسرعا كلما كان أفضل. "

(الرد): زمره

قلت بتردد:

" حسنا، ماذا يجب علي أن أفعل الآن؟ "

قال وقد لاحظ أنني بدأت أفقّنع:

" شيء غريب، لقد اقتنعت أخيرا... "

مططت شفّتي في حرج قائلة:

" هل لدي خيارات أخرى؟ "

ابتسم قائلاً:

" لا أعتقد هذا، إذن سأخبرك الآن، هناك طريقتين لنقل الحصان ليكون بحوزتك، الأولى أن أمره مباشرة بكل رضا في قرارة نفسي ليصبح معك، أما الطريقة الثانية فهي التي اتبعها عرفان مع مروان ووالدته، بمجرد أن يخرج من الخط الزمني تماما يتحكم بالكائنات من يأمرها باتباعه، ومنها يستطيع الاستيلاء عليها بكل سهولة، لذلك سأخبر الحصان الآن أنك مالكه الجديد. "

انفلتت مني ابتسامة حماس رغما عني، ثم راقبته وهو يربت على شيء ما لا أراه، وسمعته يقول في شيء من الحنين:

" سأفتقدك يا مرتجز. "

تعجبت مما قال، فقلت له:

" ماذا قلت؟ من هو المرتجز؟ "

قال لي:

" نسيت أن أخبرك، ذلك الفرس يسمى المرتجز، أما مروان فيملك النمر ويسمى الكحيل، أما صقر والدته يسمى وضاح، في لحظة اتحادهم سويا

^{٣٠} أحيانا يسمى الحصان بالمرتجز لحسن صهيله وقد حصل النبي صلى الله عليه وسلم على خيل من أعرابي ينتمي لقبيلة بني مرة وأسماه المرتجز.

(الرد: زمره)

يصبحون كائنا واحدا عبارة عن جسد حصان ورأس نمر وجناحي صقر، ذلك الكائن الناتج عن اتحادهم يسمى أشقر، أشقر هذا هو الذي يستطيع التحكم في غلق البوابة تماما."

تعجبت بشدة مما سمعت، كيف سميت تلك الحيوانات بأسماء عربية، والبوابة قام بفتحها قدماء المصريين؟ هل كانوا يتحدثون العربية؟ أنا أعلم بالطبع أن الهيروغليفية هي طريقة كتابة وليست لغة، لذا لا أستطيع تأكيد أو نفي فكرة تحدث قدماء المصريين العربية يوما، لم تتح لي فرصة كبيرة للتفكير والاندهاش، ففي اللحظة التالية رأيت فرسا لم أر في حياتي في جماله، حصان أبيض شاهق البياض، بجسده القوي وقوائمه الدقيقة، ذو شعر ناعم أشقر ينسدل من أعلى رأسه لبداية ظهره في نعومة ولمعان، يبدو أنني وقعت في غرامه من النظرة الأولى، ابتسمت وأنا أربت على وجهه قائلة:

"كيف حالك يا مرتجز؟"

هز رأسه، وسمعت صوتا يتردد في رأسي وكأنه قادم من بئر عميق، قائلا:

"نحمد الله الذي لا يحمد في السراء والضراء سواه.."

اتسعت عينا في دهشة، فابتسم سليمان قائلا:

"حمدا لله على سلامتك يا مرتجز، أتمنى أن تحب إقامتك الجديدة."

هز الحصان رأسه من جديد موافقا، فقلت لسليمان:

"يبدو أنه يوافقك الرأي."

فقال سليمان:

"توقعت هذا فهو حصان مطيع."

ثم استدرك قائلا:

"الآن سنذهب للكهف من جديد، وسيقودك الحصان عبر طريقك لا تقلقي."

(الرد: نروة)

هزرت رأسي موافقة، فسمعت صوتا من جديد يقول:

" سأكون رفيقك، ودليل طريقك."

عجيب أمر ذلك الفرس ذو الكلمات المقفية..

ها نحن أولاء بالكهف أمام البوابة تماما، وها هي الجدة صفية تحتضني بحنان لتودعني، والجد فريد يوصيني بالاعتناء بنفسي، وسليمان يخبرني أن أطلب من المرتجز أن يساعدني إن احتجت لأي شيء.

ودعتهم بمشاعر مختلطة، وها أنا ذي اخترق البوابة مع المرتجز الذي يتقدمني بخطوات، بينما أحاول اتباع خطواته، لكنه فجأة توقف واستدار نحوي فجفت، لأجده يحني عنقه لأسفل، في إشارة منه إنني أستطيع امتطاءه، ابتسمت بامتنان ثم حاولت الصعود فوق ظهره الناعم، الأمر الذي وجدته صعبا بدون سرج، ويبدو أنه شعر بمعاناتي فانحنى قليلا، وبعد عدة محاولات استطعت الصعود، شعرت بما يخبرني أن أتشبث بعنقه جيدا، ففهمت أن تلك الطريقة هي التي سيتواصل معي من خلالها، فتشبثت بعنقه، لينطلق بي عبر طرقات الأزمان، ومع سرعة اندفاعه انحنيت قليلا للأمام لأحاول الحفاظ على توازي، وعلى الرغم من اندفاع الهواء الشديد في وجهي، إلا إنني شعرت بالسكينة تغمرني، والهدوء يشملني، فأخذت نفسا عميقا وأخرجته ببطء، وتأملت الطريق من حولي، تفرعات عديدة وكأنها طرق مضاءة بالكامل، وبدخل كل تفرعة أحداث عديدة وسنوات مديدة، والفرس ينطلق في طريقه الذي يحفظه عن ظهر قلب بثبات، شعرت وكأنني أعيش حلما رائعا، لا أريد الاستيقاظ منه، والهواء لا يزال يندفع ليبلع وجهي ويشعري بأنني أحلق في السماء، لست أدر كم مر علي من وقت، ربما مرت دقائق، وربما آلاف السنين، إلا أن الحصان فجأة اخترق ما اعتقدت أنه ستارا شفافا، والذي بمجرد أن اخترقناه شعرت بشيء بارد يغمرني، ثم ينسحب بهدوء مما أشعري بالقشعريرة، ثم فجأة توقف الفرس، لأجد إننا قد وصلنا لمحطتنا الأخيرة.

(الرد): زمره،

حين توقف المرتجز تأملت المكان من حولي، هناك ضوء يأتي من لا مكان، وهو ما اعتقدته أمرا طبيعيا للغاية، فنحن الآن في اللا زمان، ترحلت من فوق الحصان لأتأمل اتساع المكان، لكن لماذا أرى شيئا ملونا يتحرك على مرمى بصري، لم يكن شيئا ملونا في الواقع، بل كان مروان ووالدته، رأيتهما يقتربان، فعدوت نحوهما، وحين اقتربت منهما سألت نفسي، كيف تكون تلك والدته، وهي شابة جميلة رقيقة يبدو أنها تكبرني بعام أو اثنين على أقصى تقدير، هناك لقطة لم أفهمها ها هنا، ولكن بعد برهة من التفكير استوعبت الأمر، لقد اختطف عرفان مروان وهو برفقة والدته في شبابه، في زمن ما قبل ميلاده، هذا يجعل الأمور أوضح بالفعل..

حين وصلت لهما، ونظرت لمروان، ساد بيننا الصمت، ولكن تحدثت عيناى بالكثير، كان هناك الكثير من اللوم، والحزن، بينما كان هناك شعور بالافتقاد لم أدر له سببا، يبدو أن مشاعري قد تبدت على ملامح وجهي، ربما للمرة الأولى منذ أن التقيت مروان، فوجدتني أبكي رغما عني، فجذبتني والدته الصغيرة إلى صدرها وظلت تربت على ظهري وأنا أنتحب بلا صوت، وسمعت صوتها الرقيق يتسائل بحنان:

"أنت زمردة؟"

هزرت رأسي وأنا لا أزال في حضنها، فأبعدتني عنها برفق وهي تنظر لوجهي بحنان قائلة:

"من يسمح لهذا الجمال أن يبكي؟"

فابتسمت ابتسامة اختلطت بدموعي، وقلت لها:

"لا عليك يا سيدتي، لقد شعرت فجأة بظلم قد وقع علي لفترة طويلة، وما أبكاني أنه وقع من شخص قريب.."

(الزوجة): زمره،

هنا اقترب مروان، وهو يقول:

"أنا أسف أشد الأسف يا زمره، أعلم إنني قسوت عليك وظلمتك، لكن أرجو أن تعذريني، ليس لدي عذر أعلم هذا، لكنك أخفيت عني الكثير."

قلت له بمرارة:

"لم أخف عنك شيئاً سوى ظروف أسرتي، لم أرد أن أضعك لحظة في المقارنة بين بقائك أو بقائي، فأنا الدخيلة ها هنا، أنا من يجب عليها الرحيل، فأسرتي بأكملها من خط زمني مواز، أما أنت فمن الخط الأصلي، لكن أشد ما أحزنني هو أنني كنت أحاول حمايتك من عرفان، فذلك الشخص خدعني ولم أرد أن يخدعك أيضاً، لقد أردت أن أتأكد أولاً أنه يمكنني أن أثق به لأجعلك تتواصل معه، هل اعتقدت يوماً أنني قد أرحل لزمانني وأتركك؟ كيف اعتقدت هذا وكيف خطر ببالك بعد كل ما مررنا به معاً؟"

قال لي بأسى:

"أعتذر مرة أخرى يا زمره، أرجوك سامحيني.."

قلت له وأنا أمسح ما تبقى بعيني من دموع:

"لو لم أسامحك ما كنت رأيتني هنا الآن لإنقاذك."

سألني بدهشة:

"وكيف علمت بوجودي هنا؟"

قلت بشيء من المرارة:

"تلك قصة طويلة، سأخبركما بها فيما بعد، أما الآن فليس لدينا وقت، تعالوا معي."

فقال والد مروان بصوتها الرقيق الدافئ:

(الرد): زمره

"إلى أين يا حبيبتى؟"

قلت لها بتهذيب:

"ستعودين لزمانك يا سيدتي.."

ابتسمت قائلة:

"لماذا تقولين لي يا سيدتي؟ نحن في أعمار متقاربة."

فقال مروان:

"الأمر ذاته حين أقول لك يا أمي."

ابتسمت من جديد وهي تقول لي:

"نادني بمريم.."

بادلتها الابتسامة وأنا أقول بخجل:

"حسنا، هيا بنا يا مريم وسأخبركما بكل شيء في طريقنا.."

(خواطر ترويحاً مريم)

لست أدري كيف استطاع مروان تصديق هذا المدعو عرفان؟ نعم أعترف أنه حلو اللسان، هادئ الملامح، دائم الابتسام، ولكن هناك شيء غير مريح في ابتسامته تلك، وها هو إحساسي يصدق في تلك المرة ويتركنا ذلك الرجل المريب، خارج حدود الزمان ويرحل، بالطبع لوهلة شعرت إنني أفقد الأمل تماماً، ولكنني حاولت أن أمد به مروان، فهو يعلم إنني والدته، وينتظر مني الدعم، لذا ظللت أخبره إننا سننجو، لكنه لم يصدق ما أقول، ربما بسبب تعبيرات وجهي المحبطة، وربما بسبب صوتي المرتجف، إلا أنه بعد وقت قصير، أو لعله طويل، فوجئت بخيال يعدو من بعيد في ذلك الفراغ السرمدي الذي نفق فيه، لأجد إنها زمردة، إحقاقاً للحق لم تكن كما تخيلتها تماماً، لقد تخيلت أنني سأرى فتاة قوية تبدو على ملامحها الصلابة والعزيمة، لكنني على العكس رأيت فتاة هشة رقيقة، دقيقة الملامح، شعرت بانكسارها الذي أحزنني لأن ابني المستقبلي هو من تسبب به، حين بكيت ضممتها لصدري لكي أعوضها عن حنان والدتها الذي تفتقده بالتأكيد، لست أدري مع هذين الشابين شعرت أن عمري ازداد عشرون عاماً على الأقل.

تبعنا الفتاة أنا ومروان حتى وصلنا إلى الستار الذي اخترقناه منذ قليل مع عرفان، ولكن لشدة دهشتي وجدت ذلك الحصان الأبيض يجاور الستار، فسألتها:

"هل جاء معك هذا الحصان؟"

فجأة أشرق وجهها بابتسامة رائعة وهي تقول:

"هل تريه يا سيدتي؟"

قلت لها مداعبة:

"نعم أراه، ولكن من جديد أخبرك إنني الآن في مثل عمرك."

(الردى): مريج

قالت لي بحرج وهي تضع يدها فوق إحدى عينيها:

"عفوا يا مريم، اعدريني فأنت بالنسبة لي والدة مروان على الرغم من سنك الصغيرة."

ثم استطردت قائلة:

"كيف رأيت ذلك الحصان؟"

فقال مروان:

"أنا أيضا أراه."

فقالت بدلال:

"لم أكن أتحدث إليك."

فابتسم مروان قائلا:

"ولكنني أتحدث إليك.."

لوهلة شعرت بعدم راحة لما آل إليه الحديث، فقلت لها:

"هل تمتلكين ذلك الحصان يا زمردة؟"

أجابتي زمردة قائلة:

"في الواقع، لا أملكه، ولكن سليمان أهداني إياه لكي أستطيع إنقاذكما، لهذا تعجبت حين رأيتماه."

قلت لها:

"لست أدري، ربما رأيناه لأن لدينا ذات الموهبة."

قالت بذهن شارد:

"نعم، ربما، هيا إذاً لننطلق، ليس لدينا وقت.."

ثم أشارت للحصان قائلة:

"كيف نمتطيه برأيكم؟"

(الرد): مريح

قال مروان:

" اركبا أنتما، وسأسير بجواركما."

أشرت له قائلة:

" فكرة سديدة."

امتطينا الحصان أنا وزمردة بمساعدة بعضنا البعض، عندها ربت مروان على عنق الفرس، لنبدأ رحلتنا.

وبينما نحن سائرون رأيت مسارنا يتبدى أمامي كطريق صنع من الضوء، وكأنني أرى شريطا من مصابيح ال LED لا نهاية له، وفجأة علمت كل ما حدث، وكأن هناك من يروي لي حكاية بصوت عميق، ولاحظت أن الصوت الذي أسمعه يتطابق مع هزات رأس الفرس والذي علمت أن اسمه هو المرتجز، وكأنه يروي لي ما حدث بالتفصيل، بينما ظهرت أمامي تفاصيل القصة وكأنني أشاهدها، حتى أنني لم أعلم إن كان الحصان هو من تسبب في تلك الصور التي أراها، أم هيأها لي عقلي الذي يعشق تصور كل ما يسمعه، مر علي وقت لم أستطع تقديره، ولكن بعد حين وصلنا لنهاية الطريق الضوئي، تقريبا في ذات الوقت الذي وصلنا فيه للبوابة الزمنية، كانت رحلة عجيبة بالنسبة لي، لم أتخيل يوما أنني قد أمر بها..

حين وصلنا أمال الحصان رأسه قليلا ليساعدنا على النزول، وقتها تحديدا علمت ما يجب علينا فعله.

(خارج السياق - ٩) يرويها مجهول

تمر السنون الأربعة ولم يندم المتمرد لحظة على ما فعل بأسرته، بالتأكيد لم يدر سبب ما طلب منه الغريب، ولكنه نفذ ما طلب منه بدقة، لذلك فعل ما فعل وانتظر المكافأة والتي توقع أن تستحق تلك التضحية التي قام بها، إلا أنه فوجئ بعودة المنزل بعد مرور سنوات أربعة، دون أن يطلب منه الغريب العودة، فتعجب مما حدث، وحاول الوصول إليه بكل الطرق، ولكنه لم يستطع، لذلك قرر العودة لما قبل قرار نفي أسرته إلى ذلك الخط الزمني المجاور..

(معركة) يروها يوسف

انتظرنا عودة عرفان برفقة مروان ومريم لما يقترب من نصف الساعة، بعدها بدا لنا عبر البوابة ظلاً واحداً فقط، فبدأ قلبي في الانقباض، أيا كان صاحب ذلك الظل فهو أمر لا يبشر بخير، اقترب الظل حتى اخترق البوابة، لنجد إنه عرفان، فجأة سقط قلبي في قدمي، وشعرت بغصة وأنا أسأله:

"أين مريم ومروان؟"

نظر لي بأسى وهو يقول:

"فضلوا التضحية بأنفسهم، في سبيل إنقاذ الخط الزمني."

مادت الأرض من تحت قدمي، وأنا أرى مستقبلي يضيع في لحظة، هل تركاني وحيداً هكذا؟ لا أريد أن أعيش وحدي من جديد ... قلت له بحزم:

"وضح الأمر لو سمحت، ماذا حدث بالتفصيل؟"

هم بأن يتحدث، إلا أن خيالاً ما اخترق البوابة الزمنية من جديد، نظرت بلهفة لأجد مريم ومروان ومعهما فتاة شابة، هنا عادت لي دقائق قلبي من جديد، لكنني لاحظت نظرات عرفان الحادة فشعرت بأنه يضمر سوءاً، فأشرت لأدهم لنزديه أرضاً، فقفزت نحوه لأمسك برقبته من الخلف، وبينما هو منشغل بالنظر إلى مريم ومروان، أسرع أدهم بالإمساك بيديه بسرعة، في ذات الوقت الذي وقفت أمنية إلى جواربي في توتر دون أن تعلم ماذا تفعل.

حاول عرفان التملص من ذراعي المحيطة برقبته ومن يدي أدهم القابضة على يديه، وفي ذات الوقت اندفع مروان ليلكمه في وجهه لكمة بدت لي مؤلمة، ولكن عرفان أغمض عينيه في استسلام وهو يقول:

"الآن يا أصدقائي.."

عندها رأيته يرتفع لأعلى وكان هناك طائراً يحلق به، ورأيت به بوجه كلامه للفتاة التي لم أدر من هي قائلاً بنعومة:

الزمر: بومس

"زمرد، لقد افقتقتك يا عزيزتي، كيف حالك؟ لمن هذا الفرس بالمناسبة؟ هل هو ملكك يا زمرد؟ يبدو أنك لست بالبراءة التي اعتقدتها، هل خدعتني طوال تلك الفترة؟"

إذن تلك هي زمردة التي حدثنا عنها مروان، ولكن أي فرس هذا الذي يتحدث عنه؟

نظرت له زمردة شذرا وهي تقول:

"لقد خدعتنا جميعا وستحصل على جزائك الآن أمام الجميع."

ثم أشارت بيدها قائلة:

"مرتجز.. هيا.."

في الواقع لست أدري إلى من تتحدث تلك الفتاة، فأشرت لمريم إشارة بمعنى ماذا يحدث، فأشارت لي إشارة أخرى بمعنى سأخبرك فيما بعد.

في اللحظة التالية رأيت زمردة تمتطي شيئا ما وتقفز به في الهواء لتصل إلى عرفان، بينما شعرت كأن هناك شيئا يجذبها لأسفل، بل ويأب أن تصل إلى عرفان، وفي ذات الوقت كان مروان يحاول القفز لأعلى ليمسك بقدم عرفان وهو يخاطب شيئا ما خلف زمردة قائلا:

"عد إلي يا كحيل.."

ثم ينظر لأعلى نقطة في القبو قائلا:

"أرجوك أتركه لنا يا وضاح، أتركه فهو لا يستحق الحماية."

الأمر تبدأ تتضح في رأسي وأنا أحاول استيعاب ما يحدث، ويتناهي إلى مسامعي صوت أمنية وهي تجهش بالبكاء، يبدو أن أعصابها لم تعد تتحمل فانهارت المسكينة، بينما صرخ أدهم قائلا:

"هل يمكن أن يخبرنا أحدهم ماذا يحدث هنا؟"

عندها قالت زمردة وهي تخاطب الهواء:

" كن مرثيا لهم يا مرتجز، وأظهر رفيقك فوراً.."

عندها فهمت كل شيء، وكان حجابا كان بيننا وبينهم قد زال فجأة، فرأيت ذلك الصقر الضخم شاهق البياض وهو يحمل عرفان لأعلى الكهف ليمنعنا من الوصول إليه، ورأيت ذلك الفرس الأبيض نادر الجمال وهو يصهل في غير رضا، ورأيت ذلك النمر الأبيض كحيل العين كالتماثيل المصرية القديمة، هنا قال لي أدهم بدهشة:

"أذكر نقش الحيوان الخرافي الذي رأيناه فوق الحجر؟ يبدو أن هذا الفرس هو الحيوان المتبقي، أعتقد أن تلك الحيوانات ستتحدر الآن!"

فجأة شعرت بعقلي يربط كل ما حدث، فغمغمت قائلاً:

"فهمت، المنبع والرباط، نحن الآن في المنبع، يتبقى أن يحدث الارتباط الآن."

هناك معركة تدور من حولي، والآن بعد أن انكشف الحجاب، يجب أن أكون جزءاً من تلك المعركة، قفزت لأعلى لأمسك بقدم عرفان بينما فعل أدهم المثل، واقترب مروان من النمر في هدوء وهو يحاول استقطابه وإقناعه بالعودة له وترك عرفان، وزمردة تقف أمام فرسها وكأن حواراً خفياً يدور بينهما لا نعلم عنه شيئاً، ومن بين تلك الفوضى صرخ عرفان فجأة قائلاً:

"هيا يا وضاح، الآن يا عزيزي!"

في تلك اللحظة أقلته الصقر فأسقطه واقفا بثبات فوق أرض القبو، ثم فرد جناحيه - أقصد الصقر بالتأكيد ليس عرفان - ليستطيلاً حتى صار عرضهما ما يقرب من المترين، بالتأكيد لم أر شيئاً أمامي، لحظات مرت كالدهر، وحين لملم الصقر جناحيه كنا جميعاً مقيدين من أيدينا وأرجلنا، كيف؟ نحن الآن في قبو تحت الأرض، وكيان شيطاني يجعلنا نرى أوهاماً بصرية، نقاوم مسافراً زمنياً من القرن التاسع عشر، ومعنا ثلاث حيوانات أسطورية، وتتساءلون كيف قيدنا الصقر الأسطوري حين فرد جناحيه؟ أعتقد أنه سؤال بلا إجابة!

الرجل: بومس

وقفنا جميعا مقيدين في شكل نصف دائرة حول البوابة الزمنية، بينما وقف عرفان عاقدا يديه خلف ظهره في منتصف الدائرة، نظرت إليه وأنا أقاوم تلك الأوهام البصرية التي تتزاحم أمام عيني، وحاولت أن أطمئن على الباقيين، لأجد كل منهم يحاول التملص من أصفاده، تأملت الأصفاد التي تكبل يدي بدهشة، فقد بدت لي وكأنها صنعت من الريش الأبيض الناعم، حاولت التخلص منها لأجدها أقوى من الحديد، بالتأكيد لن أفهم ما أقحمنا أنفسنا فيه، فالوضع ككل أصعب من أن يروى ولكن عزائي الوحيد، أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، لذا كنت متأكدا أننا سنخرج منها بأمر الله.

لأول مرة منذ رأيت هذا العرفان أرى الانفعال على ملامح وجهه، نظر حوله وكأنه يبحث عن كلمات مناسبة، ثم قال بشيء من الغضب:

"لقد مررت بالكثير منذ فتح تلك البوابة، ولكن تلك العائلة هي أصعب ما مر بي، لماذا تقفون أمام القدر؟ لما تحاربونه؟"

ممم خلط واضح في المفاهيم، هذا الرجل يرى أنه الوحيد على صواب وأن مخالفة ما يفعل هو محاربة لقدرنا المتمثل في شخصه، هذا مستوى عال من التبحر لم أر مثله من قبل.

"للأسف أن تدخل زمرد لم يكن في صالحكم جميعا، كل ما أريده الآن هو أن تهني ذلك الفرس بنية صافية تماما، دون عند، ودون الأعياب."

صاح بتلك الكلمات بصوت مرتفع تردد صدها في أنحاء القبو، بالطبع لم يرد عليه أحد منا، فالرجل يتمتع بجنون من نوع نادر، فهو مجنون ولا يمكن لأي منا إثبات جنونه، فها هو يعود لحلو الحديث ونعومة الكلمات وهو يتحدث قائلا:

"زمردتي العزيزة، لا تضطريني إلى اصطحابك إلى خارج حدود الزمن، لقد صرنا نتحدث بشكل مكشوف، فلا تضطريني إلى فعل ما لا تحمد عقباه."

هنا تحدثت زمردة للمرة الأولى منذ وصلت إلينا، فأسبلت عينيها بإرهاق قائلة بثبات أعجبت به، وخاصة مع تقييد يديها وقدميها:

(الرد): برسر

"عرفان يا عزيزي، هل تعتقد فعلا أن تلك الهبة قد جاءتك لاستحقاقك لها؟ والله إنك لأفأك أثيم، هل لا تزال تعتقد أنك أنت ذات الشخص الذي دفعه جدي رشدي بداخل البوابة؟"

ضحكت ضحكة قصيرة باستهزاء، ثم أجابت وكأنها لا تنتظر رده قائلة:

"ذلك الشخص قد اختفى منذ سنوات عديدة، منذ أن مات قلبه، وسيطر عليه عقله وخدعه، هل تريد الفرس؟ وتريد مني أن أساعدك؟ بعد أن أسأت لي وشوهت صورتي أمام من أحبوني وأحببتهم، لقد أدقنتي المر، وإن كانت وسيلتي في الاقتصاص منك هي معاقبتك بتركك هكذا تحاول السيطرة على الزمن ولا تستطيع، سأقتصص منك هكذا، وأتلفذ بمشاهدتك وأنت تتوسل إلي أن أمحك الفرس، اسمه المرتجز بالمناسبة."

ابتسم ابتسامة ودود وهو يستمع كلامها، ثم صفق براحتيه وكأنه يثنى على إلقائها – أسلوبه مسرحي جدا ذلك الرجل – ثم قال:

"يعجبني حديثك وكأنك تمتلكين زمام الأمور، ألا ترين نفسك وأنت مكبلة بالأصفاد هكذا أنت ورفاقتك الأعراف؟ إن أردت المساعدة دون حديث لا طائل منه، أعطني الفرس.. أأ أقصد المرتجز، أما إن أبييت فلا يوجد لدي حل آخر سوى نفيك خارج حدود الزمن، الأمر الذي يبدو أنني سأنفذه بالفعل."

ابتسمت زمردة ابتسامة مشابهة ابتسامته قائلة:

"هيا يا عرفان فلتأخذني لخارج حدود الزمن، ما رأيك أن تأخذنا جميعا؟ ليس لدي أي مانع.."

بدأت تثقته بنفسه تهتز وهو يبحث في عقله عن مصدر تثقتها تلك، فبادرته بقولها:

"هناك معلومتين لم أخبرك بهما لكن كان من الواجب عليك أن تستفسر عنهما، الأولى هي أنني لا أملك المرتجز، فهو هدية، وكما تعلم فالهدية لا تهدى، حتى خارج حدود الزمان، أي إنك تستطيع نفبي حيثما شئت، وقتما شئت، ولكن ما ليس لي لا أستطيع إهداؤه إليك."

(الرد): بومس

حك ذقنه في شيء من التوتير وهو يقول بفضول:

" والمعلومة الثانية؟"

قالت بعناد وسيطرة:

" أن المرتجز ذو السلطة واليد العليا على باقي الحيوانات الأسطورية، وذلك لأنه العنصر المضيف، فالكائن الخرافي الذي يمكنه سد البوابة الزمنية يتكون في الأساس من الفرس ومعه يندمج باقي الكائنات. "

ضم حاجبيه في تفكير عميق وكأنه يبحث عن فائدة تلك المعلومة بالنسبة إليه، فهو الآن يمتلك اثنين من تلك الحيوانات الأسطورية، أي إنه لا يزال صاحب السلطة، فقال بشيء من الشك:

" ثم؟"

قالت بلا مبالاة:

" لا شيء، فقط نسيت أن أخبرك أن المرتجز يمكنه التواصل مع رفاقه عن طريق التخاطر العقلي، ويبدو إنه استطاع أن يتواصل معهم ويشرح لهم ما يحدث، والآن يحين أوان السيادة والسيطرة، سيادة المرتجز وسيطرته على مجرى الأمور."

في ذات اللحظة التي وصلت فيها لنهاية كلماتها، رأيت القيود التي تكبلنا وكأنها تذوب، ثم رأيت قيودا تكبل يدي عرفان وقدميه بقوة، فبدأ يقاوم القيود بعصبية وهو يقول:

" ألم تخبريني أن الهدية لا تهدى؟ كيف حصلت عليهم؟"

قالت بهدوء وهي تمسك بمعصمها، وكأنها تتخلص من ألم أصفادها:

"لم أحصل على شيء يا عرفان، لم يحصل أي منا على شيء، كل ما في الأمر أن المرتجز وضع لهما الغرض من وجودهم جميعا، وهو الاتحاد أمام أي شر يصدر عن البوابة الزمنية."

الزمني: بروس

فجأة صار المرتجز ضعف حجمه أو أكثر، ثم صهل وهو يرفع قائميه الأماميين لأعلى، ورفرف الصقر بقوة وسرعة ليقف فوق ظهره، وقفز القط من بعده، ليقف فوق كتفه، ورأينا الضوء الأبيض يخرج من الاتحاد الأسطوري للثلاث حيوانات، والذي لم ندر إن كان قد حدث من قبل، أم أننا نشهد ظاهرة أسطورية لم تحدث من قبل قط، وقف الكائن الخرافي في شموخ بجسد الفرس وجناحي الصقر ورأس القط – الذي أصبح أشبه برأس النمر الآن – بلونه الأبيض ناصع البياض، وظل يرفرف بجناحيه حتى أضاء القبو بأكمله نورا، وكأنه يمح كل ذرة وهم بصري تسببت في وجوده البوابة، ثم دفع عرفان بجناحيه، ليلقي به داخل البوابة غير ملتفتا لصراخه المستمر، ثم أشار لمروان وزمردة بجناحيه ليدخلا البوابة بمحض إرادتهما، يبدو أنه يحاول إصلاح الخط الزمني، ولكنني لست مستعدا لفراق ولدي، وإن ذهب الآن هل سأراه من جديد؟ أم إنه سيصير ذكرى فقط في خيالنا؟

نقل مروان نظره بيني وبين والدته وخاله، ثم ابتلع ريقه وهو يقول:
"يمكننا النظر للجانب المشرق من الأمر، لقد افتقدتكم طيلة الثلاث سنوات السابقة، وقضيت معكم وقتنا ممتعا قبل أن تغلقوا الفجوة."

ثم افتعل ضحكة نابغة عن توتره وهو يقول:
"لست أدري ما هو التغير الزمني الذي قد يحدث إن أغلقت البوابة، هل يمكن ألا أولد من الأساس؟ وهل ستولد زمردة، أم أنها ستتلاشى لأنها قادمة من خط زمني فرعي؟"

ابتسمت زمردة قائلة بشيء من المرارة:
"أنا راضية بما يحدث، سواء ولدت أو تلاشيت، سواء أكننت من الخط الزمني الأصلي أو من الخط الفرعي، إلا أن أيا كان ما سيحدث، فأنا أسامحك يا مروان."

(الزوجة): بوس

نظر لها مروان بإمتنان قائلا:

" أشكرك يا زمردة على كل شيء، وأعتذر على كل ذرة هم وحزن تسببت بهما لك."

لم أدر ماذا أقول لهما، فساد بيننا صمت أبلغ من أي كلمات، ثم التفت عيناى بعيني مريم، حيث بدت لي متوترة بشدة، وهي تمسح عرقا وهميا من فوق جبهتها، وتتلقت حولها بطريقة مفتعلة، عندها تسرب القلق إلى نفسي، أريد أن يكون مروان هو ابني في المستقبل، أريد هذا بشدة، ولن أسمح له بالتلاشي، فقلت له بسعادة مفتعلة، وأنا أربت على كتفه بقوة:

"والدك فخور بك يا مروان، ما زلت لا أستسيغ فكرة أن ولدي في مثل عمري الآن لكني تخيلت نفسي في المستقبل وأنا أرسل ولدي الشجاع للماضي لينقذنا، الأمر الذي يتطلب شجاعة غير عادية، وخاصة أنك سافرت على سبيل التجربة، دون أن تعلم شيئا عن السفر الزمني، لذا أقول لك، ستعود لنا يا مروان، سنحرص بكل الطرق أن تعود لنا، وإن لم تعد فلن أسامح نفسي التي فرطت فيك."

رأيت مريم تقترب من زمردة التي يتساقط دمعها بصمت، ثم تجذبها إلى صدرها، وهي تربت على كتفها وتقول:

" ستعودين يا زمردتي، هذا يقين."

هنا التفت لها مروان فجأة قائلا:

" نعم بالفعل هذا يقين يا أمي... ستعودين يا زمردة وسأعود إن شاء الله، وستعود السعادة، وتعم البهجة.. "

هزرت رأسي بعدم فهم، فقال لمريم بلهفة:

"أمي، إن لم أولد في العام ٢٠٢٢ وأتى من بعدي طفل فلتسميه يقين، وإن ولدت بالفعل فحذي حذك يا أمي ولا تتحركي كثيرا في الاحتفال بيوم ميلادي الثاني."

(الرفق: يوم)

ثم نظر لي ولأدهم وأمنية بلهفة:

" أرجوكم لا تتركوها تتحرك في ذلك اليوم، إن استطعتم إلغاء هذا الحفل يومها فيها ونعم، بالمناسبة لا أتذكر منه إلا ذكرى سيئة رويتموها لي بعد ذلك.. "

قلت له بعدم فهم:

" هل تقصد أننا لولا ذلك الحفل كنا سننجب لك أختا أو أخت؟ "

قال لي بأسى:

" هذا صحيح يا أبي. "

يبدو أن هذا لم يكن الشيء الوحيد، لابد أن هناك أمرا لا يرغب في التحدث عنه، لن أحاول تقصي الأمر، يكفينا معرفة القشور وسأخذ حذرنا، لكن يبدو أن مريم لا تريد الأمر أن يتوقف عند هذا الحد..

" ماذا سيحدث لي؟ هل سيحدث لي شيء، هل الزمان الذي أتيت منه كنت..... "

لم تستكمل كلماتها، لكن مروان هز رأسه نفيا بقوة قائلا:

" لا يا أمي لم أقصد ما فهمت، ولكنك وقتها مرضت وأصابك اكتئاب شديد، ولا أريد أن يتكرر هذا الأمر، لأنني أخشى عليك من أي ضرر، بجانب أنني إن ولدت أتمنى أن يكون لي أخ أصغر ليكون لي نعم الأخ والصديق. "

حينما وصل إلى ذلك الجزء من كلامه ابتسم بحنان، فابتسمت بدوري، يبدو أنني أحببت ذلك الفتى، ويبدو أنه أيقظ لدي مشاعر أبوة لم أشعر بها من قبل، أريده أن يولد وأن يوجد، هذا هو المقدر له، سأتصرف بيقين، سأخرج من منزلي حاملا المظلة لأنتظر المطر، لذا قلت له:

" لدي من اليقين ما يخبرني أنك ستعود إن شاء الله.. "

ثم نظرت لزمردة قائلا:

" وأنت أيضا يا زمردة ستعودين بفضل الله، سنبحث عنك وسنلقاك. "

الزوجة: بوس

تحولت ملامحها من الحزن إلى الأمل ثم أشارت لمروان إشارة بمعنى فلنذهب، فنظر لها نظرة مؤيدة، ثم نظر لنا قائلاً:

"سأقتدكم جداً، أراكم على كلّ خير. "

فجأة قال أدهم بتردد:

" انتظرا.. كيف يمكننا أن نعلم ما سيحدث لكما، طالما أن البوابة ستغلق؟"

قالت زمردة بتهذيب:

"للأسف يا سيدي، يجب أن تصبر لكي تعلم وتتعلم، فالحكمة كامنة فيما هو مقدر لك، قد تصبر طويلاً ويقدر الله لك الخير، ثم يكشف عن حكمته مما حدث، وقد تصبر على ما قدر لك دون أن تعلم الحكمة، وقتها ثق أن ما قدر لك هو أفضل ما قد يصيبك. "

قال أدهم برفق:

" بارك الله فيك وفي الحكمة التي وهبك إياها؟"

قالت بتواضع:

" إن رأيتني منذ عامين فقط، لن تصدق أن كلامي هذا نابع من نفس الشخص. "

ثم أكمل مروان حديثها قائلاً:

" معك حق يا زمردة، لقد علمتنا تلك الرحلة الكثير. "

صمت لحظات ثم أكمل:

"علمتنا تلك الرحلة أن كل لحظة هي حياة يجب أن نحياها، نستشعر النعم فيها، ونسعد بكل لحظة، فهي لن تتكرر، وإن أتاحت لكم الفرصة لتكرار لحظات بعينها من الحياة فتلك نعمة عظيمة لا تقدر بثمن..."

(الرد): بوس

أخذ نفسا عميقا ثم زفر أنفاسه الحارة من فمه، وكأنه يتخلص من الطاقة السلبية بداخله،

ثم أكمل:

" أعلم أن طلبي عسير، لكن أرجوكم لا تنتظروا مرور السنوات القادمة، لكي تعلموا إن كنا سنولد أم لا، إن قضينا عمرنا في انتظار مرور كل لحظة للاستمتاع بما بعدها، لاعتقادنا بأن اللحظة التالية بالتأكيد ستكون أجمل، لن نستمتع بحياتنا؛ والنتيجة ستكون مرور العمر دون الشعور بلحظات السعادة به، لأننا سنكون قضينا حياتنا في الانتظار، أمي.. أبي.. سنعود إن شاء الله وذلك يقيني، لذلك استمتعوا بحياتكم حتى نعود. "

كنت أستمع إلى ولدي بفخر وأنا في قمة تأثري، ولمحت مريم تمسح دموعه فارة من عينها سريعا لكي لا يلاحظ أحد منا، بالطبع تعلقت به وكيف لا تتعلق به، وقد تعلقت به أنا أيضا، فوجئت بمروان يندفع نحوي ثم يعانقني بقوة ويربت على ظهري بحنان، لوهلة أغمضت عيني وتخيلته طفلا يحبو ثم مرافقا في المدرسة ثم شابا في الجامعة، عندها بادلت العناق بقوة وربتت على كتفه، ثم حدث ذات الشيء مع أدهم، ثم توجه نحو مريم ليقبل رأسها بحنان، والتي ارتبكت لوهلة ثم جذبت زمردة نحوها لكي لتحتضنها، والتي استكانت بين ذراعيها قليلا، وبعد مرور لحظات من التأثر، قال مروان:

"أراكم قريبا على خير، اعتنوا بأنفسكم جيدا حتى نلتقي... "

ثم انطلقا نحو البوابة وسط دهشة الجميع وقبل البوابة بخطوة استدارا ليعطيا البوابة ظهرهما ثم يختفيا وسط الأضواء الملونة، بالتأكيد أشعر بضيق لا أعلم مصدره، ولكنه موجود. يقولون إن عاطفة الأمومة فطرية، وعاطفة الأبوة

الرد: يوسف

مكتسبة، إلا إنني لم أدر بأني سأكتسبها بتلك السرعة، أمنيته الآن فقط أن يكون هذا الشاب ولدي في يوم ما.

بمجرد اختفائهما سمعت صوت نشيج بكاء يتردد من حولي، نظرت جوارى لأجد مريم تبكي وأمنية تحتضنها وتربت على كتفها مواسية، **فقلت لها:**

"لا تقلقي يا مريم، سيعود إلينا إن شاء الله، وإلى ذلك الحين..."

قاطعني أدهم وهو يشير إلى الكائن الخرافي بحيرة، التفتت، لأجده يشير إلينا بجناحيه لكي ندخل البوابة، **بينما قالت أمنية بخوف:**

"ماذا يريد هذا الكائن؟ لا تمزحوا، بالتأكيد لن تتركوني وحدي ها هنا، لن تذهبوا إلى المستقبل وتتركوني أحمل ذكريات تلك الأحداث وحدي في زمني الحالي."

نظرت لها مريم قائلة:

"بالتأكيد لم أنو الرحيل يا أمنية، لكن يبدو أن كل شيء يجب أن يبقى كما كان قبل غلق البوابة."

أثناء استماعي لحديثهما، كان عقلي يفكر بشرود، لماذا يجب علينا أن نعود؟ أريد أن أبقى وأحيا حياة مختلفة مع أهلي ومع مريم، ولكن ماذا إن تعارفنا باكرا، فتزوجنا باكرا، وتغير الزمان ولم يأت مروان، **عندها نفضت الفكرة عن رأسي وقلت بحزم:**

"لا بد أن نعود، لا يجب أن نغير أي شيء."

حسم أدهم الأمر المشتت في عقلي، **فقال مؤيِّداً:**

"معك حق يا يوسف، هيا يا مريم، نراك على خير يا أمنية."

(الرب): برسم

وهكذا استقرينا، سنفعل ما أراد الكائن والذي يبدو أنه يعلم ما يفعل، إلا أن مريم قالت لأمنية:

"لن نرحل قبل أن نطمئن عليك، سنظل هنا حتى تخرجني من القبر."

ودعنا بنظرات قلقة، وهي تقول:

طمئنوني عليكم في الوقت الذي تصلون فيه، أريد أن اطمئن حتى وإن كان بعد سنوات.."

هزنا رؤوسنا، ثم استدركت فجأة وقلت لها:

"أخبري ريم بما حدث وطمئنيها.."

هزت رأسها من جديد قائلة:

"لا تقلق.."

انتظرنا دقائق، والكائن الأسطوري لا يزال يشير لنا بجناحيه لتدخل إلى البوابة، فدخلنا البوابة بظهورنا، ثم التفتنا مرة واحدة نحو الكائن لنجد ظله يقترب من البوابة ثم يتضخم حجمه ليملاها تماما ويسد جميع أطرافها ثم يتحجر ليصبح جزءا من تكوين البوابة بألوانها المتعددة.. ثم لم نعد نر شيئا..

(الضياع) يرويها مجهول

انتقل الرجل أربعة أعوام إلى الماضي، وشرع يبحث عن الغريب، ليته علم اسمه أو حتى موقع ما قد يبدأ البحث من خلاله، فهو دائما ما كان ينتظره في المكان المتفق عليه، والغريب بالتبعية كان يظهر له وقتما يحتاجه، ظل أياما وأيام يزور الكهف، ويظل متربعا أمام البوابة الزمنية، بالتأكيد سيزوره الغريب في وقت ما لكي يطلب منه ما طلب في المرة السابقة، وبعد أن فقد الأمل في أن يراه من جديد، قرر أن يقضي وقته بالارتحال عبر الأزمان الماضية والتالية، سيعلم، ويتعلم ما خفي عنه، ويعود لذات البقعة الزمنية لعله يلتقي الغريب، وبعد وقت قصاه في الترحال عبر الأزمان، عاد من جديد إلى الزمان الذي سبق الانتقال، وقد صار أكثر عصبية وضيقا، وفي إحدى تلك المرات التي كان جالسا فيها أمام البوابة الزمنية بداخل الكهف يتأمل تداخل الأضواء ويفكر في خطواته التالية، حدث آخر ما كان يتوقع، فقد رأى أضواء البوابة تخفت بهدوء ثم تنعلقت مرة واحدة، عندها تحديدا أصابه انهيار تام، شعر فجأة بالخواء والضياع، فتلك البوابة أنقذته مرارا من أذى محقق، وهي سر سعه وفرحه، هل تلاشت فجأة هكذا؟

ظل يضرب صخور الكهف بقبضته حتى أدماها، وحين انتهى كان قد توصل إلى حقيقة أن سنوات عمره السابقة لم يكن لها معنى.

(الجهول) يرويهما يوسف

أخبرتكم في البداية أنني سأحدثكم عن الزمن، وأوفيت بوعدتي، والآن بعد أن تجاوزت الأربعين عاما ببضع سنوات، أستطيع أن أؤكد لكم أن العمر ليس سنوات نقضيها، ونفاجأ بمرورها سريعا دون أن نشعر، نتفقت من بين أيدينا فنبحث عن عمر ضاع، ونقتل أنفسنا لوما بلا رحمة على سنوات مرت دون أن نشعر، بل العمر هو مدى رضاك عما فعلت بحياتك، وعمر لحظات السعادة والشعور بالإنجاز في قلبك، وقتها سنشعر بأن الزمن لم يمر هباء، وأن تلك الشعيرات البيضاء التي بدأت تنبت على جانبي رأسك، هي قصة قصيرة خفية تروي كفاحك وإنجازك.

حين عدنا لزماننا كنت أشعر بهذا الإنجاز، أشعر بطعم انتصارنا على الشر المتمثل في عرفان، وكان لدي فضول عجيب لمعرفة ما حدث في الأربع سنوات السابقة، لذلك حين عدنا اجتمعنا بالفريق بأكمله لنعلم ما فاتنا، فعلمت من ريم وأمنية أن انتقال الأسرة للخط الزمني البديل لم يحدث قط، وقد عادا إلى القبو بعد أيام من غلق البوابة وقاما بتصويرها بعد غلقها، حيث أصبحت وكأنها جدارية حجرية يعلوها الشكل النحتي للكائن الأسطوري، وبعد هذا قامت الفئتان بتنشيط البلاطة الحجرية بالأسمنت لمنع أي محاولة محتملة لضغطها أو فتحها، إذن كما يبدو فإن غلق البوابة الزمنية أغلقها في كافة الأزمان وكأنها لم تفتح قط، هل معنى هذا أن عرفان لديه فرصة أخرى ليصبح ذلك الرجل الطيب الذي كان عليه؟ لا أتمنى هذا بالطبع، ولكن يبدو أن البوابة منحت الجميع تلك الفرصة التي قد لا تتكرر.

لا أنكر إنني حين عدت شعرت وكأنني قد ولدت من جديد، وكان الأربع سنوات لم تمر علي إطلاقا، ظللت مرحا، متبسما للحياة دون ضجر، أبحث عن مصادر البهجة في حياتي وأحمد الله عليها، أما أدهم فقد زاد اهتماما وشغفا بالعلوم الما ورائية، في البداية كان يزورنا مع مريم وأسرته، لكي تتعارف الأسرتان، إلا إنه لم يكن يحاول التقرب من ريم تماما، وكأنه يرد لي جيلا فعلته مع أخته من قبل، إلا أن ريم على العكس، كانت تحاول التخلص من كل

(الرد): بومس

مهامها قبل مجيئهم، بحيث تكون متفرغة تماما للجلوس معنا، بالطبع لم أخبر ريم أن أدهم هو زوجها المستقبلي، لأنني أردت أن أعلم كيف ومتى ستحدث الشرارة بينهما، والتي يبدو أنها لم تتأخر كثيرا، فمع توطد العلاقات أردنا اللقاء خارج منزلنا ومنزلهم، وكما تعلمون كنا لا نزال في فترة الخطبة، فعرض علينا أدهم أن يرافقنا لذلك المطعم الأنيق في الحي الذي يسكنون فيه، وبينما كنت مستعدة للذهاب، وجدت أن ريم تقف أعلى السلم بكامل أناقتها استعدادا للخروج، فأطلقت صافرة إعجاب طويلة ثم قلت لها:

"هل تريدين أن أوصلك يا سيدتي؟"

ضحكت ببراءة، وهي تهبط درجات السلم برفق قائلة:

"هل أعجبك الرداء؟"

قلت لها:

"الرداء وصاحبته بالطبع."

فقالت لي باستجداء:

"لقد تهيأت لآتي معك لذلك المطعم، والذي لطالما تمنيت أن أتناول غذائي فيه، هل يمكنني القدوم معكم؟"

هنا دق في رأسي ناقوس الخطر، ترى هل سيحب أدهم أختي أم أنه سوف يجاري إعجابها به، فقلت لها بشيء من التردد:

"بالطبع يا عزيزتي."

ذهبنا إلى الموعد، ولم يخف أدهم نظرات إعجابه بريم يومها، في ذلك اليوم وصلني ذلك الشعور الذي أخبرنا عنه مروان من قبل، عثر أدهم على توأم عقله وروحه، عثر على توأم حياته، فقد لاحظت أن ريم تعلم تحديدا ما يريد أدهم، الغريب أن شخصيتيهما تختلفان تمام الاختلاف، لكنه ذلك الاختلاف الذي يكمل به أحدهما الآخر، فأدهم يحب التحدث بينما تحب ريم الاستماع له، ريم تحب صدر الدجاجة، وأدهم يفضل فخذ الدجاجة، هي تعشق روح النهار، وهو يستمتع بسكون الليل، وغيرها من الصفات التي تعجبت لها وقلت كيف

(الزوجة): برسم

لهما أن يصبحا كيانا واحدا، ولكن لم يطل تعجبي ففي ذات اللقاء، كانت ريم تبد لي كعرفة أو قارئة أفكار، فكانت تنطق بالكلمة قبل أن يقولها أدهم، ففي كل مرة كانت تستكمل كلماته، كان يتوقف قليلا ثم ينظر لها بإعجاب قائلا:

"بالضبط، هذا ما كنت أقصده تماما."

الأغرب إنها أخبرت النادل بطلب أدهم قبل أن يطلبه، وناولته كأس الماء قبل أن يقف الطعام في حلقه بلحظات، بالإضافة إلى أن أفكارهما كانت متطابقة إلى حد كبير، كيف علمت؟ لأن على مدى ثلاث ساعات ونصف، لم أتحدث أنا ومريم إلا بكلمتين فقط حين كنا نختار غداءنا من قائمة الطعام، بينما باقي الوقت كنا فقط نستمع إلى الحوار غير المنته بين أدهم وريم، نتبادل نظرات ذات معنى.

لم يكد يمر شهر بعد هذا اللقاء، إلا وجاء أدهم مصطحبا أسرته لخطبة ريم، ومع كل ما حدث، كنت أنتظر قدوم مروان بفارغ الصبر، كنت أنتظر الصديق قبل الابن، وحين ولد كانت سعادتي أنا ومريم لا توصف، أعلم أنه قد طلب منا أن نستمتع بلحظات حياتنا، ونحياها بلحواها ومرها، وبالفعل قد أخذت بنصيحته، ولكن كان عقلي يتذكره فأتذكر وجوده، وأشتاق للحظة مولده، التي كانت لحظة الفرح والسعد، لولا أنني عشقت اسم ذلك الفتى لكنت أسميته اسما يعبر عن حالي وقت قدومه.

كان مروان يكبر أمام عيني وأنا أتمنى أن أتحدث إليه عن ذلك الوقت الذي كنا فيه أصدقاء، لاحظت ذكاء الفتى منذ صغره، ودعوت الله أن يرزقني حسن تربيته، أحيانا كنت أترك تلميحات من الأحداث السابقة لأراقب رد فعله، على الأغلب كان يبدي عدم فهمه لتلميحاتي، ولكن أحيانا كانت تقلت منه نظرة أو كلمة توحى بتذكره لما حدث، فأبتسم مطمئنا، وأصمت.

أحيانا كنت أفكر في زمردة، ولكننا لم نعلم عنها أي شيء قد يجعلنا نستطيع الوصول إليها، لذا كنت فقط أدعو الله أن تولد وتوجد.

(قلوب نقية) ترويحها زمردة

اسمي زمرد، يناديني أحيائي بزمردة، أحب اسمي وأشعر معه بالتفرد والتميز، مررت بخبرة غريبة جعلتني أحياء طفولتي بذكريات أوقات قضيتها لا يتذكرها سواي، لكنها أوقات شكلت في طباعي وشخصيتي الكثير، سنوات علمتني الرضا بقضاء الله وقدره، فقدره سبحانه لا يأت إلا بالخير.

بالطبع أقدر رغبتكم الدفينة في معرفة ما حدث لي، وكيف عدت إلى ذلك الخط الزمني الرئيس، انتظروني لحظة واحدة حتى أستكمل الصغيرة لابنتي الغالية سدره، وها هي الغرة على جبينها كما تحبها، وكما تعلمتها من عمته يقين، ثم قبلة على جبينها، جعلها تحتضني بقوة ثم تنطلق لتواصل اللعب مع رفيقاتها.

كلما نظرت في عيني ابنتي العزيزة البريئتين، أعادني عقلي لتلك اللحظة التي اخترقت فيها البوابة الزمنية مع مروان، وقتها كان بداخلي شك أقرب لليقين أنني سأتلاشى ولن يكن لي وجود، فحين دخلت البوابة انمحي كل ما بعقلي وصرت فقط لا أرى سوى البقعة البيضاء في نهاية الممر والتي أخذت تتسع حتى كادت تبتلعني، شعرت بأنها النهاية، فأغمضت عيني وحين فتحتها فوجئت بوالدتي توقظني من نومي، لوهلة لم أستوعب من أنا، أو أين أنا، لكن بعد أن استوعبت تعلقت برقبته وطبعت قبلة على خدها وأنا أقول بسعادة مطلقة:

"هل عدت يا أمي؟ هل عاد الجميع؟"

ثم سعلت بدهشة متعجبة من صوتي، والذي كان أشبه بصوت طفلة لا تزال في المرحلة الابتدائية، فقالت والدتي وهي تتحسس جيني:

"حببتي زمردة من أين عدت؟ ومن الجميع الذين عادوا؟"

قلت لها ببطء:

"أسرتنا؟"

(الرد): زروة

قالت لي بحنانها المعهود:

"زمردتي الغالية، الساعة الآن السابعة صباحا، بالطبع لم يخرج أحد بعد يا عزيزتي.."

تأملت الغرفة من حولي وعندها استوعبت أن هناك تغييرات قد حدثت، فقلت لها:

"يبدو أنه كان حلما يا أمي."

طبعت على جبيني قبلة وهي تقول:

"بالتأكيد يا حبيبتي، هيا يا قلبي لترتدي زيك المدرسي، لكي تذهبي إلى المدرسة."

ذهني كان مشوشا بذكريات الماضي، إلا أنني حين نظرت إلى نفسي في مرآة غرفتي فوجئت بأنني طفلة صغيرة، في السادسة أو السابعة من عمري، عندها تذكرت ما حدث في خطي الزمني الحالي، وتأكدت وقتها من أن روحي الشابة التي سافرت عبر الأزمان، قد انتقلت لذلك الجسد الضئيل، والذي يستطيع عقله استيعاب ما حدث، عندها فكرت، هل أخبر أهلي بما حدث أم لا؟ ترددت كثيرا في الواقع، وتمنيت أن أعلم كيف حدث هذا؟ وكيف صار لي وجود مادي بينما كنت أعيش في خط زمني بديل، لذا كان الحل الوحيد أن أصل لمذكرات جدي الأكبر صالح، لهذا قررت أن أخبر أمي بما حدث، في البداية لم تصدقني، واعتقدت أن طفلتها خيالها واسع بشكل قد يجعلها كاتبة روايات خيالية في يوم ما، ولكنني اضطررت لأن أخبرها بأماكن لم أزرها من قبل في هذا الخط الزمني، وعندها تأكدت من صحة روايتي، وكان شغلها الشاغل هي والدي في الفترة التالية البحث عن مذكرات جدي الأكبر صالح، والبحث عن منزل مروان بالطبع لمشاهدة السكن الذي كنا نساكنه في خطي الزمني الأصلي.

(الردي): زمره

لا أريد أن أخبركم عن ردة فعل والدي عند رؤية القصر، ميراثنا، ولكن الآن لأسباب لا يعلمها إلا الله نحن في منزل بعيد لا يشبه المنزل الذي نشأت فيه بأي حال.

المهم أن والدي ببعض التحريات، وبسؤاله لجدّه الذي كان قد بلغ من العمر أربعمائة، علم أن هناك غرفة بمنزله بها ميراثه من كتب جده صالح، بالطبع لم يتخلص منها على الرغم من عتاقها، فذهبت مع أمي وأبي لمنزل جد والدي، ولحسن حظنا عثرنا على عدد من المجلدات المكتوبة بخط اليد من بين الكتب، وعلمنا أن صالح هو ابن رشدي باشا مظهر، التاجر الذي لم يكن يتمتع بأي اجتماعية، حتى تجاه أفراد أسرته، رشدي هو الذي أنجب ابنه الأصغر صالح والذي هو ذاته جد جد والدي، وقد توفيت والدته وهي تتجبه، وعلى الرغم من عدم وجود البوابة الزمنية، إلا أن رشدي أيضا تخلص من ولده وأعطاه لإحدى قريباته لكي تربيته مع أبنائها، لأنه رأى بالطبع إنه كان السبب في وفاة والدته، لذلك عاش الطفل صالح في منزل بعيد عن منزلنا، وأنجب سلالة انتهت بي، أي أن وجود جدي الأكبر صالح هو المقدر لنا جميعا، وتمرد رشدي على ما حدث، لذلك خلف تلك الفوضى، وعلى الرغم من تخلص رشدي من صالح إلا أنه لم يحظ بالراحة طيلة عمره، فعاش ساخطا ناقما على كل أقداره، حتى توفي بعيدا عن أبنائه في قصره المنيف دون أن يوصي لأحدهم بشيء، وعلى الرغم من ذلك يقول صالح إنه قد تأثر لوفاة والده، فهو قبل كل شيء والده وسبب وجوده، لذلك كان يدعو له ويتصدق عنه لعل الله يغفر له ما فعل بحق ولده، على عكس إخوته الأكبر والذين كانوا كلما التقوا صالح لعنوا أباهم وسبوه، فظل صالح هو الولد الصالح الذي يدعو لأبيه، على الرغم من وجوده.

لست أدري لم تذكرت الآية القرآنية: قال تعالى "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ".

الرد: زروة

في الفترة التالية كان شغلي الشاغل هو كيف أصل إلى وسيلة تطمئنني على مروان، دون أن أتحدث إليه أو إلى أهله، ترى هل استطاع الوصول أم لا، هل ولد أم لا، وقتها كنت أشعر تجاهه بمزيج غريب من المشاعر، فأخر ما دار بيننا كان اعتذاره لي، ومسامحتي له، ولكن يبدو أن مرحلة الطفولة وأعتاب المراهقة تجسم المشاعر لأقصى حد، فعلى الرغم من تعلقي بشخصه وعقله، وإنني ألفت وجوده معي ووقوفه بجانبني على مدار ما يقرب من العامين، إلا إنني كنت أسأل نفسي، كيف تركني وحيدة في زمان لم أكن أعلم فيه سواه هو وأسرته؟ إلا إنني كنت سرعان ما أجيب نفسي بأن عرفان الثعبان هو سبب ما حدث، فكنت ألتمس له العذر، لكن على الرغم من هذا، أبت نفسي أن أذهب له وأتحدث إليه.

حتى جاء ذلك اليوم بعد بضع سنوات من عودتي إلى المستقبل، كنت يومها عائدة من زيارة لجدي، وقد كانت خطوات تفصلني عن باب المبنى الذي أسكن فيه، إلا إنني فوجئت بمروان ينتظر أمام المبنى المقابل، لم يكن في ذات العمر التي افترقنا فيها، بل كان أصغر، وكنت أصغر أيضاً، لكنني عرفتة وعرفني، فبادرت بقولي:

"كيف أتيت هنا يا مروان؟"

قال بدهشة:

"إذن تتذكرين ما حدث، وتعلمين عنواني، وعلى الرغم من ذلك لم تحاولي أن تطمئنيني، لم أكن أعلم كيف أصل لك.."

قلت بشيء من البرود:

"لكنك وصلت."

قال لي بدهشة:

"لماذا تتحدثين لي هكذا؟ ألم أعترف لك قبل الفراق مباشرة؟"

(الزمر): زمره:

قلت له:

"بلى، وقد سامحتك بالفعل، ولكن ما زلت أشعر بأنه لم يكن من حقك أن تتركني وحيدة."

وبدأت تتساقط قطرات الدمع من عيني، ويبدو إنه لم يعتد مني ذلك، فهو دائما ما كان يراني بالقوة التي تجعلني لا أسمح لنفسي بالانهيار، فوقف متحيرا لا يدري ماذا يفعل، ثم قال لي بشوق خفق له قلبي لم أدر مصدره:

" لقد افتقدتك يا زمردة."

قلت له بارتباك:

" أشكرك."

قال لي:

"وأنت؟"

ارتبكت أكثر فحانت مني التفاتة لأعلى، لأجد والدتي تنظر لي باستنكار، ولسان حالها يقول من هذا؟ فأشرت لها وأنا أحرك فمي باسم مروان، فدخلت مسرعة ولم تمر دقيقة حتى وصلت لنا، ورحبت بمروان قائلة:

" أهلا يا بني كيف حالك يا حبيبي، لقد حدثتني عنك زمردة كثيرا، تقريبا لم تنقطع عن الحديث عنك لحظة، طيلة الوقت وهي تروي لنا كم كنت بطلا حين سافرت إلى الماضي بكل جرأة لتتخذ أهلك، وساعدت ابنتي في العودة لأسرتها، فشكرا لك يا بني الغالي."

نظرت لأمي باستنكار قائلة:

" أمي!"

لكن مروان ابتسم بمزيج من السعادة والتعجب قائلا:

" أشكرك يا سيدتي، على العكس لقد شعرت بتقصير معها لأنني لم أستطع الوصول لها كل تلك السنوات، ولكن هل أخبرتك زمردة بكل ما حدث؟"

(الردي: زمره)

أجابت أمي بفخر:

" بالطبع يا حبيبي، فحن صديقتان أكثر من كوننا أم وابنتها."

شعرت بالكلمات تخترق عقله بتفكير عميق، يبدو أنه لم يخبر أسرته، كما بدا لي متحيراً من كونه يكرر بالضبط ما كان ينتقده في أسرته من قبل، فتساءل قائلاً:

"وهل أثر ذلك يا سيدتي على معاملتك لزمرده على حسب عمرها، بمعنى آخر هل لا تزال بالنسبة لك ابنتك الطفلة؟ أم الابنة الناضجة التي رأت الكثير؟"

فهمت الآن لماذا لم يخبر أسرته بعد، فأجابته أمي ببديهية:

"بالطبع لا يا بني، فلقد استيقظت زمرده في ذلك اليوم وهي بالنسبة لي طفلاتي التي في السابعة من عمرها، العجيب أنني لم أستطع رؤيتها أكبر من ذلك على الرغم مما روت لي، شعرت وكأن تلك الأحداث التي مرت بها ابنتي زادتها علماً وخبرة في التعامل مع الحياة، بالطبع لم أتعامل معها على أنها فتاة شابة مرت بخبرات في الماضي والحاضر والمستقبل، بل تعاملت معها كطفلاتي الصغيرة التي تكبر أمامي."

هز رأسه بخجل، وشكر أمي وشكرني، ثم ألقى السلام مودعاً، وانصرف.

في اليوم التالي أتتني منه رسالة على أحد وسائل التواصل الاجتماعي تقول:

" عزيزتي زمرده،،

لقد مر علينا الكثير، والآن نحن هنا في ذلك الواقع الجديد على كل منا، ولكننا ذات الشخصين الذين عاشا نفس الأزمة، وتعاوننا على الخروج منها، ولكن بعمر أقل، وخبرة تفوق عدد سنوات حياتنا. "

عزيزتي زمرده،،

أعلم أنني كنت سبباً في مرورك بأوقات عصيبة حين تركتك وحيدة، أعترف بفداحة خطأي، ولكن أرجوك يا زمرده دعينا ننس تلك الأوقات، نتعلمين ما حدث حين عاد وعيي لذلك الخط الزمني؟ دعيني أروى لك من البداية.

(الزمر): زمره

حين عاد وعيي من الماضي وجدت أنني الأخ الأكبر ليقين وياسين، فحمدت الله على فضله ونعمته، ولكنني كنت دائما ما أشعر بأن بداخلي الكثير والكثير، مما لا أستطيع البوح به، فلكل منا أسرار، فكان أشد ما يسعدني أن أرى السعادة في عيون أفراد أسرتي، كتب الله لهم سعادة لا تنقطع، حسبي أنني كنت سببا في إنقاذ الجميع.

أتعلمين يا زمردة أنني لا أزال أتمتع ببعض القوى التي كانت لدي حين كان معي النمر؟ وقد تعلمت كيف أستحضرها، كغريزة الشعور بالخطر والأحلام الاستباقية، أعلم أن والديّ وخالي يفتقدون مروان الذي تعرفوا عليه منذ سنوات، حتى أنني دائما ما أرى نظرات متسائلة في عيون والدي تقول لي: هل تذكر شيئا مما حدث في الماضي؟ هل أنت مروان ذاته الذي مد لنا يد العون، وأرسله لنا الله ليقرأ عنا الشقاء؟ فأبدله نظرات البراءة، فبيتسم في حنان، ودائما أرى نظرات الامتنان في عيون أمي، وخاصة وهي تروي لأخوي كيف أنني أسميت أختي يقين قبل أن تأت للعالم، لمزيد من الدقة يا أمي، قبل أن أولد أنا أيضا، أما خالي وعمتي، فقد سارا على الدرب، فمنذ طفولتي ونحن نجتمع أسبوعيا في مكتبة قصر جدي، نقرأ الكتب العلمية والروايات الخيالية، ونناقش في الأخبار العلمية ونهايات الروايات، وعلى عكس ما كان يحدث في خطي الزمني الأصلي، لم يعترض والدي أو والدتي على لقاءاتنا المتكررة، الغريب في الأمر أنني أتذكر كل ما حدث في الماضي منذ طفولتي، يبدو أن ذلك صار جزءا من تكويني الشخصي.

أتعلمين يا زمردة، دائما كنت أعتقد أن ما يحدث لنا هو قصة حياة شخص مؤثر من عائلتي، ولا أخفيك سرا، في البداية كنت أعتقد أن بطل قصتي تلك هو جدي عبد الكريم، ثم فكرت بعدها أنه ربما يكون والدي، ولكن بعد كل ما حدث، علمت أن قصتنا تلك هي قصة قصر ملأته المحبة منذ شيد، يجذب له كل من امتلأ قلبه بحب نقي، فأعطى وضحي، ولكن قدر له يوما ما أن يحيا به من لم يقدر طاقة المحبة التي يفيض بها، فجعلنا الله أنت وأنا وأسرتنا سببا في عودة كل شيء لأصله.

(الرد): زمره،

زمره،،

لقد تعلمت منك الكثير منذ التقيتك، كل يوم كنت أراك فيه كنت أتعلم من فلسفتك وأخلاقك ومعاملتك لأهلك، حتى بالأمس، حين تركتك وغادرت كان أول ما فعلت أن رويت لأسرتي كل ما حدث وكل ما أتذكره، لا تتخلي مقدار السعادة في أعينهم حين اكتشفوا أن مروان الذي انتظروه طويلا هو حي يرزق بينهم.

زمره،، أشكرك على كل شيء.. "

أغلقت هاتفني وأنا أشعر بسعادة مطلقة من تلك الرسالة، لم أكن أتخيل أن لي ذلك التأثير على من حولي، وخاصة مروان، دائما كنت أرى مروان الشخص الواثق الذي يعلم الكثير ويخفي الكثير، أعترف أنني قد تعلقت به وأعجبت بشجاعته وجراته، وعلى الرغم من أن ردود أفعالنا حين تعرضنا لذات الموقف تقريبا كانت لها ذات ردة الفعل – فكل منا سافر للماضي وحيدا لينفذ حاضره – إلا أنني دائما كنت أراه منقذي.

في اليوم التالي فوجئت بوالدة مروان تتصل بوالدتي لتطمئن علي، لم أعجب كثيرا في الواقع، فقد فهمت من رسالة مروان أن هذا ما سيحدث، لست أدري كيف أخبركم كم كانت أسرتي تشعر بأشد الامتنان لمروان وأسرته، بينما كان مروان وأسرته يشعرون تجاهي بمشاعر مختلطة، حيث يكون لي مشاعر المحبة والمودة والتي تمتزج بشعورهم القوي بالذنب.

بينما كنت غارقة في ذكرياتي، سمعت صوت ابنتي من جديد وقد انتهت من اللعب فيما يبدو:

"أمي.. "

أجبت ابنتي الغالية قائلة:

"أجل يا حبيبتي، تعالي يا سدره، أنا هنا.."

(الرد): زمره،

قالت ببراعة بصوتها الرقيق الدقيق:

"هل لديك وقت متاح؟ أم أنك تتحدثين إلى... آ.."

صمتت لحظات وهي تبلل شفيتها بلسانها ثم قالت:

"أقصد تتحدثين في الهاتف.."

لست أدر لم شعرت بوجود دافع خفي وراء السؤال، ولكن ابنتي لا تعلم شيئاً،

لذا سأتغاضى عن شكوكي، قلت لها بلين:

"نعم يا ست البنات لدي الوقت كله لك.. ماذا تريدن؟"

أجابتي وهي تطبع قبلة رقيقة على وجنتي:

"عمتي يقين ستصحب ابنتها إلى مدينة الملاهي، هل يمكن أن أذهب معهما؟"

قلت لها وأنا أحتضنها بشوق:

"بالطبع يا أميرتي الصغيرة."

فجأة انطلقت سلمى ابنة يقين إلى داخل الغرفة وتعلقت برقبتى بامتنان، ثم قبلت

وجنتي قائلة:

"أشكرك يا عمتي زمره."

هممت بالرد، ولكن يقين قاطعتني بطرقات مصحوبة بإعتذار قائلة:

"هل يمكنني الدخول يا زمره؟ أنا آسفة، سلمى دخلت بدون استئذان، تعالي

هنا يا سلمى.. ألم تنفق على طرق الباب قبل الدخول.."

تركت سلمى رقبتى ثم أطرقت بوجهها في الأرض قائلة:

"أعتذر يا أمي.."

قلت لها بود:

"لقد دخلت الغرفة بسرعة من فرط الحماس، لم تقصد بالطبع، ثم إن سلمى هي

ابنتي ومقدار محبتي لها بقدر محبتي لسدرة بالضبط."

(الرد): زمره،

قالت لي بامتنان:

" حبيبتي يا زمره، يعلم الله مقدار محبتي لك، أنت أعلى من الأخت.. "

"أعلى من الأخت، ولماذا لا تقولي أعلى من الأخ أيضا؟ "

قاطعنا مروان وهو يدخل إلى الغرفة ويلق معطفه فوق المشجب، فقلت له
باشتيق:

" حمد الله على سلامتك يا حبيبي.. "

بينما اختلط صراخ الفتاتين وهما تهتفان:

" بابا جه.." " خالو جه.. "

انتظرت يقين حتى حمل مروان الفتاتين ودار بهما بالغرفة قليلا، ثم أنزلهما
ليستريح فوق الشيزلونج في ركن الغرفة، ثم قالت مداعبة:

"نعم يا أخي الحبيب زمره أختي وصديقتي، وحاملة أسراري، هل لديك
اعتراض؟"

ضحك قائلا:

"وهل يمكنني أن أعترض؟ "

فقلت له مداعبة:

" اعترض كما يحلو لك فنحن أسرة ديمقراطية. "

ضحكنا جميعا بمرح ثم قلت له:

"سدره ذاهبة مع سلمى إلى مدينة الملاهي.."

فقال بحماس:

"لماذا لا نذهب معهم؟ "

قالت سدره بغموض تعجبت له:

" أعتقد أن أمي لن تستطيع القدوم يا أبي.. هل يمكن أن ترافقنا أنت أرجوك؟ "

(الزوجة: زمره)

نظرت لها بتعجب وحيرة، فكيف لها أن تعلم أنني لا أستطيع القدوم؟ هزرت
رأسي قائلة:

"نعم بالفعل فأنا أشعر بقليل من الصداع ولا أستطيع القدوم معكم، اذهب معهم
أنت يا حبيبي."

فقال مروان بحماس:

"حسنًا، اسبقوني يا فتيات إلى أسفل، سأغير ملابسني وأسترح من عناء العمل
قليلا، ثم ألحق بكم.."

هتفت الفتاتين بسعادة:

"هيببييه.."

وقالت يقين بابتسامة:

"هيا يا فتيات، سننتظرك بالأسفل يا مروان، استريح قليلا يا زمردة وتناول
مسكن للصداع.."

لوحنت لنا سدره بيدها، فأرسلت لها قبلة في الهواء، **وقلت لمروان:**

"حمدا لله على سلامتك يا نور عيوني."

طبع على وجنتي قبلة قائلا:

"لقد افتقدتك رغم أننا التقينا في الصباح."

قلت له بدلال:

"مروان،، سدره لا تزال هناك."

ضحك قائلا:

"وماذا في هذا؟ أريدها أن تعلم القدر الذي يعشق به والدها والدتها.."

(الردي: زمره)

ثم أمسك وجنتي بيديه قائلا:

"أحمد الله على وجودك معي، أنت رزقي في تلك الدنيا يا زمردة، ربما أخبرك بهذا للمرة الأولى، ولكنني أحببتك منذ أن رأيتك، عمر حبي لك بقلبي منئي عام."

شعرت بكلماته تخترق قلبي مباشرة، فقلت بصدق:

"وأنا عشقتك منذ اللحظة الأولى."

علق سترته على المشجب، وهو يقول بهشة:

"ولكنني لم ألاحظ ذلك إطلاقاً، لقد كنت كتومة غامضة، تخفين في نفسك ما لا تبدين لنا."

قلت بإبتسامة خجول، وأنا أجلس على طرف الفراش:

"كنت خائفة يا مروان، كان بداخلي الكثير، ولم أكن أعلم ما هو شعور أن أتلاشى فجأة ولا يكن لي وجود."

ثم سأله بدلال:

"هل افتقدتني حين عدت؟"

أجابني قائلا بشوق:

"لا تتخيلي مقدار افتقادي لك، ومقدار شعوري بالذنب، ليس فقط منذ عدت، ولكن منذ تلك اللحظة التي اندفعت فيها عبر الصحراء هاربة مني، لقد بحثت عنك كثيراً، لكنك أجدت الاختفاء، كنت أشعر وكأن جزءاً مني بعيداً عني، وكنت أخفي شعوري بالإشتياق بكلامي عن..."

صمت ولم يكمل، لكنني فهمت، لقد كان بداخله شعورين مختلفين، الأول كان يشاق إلي، والثاني، شعوره بخيانتني له حين ظن بأنني سأعود للمستقبل وأتركه، فقلت له متسائلة:

"ولكن كيف اشتقت لي ولم تسع للوصول إلي؟"

(الرد): زمره،

قال بدهشة:

" كيف هذا، لقد كنت أحاول الوصول إليك في تلك السن الصغيرة بدون أن أجعل أسرتي تشعر بشيء، فحين أتممت عشرا، سمعت والدتي يوما ما تسأل والدي عنك، كانت تريد الوصول إليك، وبينما أنا ممسك بذراع التحكم الخاص بلعبة الفيديو، قلت لوالدتي ببراءة مطلقة:

"ما هي دار المحفوظات يا أمي؟ هل هي حقا مثلما أخبرني جدي أنها مكان يمكننا أن نعرف من خلاله من ولد ومن لم يولد بمعرفة نسبه؟ "

هنا لمعت عينا خالي في شيء من الفهم ثم أشار لي، وهو يقول لوالدتي:

"هذا الفتى!!"

ثم صمت ولم يستكمل جملته، اعتقدت وقتها أنه يشعر بشيء ما، بالطبع لم أسأله عما فهم، فقد أردت فقط أن أحيا بينهم كطفل طبيعي دون أي تأثير للماضي، المهم أنني في اليوم التالي، رافقت أسرتي إلى دار المحفوظات، كما أوحيت لهم بطريق غير مباشر، لنكتشف يا عزيزتي أنك حية ترزقين، وعلى الرغم من سعادتي بذلك الخبر، إلا أن فضولي كاد يقتلني، وأردت أن أعلم كيف حدث هذا، ألم نقم بتوحيد الخطوط الزمنية لخط واحد رئيس؟

لذلك كنت أنتظر اللحظة التي أتمكن فيها من البحث عن محل إقامتك، وهذا ما حدث يوم التقيتك من جديد، يوم ردت لي روعي. "

ابتسمت بعذوبة قائلة:

"يومها ردت لي روعي أيضا."

بادلني الابتسامة ثم جلس بجواري ليريح رأسي على صدره، ثم نظر بعيداً وكأنه يتذكر شيئاً ما قائلاً:

"أحيانا أفكر في الهدف من وراء إرسال أشقر كل منا لزمانه، بالطبع أعلم أن تصرفه هذا ليعيد الزمن لأصله دون أي تدخل من البوابة، فهل معنى هذا أن عرفان حر طليق بعد كل ما فعل؟"

(الرد): زمره،

رفعت رأسي برفق لأنظر له بغموض قائلة:

"وما أدراك ربما تعذبه لمحات من ماضيه، فتكفر عنه ما فعل."

نظر لي بشك، ثم تساءل من جديد قائلاً:

"أتعلمين يا زمردة، كثيراً ما أتساءل، ترى هل لا يزال أجدادي يتذكرون لقاءنا؟ أم أن غلق البوابة أعاد كل شيء كأن لم يكن، ولم يعد أي منهم يتذكر أي شيء؟"

فأجبتة بمنطقية قائلة:

"طالما إننا أحياء الآن بذكريات الماضي، فربما لديهم بعض الذكرى عنا، ربما لا يعلمون تحديداً ما حدث، ربما تأتهم ومضات من خطنا الزمني حين كنا معاً، ولكن بالتأكيد لن يمر ما حدث كأن لم يكن، لا تغلق."

قال لي بتعجب ممتزج بالشك:

"ما الذي يجعلك متأكدة هكذا؟"

ارتبكت قليلاً وأنا أقول:

"أحياناً أتحدّث مع عقلي، فيصل بي إلى تلك الأفكار، ليطمئنني."

يبدو أنني استطعت أن أقنعه، فقد نظر لي بحب قائلاً:

"كيف يمكنك دائماً إقناعي بكل شيء هكذا، وكيف يمكنك إخفاء كل ما يقلق بالي وخطري، أحبك يا زمرد بكل شخصياتك، الشخصية المحبة العطوف، والعاقلة المنطقية، والطفلة المرحّة، والفتاة الرقيقة، أنت أجمل نعمة رزقني بها الله، بارك الله لي فيك يا حبيبتي."

شعرت بمشاعره الصادقة تغمرني بمحبته، فحقق قلبي وأنا أهمس له:

"أحبك يا حبيبي وزوجي وصديقي."

(الرد): زمره،

بادلني نظرات المحبة قائلا:

" بعد مرور تلك السنوات منذ تعارفنا الأول، أصبحت يا زمره عضوا مؤثرا في أسرتي، فقد كانت نهاية طبيعية لقصتنا أن نتزوج، وأن أتعلق بك كل هذا التعلق."

قلت له بصدق:

"إنها بداية قصتنا يا حبيبي وليست النهاية."

قال مفكرا:

" أتذكرين رسالتي لك حين عدنا؟ أتذكرين حين قلت لك أن القصر هو بطل قصتنا؟ الآن تيقنت من هذا، فهو ينادي كل من ارتبط به يوما ما، ويتغذى على طاقة المودة التي تشع من أهله، ويطرد كل من تنتزع تلك المودة من روحه، ثم جمعنا جميعا لنقاء قلوبنا."

ابتسمت وأنا أهز رأسي موافقة، فتأملني قائلا:

" ذات الملامح وذات الابتسامة العذبة، أتعلمين يا زمره، حين رزقنا الله بنسختك المصغرة سدره، حمدت الله لأنها قطعة منك، كلما نظرت إليها تذكرتك في صغرك، لذلك صرتما لي حياتي وكل ما أملك، كانت أمنية حياتي أن تكون علاقتي بزوجتي وأبنائي تشبه علاقة أبي وأمي بنا، لم أكن أتخيل أن هناك أفضل، إلا أن الأفضل رأيته معك ومع ابنتنا الغالية، بارك الله لي فيكما."

بادلته الدعاء، فقبل رأسي، وأبدل ملابسه سريعا ثم قال:

"سأذهب الآن لكي لا أتأخر عليهم، أتريدين مني شيئا يا حبيبتي؟"

هزرت رأسي نفيا قائلة:

"سلامتك يا حبيبي."

(الزوجة: زمره)

خرج من الغرفة، فظالت لحظات في مكاني أستشعر عذوبة كلماته، ثم تذكرت أن لدي مهمة الآن، فقامت مسرعة لأتأكد من إحكام غلق باب الغرفة بالمفتاح، الآن حان الوقت، فما سأفعله يجب ألا يعلم عنه بشر، جلست على طرف المقعد بحماس في انتظار ما سيحدث، لحظات تمر ثم أسمع صوته الذي لم يتخط يوما لسانه، بعقلي دون أن يمر على أذني قائلا:

"سلام عليك يا زمرد، كيف حالك اليوم؟ وكيف حال مروان؟"

أشحت بصري قليلا بسبب لونه ناصع البياض، ثم أعدت النظر إليه قائلة:

"بخير حال والحمد لله، كان مروان يطرح تساؤلات الآن حول ما حدث لأجداده ولعرفان بعد دخولهم البوابة، ولكنني رويت له ما أخبرتني به وكأنها تخمينات حول ما حدث."

قال لي بدهشة:

"وهل صدقك؟"

قلت له مبتسمة:

"نعم بالطبع، لكن لست أدري لماذا بدا لي وكأنه يشك في الأمر."

قال بصوته المتردد في عقلي:

"إنه يشعر بوجود شيء ما، لا يعلم كنهه، ولكن يشعر به."

سألته بدهشة:

"كيف هذا؟ وأنا لم أخبره بشيء.."

هز رأسه قائلا بعقله:

"أعلم هذا جيدا يا زمرد، ليس ذنبك بالطبع، ولكنه لا يزال يمتلك تلك الموهبة هو ووالدته، لذلك سيعلمان بكل شيء قريبا جدا، ومن هنا سيكون دورك في إخبارهم بالأمانة التي سيحملانها معك."

صمت عقله لحظات، ثم أكمل خواطره التي تنساب بداخل عقلي:

(الرد): زروة

"ما لا تعلمينه، هو أن سدره من نسلكما أنت ومروان، لذا فهي أيضا تعلم."

اتسعت عيناى فى دهشة وأنا أقول:

لذلك تهىء لى دائما ذلك اللقاء وكأنها تعلم ما يدور بيننا.."

أرسل خواطره قائلا:

"بالضبط، وموهبتها لا تنحصر فقط بالإحساس بالشىء، بل باليقين به، لذا فهي تعلم، وتعلم أن ما تعلمه سرا لا ينبغي الإفصاح عنه."

ظالت صامته وأنا أشعر بشىء من التوتر، فأكمل:

" أعلم أن الحمل ثقیل عليك، ولكنى متيقن من إنك تستطيعين حملة، بمساعدة مروان ومريم وسدره، لا تقلقى، ستصمدین."

قلت له:

" أتمنى هذا، ولكن كيف أخبرهم أننا فى خطر فتح البوابة من جديد بسبب أحد أفراد العائلة، وأنت یا أشقر لا تستطيع أن تخبرنى باسمه، فقط تخبرنى بأنه خان العائلة وسيخون من جديد، فماذا أفعل؟"

قال لى مطمئنا:

" لا تقلقى، الشىء الوحيد الذى يمكنه من فتح البوابة من جديد هو أن يعلم بوجودى، وهو ما لن يحدث أثق بهذا.. لأننى أثق بك یا زمرد، وأثق بتمكنك من الحفاظ على تلك الهبة.."

قلت له بامتنان:

" أشكر كثیرا یا أشقر، لا يمكنك تخيل مقدار السعادة التى أشعر بها حين أتذكر إنك ظللت معى."

(الرد): زمره:

لوح بجناحيه وهو يقول بصوته العقلي الرحيم:

" لقد استحققت بالطبع أن تظل قواك معك، فعلى الرغم من أن جدك الأكبر ليس من أنقياء القلوب بالطبع، ولكن مع تسليمك التام بقدرك، ورضاك بأي كان ما سيحدث سواء وجودك أو عدم وجودك، نفى عنك تماما وجود أي ذرة أنانية أو تفضيل ذات، لقد كان كل همك في البداية إنقاذ أسرتك، وحين بدأت الخطوط الزمنية في التداع، هببت لإنقاذ الجميع، مع يقينك التام باحتمالية عدم وجودك، كل هذا جعلك أحق بالسيادة والسيطرة، سيادة القوى الزمنية، والسيطرة على المنبع والرباط. "

في الواقع لا أحب أن يمدحني أحدهم بهذا الشكل، حتى وإن كان كائن خرافي بجسد حصان وجناحي صقر ورأس نمر، واسمه "أشقر"، فذلك المديح المستمر يجعلني أتساءل هل بالفعل أستحق تلك الكلمات؟ كما أنه يصيبني بدوار وشعور مستمر بأن الأرض تنشق وتبتلعني أو أنني أصغر حجما حتى أصبح كعقلة الإصبع، إلا أن المرتجز القصاص سمع ما بعقلي فقال:

"أشعر جيدا بم تشعرين، ولكن لا يجب أن تخجلي من المديح، بل عليك أن تفخري به، سأتركك الآن وإن أردتني، فقط نادني، وسأعود. "

هزرت رأسي موافقة فاخفتي فجأة كما ظهر فجأة. نعم يا رفاق هذا ما حدث، لقد صار "الأشقر" صديقي دون حول مني ولا قوة، بالطبع أشعر شعورا دائما بعدم استحقاقي لوجوده معي، وكنت دائما ما أتساءل لماذا لم يحصل مروان على تلك المنحة؟ ولكن حين أتحدث معه ويخبرني بحزنه بسبب تحجر المرتجز واندماجه بجدران القبو، لرغبته في تجربة السفر الزمني من جديد، عندها أعود لأكتم سري بداخلي.

والآن بعد أن علمتم حكايتي، فليبق هذا سرنا الصغير..

(المجهول) يرويها المجهول

بالطبع الآن علمت من أنا، أنا المجهول المهمش الذي رافقكم منذ البداية، أنا العم الفاسد والأخ الطالح، والابن العاق...

أنا الذي علمت نفسي بنفسي، وسعيت لمعرفة كل ما حدث دون اتكال على أحد، حتى علمت كل شيء، علمت سر أسرتي الدفين، وعلمت أسرار الغريب... الغريب الذي استغل كرهى لأسرتي؛ ليحقق كل مآربه، لكنني سأجده، وسأقتص من كل لحظة أضاعها من عمري.

هل عرفتموني؟

أنا الذي انهزم في الجولة الأخيرة، ولكن من يضحك أخيرا يضحك كثيرا، في تلك الجولة انتصر الخير على غير العادة، ولكن لا تزال بيننا جولات أخرى، لماذا ظننتم أن الخير سينتصر في النهاية، لأن تلك النهاية الطبيعية للروايات والأفلام؟

سذج للأسف، هل شهد أحدكم يوما نهاية الشر في العالم؟ بالطبع لا، فالشر لن ينتهي إلا بقيام الساعة.

أغلقوا البوابة؟ أعلم هذا، ولكن لا يهم.. سأعود وسأنتصر، حتى وإن كلفني هذا كل نفيس..

سأعود وأنتقم من الغريب والقريب والحبیب من كل من سولت له نفسه أن يتلاعب بي أنا.. (سعيد).

الزوجة: ههه

عرفان اختفى من الوجود.. ولكن سعيد لا يزال موجود..

لذلك أعدكم يا أحبائي.. أعدكم إنني سأعود..

"سعيد.. سعييد.."

زوجتي تناديني، سأترككم الآن، ولكنني سأعود، ولكن بعد أن أصل إلى سر

الأشقر.. قريبا جدا.... أقرب مما تتخيلون..

تمت بحمد الله